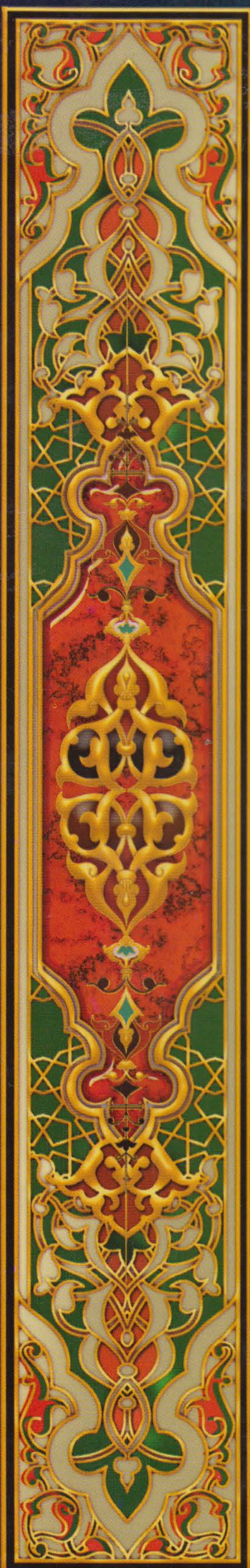
حكايات وعبر

من حياة الشهيد الأستاذ مرتضى مطهّري





الشخصية الإجتماعية العبادية العلمية السياسية

حيدر بلال البرهاني

دار الحوراء

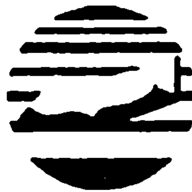
حكايات وعبر

من حياة الشهيد الشيخ

آية الله مرتضى المطهري رحمه الله

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



يطلب من مكتبة ودار الحوراء للطباعة والنشر و التوزيع

لبنان بيروت تلفاكس : ٠١/ ٢٧٦٩٥٦

Dar.Alhawra @ hotmail.com

حكايات وعبر

من حياة الشهيد الشيخ

آية الله مرتضى المطهري رحمه الله

الشخصية - الإجتماعية - العبادية - العلمية - السياسية



دار الحوراء

للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - هاتف: ٣٦٦٩٥٦/٠١


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــداء

إلى جامع المعقول والمنقول.

إلى الكاتب العبقري، والخطيب المصقع، والواعظ المبلّغ، والفيلسوف البارع.

إلى عالم الدّين والفصاحة الذي قضى عمره في تميز الأفكار المنحرفة غرباً وشرقاً عن الفكر الإسلامي الأصيل.

إلى من كان حقاً ملجأ الشباب والمحققين الذي صانهم من العثرات في ظلمات الوساوس والشبهات والمنطق الأجنبي.

إلى رجل الزّهد والتقوى والخلق الكريم.

وفي ليلة دمّاء نال درجة الشهادة، وبفقدانه فجع الدّين والإنسانية، وارتدى المسلمون السواد وأصيب الإسلام.

وما أجمل ما ورد في الحديث الشريف؛

«إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء».

إلى القلب الهادئ... إلى النفس المطمئنة... إلى الرّوح المستبشرة بفضل الحق تعالى...

إلى العالم الشهيد المظلوم مرتضى المطهري.

إلى تلمّس طيفه وأثره

نرفع هذا الجهد المتواضع

حيدر عباس بلال
البرهاني

ديباجة الكتاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الخلآئق أجمعين محمّد وعلى آل بيته الطيبين المعصومين

مهما تغيرت الظروف فإنّ الفكر الاصيل والحر يبقى على أصالته، ومهما طال الزمان وبعد، وتبدلت الاحوال واختلفة، فالكلام المقترن بالدليل والبرهان هوالذي يبقى، ومادونه من زخرف القول وزائفه يزول ويزهق.

فكان العمق الفكري والإصالة الممزوجتان بالبرهان وسهولة البيان وبلاغته ممّا ميّزا الشيخ الشهيد مرتضى المطهري تأليفاً وخطاباً ونقاشاً حتى لقّب وبكل إستحقاق وجدارة بـ «الاستاذ».

آية الله المطهري يعتبر حجةً في الفلسفة، وموسوعةً في العلوم الدينية من فقهٍ وأصولٍ وحديثٍ ودرايةٍ وتفسيرٍ، فضلاً عن الإجادة التامة للغة العربية حتى عرف عنه «جامع المنقول والمعقول».

واسع المعرفة، عميق الفكرة، من مؤلفاته رحمه الله؛ شرح على نهج البلاغة، مقدمة على أصول الفلسفة للعلامة الطباطبائي، نظام حقوق المرأة في الإسلام، العدل الإلهي، دروس في الشفآء، الحماسة الحسينية، فلسفة التأريخ، قضية الحجاب، والعديد من المؤلفات الثمينة والمحاضرات القيمة والمهمة.

كان إهتمامه الاوّل هو إحياء السّاحة الفكرية، لإنّها كانت ـ كما هو الحال في العالم الإسلامي ـ مستهدفة ومقصودة بالدّرجة الاولى والأهم عند أصحاب الفكر الغربي ومروجيه.

ايران البلد الذي عاش غزوا ثقافياً غربياً منذ مطلع القرن الثامن عشر، ولإجله شمّر الشهيد المطهري عن ساعد الجد لخوض المواجهة والتحدي، فاستطاع أن يأسس في ساحة معركة المعرفة والمفاهيم الوعي النخبوي والجماهيري معاً.

* * *

وبنفس الوقت أعطى مايجب اعطاءه في ساحة الجهاد والدفاع عن المحرومين والمظلومين، حيث خاض جهاداً فكرياً وعقائدياً يصحبه جهاداً نفسياً وجسدياً، فأعطى أسمى وأروع دروس التضحية والفداء، فهو المحرّك والموجّه للثورة وأركانها.

وكان بيته هو المنطلق لفكر الثورة ورافدها وموجهها، فقاد الشارع وحرّك الامّة للتصدي للظالمين والطغات، ومقارعتهم، غير مبال ولامهادن أو متهاون، فحوصر ومنع من القيام بمهامه

ومسؤولياته، حتى حرم من إلقاء الدروس والمحاضرات، بل حتى أدى به الامر إلىٰ الاعتقال والسجن، ولكن لم تثنه هذه الأوضاع عن الإستمرار في جهاده ومواقفه الجهادية، بل زادته أصراراً وثبوتاً، فهو مصداق لقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ الآية.

* * *

كان تحرّك الشهيد المطهري الاساس هو العودة إلىٰ الحياة الإسلامية الأصيلة، وهي تبدأ من أساس المفاهيم الإسلامية الحقة، وأيضاً ازالة الأفكار والمفاهيم المنحرفة التي لحقة بها.

ولهذا نذر الشهيد المطهري نفسه لأجل هذه الحقيقة مبتدأ بإصلاح المفاهيم الفاسدة، ومحاربة الإنحراف الفكري والعقائدي، هذه الحركة التصحيحية والتي عبّر عنها المطهري بـ «إحياء الفكرالديني»، حيث وضّح المقصود منه بقوله:

«المقصود من إحياء الفكر الديني ليس هو إحياء الدّين نفسه، بل إحياء التفكير بشأن الدّين، وبعبارة أخرى غسل الادمغة ممّا تراكم فيها من إنحرافات وتشويهات بشأن الدّين».

ونستطيع أن نفهم عظم المسؤولية التي نهض بها الشهيد مرتضى المطهري في عملية الإصلاح الفكري هذه لو عرفنا ضخامة الجهود التي بذلت في إيران خلال القرون الاخيرة لتشويه صورة الإسلام

الأصيل، ولمسخ المفاهيم الإسلامية عن طريق مزجها بالمفاهيم المادية الغربية.

فالهزيمة التي مني بها العالم الإسلامي أمام الاستعمار الغربي كانت هزيمة نفسية بالدرجة الاولى، وهي التي دفعة بكثير من المثقفين المهزومين إلىٰ الطعن في تراث الامّة وتأريخها وأصالتها، والى التبعية الفكرية والنفسية لعالم المستعمر.

إنّ الجهود التي بذلت لمسخ والتشويه على المفاهيم الإسلامية من جهة، ومن جهة أخرى إشاعة روح التغرّب والتقاط المفاهيم غير الإسلامية ومزجها بالإسلام ومفاهيمه الحقّة.

وفي إيران كانت هذه العملية أعمق وأوسع ممّا كانت عليه في بقية بلدان العالم الإسلامي، والسبب هو ما يتمتع به هذا البلد من علماء، ومن حركة علمية واسعة تتجه نحو الإجتهاد في مسائل الدّين، وعليه يكون التحدي كبير ومدروس، ولابدّ من وجود جهود منظّمة وعلمية كي تواجه هذه الحركة المقصودة بحركة عميقة ومدروسة.

ونقل الأستاذ محمد علي آذر شب ـ أستاذ في جامعة طهران ـ واجه الشيخ المطهري في عملية الإحياء للدّين هذه مشكلتين؛

الأولى: مشكلة الطبقة المتحركة من الشباب والمثقفين الذين تأثروا بأفكار الغرب الرأسمالي أو الإشتراكي، وهم يحملون نظرات وأفكار سلبية قاتمة عن الدّين وعلماء الدّين وكتب الدّين.

الثانية: مشكلة الطبقة الجامدة والمتحجرة من المسلمين التي تفقد كل حركة أو تحرّك، وترى بأمّ أعينها ما يضج به المجتمع المسلم من فساد وإنحراف، غير أنها تكلّ الأمر إلى الله، وتنتظر الفرج الغيبي!

وحينما يتكلم الشيخ مرتضى المطهري عن «المجتمع والدّين»، يقول: «الدّين الإسلامي الحنيف دين مجهول حقائقه، قد إنقلبت بالتدريج في نظر النّاس، والسبب الأساس في إعراض طائفة من النّاس هو المفاهيم الخاطئة التي قدّمت بأسم الدّين، هذا الدّين المقدّس يتعرض في عصرنا الرّاهن أكثر من أي شئ أخر إلىٰ إساءة بعض أدعيآء حماية الدّين».

وفي مورد آخر يتحدّث الشهيد المطهري عن رأيه في هذه المسألة الخطيرة:

«أنا باعتباري فرد أحسّ بمسؤوليتي الإلهيّة أوجّه تحذيري إلىٰ زعماء النهضة الإسلامية العظام، وأتمّ الحجّة بيني وبين ربّ العالمين، وأقول لهم: إنّ نشر الأفكار الغربية والتقاطها بأسم الفكر الإسلامي بعد إضفاء الطابع الإسلامي عليها سوآء كان ذلك عن سوء نية أو عدم سوء، خطر يهدد كيان الإسلام».

ومن أقواله وآراءه العلمية والدقيقة في هذه المسألة:

«طريقة مواجهة الخطر لا تتمثل في المنع والحظر، وهل يمكن منع العطشى المتلهفين إلىٰ المآء من تناول المآء بحجة أنّه ملّوث؟! إنّها مسؤليتنا التي تفرض علينا أن نقدم كتبا بلغة العصر في الحقول

الإسلامية المختلفة، لو إنّا عرضنا مآءا قراحا سلسبيلا بالمقدار الكافي لما إتجهوا إلىٰ الماء الملّوث..».

* * *

والشهيد الاستاذ المطهري كان من المؤمنين بأن التغير الإجتماعي في المنظور الإسلامي لا يمكن ان يتحقق دون ثورة كاملة تطيح بكل ألوان الظلم والإستبداد والطغيان حتى تأتي ثمارها، لكن هذه الثورة والنهضة لايمكن أن يكتب لها البقآء، ولايمكن صيانتها من الزلل والإنحراف الا اذا ساندتها نهضة فكرية وثقافية أصيلة، تقدم الإسلام في جميع مجالات الحياة وفق مقتضيات العصر.

يقول الشهيد المطهري:

«كل نهضة إجتماعية يجب أن يكون لها سند من نهضة فكرية وثقافية، والّا سوف تقع في فخ التيارات التي تمتلك ثروة فكرية، وتتجه نحو هذه التيارات، فتغير مسارها، وقد رأينا أنّ الجماعات الفارغة من الفكر الإسلامي كيف سقطت كالذبابة في أوكار بيت العنكبوت.

* * *

إمتاز الشهيد الشيخ مرتضى المطهري في حياته العلمية والفكرية بمميزات أساسية جعلته يحتل ذلك الموقع المميّز في قلوب وعقول الشباب الجامعي وباقي الفئات المثقفة.

فكان صاحب مطالعات واسعة ومتشعبة، وبحث دائم، وتحقيق دقيق، ويملك استعداداً عجيباً للإستماع للآخرين وإستيعابهم، والإطلاع على النظريات والآرآء الدينية والفكرية والفلسفية والإجتماعية.

وكان المطهري أميناً في نقله للآرآء عندما كان يستعرضها قبل نقضها، وعندما ينتقد فكراً فإنّه كان يمتاز بموضوعية لا حدود لها وبتجرد كبير.

يعتقد بضرورة توفير الحرية الفكرية، وكان يدعو اليها. ويدخل في بحث كل شبهة يجد فيها خطراً على العقيدة والدّين أو على المجتمع وقيمه.



الشهيد مرتضى المطهري صاحب مدرسة فكرية مميّزة، إستطاع أن يولّد فيها علماً ويصوغ نظريات جديدة تنسب له، حيث إستطاع الرّجل أن يقدّم الإسلام بصورة معاصرة، وصحيحة، مجرّدةً عن التأثرات الفكرية والآيدلوجيات الاخرى شرقية كانت أوغربية.

كان مبدعاً بحق، حيث يعرض الشبه الفكرية ويقدّم لها الحلول المناسبة على إختلافها، سوآء كانت الشبهة فلسفية أو علمية أو عقائدية أو إجتماعية، يستعمل الإستدلال البرهاني، ويحفظ الأصول العقلية في إثبات العقائد الأصولية الإسلامية، ويتبين لك هذا بوضوح عندما

ترجع إلىٰ كتاباته وخطاباته وآثاره القيمة الأخرى، حيث يعتمد الإستدلال طريقاً دائماً فيما يتبناه، كان صادقاً ومقتنعاً في كلّ تحركاته الإجتماعية والعلمية المختلفة في كتاباته ودروسه ومحاضراته ونقاشاته.

* * *

سوف يتضح إنشاء الله تعالى من خلال هذا الكتاب كيف كان الشهيد المطهري على جانب كبير من تقوى وورع، مروّضاً نفسه على العبادات والمستحبات، وألزم نفسه بها حتى عدّت عنده كالواجبات اليومية ــ فعرف عنه ذلك ــ فأصبح مثالاً يقتدى به أقرانه وأصدقائه ومحبيه، ينقل أحد زملاء درسه:

«أتذكر عندما تعرفت عليه، كان ملتزماً بصلاة الليل، وكان يحثّني على ذلك، غير إنني كنت أتهرّب من الصلاة بذريعة أن ماء البركة مالح أو وسخ، ومضرّلعيني. وفي ذات ليلة رأيت في منامي إنني نائم واذا برجل يوقظني، ويقول: إنني عثمان بن حنيف ممثّل أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام يأمرك بأن تستيقظ، وتصلّي صلاة الليل، وهذه الرّسالة أيضا بعثها اليك. تلك الرّسالة الصغيرة كتب فيها بخط أخضر فاتح؛ «هذه برآءة من النّار».

في عالم الرؤيا كنت جالساً حيراناً، وإذا بالشهيد المطهري يوقظني، وهو يحمل وعآءَ مآءً، وقال: هذا المآء قد أحضرته من النهر، قم وصل الليل، ولاتتذرّع».

تقول زوجته تلك المرأة المجاهدة الصابرة:

«كان يقف لصلاة الليل والمناجات من السّاعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل. وكانت مناجاته عجيبة، كما كان يأنس بالقرآن كثيراً، وكان يقرأ القرآن قبل النوم».

* * *

في هذا الكتاب لم أختصر على جانب واحد من جوانب حياة آية الله الشيخ المطهري، بل حاولت ـ قدر المستطاع ـ على جمع أكثر المعلومات المتاحة والمتوفرة عن حياته رحمه الله، سوآء شخصية كانت أو إجتماعية أو علمية.

فالكتاب هو سيرة حياة وقصّة مسيرة ذلك الرّجل العظيم، حيث ترك بصماته على المجتمع الإيراني المسلم في العصر الحديث، بل وعلى المجتمع الإسلامي ككل، يحتوي ويتضمن على المنهجية التالية؛ ـ

١ ـ قبسات من حياته الشخصية.

٢ ـ قبسات من حياته الإجتماعية.

٣ ـ قبسات من حياته الحوزوية.

٤ ـ قبسات من حياته الأخلاقية والعبادية والسلوكية والعرفانية.

٥ ـ قبسات من حياته العلمية والفكرية والفلسفية.

٧ ـ قبسات من حياته السياسية والجهادية والقيادية.

٨ ــ مقتطفات من محاضراته ودروسه.

* * *

في الواقع أن الكتاب يعطي القارئ الكريم فكرةً واضحةً عن حياة الإستاذ الشهيد المظلوم مرتضى المطهري رحمه الله، متوخياً من حالت الإطالة والتكرار ــ إلاّ في بعض الأحيان حينما ننقل تمامية النص للأمانة ــ أو الإختصار والإيجاز، اللّذان يخلان في الهدف والمطلوب، وهو إعطاء فكرةً واضحةً وشاملةً ووافيةً عن حياة هذا القائد الفذّ.

أقدّم هذا المجهود المتواضع للقارئ العربي الكريم، تحت عنوان «حكايات وعبر من حياة الشهيد مرتضى المطهري»، على نفس النسق والمنوال لكتابيّ السابقين وهما؛ «حكايات وعبر من حياة الإمام الخميني» و«حكايات وعبر من حياة الشهيد محمد باقر الصدر وأخته الشهيدة بنت الهدى».

راجياً من الله العليّ القدير، ومتوسّلاً بخاتم الأنبيآء والمرسلين، وبأهل بيته الطيبين الطّاهرين القبول وحسن العاقبة لي ولوالديّ، في نيل مرضاتهم وشفاعتهم يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الإ من أتى الله بقلب سليم إنّه سميع مجيب.

الرّاجي
حيدر بلال البرهاني

الإمام الخميني رحمه الله

«إنني أُعزّي وأُهنّىء الإسلام والأولياء الكرام والأمة الإسلامية وخاصة الشعب الإيراني المجاهد بمصابهم المؤسف بالشهيد المفكر الفيلسوف والفقيه ذي المقام السامي المرحوم الحاج الشيخ مرتضىٰ المطهري ـ قدس سرّه.

أما العزاء فباستشهاد هذا الرجل الفذّ الذي قضىٰ حياته الكريمة المباركة في سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية المقدّسة ومجاهدة كافة الأفكار المنحرفة والانحرافات.

وهذا العظيم عزَّ مثيله في عمق معرفته بالإسلام ومعارفه المختلفة وتفسير القرآن الكريم ولقد فقدتُ إبناً عزيزاً وقد فُجعتُ بوفاته فهو من الشخصيات التي أعتبرها ثمرة حياتي.

وقد ثُلم في الإسلام العزيز باستشهاد هذا الإبن البار والمفكر الخالد ثلمةٌ لا يسدها شيءٌ.

وأما التهنئة فلأننا نحظىٰ بوجود أمثال هؤلاء الرجال الذين يضحّون بأنفسهم ويشعّون بالنور في حياتهم وبعد وفاتهم...

وإني وإن كنتُ قد خسرتُ إبناً عزيزاً كان كبضعةٍ منّي، ولكني أفتخر بأنه كان للإسلام ـ وسيكون ـ مثل هذا الابن المجاهد[١].

«.. إنني لا أستطيع وأنا على هذه الحالة[٢] إظهار مشاعري وعواطفي تجاه هذ الشخصية العزيزة، ولكني أقتصرُ علىٰ القول بأنه أسدىٰ إلىٰ الإسلام العلم خدمات جليلة..»[٣].

«.. كان المطهري ابناً عزيزاً وعماداً منيعاً للحوزات الدينية والعلمية وخادماً مخلصاً للشعب والوطن..»[٤].

«.. لقد خلّف هذا الشهيد المُطهّر ـ ورغم قصر حياته ـ من الآثار الخالدة ما يشع نوراً من فطرة نقية وروح متأججة عشقاً للهدف المقدس، لقد كان معلماً ومربياً للمجتمع ينطق بلغة يفهمها الجميع فيوضح المعضلات الإسلامية والحقائق الفلسفية ببيانٍ قويٍ وفكر قويم دون اضطراب أو قلق.

وكان ما خلفه من آثار ـ دون استثناء يفيضُ بالعلم ويربي الروح.. ومواعظه ونصائحه التي كان يبثُّها من قلبٍ مفعم بالإيمان ينتفع بها الخاصة والعامة..»[٥].

---

(١) من بيان الإمام الخميني بمناسبة استشهاد المطهري بتاريخ ١٢/٢/١٣٥٨ هـ.ش./ ٥ جمادي الثانية/ ١٣٩٩ هـ.ق./ مايو ١٩٧٩م.
(٢) كان الإمام في حينها يرقدُ في مستشفىٰ القلب في طهران إثر نوبةٍ قلبية حادَّة.
(٣) من بيان الإمام الخميني بمناسبة الذكرى السنوية الأولىٰ لاستشهاد العلامة المطهري.
(٤) المصدر نفسه ٢٢٤.
(٥) من بيان الإمام في الذكرىٰ السنوية الثانية لاستشهاد المطهري.

«. . إنني أُوصي الطلاب الجامعيين والمثقفين المؤمنين أن لا يسمحوا لمؤامرات أعداء الإسلام بأن تودع كتب هذا الأستاذ العزيز في مطاوي النسيان. . »[(١)].

«. . لقد غالب عنّا المطهري الذي قلَّ نظيرُهُ في طهارة الروح وصلابة الإيمان وقوة البيان والتحق بالرفيق الأعلىٰ، ولكن ليعلم الأعداء أنهم لن يستطيعوا قتل شخصيته الإسلامية والعلمية والفلسفية، وليعلم القتلة أنهم أعجزُ من اغتيال الشخصية الإسلامية لرجال الإسلام. . ».

«إن من كل شعرة لشهيد وكل قطرة تروي الأرض من دمّه سيُولد مجاهدٌ قويُّ العزيمة. . إن الشعب الذي انتفض بالتوكل علىٰ الله وإحياءً للإسلام لن يتراجع بسبب هذه المساعي اليائسة، فنحن مستعدون للشهادة في سبيل الله. .

أسأل الله تعالى لابن الإسلام العزيز الرحمة والغفران وللإسلام العظمة والعزة. . سلام على شهداء طريق الحق والحرية. . »[(٢)].



(١) من بيان الإمام في الذكرىٰ السنوية الأولى لاستشهاد المطهري.
(٢) من بيان الإمام الخميني بمناسبة استشهاد العلاّمة المطهري.

السيد القائد الخامنه أي (حفظه الله)

قلَّما نجد عالماً مثل الأستاذ الشهيد المطهّري ينشطُ في العمل بكل تلك الكفاءات السامية فكرياً وروحياً بحيث يمكن اعتبار كلّ محاضرة من محاضرته نتاجاً تحقيقياً قيّماً، ولذلك فإنَّ تراثه الفكري ومبانيه ونهجه الفلسفي حريٌّ بأن تُجرىٰ بشأنه الكثير من التحقيقات.

إن نتاجات الأستاذ الشهيد المطهري تشكل الأساس الفكري لنظام الجمهورية الإسلامية في إيران، وإذا أردنا لهذا الأساس أن يترسَّخ في أذهان الجماهير وتستمر حركتها الثورية فيجب أن نعمل علىٰ ترويج أفكار الأستاذ الشهيد المطهري بينهم وهذا ما هو حاصلٌ بالفعل بدرجةٍ ما.

والأستاذ الشهيد المطهري هو بحق التلميذ الكفؤ لإمام الأمة الخميني، وهو من نوادر عصرنا حقاً فهو يمثل عصارة الأفكار الإسلامية العميقة للإمام الخميني.

تقريض لحياة الشهيد مطهري رحمه الله

وُلد الشهيد الشيخ مرتضى مطهري في ١٣ جمادى الاولى من العام (١٣٣٨ هـ) (٢/ ٢/ ١٩٢٠م) في مدينة فريمان تبعد (٦٠) كيلومتر جنوب مدينة مشهد في محافظة خراسان، وسط عائلة متديّنة معروفة بالعلم والفضل والتقوى.

والده العالم الفقيه الشيخ محمد حسين المطهري، كان عالماً تقياً وورعاً.

تلقى الشيخ مطهّري دراسته الابتدائية عند والده، ثم انتقل الى مدينة مشهد في العام (١٣٥١هـ) (١٩٣٢م) ـ لتحصيل العلوم الدينية، وكان عمره إثنتي عشرة سنة حيث درس مقدمات العلوم الدينية من فقه ومنطق ونحو وعقائد.. على عدد من الاساتذة كان منهم: آية الله ميرزا مهدي شهيدي رضوي.

شاهد الشهيد مطهري عام(١٣١٤هـ.ش)[١]، ملحمة مسجد كوهرشاد بمشهد.

(١) التقويم نظام وضعه الإنسان لتحديد الوقت، ملبياً بذلك حاجته في تنظيم شؤون =

ففي عهد كبت الملك ـ رضا خان ـ علت الصيحات واحتجاجات الناس بزعامة مراجع الدين ضد ممارسات رضا خان،

= حياته، وفي تأريخ الحوادث التي تهمه. ويرتكز هذا النظام على تقسيم الوقت بالإستفادة من دوران الأرض حول الشمس (التقويم الشمسي)، أو من دوران القمر حول الأرض (التقويم القمري)، أو من هذين الدورانين معاً.

التقاويم الشمسية تدور الأرض حول محورها، كما تدور حول الشمس، وتسمى المدة الزمنية التي تتم فيها الأرض دورة واحدة حول محورها يوماً، وتحدّد بالمدة ما بين مرور الشمس بخط الزوال العلوي ومرورها فيه ثانية (وهذا ما يسمى باليوم الشمسي الحقيقي).

إلا أن اليوم الشمسي الحقيقي ليس واحداً في المكان الواحد طول السنة إلاّ الأماكن التي تقع على خط الاستواء؛ ولذلك يلجأ الفلكيون إلى حساب متوسط الأيام الشمسية، ويسمى هذا المتوسط اليوم الشمسي الوسطي، وقد قسّم هذا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة.

وأما المدة الزمنية التي تستغرقها الشمس لتتم دورة كاملة في حركتها الظاهرية في الفضاء مبتدئة من نقطة معينة من بروجها إلى أن تعود إلى هذه النقطة، فتسمى سنة شمسية.

ولما كانت هذه المدة ليست ثابتة، فلقد تمّ اللجوء إلى حساب عدد أيام متوسط هذه السنوات الشمسية، فكان (٣٦٥) يوماً و(٥) ساعات و(٤٨) دقيقة و(٤٧,٥) ثانية، أو (٣٦٥,٢٤٢٢١٦) يوماً وسطياً.

وعلى هذا إذا عُدّت السنة (٣٦٥) يوماً فقط، فإن الكسر (٠,٢٤٢٢١٦) يتراكم مع مرور الزمن، وتصبح شهور الصيف في الشتاء، وشهور الشتاء في الصيف، ولذلك إضطر الإنسان إلى إجراء عدة تعديلات لمعالجة هذا الكسر نشأ عنها عدة تقاويم، تقسم كل سنة شمسية إلى (١٢) قسماً يسمى كل منها شهراً. ويساوي الشهر الشمسي المتوسط (٣٠,٤٣٦٨٥١) يوماً، أي (٣٠) يوماً و(١٠) ساعات و(٢٩) دقيقة و(٣,٩) ثانية.

فالتقويم الفارسي: هو تقويم شمس (أي مرتبط بدورة) مكون من (٣٦٥) يوم في السنة البسيطة و(٣٦٦) يوم في سنته الكبيسة مقسمة على (١٢) شهراً، الأشهر الستة الأولى منه تكون (٣١) يوماً والخمسة أشهر التي تليها تكون (٣٠) يوماً، أما الشهر الأخير أي الشهر الثاني عشر فيكون (٢٩) يوماً في السنة البسيطة و(٣٠) يوماً في السنة الكبيسة. =

ومن جملتها منع الحجاب، وكان المنطلق مسجد كوهرشاد، إلاّ أنها قمعت بشدة من قبل رضا خان، وارتكبت مجازر رهيبة، هذا الحدث السياسي ترك أثراً كبيراً على الأفكار الجهادية للشهيد.

بعد عامين من إقامته في مشهد أقدم رضا خان على إغلاق المدارس الدينية، فعاد الشهيد إلىٰ مسقط رأسه، وواصل دراسته الحرّة لمدة سنتين.

ينقل عنه أنه كان يقول «إن كل ما لديّ من مطالعات تاريخية،

= تبدأ السنة الفارسية في الاعتدال الربيعي يوم (٢١) مارس حسب التقويم الجرجاني الميلادي، ويدعى ذلك اليوم بيوم النوروز. ويسمى التقويم الفارسي أيضا بالتقويم الجلالي.
واضع هذا التقويم هو العالم الشاعر المسلم عمر الخيام بمعاونة سبعة من علماء الفلك. وهو مستخدم في أفغانستان وإيران.
وأول يوم للتقويم الفارسي وافق يوم الجمعة (٢٢ مارس ٦٢٢م) حيث أنهم اصطلحوا على أن تكون السنة الأولى لتقويمهم هي سنة الهجرة النبوية الشريفة.
وشهور التقويم الفارسي هي على التوالي: -
١- فروردين
٢- اردیبهشت
٣- خرداد
٤- تير
٥- مرداد
٦- شهريور
٧- مهر
٨- آبان
٩- آذر
١٠- دي
١١- بهمن
١٢- اسفند.

تعود إلىٰ السنتين اللتين رجعت فيهما من مشهد إلىٰ فريمان».

رغم وجود العلماء الكبار في الحوزة العلمية بمشهد، إلا أن صيت قم المقدسة كان قد ذاع في الآفاق، ممّا جعل الشهيد مطهري يهاجر إليها، في العام (١٣٥٤هـ) (١٩٣٦م)، بعد ستة أشهر من وفاة آية الله الشيخ الحائري.

وكانت زعامة الحوزة بيد الآيات الثلاث: الخوانساري، والصدر، وحجت. في وقت بلغت فيه محاربة الشاه رضا خان للحوزات العلمية أوجها، وكان علماء وطلاب العلوم الدينية يتعرضون لأشد الضغوط.

في قم توفر للشهيد العدد الكبير العلماء الذين إستفاد منهم، فحضر دروس آية البروجوردي، واية الله السيد محمد الدّاماد، الشيخ مهدي المازندراني، والشيخ علي الشيرازي الإصفهاني.

وحضر في البحث الخارج لدى الآيات العظام: الخوانساري، وصدر الدين الصدر، وحجة، والإمام الخميني، الذي كان لدراسته عليه مدة (١٢) عاماً، تأثير كبير في تبلور شخصيته، وقد تعدت علاقته به حدود علاقة التلميذ بالأستاذ، فكان الإمام يزوره في غرفته في المدرسة.

كما أن لتتلمذ الأستاذ مطهري عند العلامة الطباطبائي دور كبير في بلورة شخصيته العلمية والروحية.

ورغم أن مدة الدراسة الرسمية للشهيد مطهري لدى العلامة كانت في حدود الثلاث سنوات، إلاّ أن علاقته بالمرحوم العلامة كانت مستمرة حتى إستشهاده، وكان يستفيد منه حتى نهاية حياته، وعبارة (سماحة أستاذنا الأكرم العلاّمة الطباطبائي)، لدليل على ما يكنّه الشهيد من إحترام للعلاّمة.

خلال وجوده في قم المقدّسة قصد الشهيد مطهري ــ ولمدة بسيطة ــ في عام (١٣٦٢هـ) (١٩٤٣م) مدينة بروجرد لحضور دروس الأخلاق التي كان يلقيها السيّد حسين البروجردي آنذاك، وفي محرّم عام (١٣٦٤هـ) (١٩٤٤م) عاد إلىٰ مدينة قم المقدّسة مع أُستاذه السيّد البروجردي، بدعوة من أساتذتها.

توجه إلىٰ طهران في العام عام (١٣٣١هـ ش) (١٩٥٣م)، بعد ١٥ سنة قضاها الشهيد مطهري في قم، ومع دخوله طهران التي إستقر فيها تبدأ مرحلة جديدة في حياته عنوانها «العلم والعمل».

تزوّج في العام (١٩٥٣م) من كريمة أحد مشاهير علماء خراسان.

في العام (١٩٥٣م) بدأ التدريس في مدرسة (مروى)، واشتغل بتدريس الكتب الفلسفية المختلفة.

في العام (١٣٧٤ هـ. ق) (١٩٥٥م)، نشر أوّل مقالة له في مجلة حكمت التى تصدر في قم.

في العام (١٣٧٦ هـ. ق) (١٩٥٧م) أصدر أوّل جزء من كتاب أصول الفلسفة والمذهب الواقعي.

في العام (١٩٥٧م) وجهت له جامعة طهران دعوة للقيام بالتدريس بكلية الإلهيات، والمعارف الإسلامية، فقبل الدعوة، واستمرّ مدرساً فيها الى العام (١٣٩٨هـ.ق) (١٩٧٨م)، فبقي مدة ٢٢ عام يعمل بالتدريس في الجامعة، وببحث المسائل والموضوعات الإسلامية والمعاصرة، ونشر عدة كتب وابحاث.

اعتقل في (٥/٦/١٩٦٣م) (١٥ خرداد ـ ١٣٤٢ هـ. ش) على اثر خطاب القاه ضد الشاه، واطلق سراحه بعد ٤٣ يوماً على اعتقاله.

إزداد نشاطه الثوري والسياسي السري منذ إبعاد الإمام أبان (١٣٤٣ هـ.ش) (١٣٨٥هـ.ق) (١٩٦٤م)، حيث تشكلّت جمعية رجال الدين المناضلين (جامعه روحانيت مبارز)، وصار مطهري عضواً فيها، وكان هونفسه أحد أصحاب فكرة تأسيس الجمعية، ونشر أراءه في كتاب (مرجعيت وروحانيت).

كما كان ممثلاً للإمام في الحوزة العلمية في طهران.

عمل بقوةونشاط بعد العام (١٣٨٥هـ. ق) (١٩٦٤م)، وخلال السنين السوداء من أجل توضيح المفاهيم الإسلامية ضمن خطبه وكلماته العديدة في الكليات، والمجامع العلمية، والمساجد، والحسينيات. . .

أوكل إليه الإمام مهمة الإشراف على جمعية المؤتلفه (مؤتلفه)، وتحمل أعباء المسؤولية بعد إبعاد الإمام إلىٰ تركيا.

بعد إغتيال (منصور) رئيس الوزراء انذاك على يد محمد بخارائي،

وإلقاء القبض على زعماء جمعية المؤتلفه (جمعيت مؤتلفه)، إنكشفت روابط الشيخ مطهري بهم، وأصبحت جميع أعماله تحت الرقابة الشديدة من قبل السافاك، ولكنّه إستمر في نشاطه وأداء تكليفه.

ومن حسن حظه أن القاضي الذي تولى القضية، كان تلميذاً سابقاً عند الشيخ مطهري، فأرسل له رسالة ـ يقول له: «انّي قد أديت حق استاذي» ـ في اشارة الى انّه لم يدرج اسمه بين أسماء المتهمين، رغم معرفته بأنه على علاقة بهم.

أسس حسنية إرشاد في العام (١٣٤٦هـ. ش) (١٩٦٧م)، والتي تركها فيما بعد.

اعتقل الشهيد مطهري مرّة ثانية في العام (١٩٦٩م)، على إثر توجيهه دعوة من حسينية إرشاد مع السيد الطباطبائي، واية الله زنجاني، من أجل دفع تبرعات للاجئين الفلسطينيين، ووضع في سجن إنفرادي.

بعد إطلاق سراحه إستمر في إلقاء الخطب، ومهاجمة النظام البهلوي في مسجد جاويد، وأرك... وأصبح منذ العام (١٩٩٢هـ. ق) (١٩٧٢م) وبصورة دائمةً تقريباً من خطباء الجمعية الإسلامية للاطباء، وأكثر مؤلفاته من نتاج تلك الخطب.

تولّى الإشراف على مسجد الجواد في طهران إبتداء من العام (١٩٧٢م)، ووضع له البرامج الثقافية المناسبة.

أصدر النظام البهلوي عام (١٩٧٤م) قراراً بمنعه من الخطابة، و صعود المنبر بعد أن إستمر بمهاجمة النظام، والتحريض على الثورة، وقد بقي هذا المنع حتى إنتصارالثورة الإسلامية.

إستمر النظام في التضييق على الشيخ مطهري، فاستغل خلافاً حصل له مع أحد الاساتذة الشيوعيين في كلية لإلهيات، فتم إحالته على التقاعد المبكر عام (١٩٧٦م).

مع إستعار، وتوسع الثورة الإسلامية في إيران العام (١٣٩٨ هـ. ق) (١٩٧٨م)، أصبح من أبرز قيادات جمعية رجال الدين في طهران، والرابط بينها وبين الإمام الخميني (رض)، فلم يصدر بيان، ولا دعي لمسيرة، و لا اقيم نشاط الاّ بعد موافقة الشهيد مطهري.

التحق بالإمام بعد سفره إلىٰ فرنسا حيث التقى به، وتلقى توجيهاته، وكلفه الإمام بتشكيل مجلس قيادة الثورة، وقد إستطاع أن يؤدي هذه المهمّة على أحسن وجه.

كان رئيس لجنة إستقبال الإمام الخميني (قدس) عند عودته من المنفى مع إنتصار الثورة الإسلامية، حيث شكّل هذه اللجنة، وأعد له مسكنه، وكتب إعلان الترحيب به، وإعلان انتصار الثورة، وظلّ بجانبه طوال فترة وجوده في المدرسة العلوية بطهران.

ومع عودة الإمام الى طهران في العام (١٩٧٨م)، برز الشهيد مطهري مجدداً الى جانبه كأبرز معاون له إلىٰ أن اغتيل في (٤ جمادى الثانية) (١٣٩٩ هـ. ق) (٢/ ٥/ ١٩٧٩م)

إنطلق الشهيد مطهري مبكراً نحو البحث والتحقيق والتدقيق، وإستهوته المباحث الفلسفية والكلامية منذ كان في بداية حياته العلمية، وقد تغذّت هذه الروح من شخصية أبيه العلمية والثقافية والإجتماعية، والتي كان لها أثر كبير في حياته.

كان الشهيد مطهري يفتقد للساحة التي يمكن أن يعبر فيها عمّا يختزن من طاقات ومواهب، وقد توفرت له فرصة ذلك مع إنتقاله الى طهران حيث بدات مرحلة جديدة في حياته، فقد وجد نفسه في قلب المجتمع وقضاياه، بعد ان كان قبل ذلك طالباً متنقلاً بين حلقات الدراسة في مشهد وقم وبروجورد....

ووجد نفسه ملزماً بمواجهة التحديات، والإستعداد لتقديم الإجابة على كل الاسئلة الموجهة الى الإسلام....

لقد أصبح مطهري الان العالم، والعامل الخطيب، والمحاضر، والاستاذ، وصاحب الدور في زرع بذور الثورة في نفوس جيل الشباب في العاصمة الإيرانية..

أصبح الشهيد مطهري الان في قلب العاصمة الإيرانية طهران، وعلى تماس مباشر مع مراكزها العلمية والثقافية، أصبح في داخل جامعاتها، ومدارسها، وبين طلابها ومثقفيها وعمالها وكل شرائحها الإجتماعية، أصبح هناك يعيش همومهم، ويحلّ مشاكلهم، ويفكّر في قضاياهم، ويجيب على شبهاتهم وأسئلتهم، وكان لا بدّ من أن يتّجه نحو التأليف، والتدريس في الجامعة التي نال منها شهادة الدكتوراه أيضاً.

وقد أضاف الشهيد مطهري إلىٰ التدريس، والتاليف، المحاضرات، والجلسات التي كان يعقدها مع الشباب، بعد أن إستقرّ الشهيد في طهران، بدأ بالتدريس في مدرسة مروي للعلوم الدينية، واستمر تدريسه إلىٰ قبل ثلاث سنوات من إستشهاده.

وأوّل تأليف للشهيد، هو مقدمة وحاشية على كتاب (أصول الفلسفة والمذهب الواقعي)، وكان لإنتشار هذا الكتاب دور كبير في إثبات خواء الفلسفة المادية.

فقد قال ـ إحسان طبري ـ، منظر حزب توده الشيوعي في إيران، والذي نبذ الأفكار المادية، وعاد إلىٰ الإسلام أواخر حياته، قال في مقابلة معه:

«إنّ تغيير أيديولوجيته كان نتيجة مطالعته لكتب الأستاذ مطهري، خصوصاً كتاب (أصول الفلسفة و...)».

وقد عرف مطهري، بأنه كان حجة في الفلسفة، وموسوعة في العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث، فضلاً عن إجادته للغة العربية حتى قيل عنه؛ إنه جامع المعقول والمنقول، واسع المعرفة عميق الفكر.

إمتاز الشهيد مطهري في حياته العلمية والفكرية بمميزات أساسية جعلته يحتل ذلك الموقع المميز في قلوب وعقول الشباب الجامعي والفئات المثقفة.

فكان صاحب مطالعات واسعة، وبحث دائم وتحقيق دقيق، وكان

يملك استعداداً عجيباً للإستماع للآخرين، والإطلاع على النظريات والآراء الدينية والفكرية والفلسفية والإجتماعية.

وكان أميناً في نقله للاراء عندما كان يستعرضها قبل نقضها، وعندما ينقد فكراً فإنّه كان يمتاز بموضوعية لا حدود لها، وبتجرّد كبير.

كان يعتقد بضرورة توفيرالحرية الفكرية، وكان يدعو لها، وكان يدخل في بحث كلّ شبهة يجد فيها خطراً على العقيدة، أوالدّين، أو على المجتمع وقيمه.

وممّا يمز الشهيد مطهري؛ أنه كان صاحب مدرسة فكرية إستطاع أن يولّد فيها علماً، ويصوغ نظريات جديدة فيها، فأصبحت تنسب بحق له بعد ان إستطاع أن يقدّم الإسلام بصورة معاصرة.

لقد كان مبدعاً بحق، وكان يعرض المشكلات،ويقدّم حلها في المسائل الفلسفية، والعلمية، والدينية، والإجتماعية.

وكان يستعمل الإستدلال البرهاني، ويحفظ الاصول العقلية في إثبات العقائد الاصولية الإسلامية، وتبين هذه الملاحظة بوضوح من خلال أثاره القيمة، كان يعتمد الإستدلال طريقاً دائماً فيما يتبناه.

وكان التواضع الصفة التي لازمته في كتاباته، ومحاضراته، وكلماته، وكل حركته يزيد من قيمتها قناعته، وصدقه فيما يكتبه ويقوله.

كان صاحب الدور البارز في الثورة الإسلامية، وفي التمهيد

الفكري لها، وإعادة الاصالة للمجتمع الإيراني المسلم، الذي أمعن حكّامه في تغريبه، وعلمنته، وإبعاده عن دينه وتاريخه. . .

فقد شن الشهيد حرباً لاهوادة فيها باسلوبه الفكري الرّاقي ضد مظاهر البعد عن الدّين والتغرب، ومسخ الهوية الثقافية والإسلامية للشعب الإيراني.

وقد نشر العشرات من الابحاث التي تعنى بقضايا المرأة، والدّين، والسياسة، وقضايا تاريخية دقيقة، ودورالإيرانيين في الحضارة الإسلامية، كمحاولة لإعادة ربط الذاكرة الإيرانية بامجادها الإسلامية.

فقد كانت مشكلة إيران في تلك الفترة في محاولة تغريب مجتمعها في كل شيء، ومحاولة دفعها للتخلي عن كل ما يربطها بالإسلام وحضارته، وتبدّيل ذلك بإنتماء جديد إلىٰ الغرب.

وإستحضار بعض من ثقافة وقيم ومفردات الحضارة الفارسية البائدة، لصوغ وجه إيران الجديد، وكانت الجامعة هي المدخل الذي يراد منه تنفيذ هذه الخطة، وهنا كان دور الشهيد مطهري حاسماً، فاعتبر أن مكافحة هذه الظواهر لا يمكن أن يتم إلاّ من خلال ضرب اسسها الفكرية والعقائدية والفلسفية. . . .

وقد أجاد في ذلك كثيراً، وقد إستطاع أن يعرف الإسلام تعريفاً عصرياً، وان يوصل صوته إلىٰ الاذان البعيدة، والى الشرائح التي أريد لها أن تتغرب، وتصم أذانها عن سماع صوت الدّين.

وكما كان الحكام يخططون لذلك، فقد كان هناك فئات أخرى تخطط لإبعاد الناس عن الدين، ولكن بأهداف أخرى، وتحت شعارات الإشتراكية والشيوعية، وقد وجد الشهيد مطهري الخطر كامن في الدعوتين، ولذا كان يعمل على دفع هذين الخطرين؛

خطر الإلحاد الشرقي.

وخطر الماديّة الغربية.

ونجد ذلك في أثاره بشكل واضح، كما انه كان يرى خطراً آخراً كان يجده ربما أكبر من الخطرين الاخرين؛ وهو خطر بعض مدّعي الدفاع عن الدّين،والذين يسؤون اليه عن قصد أوعن غير قصد.

كان الشهيد مطهري يعتبر نفسه جندياً مكلفاً في الدفاع عن الإسلام، الذي أصبح مهضوم الجناح في ذلك الزمن.

وهو يبين لنا هدفه من سلاح القلم الذي برع في إستخدامه، فيقول في كتابه العدل الالهي:

«منذ عشرين عاماً حيث مسكت القلم، وكتبت المقالات، والكتب، لم يكن لي هدف من كل ما كتبته إلا حل المشاكل، والجواب على الأسئلة المطروحة في عصرنا في مختلف المسائل الإسلامية.

وقد كتبت في الموضوعات الفلسفية والإجتماعية والاخلاقية والفقهية والتاريخية، ومع أن مؤلفاتي تختلف من حيث الموضوع تماماً، ولكن الهدف العام من جميعها أمر واحد فحسب ـ أن الشريعة الإسلامية المقدسة مجهولة لدى العامة ـ.

وقد حرفت حقائق هذا الدين في أنظار الناس تدريجياً، والسبب الاساسي في تفرق جميع الناس عن هذا الدين، هوالتعاليم الخاطئة التي القيت اليهم بإسم الدين، وان هذا الدين المقدّس في الوقت الحاضر يصاب بالصدامات والضربات من جانب بعض المدّعين حمايته أكثر من غيرهم.

فالهجوم الإستعماري الغربي، مع عملائه المعروفين، والمجهولين من جهة، والقصور أوالتقصير الصادران من المدعين لحماية الإسلام في هذا العصر من جهة اخرى، كانت السبب في الهجوم التدريجي على الافكار، والنظريات الإسلامية في مختلف المجالات من الاصول والفروع.

ولهذا فإنني ـ وأنا عبد ضعيف ـ رأيت من واجبي أن أقوم بما أستطيع إسداءه من خدمة في هذا المجال».

كان الشهيد مطهري ومن خلال وجوده في الجامعة، ومن موقعه كأحد أبرز علماء الدين العاملين، كان يمثل همزة الوصل بين الحوزة والجامعة.

وهذا الذي كان مفقوداً قبله حيث اعتبرت الجامعة في عقول البعض من مدعي الدفاع عن الدين ظاهرة غربية، تشكل خطراً على الدين والتدين، فكان الشيخ مطهري هو من أثبت خطأ هذه النظرية، وأثبت كيف يمكن أن تكون الجامعة معقلاً من معاقل الإسلام والتدين.

وبرهن على إمكانية تعاون الجامعة والحوزة في خدمة الإسلام، وتقريب المسافة بين الصرحين، وإيجاد طريقا للتكامل بينهما، وقد جذب الكثيرين من الجامعات إلىٰ الحوزة، كما إستطاع أن يوجّه طلاب العلوم الدينية نحو الجامعة.

كان الشيخ مطهري واثقاً مطمئناً من أصالة الإسلام، وعظمة مبانيه الثقافية والعقائدية، وغلبته على الأيديولوجيات الشرقية والغربية، ولذلك لم يمتنع بكل شهامة، ورحابة صدر من ترغيب الشباب على إبداء شكوكهم.

وأراد بذلك أن يهدم وإلى الأبد البناء الفكري القديم البالي الذي اكتسبه الشباب من الاسلام التقليدي، والسنن الخرافية والذي يعتبر أهم العوامل لنمو الافكار الانحرافية.

وقد إعتبر «ان هذا العصر هو عصر الاضطراب، والشك في المسائل الدينية، خصوصاً بالنسبة لشريحة الشباب، فهذه المجموعة من الأسئلة، والشكوك الحديثة من متطلبات العصر، ومقتضيات الزمان، بل قد تجددت بعض الأسئلة القديمة أيضاً».

كان يربط بن الفكر والعمل، وكان لا يؤمن بعمل لا يكون منطلقاً من أساس فكري واضح، فكان يرى إمتلاك الفكر والرؤية الثقافية الشاملة مقدمة ضرورية حتى يمكن القيام باي نشاط أخر.

فكان يقول: «كل حركة إجتماعية لا بد لها من الاعتماد على حركة فكرية وثقافية والافستقع في شباك الحركات التي تتمتع برصيد

ثقافي، وتنصهر فيها، فتغير مسيرها لا محالة، كما رئينا الجماعة الذين لا يملكون من رصيد الثقافة الإسلامية شيئاً، كيف وقعوا كالذباب في نسيج العنكبوت».

وبناء على هذه الرؤية العقائدية الأصيلة، كان الشهيد مطهري في صراع دائم مع الأفكار المنحرفة، وكانت مواجهته لها مدروسة، فلم يكن يكتفي بنفيها وردها بل كلما أعلن عن فكر إنحرافي عقبه فوراً بآرائه النظرية الصحيحة في ذلك الموضوع بالذات.

كان له دور مؤثر في التعريف بالإسلام الأصيل، وهو يمثل ترجمان عملي لفكرالإمام الخميني الذي ما كان يستطيع أن يقوم بما قام به الشهيد مطهري لإنشغاله بقيادة الثورة، وشؤون المرجعية.

كان اية الله الشيخ مرتضى مطهّري قد التحق باكراً بركب الجهاد ضد نظام الشاه، فتعاون مع منظمة فدائيي الإسلام قبل الثورة التي قادها الإمام الخميني في (١٥ خرداد ١٣٤٢ ش - ١٩٦٣م)، وقد شكّل فيما بعد أحد الدعائم الاساسية التي قامت عليها الثورة الإسلامية، وبعد إعتقال الإمام على أثر أحداث خرداد (١٩٦٣)، كان الشيخ مطهّري من بين الذين إعتقلهم النظام، لأنَّه كان على علم بمكانته التي يحتلّها عند الإمام، وفي قلب الثورة.

بعد ترحيل الإمام الخميني الى تركيا، ومن ثم الى العراق، إضطلع الشيخ مطهري بدور أساسي في تنسيق التحركات، والنشاطات ضد نظام الشاه، وبعد هجرة قائد الثورة الإسلامية إلىٰ باريس، كان الشهيد مطهري على إرتباط دائم معه.

وكما قال حجة الإسلام والمسلمين هاشمي رفسنجاني في مقابلة تلفزيونية: «كان منزل الأستاذ مطهري مركز هداية الثورة في داخل البلد، والتنسيق مع قيادة الإمام».

كان الشهيد مطهري طوال فترة إشتداد وتيرة الثورة الإسلامية، يحرص على إبقاء الثورة على نقاوتها ومحافظتها على أهدافها وهويتها الإسلامية، وأن تكون كما صارت لا شرقية ولا غربية، فسعى جاهداً إلىٰ عدم إستغلال الأحزاب والجماعات المتظاهرة بالإسلام، وذات الأفكار المنحرفة لها للثورة.

وقد شكّل وجود الشهيد مطهري في الجامعة عاملاً مهما في إستنهاض الشباب الجامعي، والنخب الثقافية والفكرية، وكان دوره هناك كبيراً في غرس بذور الثورة في نفوس الشباب الذين انطلقوا فيما بعد في تلك الحركة المليونية ليقودوا التظاهرات والتحركات الثورية الفاعلة.

كما انه من خلال موقعه الاخر في قلب الحركة العلمائية في طهران والتي كانت تحت عنوان ـ روحنيت مبارز ـ، قد استطاع أن يشكل صلة الوصل بين الامام وعلماء الدين، الذي استطاعوا أن يبينوا للناس مفاسد هذا النظام، وعداءه للإسلام، وخطر بقائه.

كما انهم إستطاعوا أن يشرحوا الإسلام بلغة عصرية، وبعيداً عن الخرافات، ومفاهيم الاسلام التقليدي، كما قدموا للناس حلولاً لمشاكلهم.

وكان لتاسيس حسينية إرشاد في قلب طهران دوراً فاعلاً في جعلها مركزاً للتوعية والتثقيف الثوري، وموقعاً جامعاً لمختلف شرائح المجتمع، حيث كان يشارك في نشاطاتها الطالب الجامعي، والثانوي، والتاجر، والمثقف، ورجل الدين، وعامة أفراد الشعب الاخرى.

فكانت الحسينية موقعاً تحتاجه الثورة ليكمل دور الجامعة والمسجد، الذين كانا يعمل فيهما الشهيد مطهري من خلال موقعه في كليهما.

حاول ربط المجتمع الإيراني بقضايا المسلمين العامة، فكان يذكّر دائماً بالقضية الفلسطينية، ويحض على دعمها، وقد توجّه العديد من الشباب الإيراني الى لبنان للإلتحاق بالمقاومة الفلسطينية، ونيل شرف مواجهة الصهاينة.

وقد عمل على جعل قضية فلسطين تاخذ موقعها الاساسي في وجدان الشعب الايراني، كما انه قام بحملات عدة لجمع التبرعات للفلسطينيين، وقد أصدر بياناً مشتركاً مع آية الله زنجاني، والعلامة الطباطبائي، لإدانة الإجراءات الأمريكية في فلسطين، وجمع التبرعات لصالح اللاجئين الفلسطينيين، وقد اعتقل على إثر ذلك.

كان الشهيد مطهري من أغزر رجال الفكر في النتاج العلمي، وكان مواكباً للحركة الفكرية العالمية والمحلية، ولذا فقد أغنى المكتبة الفكرية والثقافية والإسلامية بمؤلفات ثمينة، وذات أهمية علمية.

خصائص النشاط العلمي

ملاحظات حول طريقة التفكير وخصائص النشاط العلمي لدى الأستاذ الشهيد:

تمتاز طريقة التفكير والنشاط العلمي لدى الأستاذ المطهري بخصائص لا توجد إلا في رجال أمثاله، وهذه الخصائص بعضها فطرية وبعضها كان الأستاذ قد اكتسبها بالرياضة وتربية النفس تربية إسلامية. وفي هذا الفصل نحاول أن نذكر بعض هذه الخصائص:

١ - البحث والتحقيق والمطالعة القيمة والواسعة في المسائل الاجتماعية والعقائدية التي يهتم بها عامة الناس. وقد عرف عنه أصدقاؤه ومريدوه وقرَّاء كتبه ومستمعو خطاباته أنه يهتم جداً بالمواضيع التي تليق بالبحث والتحقيق ويحتاج المجتمع إلى حل مشكلاتها، هذه المباحث كانت اجتماعية ودينية، فمنها موضوع حقوق المرأة الذي اهتم بإثارته في تلك الأيام ذووا الأغراض والأطماع السياسية وملأوا المجلات والصحف والإذاعة والتلفزيون بمقالاتهم التي ما أرادوا بها إلا تضليل الشباب وتحريف أفكارهم، فقام الأستاذ بمواجهة هذا التيار وكشف القناع عن الواقع في خطبه

وفي كتابيه (حقوق زن در إسلام) أي حقوق المرأة في الإسلام و(الحجاب) ومنها موضوع القومية الإيرانية حيث كان يُثار في ذلك العصر عواطف القومية والشعوبية لفصل الفكر الإسلامي عن الدوافع الوطنية بغية تضعيف الروح الدينية في الشعب الإيراني، فنهض الأستاذ وألّف كتاب (خدمات متقابل إسلام وإيران) وأوضح فيه أن الإيمان والعقيدة الإسلامية لا تُعارض حب الوطن كما كان أجدادنا الإيرانيون يسدون أجلَّ الخدمات للدين الإسلامي عن طرق مختلفة منها نشر المعارف والعلوم الإسلامية.

قال الأستاذ في ذلك الكتاب:

(إن المسائل المشتركة بين الإسلام وإيران تعد من مفارهما معاً. أما الإسلام فلأنه هو الدين القوي الذي جذب نحوه بسب محتواه القيّم شعباً متحضراً مثقفاً، وأما إيران فلأنه الشعب الذي فاق سائر الشعوب في تجنب العصبية والخضوع للحق، والتضحية في سبيله بماله من روح باحثة عن الحقيقة محبة للثقافة).

وكذلك بحث في كتاب علل كرايش به ماديكيري: أي أسباب اعتناق المذهب المادي حول موضوع الإلحاد والمادية تحت عنوان (ما ترياليسم در إيران) المادية في إيران نظراً إلى الحوادث الجارية في ذلك العصر.

٢ - استعداده لاستماع وقراءة كل النظريات والآراء الفلسفية والاجتماعية والدينية، وهذه الصفة ضرورية لكل باحث منصف ملتزم

حيث لا بد له من التزام جانب الحياد في البحث والتنقيب عن الأفكار والعقائد والمدارس المختلف ثم النقد والرد علىٰ الآراء الباطلة المضلّة والإجبارة الصحيحة عليها، وكان هذا هو طريقة الأستاذ كما يلاحظ ذلك من جميع آثاره.

٣ - أمانة النقل عند بيان الآراء المخالفة، كان الأستاذ مشتغلاً بالتحقيق عن المدارس المختلفة ولذلك كان يواجه دائماً آراءهم وأفكارهم وكان لا بد له من نقل نظرياتهم والذي يُلفت الانتباه في جميع كتبه وآثاره هو أمانته في نقل وبيان تلك العقائد المخالفة.

٤ - كان الأستاذ المطهري من المتحمّسين لحرية الفكر والعقيدة، وكان يدرك بوضوح أن صيانة كيان الإسلام كعقيدة لا تكمن إلا بقوة العلم ومنح الحرية للأفكار المعارضة ومواجهتها بصراحة.

وقد ألقى الأستاذ كلمة في بهمن ٥٧ (١٣٩٩هـ) أي بعد انتصار الثورة في كلية الإلهيات حول موضوع الحرية وشريطه المسجل موجود، قال فيها:

(كل مدرسة تؤمن وتعتقد بأيديولوجيتها لا لد لها من حماية حرية الفكر والعقيدة وبالعكس فكل مدرسة لا تعتمد ولا تؤمن بأيديولوجيتها تمنع من حرية الرأي. إن مثل هذه المدارس تريد أن تحضر الناس في إطار خاص وتمنع من رشدهم الفكري..

...إنني أعلن أنه لا يوجد في نظام الجمهورية الإسلامية أي حصار للأفكار ولن يكون فيه شيء من تحديد الآراء. نعم كل

الناس أحرار في عرض نتائج أفكارهم وآرائهم. ولكني أنبِّه أن هذا لا يشمل المؤامرة والنفاق. فالمؤامرة ممنوعة ولكن عرض الأفكار الواقعية مسموح.

.. إنني أعلن لجميع الأصدقاء غير المسلمين أن الفكر حر من وجهة النظر الإسلامية، فكل ما بدا لكم أن تفكروا فكروا. وكيف ما أردتم أن تعلنوا عن عقائدكم - بشرط أن تكون عقائكم واقعاً - أعلنوا عنها، وكيفما أردتم أن تكتبوا اكتبوا، لن يمنعكم عن ذلك أحد..

.. إن السبب في بقاء الإسلام هو هذه الحريات. فلو كان الأمر في بداية الإسلام بحيث لو أنكر أحد وجود الله تعالى حكم عليه بالضرب والقتل لم يبق من الإسلام شيء، فسرّ بقاء الإسلام هو مواجهته بكل شجاعة وصراحة للأفكار المختلفة.

وهكذا استطاع الإسلام أن يحفظ كيانه. وفي المستقبل أيضاً لن يستطيع الإسلام أن يستمر في حياته إلا مع المواجهة الصريحة لكل العقائد والأفكار المختلفة. وإني أحذّر الشباب المتحمس للدين الإسلامي أن لا يظنوا أن السبيل الوحيد لصيانة العقيدة الإسلامية هو منع الآخرين من إظهار عقائدهم، إن القوة الوحيدة التي تحرس الإسلام هو العلم ومنح الحرية للأفكار المخالفة ومواجهتها بكل صراحة ووضوح).

٥ - كان الأستاذ يتمتع بقوة الإبداع في عرض المشكلات وحلها

في المسائل الفلسفية والعلمية والدينية والاجتماعية والخلقية وكان يستعمل طريقة الاستدلال البرهاني ويحفظ الأصول العقلية في إثبات العقائد الأصولية والإسلامية وتبين هذه الملاحظة بوضوح من خلال آثاره القيّمة، وكان ذكاؤه القوي وذهنه الحاد يساعد في إدراك عويصات المسائل حتى قال في حقه أستاذه العلاّمة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي:

(إني كلما كنت أبيّن في الدرس من مشكلات العلوم الإسلامية كنت واثقاً إذا كان المطهري حاضراً أن أتعابي وتحقيقاتي لن تذهب سدى) وهذا يدل علىٰ أن المطهري كان في غاية الذكاء والبراعة).

٦ - كان الأستاذ معتمداً في معتقداته علىٰ أساس الاستدلال، ولربما يكون العالم المحقق يبحث ويدرّس لمجرد إظهار علومه ومعارفه. ولكن العالم الملتزم المُشفق الذي يتألم من جهل الآخرين وضلالتهم لا يستطيع أن يكتفي بالتعليم علىٰ المنهج المدرسي. وكان الأستاذ المطهري يبحث من صميم إيمانه وعقيدته سواء في المجال الفلسفي أو في المسائل الاجتماعية والدينية. فكان يفتح عيناً ليراقب ناهبي الإيمان وعيناً أخرى يحرس بها الشباب حذراً من وقوعهم في مهارات الهلكات.

٧ - ولكن هنا ملاحظة أساسية يجب الانتباه لها وهي أن الإنسان إذا لم يزكّ نفسه من الجانب الخلقي والمعنوي ولم يكتسب مكارم الأخلاق ولم يباشر تربية نفيه ولم يتحرر من قيد عبودية الأهواء وملذات الدنيا لن تنفعه جهوده في طلب الحقيقة أو قلَّ نفعه.

وكان الأستاذ المطهري أسوةً يُقتدى به في التحرر والتزكية النفسية فكان حكيماً مجمعاً للفضائل حائزاً علىٰ العلم والتقوى، واثقاً بأن الإنسان لم يبلغ الكمال والحقيقة إلا بالمعرفة والطهارة. ومع أنه كان مشغول البال بالعرفان والمعنوية لم يفته في نفس الوقت أن يفكر بالمسائل الاجتماعية والسياسية.

وكان يرى لزاماً علىٰ نفسه أن يستجيب إذا طُلب منه التدريس في مختلف الموضوعات والمسائل، بل كان لا يتوانى عن الاشتراك في بحث خاص إذا وجده نافعاً ومؤثراً، ومع ذلك فقد كان كاتباً مكثاراً، وكان عازماً علىٰ مليء الفراغ والإجابة علىٰ الشبهات.

كان متواضعاً للغاية فمع تضلّعه وسعة إطلاعه في العرفان والمسائل الاجتماعية والسياسية لم يحاول إظهار معلوماته والكشف عنها وإنما كان يتبيَّن أن له رأياً في تلك المسألة علىٰ سبيل الصدفة.

الآثار القيمة للشهيد مرتضى المطهري رَحِمَهُ اللَّهُ

الأستاذ مرتضى المطهري الكاتب العبقري. والخطيب المصقع. الأستاذ في الجامعة والمدرِّس في الحوزة. الواعظ المبلغ، والفيلسوف الأوحدي. عالم الدين والمنطق والفصاحة. الخبير بالشؤون الإسلامية. الذي قضى عمره في تمييز الأفكار المنحرفة غرباً وشرقاً عن الفكر الإسلامي الأصيل.

والذي كان بفضل خصائصه المختلفة كجسر بين عالم الدين والجامعي والمثقف والأستاذ والمحقق من جانب، وبين عامة أفراد المجتمع من جانب آخر، رجل الزهد والتقوى والخلق الكريم والجهود المتواصلة.

الذي حمل الإسلام إلى جمع الأوساط الاجتماعية وبتدريسه وتبليغه ووعظه وإرشاداته في المسجد والحوزة والجامعة بالغ في حراسة المواقع الإسلامية الكبرى. وكان حقاً ملجأ الشباب والمحققين الذي صانهم من العثرات في ظلمات الوساوس والشبهات والمنطق الأجنبي.

وأخيراً وفي ليلة دمّاء نال درجة الشهادة، وبفقدانه فجع الدين

والإنسانية، وارتدى المسلمون اليهود وأصيب الإسلام وما أجمل ما ورد في الحديث: [إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء].

هذا وقد خلَّف الأستاذ في عمره القصير آثاراً جليلة، وقد حاولنا هنا أن نذكرها سواء ما طبع منها وما لم يطبع. وقد بذلنا الجهد حدّ الإمكان في دقة هذا الفهرس وقلة أخطائه. وإليك فيما يلي ترجمة أسماء كتبه وسائر آثاره.

* * *

القسم الأول: الكتب

أ - الكتب المنشورة:

١ - أسباب التمايل نحو المادية.

٢ - المادية في إيران، طبع منضماً إلى الكتاب السابق وله اسم رخر هو (المقال الذي سطر بالدم).

٣ - الإمدادات الغيبية في حياة البشر.

٤ - لن تغرب شمس هذا الدين. طبع منضماً إلى الكتاب السابق.

٥ - الرشد الإسلامي. طبع منضماً إلى الكتاب السابق.

٦ - الإدارة والقيادة في الإسلام.

٧ - نظام حقوق المرأة في الإسلام.

٨ - مسألة الحجاب.

٩ - السلوك الجنسي في الإسلام والغرب.

١٠ - الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران ج١.

١١ - الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران ج٢ وقد أضيف إليه في الطبعة الثانية.

١٢ - العدل الإلهي.

١٣ - مرور على نهج البلاغة.

١٤ - الإنسان والمصير.

١٥ - جذب الإمام علي(عليه السلام) ودفعه..

١٦ - ثورة الإمام المهدي(عليه السلام) من وجهة نظر الفلسفة والتاريخ.

١٧ - الولاء والولاية طبع منضماً إلى كتاب الخلافة والولاية المجلد الأول.

١٨ - ختم النبوة. طبع منضماً إلى كتاب خاتم الأنبياء المجلد الثاني.

١٩ - النبي الأمي ﷺ طبع منضماً إلى كتاب خاتم الأنبياء المجلد الثاني.

٢٠ - الحركات الإسلامية في القرن الأخير.

٢١ - التكامل الاجتماعي في الإسلام.

٢٢ - إحراق الكتب في إيران ومصر. (مقال من كتاب الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران).

٢٣ - الإنسان والإيمان (مقدمة علىٰ التفسير الإسلام للكون ج١).

٢٤ - تفسير الكون (مقدمة علىٰ التفسير الإسلامي للكون ج٢).

٢٥ - الوحي والنبوة (مقدمة علىٰ التفسير الإسلامي للكون ج٣).

٢٦ - قصص أهل الحق - الجزء الأول.

٢٧ - قصص أهل الحق - الجزء الثاني.

٢٨ - مجموعة من المقالات.

٢٩ - عشرون مقالة (مجموعة منخطبه المذاعة).

٣٠ - عشرة مقالات. (قسم من مقالاته في كتاب: مقال الشهر و...).

٣١ - التحصيل. (تصحيح وتعليق علىٰ كتاب بهمنيار).

٣٢ - أصول الفلسفة ج١ (مقدمة وتعليق علىٰ أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).

٣٣ - أصول الفلسفة ج٢ (مقدمة وتعليق علىٰ أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).

٣٤ - أصول الفلسفة ج٣ (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).

٣٥ - أصول الفلسفة ج٥ (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).

٣٦ - المجتمع والتاريخ.

٣٧ - الحياة الخالدة أو الدار الآخرة.

* * *

ب - الكتب التي لم تنشر:

لقد ترك الأستاذ كتباً وأبحاثاً كثيرة لم تطبع، قيل أنها أكثر من أربعين كتاباً، ونرجو أن تنتشر قريباً بفضل الجنود المبذولة، ويسرنا أنّ قسماً منها تحت الطبع، إليك فيما يلي أسماؤها:

١ - المقالات الفلسفية.

٢ - المعرفة في القرآن.

٣ - معارف الإنسان.

٤ - الإمامة والقيادة.

٥ - الإنسان من وجهة نظر الماركسية والإسلام.

٦ - الاقتصاد الإسلامي.

٧ - الفطرة وقيمتها.

٨ - فلسفة التاريخ.

٩ - الإسلام ومتطلبات العصر.

١٠ - الرقية.

١١ - أبحاث حول سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وتاريخ الإسلام.

* * *

القسم الثاني: المقالات

أ - المقالات المجموعة في كتاب (عشرون مقالة).

١ - العدالة في رأي الإمام علي عليه السلام.

٢ - مبحث العدالة في علم الكلام.

٣ - المباني الأولى للحقوق في الإسلام.

٤ - الحقوق مهمة والدنيا حقيرة.

٥ - العدالة أو المساواة.

٦ - الله يرزق وعلينا الجهد والسعي.

٧ - الإمام الصادق عليه السلام.

٨ - الإمام الكاظم عليه السلام والسجن.

٩ - منافع الشدائد والبليات.

١٠ - فوائد الإيمان وآثاره.

١١ - الدنيا في رأي الدين.

١٢ - العلم والإسلام.

١٣ - العبوديات.

١٤ - العقل والقلب.

١٥ - ماذا يعلمنا فصل الربيع.

١٦ - التفكّر في القرآن.

١٧ - القرآن يستدل بالحياة علىٰ التوحيد.

١٨ - الدعاء.

١٩ - النظام الإداري في الإنسان.

٢٠ - الإنكارات الخاطئة.

٢١ - أصالة الروح (مقال في مجلة مكتب تشيع).

٢٢ - القرآن ومسألة من الحياة (مقال في مجلة مكتب تشيع و..).

٢٣ - الاجتهاد في الإسلام.

٢٤ - دور العقل في الاجتهاد.

٢٥ - التوحيد والتكامل.

٢٦ - السعادة.

٢٧ - التضاد في الفلسفة الإسلامية.

٢٨ - تاريخ الفلسفة في الإسلام.

٢٩ - الغدير والوحدة الإسلامية.

٣٠ - المشكلة الأساسية في نظام علماء الدين.

٣١ - الشهيد.

* * *

ب - المقالات المجموعة في كتاب: (عشر مقالات).

١ - التقوى في الإسلام.

٢ - آثار التقوى.

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ - الاجتهاد في الإسلام.

٥ - إحياء الفكر الديني.

٦ - العلم فريضة.

٧ - قيادة الشباب.

٨ - الوعظ والخطابة.

* * *

ج - مقالات أخرى.

١ - السلوك الجنسي.

٢ - إيران والإسلام.

٣ - مرور علىٰ نهج البلاغة.

٤ - المرأة في حقوق الإسلام.

٥ - الإسلام وإيران.

٦ - أي دنيا يذمها علي عليه السلام.

٧ - الزهد رهبنية أم معنوية.

٨ - هل الدنيا والآخرة ضرتان؟

٩ - حول فيلم (المحلل).

١٠ - الدنيا المذمومة.

١١ - صداق الدَّم.

١٢ - إلهام من شيخ الطائفة.

١٣ - إله العالَم والعالِم.

١٤ - خدمات المرحوم آية الله البروجردي وخصائصه.

١٥ - التفسير الإلهي والمادي للكون.

١٦ - أسئلة أبي ريحان الفلسفية من ابن سينا (تحقيقات حول أبي ريحان البيروني).

١٧ - حديث صحفي مع الفيلسوف الشهيد مرتضى المطهري.

بالرغم من الجهود التي بذلناها ليكون هذا الإحصاء كاملاً، ولكن

يمكن أن تكون هناك مقالات من الأستاذ لم يأتِ ذكرها في هذه الإحصائية . .

* * *

القسم الثالث : الأشرطة

أ - المباحث المفصلة ٥ .

٢ - الإمامة والولاية ١٠ .

٣ - المعرفة بين وجهة نظر القرآن ٢٠ .

٤ - النظريات حول المعرفة ١١

٥ - خصائص المدرسة المثلى ١٠ .

٦ - فلسفة التاريخ ٣.

٧ - الإنسان الكامل ١٣ .

٨ - الله تعالى ١٠ .

٩ - التعليم والتربية في الإسلام ١٥ .

١٠ - حركة التحرير الإسلامية ٣ .

١١ - الإنسان من وجهة نظر الماركسية والإسلام ٢ .

١٢ - الجهاد والشهادة ٢ .

١٣ - فلسفة الأخلاق .

١٤ - الهجرة والجهاد ٤ .

١٥ - التاريخ والفلسفة ٣.

١٦ - الفطرة ٥.

١٧ - التوحيد ٦.

١٨ - فلسفة الحجاب ٢.

١٩ - العبادة والدعاء ٣.

٢٠ - الشفاعة ١١.

٢١ - سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ٢.

٢٢ - حلقة في حسينية الإرشاد أيام عاشوراء ٧.

٢٣ - التضاد والحركة في الفلسفة الإسلامية ٢.

٢٤ - عرفان حافظ الشيرازي ٥.

٢٥ - مفهوم الثورة وماهيتها ٢.

* * *

ب - المباحث المختصرة ذات مجلس واحد

١ - عصر الإمام الصادق عليه السلام.

٢ - حرية العقيدة.

٣ - العدل الكلي.

٤ - التقليد.

٥ - الأثر الاجتماعي للتوحيد.

٦ - التوحيد الذاتي.

٧ - الأثر الفردي للتوحيد.

٨ - الحرية المعنوية.

٩ - الإسلام وحاجات العالم اليوم.

١٠ - المهدي الموعود.

١١ - الإسلام ومتطلبات العصر.

١٢ - أهداف علماء الدين في الحركات الإسلامية.

١٣ - تجديد الحياة الفكرية في الإسلام.

١٤ - حقوق المرأة في الإسلام.

١٥ - الأمر بالمعروف.

١٦ - الشعارات في عاشوراء.

١٧ - الحرية والرقيَّة.

١٨ - إحراق الكتب في الإسكندرية.

١٩ - الرقية وعظمة الروح.

٢٠ - إحياء الفكر الإسلامي.

٢١ - الإرادة.

٢٢ - الإنسان الأمثل ومُثل الإنسان.

٢٣ - استشهاد الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢٤ - مشاكل الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢٥ - الفقه الجعفري.

٢٦ - التربية والتعليم في الإسلام.

٢٧ - فكرة (الله) في حياة الإنسان.

٢٨ - أصول البحث في الفقه.

٢٩ - مفهوم الحرية في الإسلام.

٣٠ - الاجتهاد والقياس لدى الأصوليين والإخباريين.

٣١ - منابع البحث في فلسفة صدر المتألهين.

٣٢ - الحب والمسيحية.

٣٣ - حياة الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

٣٤ - الجبر والاختيار.

٣٥ - القوانين الإسلامية وتطورالعالم الحديث.

٣٦ - أسباب سقوط المسلمين.

* * *

القسم الرابع: الأبحاث والجلسات

أ - مجالس البحث

كان الأستاذ الشهيد يقوم بالتدريس في مواضيع قيمة وضرورية ضمن جلسات عامة وخاصة. وتقرير تلك الدروس أو تحرير مضمون أشرطتها يشكل كتباً متعددة قيمة. ونشير هنا إلى بعض تلك المجموعات.

١ - تحقيقات حول الفكر الماركسي (في أكثر من ١٢٥ جلسة).

٢ - الفلسفة الإسلامية (بحوث عديدة في الحوزة العلمية في قم وطهران).

٣ - تفسير القرآن.

٤ - الأبحاث العديدة التي ألقاها في كلية الإلهيات حول المواضيع المختلفة من العلوم الإسلامية.

* * *

ب - الرسائل الجامعية حول بحوث الأستاذ.

١ - المسائل العامة في الفلسفة الإسلامية.

٢ - المسائل العامة في أصول الفقه.

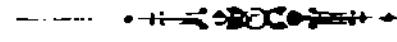
٣ - المسائل العامة في الفقه.

٤ - المسائل العامة في المنطق.

٥ - المسائل العامة في العرفان.

٦ - أكثر من ثلاثين رسالة في أطروحات الماجستير والدكتوراه التي أعدت تحت إشراف الأستاذ المطهري قدس الله روحه الطاهرة.

* * *



بيت الإيمان والعفّة

أبوه؛ المرحوم الشيخ محمد حسين مطهري، درس العلوم الدينية في النجف الأشرف، وبعد فترة من الإقامة في العراق والحجاز ومصر عاد إلىٰ فريمان، وتوطن هناك، وقضى عمره في ترويج الدين، وإرشاد الناس.

كان عالماً وزاهداً ومخلصاً وتقياً، وبلغ مقامات معنوية رفيعة. توفي عام (١٣٤٩هـ ش) (١٩٧٠م) عن عمر يناهز المائة عام.

وكان لزهد وتقوى والده دوراً رئيساً في بلورة الشخصية المعنوية للشهيد، وقد تفضّل عليه الباري تعالى بهذا الولد البار جزاءً لإخلاصه وتقواه.

يقول الشهيد مطهري في مقدمة كتابه (قصص الأبرار) بهذا الصدد:

«أهدي هذا الأثر الزهيد إلىٰ والدي العزيز، الحاج الشيخ محمد حسين مطهري (دامت بركاته)، والذي كان أوّل من أرشدني إلىٰ طريق الصواب بإيمانه، وتقواه، وعمله الصالح».

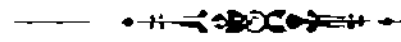
وأمّا والدته العفيفة؛ وهى من بيت علم وتقوى، والدها من أحد كبار العلماء.

والذي يستفاد من خلال القرائن والشواهد، أن الشهيد مطهري حظى بالرعاية الإلهية الخاصة حتى قبل ولادته، تقول والدة الشيخ المطهرى بهذا الصدد:

«عندما كنت حاملاً في الشهر السابع، رأيت في المنام أنني جالسة وسط النساء في مسجد فريمان الواقع في الحيّ، فدخلت امرأة مجلّلة ومقدّسة المسجد، تتبعها إمرأتان، وكانت في أيديهنّ ماء الورد، يرشن على النسوة، وعندما وصلنّ أليّ رشن ماء الورد على رأسي ثلاث مرات، فقلقت خوفاً من أنني قصرت في أداء واجباتي الدينية، فسألتهنّ:

لماذا رشيتن ماء الورد على رأسي ثلاث مرات؟

فقلنّ: لأجل الولد الذي تحملينه، إنّه سوف يقدم خدمات عظيمة للإسلام».



الشيخ المطهري رحمه الله يتحدث عن نفسه

التوجه إلى الحوزة العلمية

في الأعوام (١٣٥٥ ـ ١٣٥٦هـ. ق/ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧م)، كنت طفلاً أعيش في خراسان، والذين أدركوا حوادث تلك الفترة يتذكرون أنه لم يكن يُوجد في كل أنحاء خراسان أكثر من اثنين أو ثلاثة «معمّمين».

فالشيوخ الذين تجاوزوا الثمانين عاماً والحوزويون الذين تجاوزوا الستين والسبعين عاماً والمجتهدون ومدرسو الحوزة أصبحوا جميعاً آنذاك يرتدون «الطاقية» بعد أن نُزعت عمائهم.

لقد أغلقت أبواب المدارس الدينية وحتىٰ أبواب المساجد كانت مغلقة في واقع الأمر وإن بدت علىٰ غير ذلك، ولم يكن هناك مَن يصدّق أن الحياة ستعود للدين.

في تلك الأحوال الصعبة ـ وعندها كان عمري في حدود ١٥ أو ١٦ عاماً، لم أكن أقنع سوىٰ بالتوجه لطلب العلوم الدينية، وكانت تترسخ هذه القناعة، كلما فكرت في الأمر.

في ذلك الوقت لم أكن أفكر فيما يعنيه هذا القرار في تلك

الأحوال، كنت في الخامسة عشر عاماً عندما ذهبت إلىٰ مشهد ثم عدت ثانية إلىٰ بلدتنا وكان الحال فيها أشد من غيرها.

فوالدي العالم الحوزوي الذي تجاوز العقد السابع من عمره، سحبوه بالقوة وأنزعوه زيَّه الحوزوي عنوة وألبسوه الـ(طاقية) فعاد إلىٰ المنزل عبر السطح.

ولكونه كان يلتزم ارتداء زيّه الحوزوي فلم يكن يخرج من المنزل، أما أنا ورغم كلٍّ ذلك فقد كنت مصرًّاً وبعناد كامل علىٰ الذهاب إلىٰ حوزة قم التي كانت حينئذاك تضم عدداً قليلاً من الطلبة «في حدود الأربعمائة».

والدتي كانت تصر بدورها علىٰ عدم ذهابي إلىٰ قم لأنها كانت لديها «أفكارٌ ما» وكانت تريدني أن أبقى في البلدة، ولذلك أوكلت إلىٰ شقيقها «خالي» مهمة إقناعي بالانصراف عن فكرة الذهاب إلىٰ قم.

وكان خالي يكبرني بحدود العشرين عاماً ومن حملة العلوم الدينية أيضاً؛ وحاول إقناعي بالانصراف عن فكرتي تلك مراراً فكنت أرفض الاقتناع وفي ذلك دليل علىٰ أن الإسلام حق.

إذ وفي الوقت نفسه الذي كانت تُقطّع فيه ملابس كبار السن من الحوزويين ويجبرون علىٰ ارتداء «الطاقية»، في هذا الوقت نفسه ينبري فتىً في الخامس عشر مصراً علىٰ التوجه لطلب العلوم الدينية!!

بوادر الذكاء والفطنة

كنت في الثالثة عشر من العمر ـ علىٰ ما أتذكر ـ عندما بدأت هذه التساؤلات وتفاعلاتها تظهر عندي، ظهرت فيَّ حينها حساسية عجيبة تجاه القضايا المتعلقة بـ«الله».

فالأسئلة تهجم علىٰ ذهني تترىٰ ـ وبالطبع بما يتناسب مع مستواي الفكري آنذاك ـ في السنين الأولىٰ التي أعقبت هجرتي إلىٰ قم كنت غارقاً في هذه الأفكار وأنا لم أكمل بعد دراسة مقدمات علوم العربية.

وظهرت فيَّ آنذاك نزعةٌ حادة للعزلة فلم أعدْ أتحمَّل حتىٰ وجود زميلي في غرفة المدرسة، ولذلك استبدلتُ الغرفة الجيدة في الطابق الثاني من المدرسة بغرفة صغيرة أو نصف غرفة أشبه ما تكون بالمخزن، لأستطيع فيها الخلوة بأفكاري تلك، ولم أكن حينها أرغبُ في التفكير ـ خلال ساعات الفراغ من الدرس والمذاكرة ـ بأيِّ موضوع آخر.

وواقع الأمر كنت أُقيِّم الطريق الذي اخترته لاتجاه حياتي، كنتُ أُسائل نفسي، هل كان من الأفضل لي اختيار هذا النوع من العلوم للدراسة، أم اختيار فرع ما من العلوم الجديدة؟!

نظراً للحالة المعنوية التي كانت لديَّ ونظرة الاحترام التي كنت أنظر بها للإيمان والمعارف المعنوية، فإن أول ما خطر في ذهني للإجابة علىٰ هذا السؤال هو تساؤلٌ مقابل عن الحالة المعنوية التي كنت سأصبح عليها لو اخترتُ طريقاً آخر؟!.

لقد كنت أرىٰ أنه باختياري لهذا الطريق امتلكت اعتقاداً قوياً جازماً بأصول التوحيد والنبوة والمعاد والإمامة وغيرها، وكنت أعتزُّ بذلك، وأتساءل مقابل ذلك هل كنت سأصل إلىٰ ذلك لو اخترت فرعاً من فروع العلوم الحديثة كالعلوم الطبيعية الرياضية أو الأدبية؟!

كنت أجيب علىٰ هذه التساؤلات بأن الإيمان والاعتقاد بهذه الأصول بل وأن الروحاني الحوزوي الحقيقي لا ينحصر سبيل الوصول إليه بالدراسة في فرع العلوم القديمة.

فكثيرون هم الذين حرموا من هذه الدراسة لكنهم يتمتعون بإيمان قوي جازم وبتقوى حقيقية وأحياناً يصبحون حماة ومبلّغين للإسلام علىٰ الرغ من تخصّصهم في علوم أخرىٰ، إلا أن لهم قراءات إسلامية بدرجة أو بأخرىٰ، وكان من المحتمل أن أحصل علىٰ إيمان أقوىٰ مما حصلت عليه الآن لو كنت قد اخترت إحدىٰ تلك الفروع العلمية.

في تلك الأيام كنتُ قد تعرّفت حديثاً علىٰ علوم الحكمة الإلهية الإسلامية، ودرستها عند أستاذ لم تنحصر مهارته فيها بحفظ سلسلة من الأمور الظاهرية وخلافاً لما تدعيه الأكثرية الغالبة لمدعي الحكمة الإلهية ومدرّسيها، فقد تذوّق هذا الأستاذ حقاً المعارف الإلهية الإسلامية وأدرك أعمق أفكارها وكان يشرحها بأفضل بيان.

وتعتبر هذه الأيام من أيام عمري التي لا يمكن أن أنساها ولن أنسىٰ خاصة تلك الدروس العميقة اللطيفة لذاك الأستاذ.

في تلك الأيام تعلَّمت المقدمات الكاملة للقاعدة المعروفة: «الواحد لا يصدرُ منه إلا الواحد»، وفهمتها بالصورة التي يفهمها بها الحكيم الإلهي ـ على الأقل وفق ما تصورت أنا ـ، كنت أنظر بعين العقل إلىٰ نظام الخلقة وسننه الثابتة.

وحينما كنتُ أتساءل كيف تلاشت أسئلتي العريضة دفعة واحدة؟! وكيف كنت أفهم تلك القاعدة الثابتة التي تعتبر الأشياء كافة خاضعة لنظام ثابت لا تبديل له، فلا أرىٰ تناقضاً بينها وبين مبدأ «لا مؤثر في الوجود إلا الله»، بل أراهما مقترنين بائتلاف: فهمت عبارة «الفعل فعلُ الله وهو فعلنا» ولا أرىٰ من تناقض بين شطريها.

لقدحلَّت بالنسبة لي معضلة: «الأمر بين الأمرين»، وأثَّرتْ فيَّ كثيراً توضيحات صدر المتألهين حول طريقة ارتباط المعلول بالعلة واستفادته منها في إثبات قاعدة: «الواحد لا يصدر منه إلا الواحد».

وخلاصة الأمر: تشكّل في ذهني مخطّط أساسي مثَّل الأرضية المناسبة للإجابة علىٰ أسئلتي ضمن فهم شامل لقضايا الكون والحياة، وبفضل إدراكي لهذا الموضوع ومواضيع أخرىٰ مماثلة آمنتُ بأصالة المعارف الإسلامية، واستشعرت بعظمة المعارف التوحيدية الواردة في القرآن الكريم ونهج البلاغة وقسم من أحاديث وأدعية الرسول الأكرم وعترته الأطهار (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام).

في تلك الأيام فكَّرت وتوصَّلت إلىٰ أنني لو لم أكن قد اخترتُ هذا المسلك ولم أحظ بفيض درس ذلك الأستاذ، فمن المحتمل أن

يكون وضعي مادياً ومعنوياً قد أصبح أفضل مما هو عليه الآن، ولكنت قد حصلت علىٰ ما لديَّ الآن أو ما هو أفضل منه.

ولكن الشيء الوحيد الذي لم أكن سأحصل عليه ولا على ما يقوم مقامه من خلال أي طريق غير المسلك الذي اخترته، هو ذلك المخطط الفكري الأساسي والنتائج التي أثمرها، وما زالت اليوم أيضاً لديَّ هذه القناعة.

النجاح في تزكية النفس

ويحدّث الأستاذ المطهري:

«إنَّ أحد أسرار عدم النجاح في تزكية النفس هو أن التعليم الأخلاقي السائد بيننا هو بصورة تدريس وليس بصورة تربية وعلاج..».

وحسب ما يقوله مشايخنا فإن الاحتياج إلىٰ معلمٍ ومرشد أمرٌ واضح في حياة نبي الله موسىٰ عليه السلام، ففي البداية جاء الأمر إليه عليه السلام ليذهب إلىٰ خدمة شعيب النبي ويقضي في محضره عدة سنين، ليتأهّل للدخول إلىٰ الوادي المقدّس والاستماع لنداء «إنّي أنا الله».

(شعر مترجم):

قد يصل راعي الوادي المقدس إلىٰ مقصوده

ولكن شريطة أن يذهب ليضع روحه أعواماً في خدمة شعيب

وفي آخر المطاف وعندما يتحول إلىٰ قدوة وصاحب التوراة يُكلّف بتعلم العلم اللدني من الخضر ﵇.

* * *

(شعر مترجم):

لا تقطع هذه المرحلة من الطريق دون رفقة (الخضر)

فهناك ظلمات وأخطار الضلال تكمن لك في الطريق

* * *

لقد حَظِيَ أمر الاحتياج إلىٰ المربي والمرشد لعلاج الأمراض الروحية والفكرية وبناء شخصية الإنسان ـ بالصبغة الرسمية بين الصوفية فقط ـ ويمكن في هذا المجال مراجعة رسالة «الولاية» للملا سلطان علي و«بستان السياحة» للملا زين العابدين الشيرواني وهو من مشايخ الملا سلطان ـ عبر واسطة ـ.

ويقول الإمام السجاد ﵇ في دعاء مكارم الأخلاق:

«.. ووفقني لطاعة مَنْ سددني ومتابعة مَنْ أرشدني».

مراحل السير والسلوك

والأستاذ المطهري هو من الشخصيات التي حظيت بهداية العلماء الربانيين والمرّبين الإلهيين: ولقد سعىٰ بكامل الإخلاص في تهذيب النفس وتزكيتها وأعانه الله تعالىٰ علىٰ ذلك بإيصاله إلىٰ الأساتذة الربّانيين الذين استطاع من خلال صحبتهم طيَّ مراحل السير والسلوك ووصل بإرشادهم إلىٰ وادي عشق الأرواح: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ (العنكبوت/ ٦٩).

وهنا يكمن سر ما نراه في حياة الشهيد المطهري المباركة من دوام ذكره تعالىٰ وفوزه في ختامها بالشهادة ولقيا عشقه الحق تبارك وتعالىٰ.

ويُفهم من كتابات الأستاذ الشهيد أن والده التقي الجليل الذي كان من أولي القلوب الحية ومن المجتهدين المواظبين علىٰ التهجّد في الأسحار، هو الذي وضع الأساس الأول لشخصية ولده الربانية، وبعده انتفع المطهري من فيوضات أحد عشر عالماً من الربانيين هم آيات الله العظام:

١ ـ محمد تقي الخوانسياري.

٢ ـ حجة الكوه كمري.

٣ ـ السيد صدر الدين الصدر.

٤ ـ السيد محمد الداماد.

٥ ـ الميرزا مهدي الآشتياني.

٦ ـ السيد حسين البروجردي.

٧ ـ الميرزا علي الشيرازي.

٨ ـ العلامة الطباطبائي.

٩ ـ السيد أحمد الخوانساري.

١٠ ـ السيد محمد رضا الگلبايگاني.

١١ ـ الإمام الخميني.

وحسب ما يصرِّح به الأستاذ المطهري مراراً فإن أربعة من هؤلاء العظماء قد ساهموا بدور مؤثر في بناء شخصيته، ولنقرأ ما يتحدث بنفسه عن هؤلاء الأربعة إضافة إلىٰ والده:

في رحاب والدي العظيم

«هناك لذائذ معنوية ترفع الجانب المعنوي فينا، فلصلاة الليل لذة خاصة بالنسبة لمن كان من أهل التهجد وصلاة الليل ومن الصادقين والصابرين والمستغفرين بالأسحار.

والذين لهم مثل هذا التوفيق ـ وقد رأينا هكذا أشخاص ـ لا يولون أهمية للذائذ المادية التي تعلقت بها قلوبنا، ولا ضير هنا أن أذكر شيئاً من نفحات والدي العظيم.

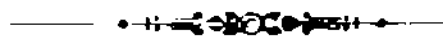
فإلىٰ المدىٰ الذي أستطيع أن أتذكره «ما لا يقل عن أربعين سنة تصرمت» لم أكن أرىٰ هذا الرجل العظيم النبيل يؤخر ساعة نومه عن وقتها المحدد الثابت ـ بعد ثلاث ساعات من صلاة المغرب ـ.

يتناول طعام العشاء في أول الليل وينام بعد ثلاث ساعات منه، ثم يستيقظ قبل الفجر بساعتين علىٰ الأقل في الأيام العادية وفي ليلة الجمعة بثلاث ساعات، فيتلو من القرآن ما لا يقل عن جزءٍ كامل، ويقيم صلاة الليل بقلبٍ خالٍ من التعلقات.

لقد تصرَّم من عمره الآن مائة عام ولم أره يوماً في نومٍ مضطرب، وإنما هي اللذة المعنوية التي حفظته في هذه الحالة..

لا تمر ليلة دون أن يدعو لوالديه ويدعو كذلك لزوجة والده التي كان يحبها كثيراً ويقول إنها كانت تعتني به وترعاه كثيراً، ولا تمر ليلة دون أن يذكر بدعائه جميع أرحامه ومَنْ له حق عليه قريباً كان أو بعيداً، وهذا هو الذي يحيي القلب.

وعلى الإنسان الذي يُريد الوصول إلىٰ هذه اللذائذ الإلهية العميقة عليه أن يقلل من اللذائذ المادية»[1].



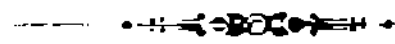
(١) كتاب (الحق والباطل) للأستاذ المطهري ص ١٧٠ ـ ١٧٢ الطبعة الفارسية.

آية الله العظمى السيد البروجردي رحمه الله

«كان آية الله البروجردي أعلىٰ الله مقامه فقيهاً حقيقياً، أنا لم أعتد علىٰ تمجيد شخص في حياته، ولم أقم بذلك تجاه هذا العظيم عندما كان حيًّاً ولكن وحيث قد رحل ولم تعد هناك شبهة مطمع في الأمر أقول إنَّ هذا الرجل كان بحقٍّ فقيهاً ممتازاً وشاخصاً محيطاً متسلطاً علىٰ جميع اختصاصات العلوم الدينية تفسيراً وحديثاً ورجالاً ودراية وفقهاً وعلم الفرق الإسلامية»(١).

«قبل مجيئه إلىٰ قم، كنت أصل إلىٰ خدمته عن قرب حيث ذهبت إلىٰ مدينة بروجرد للتشرف بخدمته، كان رجلاً تقياً حقاً وموحداً صادقاً، لا تقولوا إنَّ كل مَنْ أصبح مرجعاً للتقليد فهو موحدٌ بداهةً!!

فالتوحيد له مراتب أيضاً، ولمراجع التقليد درجات في التوحيد أسمىٰ بكثير من درجاتنا فيه، ولكنني عندما أقول كان البروجردي موحداً فمعنىٰ ذلك أنه كان علىٰ درجة سامية للغاية من التوحيد كان معها يستشعر ويلمس مصاديق ومظاهر التوحيد في كافة شؤون حياته، كانت له ثقة عجيبة بالألطاف الغيبية وتوكّلٌ قوي علىٰ الرعاية الإلهية»(٢).



(١) (المقالات العشرة) للشيخ المطهري ـ بالفارسية ص ٩٩.
(٢) (المقالات المعنوية) للشيخ المطهري بالفارسية ص ٢٠١.

المرحوم الحاج الشيخ ميرزا علي الشيرازي رحمه الله

«أذكر أستاذي العالم الجليل المرحوم الشيخ الحاج ميرزا علي آقا الشيرازي أعلى الله مقامه، فهو من أعظم الشخصيات التي تعرفت عليها طوال حياتي وهو بحق نموذج للزهَّاد والعبَّاد وأهل اليقين يذكرنا بالسلف الصالح الذين قرأنا عنهم في التاريخ.

في صيف عام (١٣٦٠هـ. ق/١٩٤١م) ذهبت من قم إلىٰ أصفهان وتعرفت علىٰ هذا العظيم لأول مرة فيها وانتفعت من فيوضات محضره، وهذه المعرفة تحولت فيما بعد إلىٰ حبٍّ وتعلقٍ شديد من قلبي به ورعاية وألطاف ومودة أبوية من قبله تجاهي.

.. ووجدتُ نفسي في قبال رجل من أهل التقوىٰ هو بحق ممن ينبغي أن تُشدَّ إليه الرحال ـ حسب الوصف السائد في الحوزة ـ[(١)].

.. إنني أُعدّ حضوري لديه إحدى الذخائر الثمينة من عمري بحيث لا أرضىٰ أن أعوض عنها بشيء أبداً، ولا يمر عليَّ ليل أو نهار حتىٰ أتمثله في خاطري فأذكره بخير.

أتجرَّأ فأقول: إنه كان بحق «عالماً ربانياً» بينما لا أتجرَّأ لنفسي علىٰ أن أقول: إني كنتُ «متعلماً علىٰ سبيل نجاة».

أتذكر أني حين التقائي به كنت أذكر كلام الكاتب والشاعر

(١) كتاب (العدل الإلهي) ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ من الطبعة الفارسية.

الإيراني سعدي الشيرازي حيث يقول (تعريب شعره شعراً للشيخ العلّامة هادي اليوسفي)

المرءُ كل المرء ـ يا إخواني
إن كان فهو العالم الرباني
أما الرجال العابدون الزاهدون
السالكون مسالك الإيمان
فهم بدرب الحق أبناءٌ له
والعالمون هداتهم ببيان

لقد كان فقيهاً حكيماً وأديباً طبيباً، كان عالماً بالفقه والفلسفة والأدب العربي والفارسي والطب والحكمة القديمة حتىٰ كان في بعض فروعها الأخصائي الأول.

كان يدرّس (كتاب القانون) في الفلسفة الطبيعية والحكمة الإلهية للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن علي بن سينا ببيانٍ واضح، وكان يحضر درسه فضلاء عصره في مصره.

ولكنه لم يكن من الممكن تقييده بدرس معين، بل لم يكن يلائمه أي قيد قط، اللهم إلا الدرس الوحيد الذي كان يجلس إليه بشوق ورغبة وهو درس نهج البلاغة فإنه كان يطيرُ به في آفاق لم نكن نستطيع أن ندركها جيداً.

إنه كان يعيش بنهج البلاغة ويتنفس به، قلبه ينبض به وعروقه تفور بدمه، وكان هذا الكتاب ورده الذي يلهجُ به ويستشهد بجمله،

وكثيراً ما كان إجراء كلماته على لسانه يقارنه إسبال الدمع من عينيه علىٰ محاسنه.

لقد كان اندماجه في نهج البلاغة الذي يقطعه عنا وعن كل شيء حوله، منظراً ذا إيحاء نفسي لذيذ، ولا غرو، فإن الاستماع إلىٰ كلام القلب من ذوي القلب خلاب ذو وقع علىٰ النفوس، إنه كان أُنموذجاً صالحاً من ذلك السلف الصالح يصدق فيه كلام علي عليه السلام إذْ يقول:

.. ولولا الأجل الذي كُتِبَ لهم، لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلىٰ الثواب وخوفاً من العقاب، عَظُم الخالق في أعينهم فصغر ما دونه في أعينهم».

إن الأديب المحقق والحكيم الإلهي والفقيه الكريم والطبيب الكبير والعالم الرباني المرحوم: الشيخ الحاج ميرزا علي الشيرازي الأصفهاني (قدس الله سره)، كان بحق رجل الحق والحقيقة.

إنه ومع كل ما له من المقام العلمي الشامخ والشخصية الاجتماعية، كان إحساسه بالمسؤولية في هداية الناس وإرشادهم وعلاقته القلبية بمقام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام باعثاً له علىٰ الخطابة والوعظ والإرشاد، وحيث كان كلامه يخرج من قلبه كان يخترق القلوب فينفذ فيها ويستقر، حتىٰ أنه كان كلما يقدم إلىٰ مدينة قم المقدسة كان يطلب منه بإلحاح العلماء الكبار أن يرقىٰ المنبر فيعظمهم.

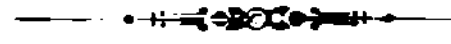
كان يتقي حتىٰ أمامة صلاة الجماعة، إلا أنهم كانوا يطلبون منه

بإصرار شديد أن يؤمهم في الجماعة في شهر رمضان المبارك من كل سنة في مدرسة الصدر في أصفهان.

ومع أنه لم يكن يحضر لذلك بانتظام كان يشترك في صلاته جمعٌ كثيرٌ لم يجتمع لأحد قبله، فقيل إنه كان قد سمع بتقلله الناس في سائر صلوات الجماعة الأخرىٰ فلم يتحمل الإدامة.

كان يعرفه ويحبه ـ علىٰ ما أعلم ـ جميع أهل أصفهان، كما كانت الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، تحبه أيضاً، فكان حين وصوله إلىٰ هذه المدينة، يبادرُ إلىٰ زيارته علماؤهم كلهم، في حين أنه كان متحرراً من كل قيد من قيود الزيارات ورد الزيارات.

كان متحرراً من كل القيود ومنها قيد المريد والمراد رحمَهُ الله رحمةً واسعة وحشره الله مع أوليائه[١].



المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رَحِمَهُ اللهُ

جناب استاذنا الأكرم العلامة الطباطبائي روحي فداه[٢].. هذا الرجل هو بحق أحد عظماء العاملين في خدمة الإسلام، والمجسدين بصدق للتقوىٰ والسمو المعنوي ولقد طوىٰ مقامات سامية للغاية في مسيرة تهذيب النفس.

(١) مقدمة كتاب (في رحاب نهج البلاغة).
(٢) كتاب (العدل الإلهي) ص ٣٥٣.

وكنت وما زلت ومنذ سنين طويلة أنتفع من فيض محضر هذا العظيم، ويعتبر كتابه «تفسير الميزان» من أفضل التفاسير المدونة، بل أستطيع القول إنه أفضل تفسير كُتِب للقرآن الكريم - بين السنَّة والشيعة - مُنذ صدر الإسلام إلىٰ الآن[١].

لقد قضىٰ العلامة الطباطبائي سنين طويلة من عمره الشريف في دراسة ومطالعة وتدريس الفلسفة، وأحاط - ببصيرة - بمختلف الآراء والنظريات وتعرّف بعمق أيضاً - اندفاعاً بالحب الفطري والذوق الطبيعي - علىٰ أفكار المحققين من فلاسفة أوروبا[٢].

إنه رجلٌ عظيمٌ وعظيمٌ للغاية.. رجل يحتاج العالم إلىٰ قرن آخر ليتمكن من مناقشة وتفسير أفكاره والتعرف علىٰ عمقها وقيمتها.. وللعلامة الطباطبائي نظريات في الفلسفة قد تمضي خمسون أو ستون عاماً لكي تتضح قيمتها على الصعيد العالمي..

ولا تنحصر شهرة العلامة في حدود إيران بل تمتد لتشمل العالم الإسلامي وحتىٰ غير الإسلامي، فهناك مستشرقون في أوروبا وأميركا مطلعون علىٰ المعارف الإسلامية يعتبرونه مفكراً عظيماً[٣].



(١) كتاب (الحق والباطل) للشهيد المطهري ص ٨٩ ـ ٩١.
(٢) مقدمة كتاب أصول الفلسفة.
(٣) كتاب (الحق والباطل) ص ٨٩ ـ ٩١.

الإمام الخميني رحمه الله

أستاذي العظيم آية الله العظمى الخميني ـ مدَّ ظلَّه ـ[١]

«. . بعد هجرتي إلىٰ قم وجدت ضالتي في شخصية أخرىٰ، وعرفت أنها القادرة على ريِّ عطش روحي.

ورغم أنه في بداية هجرتي إلىٰ قم لم أكن قد أنهيتُ بعد دراسة المقدمات ولم أكن مستعداً للدخول في دراسة العلوم العقلية، ولكن كان درس الأخلاق الذي كنت أحضره عند هذه الشخصية المحبوبة يومي الخميس والجمعة، يُسكرني وآنس به كثيراً.

فلم يكن درساً في الأخلاق بالمفهوم الجامد الذي لا روح فيه بل كان درساً في المعارف الإلهية ومنهاجاً في السير والسلوك العرفاني، ولا أبالغ إذا قلتُ إنَّ هذا الدرس كان يجعلني أعيش تأثيره العميق في روحي إلىٰ يومي الاثنين والثلاثاء من الأسبوع التالي،

كان لهذا الدرس والدروس التالية التي تلقيتها من ذاك الأستاذ الإلهي طيلة اثني عشر عاماً، الأثر العظيم في صياغة شطر كبير من شخصيتي الفكرية والروحية وإني لأجد نفسي علىٰ الدوام مديناً له بذلك، وحقاً إنه كان صنيعة الروح القدسية الإلهية. .»[٢].

---

(١) كتاب (خدمات متقابل إسلام وإيران) للعلامة المطهري ص ٢٢٤.

(٢) مقدمة كتاب «الدوافع نحو المادية» من الطبعة الفارسية ص ٨ ـ ٩.

«.. وأما ذلك المسافر الذي تصحبه مئاتٌ من قوافل القلوب والذي ذاع بين الخاص والعام، اسمُهُ وذكرُهُ.

والذي يتلهف العام والخاص لسماع أحاديثه، ويعرف الخاص والعام روحه بالسمو والملحمية، وبرسوخ العزم وقوة الإرادة.

الذي يعرفه الخاص والعام بالثبات والاستقامة والشجاعة وكامل الوضوح في الرؤية وبصدق الإيمان والعنفوان.

فهو روح الأرواح، وبطل الأبطال، وقرة عيون شعب إيران.

أستاذنا الكبير ذو المقام السامي سماحة آية الله العظمى الخميني أدام الله ظله..

إنه الحسنة التي مَنَّ بها الله تبارك وتعالىٰ علىٰ قرننا وعصرنا الحاضر وهو مصداق بارز وواضح لـ «إنَّ لله في كل خلفٍ عدولاً ينفون عنه تحريف المبطلين».

إنَّ القلم ليعجز عن تبيان قليلٍ من كثي عن هذا العظيم، شكراً لله علىٰ اثني عشر عاماً من اكتساب فيض الحضور في درس هذا الأستاذ الكبير، وشكراً لله علىٰ المنافع الروحية والمعنوية التي اكتسبتها من قرب هذا النبع النقي للفضيلة والمكرمات..»[١].

«.. ولا شك أن من العوامل المؤثرة في اختيار هذا العظيم لمقام القيادة، هي روحُهُ التضحوية الأبية وجهاده الدؤوب المتواصل ضد

(١) كتاب (حول الثورة الإسلامية) للشهيد المطهري ص ٢٢، من الطبعة الفارسية.

الظلم والظالمين، ودفاعه الصلب عن المظلومين، وصدقه وصراحته وشجاعته ورفضه للتساوم.

ولكن العامل الأساسي شيءٌ آخر، يتلخص في أن نداء الإمام الخميني ينبعُ من قلب ثقافة هذه الأمة ومن أعماق تاريخها وأعماق وجدانها.

فالأمة التي عُجنت روحها علىٰ مدىٰ أربعة عشر قرناً بالملاحم المحمدية والمواقف الخالدة لعلي والزهراء والحسين وزينب وسلمان وأبي ذر.. ومئات الآلاف من الرجال والنساء، وترسخت هذه الملاحم في وجدانها.

هذه الأمة تسمعُ مرةً أخرىٰ نداء هذه الملاحم من حنجرة هذا العظيم وترىٰ علياً والحسن في وجهه، وترىٰ فيه تبلوراً لثقافتها التي أُذِلَّت طويلاً، تبلوراً أبيّاً ناطقاً وتجسيداً ملحمياً»[١].

«.. لقد أعطى لشعبنا شخصيته، أعاد له شخصيته الحقيقية وهويته الإسلامية، أنقذه من الضياع وفقدان الشخصية.. وهذه هي أعظم هدية يعطيها قائد لشعبه، إنه استطاع أن يعيد للشعب إيمانه الضائع وأن يعيد له الثقة بالنفس»[٢].



(١) المصدر نفسه ص ١١٩ ـ ١٢٠.
(٢) المصدر نفسه ص ١١٩ ـ ١٢٠.

زوجة الشهيد المطهري رَحِمَهُ اللهُ

«نص مقابلة أُجريت مع زوجة الشهيد المطهري»

س : ضمن تقديم الشكر علىٰ الوقت الذي خصصتِهِ لهذه المقابلة، نرجو التفضل بتوضيح قصة تعرّفكم على الأستاذ المطهري؟

ج : قبل حدود الثلاثين عاماً كان زواجنا، ووالدي كان من علماء خراسان وكان مدرساً فيها متواضعاً مؤمناً مُتقيًّاً.

كنت في الحادية عشرة من عمري، عندما رأيت ـ في عالم الرؤيا ـ أني ذهبتُ إلىٰ غرفة أبي فوجدت فيها قصاصة ورق مكتوبٌ فيها «فلانة ـ اسمي ـ تُعقد لمرتضى في التاسع والعشرين من الشهر» وقد عجبتُ كثيراً لهذه الرؤيا لكني لم أطلع عليها أحداً، ومرت الأيام وخطبني العديدون، ولكن والدتي كانت ترفض وتقول ما لم تحصل علىٰ شهادة الإعدادية فلن أزوِّجها.

وعندما أصبحتُ في الثالثة عشر، جاء الشيخ المطهري لخطبتي

وكان يعرف والدي إلا أنَّ والدتي عارضت بشدة، فهي من عائلة مرفهة ثرية نسبياً ولم تكن ترتاح لفكرة زواجي من أحد الحوزويين.

وكانت تصرح بذلك وعاود الشيخ المطهري المراجعة لخطبتي عدة مراتٍ فتذرعت والدتي بشرط إكمالي للدراسة فوافق بيسر وقال تستطيع إكمال الدراسة حتىٰ تأخذ شهادة الإعدادية.

ثم وبعد مدة وافقت والدتي وكان ذلك في اليوم ٢٣ من الشهر فقال الشيخ المطهري لنجعل العقد إذاً يوم التاسع والعشرين فهو يومٌ جيد لذلك، فتمَّت الموافقة وتمَّ عقد القِران في ذلك اليوم وعندها اتَّضحت حقيقة الرؤيا التي ذكرتها.

ومضت الأيام ثم انتقلنا إلىٰ قم وبعدها إلىٰ طهران واخترنا منزلاً صغيراً للسكنىٰ في زقاق «دردار»، ورزقنا بسبعةِ أطفال أربع بنات وثلاثة أبناء.

وقد حصلت جميع بناتنا علىٰ شهادة الإعدادية واثنتان منهن دخلن الجامعة، وتزوجن جميعاً، أما ابني الأكبر فقد درس في كلية الإلهيات والثاني في كلية الهندسة والثالث في الإعدادية.

س : هل كان الأستاذ المطهري يشارك في أعمال المنزل وتربية الأطفال؟

ج : نعم كان مطّلعاً علىٰ جميع شؤون المنزل وكان يساعدني ويساعد الأطفال في معظم الأعمال: لقد كان أعظم حامٍ وهادٍ لنا، كان يتابع شؤون الأطفال ومسار دراستهم ويحل مشاكلهم.

وكان كثيراً ما يكتبُ لهم الرسائل وما زال بعضُ نماذجها موجوداً، وكان يساعدني في أعمال المنزل كلما سنحت له فرصة لذلك، في معظم الأوقات كان يقوم بنفسه بإعداد الشاي صباحاً، ولا أتذكر أنه قال لي ـ ولا مرةً واحدة ـ طوال حياتي: إجلبي لي ماء، كان يتأثر كثيراً من إلحاق الظلم بالنساء.

ويكرر القول: يجب عدم استغلال النساء، كان الاحترام والمودة هما مميزتا التعامل بيننا.

س : كيف كان ينظم الشهيد المطهري ساعات يومه؟

ج : في الصباح كان يذهب إلىٰ كلية «الإلهيات» للتدريس إلىٰ الساعة الثانية بعد الظهر، ثم يعود إلىٰ البيت ليتناول الشاي الذي أَعدَّه قبل مجيئه ويتحدث معي.

كان رؤوفاً إلىٰ درجة لا يعلمها إلا الله جعلت أجواء المنزل مفعمة بالعاطفة والمودة والرحمة.

كان يتطرق خلال حديثه إلىٰ سيرَ العرفاء بالله والمقرَّبين إليه تعالىٰ، فكان دون أن يخاطبني مباشرةً يدعوني إلىٰ التقوىٰ والفضيلة من خلال عرض أمثلة بسيطة لكنها تتضمن معاني عميقة..

إذا تحدثت عن بعض القضايا المادية وشكوت منها أجابني بصوت هادىء مردداً هذا البيت من الشعر:

اگر لذت ترك لذت بدانى
دگر لذت نفس لذت نخوانى

(لو عرفت لذة ترك اللذة، لما اعتبرت لذة النفس لذة).

ثم يذهب إلىٰ الدراسة والتدريس والتي تتراوح مدتها علىٰ الأغلب في حدود الساعتين، فتذهبُ طائفة من طلبته وتأتي بعدها طائفة أخرىٰ كانت له دروس وتذاكر علم مع مختلف الأعمار والمستويات ما بين طلبة المدارس الابتدائية إلىٰ أساتذة الجامعات.

وبعد صلاة المغرب والعشاء كانت له إما لقاءات وإما يعود إلىٰ المذاكرة والبحث، وفي حدود الساعة العاشرة يأتي للجلوس مع أفراد العائلة ثم يذهب بعدها للنوم، ليستيقظ في حدود الثانية بعد منتصف الليل لأداء نافلة الليل ويبقىٰ متهجداً إلىٰ الصباح.

س: هل كان يجيزُ لكِ أو لبناتكِ مواصلة الدراسة؟

ج: إنه كان يؤيد ذلك بقوة، وكما قلت آنفاً فقد سمح لي بعد أن جئت إلىٰ منزله بمواصلة الدراسة، ومع التزامي الكامل بالحجاب وشروط العفة أكملت دراستي حتىٰ أخذتُ شهادة الإعدادية، وقد حصلت علىٰ هذه الشهادة نفسها اثنتان من بناتي فيما واصلت الأخريات الدراسة الجامعية.

س: هل يمكن أن تذكري بعض نماذج تعامل الشهيد المطهري معك؟

ج: مثلما قلتُ سابقاً فقد كنتُ صغيرةً عندما جئتُ إلىٰ منزله، ولكن رغم صغر سنّي لا أتذكر أني قد لقيت أذىً، كان في غاية الرأفة والتسامح ويولي أهمية لراحتي وراحة الأطفال، كان رؤوفاً بي إلىٰ درجة لا يستطيع معها تحمل أن يشاهدني متأذية من شيء ما.

أتذكر أني سافرت مرة إلىٰ أصفهان لزيارة ابنتي وبعد بضعة أيام، عُدت إلىٰ طهران بمعية إحدىٰ صديقاتنا، كان الوقتُ قبيل السحر عندما وصلتُ إلىٰ المنزل فوجدت الأطفال نائمين ولكن الشيخ كان مستيقظاً وقد أعدَّ لنا شاياً وطعاماً مرتباً بطريقة جميلة للغاية.

صديقتي تعجبت كثيراً لهذا المنظر وقالت: «هل أنَّ العلماء جميعهم جيدون لهذه الدرجة» وبعد السلام والاستفسار عن الأحوال، قال الشيخ بلهجةٍ فيها الكثير من التأثّر:

«أخشىٰ أن يأتي يومٌ لا أكون فيه هنا وتأتين أنت والأطفال نيام فلا يكون في استقبالك أحد» (السيدة مطهري تملكتها هنا حالة شديدة من التأثر والحزن).

مرةً ذهبنا سويةً إلىٰ زيارة كربلاء والعتبات المقدسة فيها وعندما عدنا ووصلنا إلىٰ المنزل كان بعض الأولاد نائمين فعاتبهم الشيخ قائلاً: «لماذا لم تستعدوا جميعاً لاستقبال والدتكم وهي عائدة من زيارة كربلاء؟».

كان غاية في الرأفة ولم يؤثر تصرّم الأعوام علىٰ تعامله فهو إلىٰ النهاية كان مثلِ ما كان عليه في بداية زواجنا، نعم كل ما أقوله عن صفائه ومودته وتقواه فهو قليلٌ قليل.

س: إلىٰ أي مدىً كان يطلعكم علىٰ القضايا السياسية في البلد؟!

ج: إلىٰ درجة متقدمة، ومنذ سنين وسنين كان يتحدث عن التخطيط والإعداد للثورة الإسلامية، وكان يطلعني علىٰ القضايا

السياسية الراهنة، ويتحدث مع أولادنا عن التيارات الفاعلة والاتجاهات الفكرية الموجودة والتنافس بينها ويُبين لهم الحقائق والحق لكيلا ينحرفوا بسبب وجودهم إلىٰ جانب المنحرفين في محيط واحد.

ومعلومٌ أنه كانت هناك بعض الأعمال ذات الطابع السري، ولذلك لم يكن يطلعنا عليها كتكليفه برئاسة مجلس الثورة الإسلامية.

س : هل كان يخصص لكم دروساً إسلامية (أنت والأولاد؟)

ج : نعم، لقد درستُ عنده علوم القرآن وعلوم العربية وكذلك الحال مع الأولاد، وفي أواخر حياته خصص لنا في المنزل درساً في (جامع المقدمات) اشتركنا فيه أنا والبنات والأبناء وصهرٌ لنا.

س : ماذا كانت نظرته للمرأة المسلمة؟

ج : كان يحترم النساء كثيراً، وكثيراً ما كان يقول إن المرأة في مجتمعنا تعرضت للكثير من الاستغلال.

سافرنا مرة مع العلامة الطباطبائي إلىٰ الخارج لمعالجته، فزارتنا مجموعة من الطالبات الجامعيات وقلْن للشيخ: «إنَّ علماء الإسلام لا يولون أهميةً لاحترام نسائهم ويذكرونهنَّ باستخفاف واستحقار، وهم لا يشاركونهن بأي عمل».

فأجابهم الشيخ، كلا ليس الأمر كذلك، وتحدّث لهن طويلاً عن حقوق المرأة في الإسلام مشيراً إلىٰ أنه لم يُوجب عليهن حتىٰ رضاعة أطفالهنّ.

وأتذكّر أنه كان يتحدث معي حول بعض مواضيع كتابه «حقوق المرأة في الإسلام» عندما كان منشغلاً بتأليفه، كان يتأثر كثيراً من الظلم الذي يُلحق بالمرأة ويعتبره عاراً علىٰ الرجال، أما بشأن سائر تفصيلات نظرته حول المرأة المسلمة فيمكن التعرف عليها من خلال مراجعة ما أورده بهذا الشأن في كتبه.

س : حدثينا عن الأيام الأخيرة من حياة المطهري ومتىٰ عرفت باستشهاده؟

ج : كان الشيخ رؤوفاً رحيماً علىٰ الدوام، ولكنه كان في تلك الأيام كان أكثر رأفة وأعظم رحمة، كان إذا ألـمَّت به معضلة أو مشلكة شاهد ـ علىٰ الأغلب ـ الرسول الأكرم ﷺ في عالم الرؤيا فيهديه إلىٰ حلّها.

وقبل استشهاده ببضع ليالٍ، كنا نائمين عند استيقظتُ علىٰ استيقاظ الشيخ بصورة غير عادية، فسألته عن ذلك.

فقال: لقد رأيت الآن ـ في عالم الرؤيا ـ أنني والسيد الخميني كنّا نطوف حول الكعبة عندما التفتُ إلىٰ أن الرسول الأعظم ﷺ يتجه نحوي بسرعة وعندما اقترب منّي، تراجعت إلىٰ الوراء ـ احتراماً للسيد الخميني ـ وأشرت إلىٰ السيد وقلت:

«يا رسول الله: السيد من ذريتكم» فاقترب ﷺ من السيد الخميني وقبّله من وجهه، ثم اقترب ﷺ مني وقبّلني من وجهي ثم وضع شفتيه على شفتيَّ ولم يرفعهما، فاستيقظتُ من شدة اللهفة وما

زلت إلىٰ الآن أحسُّ بدفء شفتي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على شفتي؛ ثم سكت الشيخ هنيهة ليستأنف حديثه قائلاً: «إنني واثقٌ من أنَّ حادثاً مهماً سيقعُ لي عن قريب».

فقلتُ له: «كلا.. إنشاء الله، هذا هو تأييدٌ من الرسول الأعظم لمحاضراتك وكتاباتك».

ومرت بضعة أيامٍ، حتّى جاءت ليلة الأربعاء فقال لي بعد أن صلىٰ المغرب والعشاء إنه ذاهب إلىٰ منزل الدكتور سحابي ليحضر اجتماعاً هناك ثم يعود إلىٰ المنزل.

فذهب وصادف أن جاء إبننا الأوسط من تبريز حيث كان يدرس في جامعتها آنذاك، كان الساعة في حدود الحادية عشر مساءً عندما اتصل الدكتور سحابي بنا هاتفياً ليقول إن الشيخ لن يعود إلىٰ المنزل هذه الليلة وسيبقىٰ هناك.

فاستغربت لذلك لأن الشيخ لم يكن يبيت خارج المنزل عند أحد أبداً اللهم إلا في بيت الإمام الخميني أو عندما كان يأتي الشيخ المنتظري إلىٰ طهران.

فقلتُ للدكتور سحابي «لماذا لا يعود الشيخ؟! وهو لا يبقىٰ خارج منزله ليلاً أبداً»، فتلعثم الدكتور ثم قال: «لقد أُصيب برصاصة وهو يرقد الآن في مستشفى طرفة، فتعالوا إلىٰ هنا».

ثم استدعيت إبني وقلت له «لنذهب إلىٰ مستشفىٰ طرفة فقد اغتيل

والدكم»؛ ذهبنا بسرعة والألم يعتصرنا إلىٰ المستشفىٰ، وعند بابها سألت أحد حراس الثولة «ألم يجلبوا إلىٰ هنا أحد العلماء أُصيب برصاصة؟».

فقال بحزن ولوعة: «نعم.. لقد صُرِعَ رجلٌ إلهي، لقد صُرِعَ أحد العظماء..»، فقلقت للغاية وعندها انتبه إلىٰ أننا من أرحام الشيخ، فسارع إلىٰ القول باضطراب «لا تقلقوا.. فلم يحدث شيء مهم لقد أصابت الرصاصة كتفه».

فصدقت قوله وطلبت أن يدلّني علىٰ غرفته لأراه، فدخلنا غفرة وجلسنا فيها ثم دخلت ثلاث نساء عرفت فيما بعد أنهن من أرحام الدكتور سحابي، وقلن لي: «هل أنتِ زوجة الشيخ المطهري»، أجبت «نعم»، فقدمن التعازي وأنا غير مصدقة حتىٰ قلن إن الشيخ قد استشهد، فانقلب حالي بالكامل..

وبعد فترة قلت لوالدي لِنعُد إلىٰ المنزل وكان مضطرباً يعصره الألم والذهول حتىٰ أنه أضاع مفاتيحه، وعلىٰ أيّ حال أوصلونا للمنزل في حدود الساعة الواحدة بعد انتصاف الليل فرأيت أن كافة الأزقة المحيطة بالمنزل قد احتشدت فيها الجموع الباكية.

وفور وصولنا المنزل دقَّ جرس الهاتف حيث كان المتحدث أحد أهل العرفان من أصدقاء الشيخ، سألني عن أحوال الشيخ المطهري فأخبرتهُ باغتياله، فانقلب حاله.

وقال: «لقد اتصلتُ بي قبل قليل إحدىٰ الأخوات التي تحضر

دروسي وقالت: في الساعة الحادية عشرة من هذه الليلة رأيت في عالم الرؤيا ـ قبراً أخضر يشيرون إليه ويدعونني لزيارته فسألت عن صاحبه.

فقالوا أنه قبر الحسين عليه السلام، ثم أشاروا إلىٰ قبر أخضر آخر بجانبه ودعوني لزيارته، فسألتُ عن صاحبه أيضاً فقالوا إنه قبر الشيخ المطهري!!

ثم شاهدتهم يعرجون بالمطهري إلىٰ محل واسع رحب وهناك أشاروا إلىٰ عرشٍ نوراني غاية في الجمال، اصطفّت حوله مجموعة تقول: «هذا مقام أولياء الله» وتردد الصلوات على الرسول وآله، ثم دخل الشيخ المطهري وجلس على هذا العرش، فاقتربت منه وسألتُهُ: ماذا تفعل هنا؟!

فأجاب: لقد جئت للتو؛ لقد طلبتُ من الله تعالىٰ أن يرزقني مقاماً سامياً فمنَّ عليَّ بـ«مقامٍ متسامٍ» ثم استيقظت هذه الأخت عند هذه العبارة».

وتبين فيما بعد أنها رأت هذا الحلم بالضبط في زمن استشهاد الشيخ نفسه.

س : ماذا كان شعورك عندما علمتِ باستشهاد الشيخ؟!

ج : لقد سألوا العلاّمة الطباطبائي مرةً هذا السؤال نفسه فأجاب: اتركوا هذا لقلبي؛ وأنا أيضاً أُجيبكم بهذا الجواب نفسه.

س : مَنْ يحل مشاكلكم بعد استشهاد المطهري؟

ج : أُجيب بسهولة، إنَّه هو نفسه، لقد صُدمنا بعنفٍ باستشهاده ولفَّنا الألم واللوعة ولكن رغم ذلك فإن الشيخ نفسه ما زال هو الذي يحلُّ الكثير من مشاكلنا.

فمثلاً وعند زواج ابنتي الأخيرة، كان هناك من بين مَنْ خطبها اثنان صالحان للغاية، فاحترنا في اختيار أحدهما لصعوبة التفضيل بينهما، فرأيتُ الشيخ في عالم الرؤيا، حيث اختار أحدهما وقال هذا أصلح، فعملنا وفق قوله وكان الزواج موفقاً للغاية ـ ولله الحمد ـ.

بعد استشهاد الشيخ ليس هناك شيء في الدنيا يستطيع أن يفرحني اللهم إلاَّ أن أصل إلىٰ مقامٍ سامٍ أتأهلُ به لأن أكون إلىٰ جانبه مرة ثانية في الحياة الأخرىٰ.

لقد احتفظتُ بجميع كتب الشيخ وغرفته على وضعها فلم أُغيِّر منها شيئاً حتى ألبسته وعباءته ما زالت معلَّقة في مكانها المعتاد، وفي ذلك بعض السلوىٰ لقلبي.

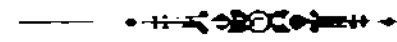
س : لو كانت لديك كلمة للسيدات والعوائل فتفضلي . .

ج : إني لا أرىٰ نفسي مؤهلة لأقول شيئاً لهنَّ، ولكني أُخاطب ببضع كلمات عوائل الشهداء لا سيما عوائل الشهداء من العلماء الحوزويين:

إن هناك على عواتق هذه العوائل بالخصوص مسؤولية كبرىٰ؛ علينا أن نحفظ دماء الشهداء من جهة ومقام وكرامة العلماء الشهداء من جهة ثانية.

فلا ينبغي لعائلة عالم شهيد أن تقوم بعمل من شأنه الإساءة لا سمح الله لمقام وكرامة العلماء، لقد عشنا مع هؤلاء العظام وتربّينا علىٰ أيديهم، فلو صدر منا لا سمح الله عملٌ قبيحٌ لساءت نظرة الناس إلىٰ هؤلاء العظام المخلصين.

نسأل الله التوفيق لأن نصبح من عباده الصالحين.



رسالة الشهيد المطهري رَحِمَهُ اللهُ لإحدى بناته

«مقطع من رسالة كتبها الأستاذ الشهيد المطهري لإحدى بناته»:

نورُ عيني وعزيزتي.. ابنتي المحترمة (...)

لقد دعوتُ وأدعو الله تعالىٰ علىٰ الدوام بأن يمنَّ عليك بالسلامة والسعادة، وأحمدُ الله تعالىٰ علىٰ استجابته لدعواتي لك في الأسحار، إذْ تفضل عليكا بالسعادة وحسن التوفيق، ورزقك زوجاً صالحاً وحياة تحظىٰ منّي بغاية الرضا.

بُنيَّتي العزيزة، يقولون شعراً: (ترجمة الشعر الفارسي الوارد في رسالة الشيخ)

«إن العاقل اللبيب ينبغي أن يعيش في هذا العصر مرتين

واحدةٌ يكتسب فيها الخبرة، والثانية ينتفعُ بما اكتسب»

بعض الأشخاص يتمتعون بدرجةٍ عاليةٍ من الحصافة والذكاء وكأنهم قد عاشوا في هذه الدنيا من قبل، ولكن هناك طائفة أخرىٰ من الأشخاص لا ينتفعون بتجربة ويبقون علىٰ ما هم عليه حتىٰ لو

عاشوا في هذه الدنيا مراتٍ ومرات، وأدعو الله أن تكوني وسائر ذريتي من الطائفة الأولىٰ.

إبنتي العزيزة: يقول الله عز وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: أي أن معرفة قدر النعم الإلهية وشكرها موجب لزيادتها وحلول نعمٍ جديدة، فيما أن جحود النعم الإلهية وكفرانها موجب لزوالها وتحولها إلىٰ عذابٍ شديد.

ورجائي هو أن يكون جميع بناتي وأبنائي من العارفين بعظمة النعم الإلهية الشاكرين لها، ليضاعف الله لهم أمثالها يوماً بعد آخر.

لقد بدأت حياتنا المشتركة (أنا ووالدتكِ) من الصفر ـ (ويقيناً لو كنتِ محل والدتك لما تحمَّلت تلك الحياة) ـ وتطورت حياتنا يوماً بعد آخر وسنة بعد أخرىٰ إلىٰ الأحسن والأفضل من جميع الجهات ولله الحمد وكل ذلك التطور هو لأننا كنا شاكرين للألطاف الإلهية علىٰ الدوام؛ ولم نكن نعمل شيئاً بالجهل، بل كنا نلتزم عرىٰ العقل بدلاً من العواطف والانفعالات.

إنني أُحب أن تُطلعيني علىٰ ما في قلبك، كتباً أو شفاهاً، وبشأن كل ما يختلج في ذهنك دون تخصيص، وإن شئت أن لا أطلع عليه أحداً، فإني مستجيبٌ لمشيئتك، أنتِ تعلمين أن الكذب لم يجرِ أبداً لا علىٰ قلمي ولا على لساني.

مرتضى المطهري ١٣٥٦/٧/٥هـ.ش ـ ١٩٧٧/٩/١٠م

مقطع من رسالة للشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى أحد أبنائه

ولدي العزيز وقرَّة عيني المكرم.. جناب علي المطهري وفقه الله لما يحب ويرضىٰ..

أسأل الله تعالىٰ أن يتفضل عليك بكامل السلامة والتوفيق وحسن العاقبة.. أحوالنا ولله الحمد بخير وغالباً ما نذكرك، أرجو لك التوفيق الكامل في امتحاناتك..

ولدي العزيز.. أرجو إبلاغ سلامي إلىٰ أصدقائك وزملائك لا سيما الذين في غرفتك، ولو جئتم معاً إلىٰ طهران فاجلبهم معك إلىٰ المنزل ففي ذلك سرورنا.

ولدي.. توخَّ كامل الدقة والحذر في اختيار أصدقائك، فما أكثر الأفاعي بظاهرٍ حسن، وعليك كذلك بإثراء معلوماتك الإسلامية والإنسانية من خلال مطالعةِ ما يتسنىٰ لك من الكتب النافعة، وإن كانت هناك اجتماعات ومحافل جيدة في تبريز فاشترك فيها، وإذا احتجت إلىٰ كتابٍ من ذاك النوع فأخبرنا لنبعثه إليك.

ولدي.. لا تتهاون عن تلاوة حزب واحد من القرآن يومياً ـ وهو لا يستغرق أكثر من خمس دقائق، وأهدِ ثوابه إلىٰ روح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فهو سببٌ للبركة في العمر والموفقية ـ إن شاء الله؛ وما من حاجة للتذكير بضرورة توخي كامل الحرص في أداء الفرائض الدينية.

قد يحدث أحياناً أن تواجه أسئلة من بعض الجامعيين غير المتدينين دون أن يكون لديك جواب حاضر لها، فاكتب لي عنها ـ لإعداد الإجابات ـ.

أبعث إليك مع الرسالة مبلغ (١٥٠٠) ريال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مرتضىٰ المطهري

١٣٥٦/٢/١٩هـ.ش. ـ ١٩٧٧/٤/٢٤م



المنهج سياسة إسلامية

أنهى تأليف مقدمة وحاشية الجزء الأول والثاني من كتاب أصول الفلسفة، وفيهما بدء نشاطه السياسي، بالرغم أنه سابقاً إلتحق بمنظمة فدائيي الإسلام.

وفي العام (١٣٧٤هجري) (١٩٥٤م)، شرع بالتدريس في كلية الإلهيات، والمعارف الإسلامية، واسس حوزة تدريسية خاصة به.

من المميزات البارزة في شخصية الشيخ مرتضى المطهرى سعة إحاطته بالثقافة الإسلامية بشتى فروعها، فلقد كان فقيهاً، وفيلسوفاً، وأديباً، وخطيباً، ومدرساً، وعارفاً.

ولم يكن المقام العلمي السامي للشيخ المطهري هو وحده الذي جعل فيه تلك الجاذبية الخاصة التي نفذ من خلالها إلىٰ أعماق قلوب الناس، بل خصال الإخلاص، والصدق، والتقوى، والورع، والتواضع، والمواظبة على ذكر الله، وإستشعار آلام الآخرين.

فوجوده كان مفعماً بالإيمان، وحب الله، وانس خاص صلاة الليل والتهجد، وكان يستصغر نفسه في محضر أستاذه، ويهتم برعاية إحترام الأستاذ إلىٰ أقصى حد.

وامتاز بسعة الصدر، وبشاشة وطلاقة الوجه، ويُنقل أنه كان يغلق باب غرفته في المدرسة أثناء المطالعة لكي يحافظ على تركيزه الذهني، وعندما كانت توجه إليه أسئلة تحتاج على تركيز ذهني إستثنائي بعد سلسلة من الاسئلة المطولة والمتعبة، كان يعتذر عن الإجابة، ويوكلها على فرصة أخرى يجيب عنها بتركيز ووضوح.

وأيضاً إمتاز المطهري بعلاقته الخاصة بطبقة الشباب ومشاكلهم، ويدلّ على هذا إهتمام الطلبة الجامعيين والمثقفين بمحاضراته ومؤلفاته.

والجانب المهم الذي لم نتحدث عنه بعد، فهو جهاد هذا العظيم في سبيل إعلاء كلمة الله، ففضلاً عن محاضراته التي ألقاها في الجامعات والإتحادات والجمعيات الإسلامية ومازال معظمها مسجلاً على اشرطة صوتية، فقد كان للشيخ المطهرى نشاطات سياسية مناهضة لحكم الطاغوت الشاهنشاهي في إيران.

كان له تعاون مع اية الله الطالقاني، والمهندس بازركانى، وقد قام بدور أساسي في قيادة جماهير طهران، وربطها بقيادة الإمام.

وعينه الإمام الخميني كأحد ممثليه في لجان الإئتلاف الإسلامي، وكان بإستمرار تحت رقابة جلاوزة الشاه، وكان من أعضاء مجلس إدارة حسينية الإرشاد.

بالإضافة إلىٰ التدريس في كليات الإلهيات، وإلقاء محاضرات في

الإتحاد الإسلامي، والجمعية الإسلامية للأطباء، ومسجد جاويد حتى منعته السلطات من إرتقاء المنبر والقاء الخطب والمحاضرات.

هذا فضلاً عن غزارة في التأليف تناول فيها مختلف المجالات الإسلامية والتاريخية والإجتماعية والفلسفية، فكان كل كتاب مصداقاً للجهاد الحقيقي ضد نظام الشاه، وجميع التيارات المناهضة للإسلام.

فكتاب (الحجاب وحقوق المرأة في الإسلام) كان مواجهة لسياسة الشاه الداعية لخلع الحجاب وتشويه صورة الإسلام عن المرأة.

وكتاب (الإسلام وإيران) كان مواجهة للمفكرين الإيرانيين الداعين للقومية الفارسية، والعودة إليها والتخلّي عن الإسلام.

وكتاب (الدوافع نحو المادية) كان لمواجهة هجمة الأفكار الماركسية التي إستهدفت المجتمعات الإسلامية والعربية، وبالأخص طبقة الشباب.

وكتاب (الإنسان والمصير) و(العدل الإلهي)هو حصيلة دروس عقائدية في مواجهة الشبهات التي طرحت مثل القضاء والقدر، وغيرها.

واللائحة تطول، فذكر آثاره يحتاج مجالاً كبير لا يتسع له موضوعنا، وقد نُقل عن الإمام الخميني(قدس)؛ أنه أوصى بقراءة كتب الشهيد المطهري.

وبعد إستشهاد أية الله مصطفى الخميني، ودخول الثورة الإسلامية مرحلة جديدة خطيرة، كثّف الشيخ مرتضى المطهرى نشاطه، وكان

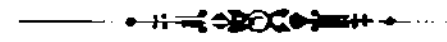
همّه الأساسي الحفاظ على الثورة من الإستغلال من قبل التيارات المناوئة للإسلام، وربط الجماهير بقيادة الإمام.

وهذا ما جعل هذه التيارات تحقد حقداً كبيراً على الشيخ، لأنه كان يمثل عقبة أمام طموحاتهم، وبعد زيارة الشيخ مطهرى للإمام في باريس كلّفه بتشكيل مجلس الثورة الإسلامية.

وعندما أعلنت الحكومة برآسة شاهبور بختيار منع عودة الإمام، تصدّر صفوف العلماء الذين اعتصموا في جامعة طهران.

وبعد إنتصار الثورة بقي الشيخ المطهرى المستشار المقرّب للإمام.

وقد ساهم الأستاذ الشهيد بتأسيس حرس الثورة الإسلامية، وقد تعرض خلال كل هذه الفترة إلىٰ الكثير من الإفتراءات والإتهامات الباطلة، فوقف بوجه كل هذا بثبات المؤمن المتيقن، وإستمر على هذا المنوال من العطاء حتى اواخر حياته التي ختمها بشهادة أكرمه الله بها.



عائلة العلم والتقى

في ١٣ شهر جمادي الثاني عام ١٣٣٨ هـ.ق. ـ ٤/ مارس/ ١٩٢٠م، وفي بلدة «فريمان» التابعة لمدينة مشهد المقدسة، رُزقت عائلةٌ من أهل العلم والتُقى بوليدٍ حلَّ في بيتٍ تشعشعت فيه أنوارُ العلم والإيمان والتقوىٰ والفلاح والصلاح والطهارة، والاسم الزكي «المطهري» هو أفضلُ معرّفٍ لهذا البيت المطهر.

نعم كانت تلك أعظم نعمة يَمنّ بها الباري جلَّت قدرته علىٰ الشيخ «محمد حسين المطهري» ذلك الرجل الذي قضىٰ عمره في سلوك طريق الحق، وتجسّدت فيه التقوىٰ والطهارة والإخلاص.

لم يكن من المناسب أن ينطفىء نور العلم والتُّقى في هذه العائلة فرزقها الله بالوليد الذي سيحمل مشعل الإسلام الوضَّاء فينشر أنواره في أقصى نقاط هذا البلد الإسلامي، ويُعلن بأفعاله وأقواله بشرىٰ غلَبَةِ الحقّ علىٰ الباطل.

نعم. لقد شاءت القدرة الإلهية أن تَمُنَّ على هذا المجتمع الإسلامي بكوكب هداية ليكون نبراس طلاب الحقيقة ودليل عبَّاد الحق في ليل الجهل والظلمات، ولينهض للدفاع عن الإسلام العزيز

في أشد مراحل تاريخه صعوبةً حيث يتعرض لشتىٰ الهجمات ومن مختلف الجهات.

نعم لقد وُلِدَ هذا الكوكب الوهَّاج في بيت الشيخ محمد حسين المطهري.

اسمُ عائلة هذا الوليد يجسد خصاله البارزة وطهارة روحه ونقاء نفسه، ولكن كان ينبغي أن يُختار له اسم يجسد الجنبة الأخرى من شخصيته فكان «مرتضى» معبّراً عن نهجه الحائز للرضا وهكذا كان «مرتضىٰ المطهري».

ترعرع الأستاذ المطهري في تلك العائلة الزكية، وشاهدنا آثارها فيه، ولقد صبغت التقوىٰ والنقاء والصدق والصفاء شخصيته فتجلَّت في سلوكياته طوال حياته المباركة، كما شاهدنا تألقاتٍ خاصة في مراحل حساسة من حياته، وهي تنبىء عن أنه حتىٰ في صغره كان بعيداً عن الانحرافات والتلوث ترعاه الإمدادات الغيبية وهذه الحقيقة تؤكدها طهارة وعراقة عائلته، علىٰ الرغم من عدم امتلاكنا لمعلومات دقيقة عن مرحلة طفولته.

ومع انتهاء مرحلة الطفولة، ذهب إلىٰ «المكتب» وشرع في تعلم القرآن والعلوم الأولية.

وعندما وصل إلىٰ سنّ «١٠ ـ ١٢» عاماً، توهج فيه عشقُهُ للإسلام ومعارفه وأخذ عليه كلّ وجوده متجلياً في كل شؤونه الحياتية تظهر أواره من أعماق وجوده في كل حين.

التوجه إلى الحوزة العلمية

حانت لحظات حساسةٌ مصيرية لها تأثيرها علىٰ مصير هذا الفرد ومجتمعه ومستقبل الإسلام وحركته الفكرية والعقائدية، فكشَف مكنون قلبه وأعلن قراره بالتوجه للحوزة لطلب العلوم الدينية، وجاء توقيت هذا الإعلان متزامناً مع ذروة الضغوط وتصاعد أشكال المحاربة التعسفية التي كان يشنها «رضا خان» وحكومته الظالمة الدكتاتورية ضد العلماء والحوزات الدينية.

أثار قرار الأستاذ الحيرة والاستغراب لدىٰ الجميع، فكيف يفكّر هذا الفتىٰ الصغير بالتوجه لطلب العلوم الدينية في الحوزة في الوقت نفسه الذي كشفت فيه حكومة «رضا خان» عن هويتها المعادية للإسلام وفرضت أقصىٰ الإجراءات التعسفية ضد العلماء والحوزويين فأصبحت حياتهم غاية في الضنك والصعوبة؟!

توجه إليه الناصحون يحاولون إقناعه بالعدول عن هذا القرار لعله ينصرف عنه، لكنهم كانوا غافلين عن حقيقة أن في الأمر «يداً أخرىٰ» وأن أمامه «طريقاً آخر»، لم تُجْدِ نفعاً كلّ وسيلة لجأوا إليها لإقناعه بالانصراف عن هذا القرار، بل علىٰ العكس كانت تزيد عشق طلب العلوم الدينية في فطرته الطاهرة بدلاً من أن تقتله، وأخيراً تغلب إصرار المطهري وثبات قراره علىٰ رأي المعارضين فخضعوا ورضوا بالسماح له بالتوجه إلىٰ الحوزة الدينية وهكذا ينصر الله دينه.

ملامح الطفولة ومعالمها

وعندما بلغ عمره (١٢ عاماً) أي في عام (١٣٥٠هـ.ق / ١٩٣١م) رحل إلىٰ مشهد وشرع في دراسة العلوم الدينية في حوزتها. هنا ظهرت إحدىٰ التفاعلات الحساسة في حياته والتي كان لها تأثيرٌ مهمٌ في حياته العلمية والمعنوية، وفي حركة الفكر الإسلامي المعاصر.

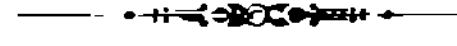
فالأفكار المتعلقة بمعرفة الله شغلته كثيراً وحرمته النوم والدعة، مرَّت الأيام والليالي والأسابيع والأشهر والأعوام والمطهري يعيش تفاعلات هذه الأفكار، والشك والحيرة يسيطران علىٰ كل وجوده.

وكان التفكير في أي موضوع أو علم أمرٌ عبثيٌّ ما لم يصل إلىٰ ساحل اليقين والإيمان فيما يرتبط بتلك الأفكار فهي علىٰ درجة عالية من الأصالة والأهمية بحيث يعتبر حلّها مفتاح الورود إلىٰ أبواب العلم الأخرى.

ولذلك فقد أقبلَ علىٰ دراسة مقدمات العلوم: العربية والفقه والأصول والمنطق، بهدف الاستعداد لمناقشة أقوال الفلاسفة العظام، ولهذا السبب بالذات كان ينظر إلىٰ الفلاسفة والعرفاء والمتكلمين علىٰ أنهم أبطال ميادين الفكر.

ولهذا السبب أيضاً كان المرحوم «الميرزا مهدي الشهيدي الرضوي» مدرس الفلسفة الإلهية في حوزة مشهد هو الأستاذ الوحيد الذي تعلق به المطهري بصورة قوية من بين كل أولئك العلماء والمدرسين في حوزة مشهد، ولعل الجاذبية المعنوية والاشتياق

للحضور في درس هذا الأستاذ هما أكبر العوامل التي دفعت الأستاذ المطهري إلىٰ الإسراع في إكمال علوم المقدمات.

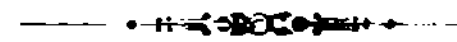


الانتقال إلى حوزة قم المقدّسة

وبعد قرابة الأربعة أعوام من الدراسة في حوزة مشهد، توجه المطهري إلىٰ الحوزة العلمية لمدينة قم المقدسة في شهر رمضان عام (١٣٥٦هـ.ق/ ١٩٣٧م)، لتشهد حياته المليئة بالمنعطفات، منعطفاً جديداً وتفاعلات جديدة كان لها الأثر الأكبر في صياغة شخصيته العلمية والمعنوية.

فتضاعفت حصيلته العلمية والمعنوية وارتفعت معارفه في مختلف العلوم والاختصاصات الإسلامية خلال الأعوام الخمسة عشر التي قضاها في حوزة قم وتتلمذه علىٰ أيدي كبار أساتذتها.

ومن الأحداث المهمة التي شهدتها هذه الفترة من حياة المطهري والتي كان لها تأثيرٌ كبيرٌ عليه، هي تعرفه علىٰ المرحوم الحاج الشيخ «الميرزا علي آقا الشيرازي» قدس سره في أصفهان عام (١٣٦٠هـ.ق/ ١٩٤١م).



مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء

ينبغي أن ننظر إلى التاريخ بمنظار هذا الحديث فنجد دماء الشهداء تفور من جانب ومن جانب آخر تموج بحار الآراء والأفكار وهما يصنعان التاريخ ويتلوان أناشيد الحماس والحركة تارة متلاحمين متداخلين وأخرى منفصلين متجاورين.

والأستاذ الشهيد مرتضى المطهري الذي تلقّى العلوم الإسلامية من الفلسفة والفقه والأصول والكلام والحديث والتاريخ والمعارف الإلهية من منابعها العيون الصافية الزاخرة، وحضر خلال السنين الطوال مجالس درس المشايخ والمدرسين الكبار في الحوزة العلمية ومن بينهم الإمام الخميني رحمه الله الذي لم يكن مدرّسه فحسب، بل كان إمامه ومقتداه (وقد تبين هذه الملاحظة عند رأينا اهتمام الإمام وعنايته التامة بالنسبة إلى هذا العالم الجليل وتأثره وأسفه العميق بعد استشهاده).

أنه بسبب أتعابه ومساعيه المتواصلة أصبح بحراً عميقاً وخضماً محيطاً من العلم والمعرفة الإسلامية الواقعية، فكان دائماً يكافح الأفكار المستوردة المنحرفة التي تظهر كل يوم في صورة جديدة

ويقف أمامها كالجبل الراسخ معتمداً علىٰ الأسس القويمة للفكر المفلسفي والثقافة الإسلامية.

ولكي ندرك طريقة النضال عند الأستاذ في المجال الإيديولوجي ينبغي أولاً نعرف المسائل والمشاكل التي كان يواجهها الأستاذ طيلة حياته الكفاحية وقبل ذلك لا بد من دراسة الأوضاع الإجتماعية الوخيمة في ذلك العصر.

إذا تصفَّحنا التاريخ وعدنا إلى ما قبل أربعين عاماً تقريباً نواجه في حوزة قم العلمية شخصية جديدة تتبلور شيئاً فشيئاً.

الأستاذ المطهري في هذا العصر طالب شاب ألمعيّ يحضر مجالس بحث الأكابر والأعاظم كالإمام الخمين والفلاسفة الأجلاء كالعلامة الطباطبائي رحمهم الله. وإن ذكاءه المفرط وذهنه الوقَّاد واهتمامه لمواصلة البحث وكسب المعارف الإسلامية يبعث الأمل بتبلور قابلية عظيمة وإرادة قويمة سيكون لها شأن عظيم وسهم كبير في صيانة الإسلام وترويج أحكامه بين جميع طبقات المجتمع ومكافحة الإنصياح للأفكار المستوردة من الشرق والغرب.

ونجد في ذلك الوقت أن الميل إلى الحضارة الغربية قد تعمَّقت جذوره واجتاحت جميع أبعاد المجتمع، فنسي الناس أمثال الشيخ فضل الله النوري، والسيد حسن المدرس، وأصبح المجتمع يتباعد عن ثقافته الأصيلة، ويتحول إلى مجتمع ممسوخ فاقد الهوية، وعندها حان موعد حصاد الإستعمار لما زرعه منذ أوائل الحكومة القاجارية،

وأخذت آثار الدسائس والمكائد الطويلة الأمد التي أسسها الاستعمار تظهر تدريجياً وتبدّل الشعب الشجاع البطل وارث الحضارة العريفة إلى شعب مجيب مطبع كالبقرة الحلوب من جراء المسخ الثقافي والاستهانة بالقيّم الإنسانية.

وفقدت الحوزة الدينية تكتّلها النسبي وتضمنها، وأخذ الشعار الاستعماري القديم حول فصل الدين عن السياسة يستقر في المجتمع بسبب إنتشار دعايات السوء ضد علماء الدين، وعدم تمكنهم من أداء دورهم في قضية الحركة الوطنية.

وهكذا أقصي الإسلام عن ساحة انضال الاجتماعي حتى أن بعض علماء الدين أيضاً استسلموا لهذه الفكرة وظنّوا أن التدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية لا يليق بهم ولا يصلحون له.

إن التسليم لها التحقير المفجع أدّى إلى انحصار الفكر الإسلامي والثقافة الدينية في إطار الأحكام والمسائل العبادية الفردية التي ألف فيها الرسائل العملية وحذف عنها مسائل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراءة!

وأصبحت الجامعة أجنبية عن الدين واعتبر الدين في الجو الجامعي علامة الرجعية ومعاندته علامة الرقيّ والتقدم، وسيطرت الثقافة الغربية علىٰ المجتمع مما أدى إلى ظهور الحركات القومية والالتقاطية وهكذا..!!

ووصل الفقر الثقافي غايته حتى أن كل نوع من التفكير يستورد من الغرب مهما كان مُضحكاً ومستهجناً وإن كان ساقطاً حتى في المجتمع الذي أصدره فإنه سيجد في هذا المستنقع الراكد أرضية مساعدة للنمو والبروز!!

وأخذ النظام الحاكم بعد تحكيم مواضعه حوالي سنة (١٣٣٢هـ.ش)، الموافق لعام (١٣٧٤هـ.ق)، وبعد سيطرته الكاملة علىٰ الأوضاع أخذ ينفّذ المخطط الاستعماري المرسوم لاستمرار مؤمرة المسخ الثقافي.

وكانت هذه المكائد تظهر في كل عصر بصورة جديدة، فكان من أهم برامج النظام البهلوي الأسود في سبيل القضاء علىٰ الفكر الإسلامي في إيران هو: إثارة الشعور القومي الكاذب والتأكيد علىٰ الإيديولوجية الأمبراطورية، وتشديد الدعاية ضد أحكام الشريعة الإسلامية في الصحف العملية، ومواصلة النضال ضد حجاب المرأة، وتأسيس مراكز البغاء، ودفع المجتمع نحو الحياة الاستهلاكاية الغربية والدعاية للغرب، والدفاع عن الحركات الثقافية المستسلمة للغرب، وتشديد دعايات السوء ضد رجال الدين والمناضلين الأحرار!!

نزل المطهري إلى المجتمع ودخل ساحة النشاط الاجتماعي وأمامه هذا الوضع الذي بيّناه، وكان يدرك تماماً أن هذه الأوضاع مترابطة بعضها مع بعض سواء ما كان منها ينفّذه النظام الحاكم وما كان منها يحدث بصورة طبيعية.

فالنظام لا يمكنه - في رأي الأستاذ - أن يوافق لتنفيذ مؤامراته إلا أن تكون جذورها وأسبابها متعمّقة في خبايا المجتمع. وكان يرى الأستاذ وراء هذه الأوضاع نظاماً دقيقاً وثقافة معتمدة علىٰ أساس فلسفي خاص.

وسرعان ما تفطن الأستاذ إلى أن مكافحة هذه الظواهر لا تمكن إلا مع مكافحة الأساس الفكري والفلسفي للثقافة الغربية المسيطرة، فلا بد من تأسيس نضال جذري، وهذا يتطلب تنظيماً دقيقاً طويل الأمد، وكفاحاً مستمراً لنفي أساس الثقافة الإلحادية، وتبديلها بأساس فلسفي ونظام فكري أصيل قادر علىٰ المقاومة أمام التيارات الثقافية المهاجمة، كفاحاً في سبيل العودة إلى الطابع الثقافية الأصيل لشعب مُني بالتحقير بعد سنين قضاها في مكائد الإستعمار وخدعه، كفاحاً من أجل العودة إلى ذاتيتنا الثقافية التاريخية.

ولكن يجب أن لا ننسى إلى جانب النضال مشاكل المجتمع والحركات الفكرية فيه، وذلك لأن النظام الحاكم كان ينتهز الفرصة فيقوم بإثارة موجة من الهجوم الدعائي ضد القيّم الإسلامية وكان كل منها كافياً للقضاء علىٰ العقيدة الإسلامية، وممهداً لتنفيذ لخطط الإستعمارية المشؤومة التي يرسمها النظام الحاكم.

وكان الأستاذ المطهري بالرغم من تخطيطه لبرنامج كفاحي طويل الأمد في المجال الإيديولوجي يقوم في مثل هذه المواقع بهجوم مضاد استراتيجي لتخفيف الصدمة الواردة علىٰ إيديولوجية المجتمع ودفع الشبهات التي تتعقب هذه الحملات الدعائية، ولهذا نجد أن

المواضيع التي بحث حولها الأستاذ متفرقة متشتتة. فالآثار التي خلّفها علىٰ قسمين، قسم يبحث المواضيع الأساسية حسب البرنامج الطويل الأمد وقسم آخر يبحث المواضيع الطارئة المؤقتة.

وقد شرح الأستاذ هدفه من كفاحه الإيديولوجي في كتاب (عدل إلهي) فقال:

(منذ عشرين عاماً حيث مسكتُ القلم وكتبتُ المقالات والكتب لم يكن لي هدف من كل ما كتبته إلا حل المشاكل والجواب علىٰ الأسئلة المطروحة في عصرنا في مختلف المسائل الإسلامية، وقد كتبت في الموضوعات الفلسفية والإجتماعية والأخلاقية والفقهية والتاريخية، ومع أن مؤلفاتي تختلف من حيث الموضوع تماماً ولكن الهدف العام من جميعها أمر واحد فحسب. إن الشريعة الإسلامية المقدسة مجهولة لدى العامة. وقد حُرّفت حقائق هذا الدين في أنظار الناس تدريجياً. والسبب الأساس في تفرق جمع من الناس عن هذا الدين هو التعاليم الخاطئة التي ألقيت إليهم باسم الدين. وأن هذا الدين المقدس في الوقت الحاضر يصاب بالصدمات والضربات من جانب بعض المدَّعين حمايته أكثر من غيرهم، فالهجوم الإستعماري الغربي مع عملائه المعروفين والمجهولين من جهة، والقصور أو التقصير الصادران من المدعين حماية الإسلام في هذا المجالات من الأصول والفروع. ولهذا فإنني - وأنا عبد ضعيف - رأيت من واجبي أن أقوم بما أستطيع إسداءه من خدمة في هذا المجال).

وأما جهاده الإيديولوجي الموقت فكان في الموارد التي يقوم فيها النظام الملكي البائد بإيجاد العقوبات في طريق المناضلين المسلمين للمنع من تقدم الثورة الإسلامية ونجاحها، فكان الأستاذ يقابل هذه الدساتر بجهاد مؤقت.

وكانت العوامل التي تدفع الأستاذ لكفاحه الطويل الأمد أربعة:

أ - الخط الإلتقاطي الغربي.

ب - الخط الإلتقاطي الشرقي.

ج - الماركسية.

د - تعريف الناس بالمعارف الإسلامية.

* * *

وإليك الآن تفصيل الكلام حول هذين النوعيه من الجهاد الإيديولوجي:

١ - الجهاد الإيديولوجي المؤقت:

كان النظام الحاكم في كل فترة من الزمان يثير موضوعاً علىٰ أيدي عملائه، وكان يبدأ الهجوم بتحريف الأحكام والقوانين الإسلامية عن طريق تأليف كتاب أو نشره في الصحف، فيوماً تهتم الجرائد بالتحدّث عن موضوع الحجاب، ويوماً يبكون فيه علىٰ الحضارة العظمى والثقافة الأصيلة الإيرانية التي سحقها العرب المسلمون، ويوماً يندبون فيه أكبر مكتبة في العالم أحرقها العرب المسلمون في إيران، وهكذا دواليك. .

وكان النظام الحاكم يهدف في هذه المناورات إلى أمرين مهمين:

الأمر الأول؛ تقدير الوضع الاجتماعي تمهيداً لتنفيذ الأهداف المشؤومة الطويلة الأمد، ومحاسبة درجة الشعور الديني في المجتمع تجاه المكائد الاستعمارية التي أوعز إليه بتنفيذها.

الأمر الثاني؛ إيجاد الأرضية المساعدة لفصل الإسلام عن شؤون المجتمع وتبديله بالقومية الكاذبة في إطار الثقافة الإمبراطورية، وكان الأستاذ المطهري يدرك تماماً الأهداف الشيطانية للنظام الحاكم، فكان إلى جانب برنامجه الطويل الأمد لنفي الوضع الفكري الموجود يقوم بالدفاع أمام هذه الهجمات للمنع من اتساع رقعة التخريب.

ففي تلك الفترة التي أصبحت قصة حرب العرب للآثار الثقافية والعلمية الإيرانية لدى فتح إيران موضوع الصحف والجرائد العميلة بل أصبحت مادة تدرّس في الكتب المدرسية، قام الأستاذ بتأليف كتاب (إحراق الكتب في إيران ومصر) وكمؤرخ ضليع أخذ بالبحث والتنقيب عن هذه المسألة، وأثبت أنه كذب محض وافتراء مشين، كشف القناع في آخر الكتاب عن وجه الاستعمار الكالح فقال:

(إنّ دعاية إحراق الكتب في إيران والإسكندرية أصبحت تدريجياً فناً من فنون الهجوم، ولكن وراء الأمر سبباً وأسباباً ـ فهي لعبة الاستعمار ـ فالإستعمار لن يوفّق في الجانب السياسي والاقتصادي إلا إذا وفّق في الاستعمار الثقافي. والعوامل الأساس للتوفيق في ذلك هو سلب علاقة الناس بثقافتهم وبتأريخهم. وقد تفطّن

الاستعمار وتيقَّن بتجاربه أنّ الثقافة التي تعتمد عليها الجماهير المسلمة، والأيديولوجية التي يعتزّون بها هي الثقافة الإيديولوجية الإسلامية . .) .

وعندما قام النظام الحاكم البائد بالمسخ الثقافي للمجتمع وتحقير الحجاب (حصن عفاف المرأة)، وأن يصنع من المرأة المسلمة المتحررة بضاعة جوفاء فارغة في خدمة الشهوات الحيوانية، وأن يفرّغ الأسرة (حصن مقاومة المجتمع) من القيم الإسلامية، وأن يبدِّل الإنسان المسلم إلى مستغرب خائر القوى ليتمكن من أسرة ونهب ثرواته، حينذاك لم يمكن للأستاذ أن ينظر إلى المعركة مستهيناً بالأمر، فقام مرة أخرى ينطق مدافعاً عن الموقع الرفيع للمرأة وعن كرامتها الإلهية (الحجاب). والأثر الباقي عن تلك المدافعات هو كتاب (مسألة الحجاب) الذي ألّفه في سنة (١٣٤٧) (١٣٨٩هـ.ق) جاء في موضع منه:

(لا شك أن ظاهرة (التعري) مرض هذا العصر، وسوف تعرف هذه الظاهرة بعنوان، المرض عاجلاً أم آجلاً. ولو فرضنا أننا قلَّدنا الغرب تقليداً أعمى ولكن الغربيون المتقدمون في هذا المضمار سيعلنون حقيقة هذه الظاهرة، ولكني أخاف إذا انتظرنا إعلانهم أن يفوت الوقت).

(الحجاب مصطلح جديد تقريباً، إذا استعمل في الثوب الساتر للمرأة، والفقهاء يستعملون كلمة الستر بدلاً من كلمة الحجاب. والحجاب بمعنى اللبس وبمعنى الستار والحاجب

وأكثر استعماله في مورد الستار لا الثوب الساتر . .

. . وستر المرأة في الإسلام هو أن تستر المرأة جسمها إذا جالست الرجال ولا تظهر مفاتنها . . والحجاب في الإسلام يتفرع من أصل أساسي عام وهو ؛ أنّ الإسلام يرى أن التمتع الجنسي يجب أن يختص بالبيئة العائلية وفي إطار الزواج القانوني ويبقى جو المجتمع مجال العمل والنشاط الاجتماعي . وهذا الرأي الصائب في طرف النقيض للنظام الغربي المعاصر الذي يخلط العمل والنشاط الاجتماعي بالتمتع الجنسي) .

وكذلك قام الأستاذ المطهري في كتاب (نظام المرأة في الإسلام) بعرض إحدى أهم المسائل الحيوية في المجتمع أي مسألة نظام حقوق المرأة . وفي هذا الكتاب القيم ابتدأ كعادته في سائر آثاره الثمينة بالبحث عن علل عرض هذا الموضوع وجذوره .

وبعد ذلك أشار إلى نظام حقوق المرأة في القرن الكريم ، ثم شرع في البحث عن أصل الموضوع من الجوانب المختلفة فلسفياً وسيكولوجياً وإجتماعياً . واعتمد في ذلك أيضاً علىٰ القرآن والسنة النبوية وأحاديث أئمة أهل البيت(عليهم السلام) .

وحينما عرضت صحف النظام الحاكم موضوع إستقلال الثقافة الإيرانية الأصيلة وفصلها عن الإسلام ، ونضال الشعب الإيراني في صيانة الثقافة من نفوذ الثقافة الإسلامية ، وتداولت هذه المسألة محافل المثقفين ومجالسهم ، وبادر المحققون والأساتذة المتخصصون في

شؤون إيران - كما يزعمون - إلى البح والتحقيق عنها.

ألّف الأستاذ كتابه القيم (الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران)، وأوضح في هذا الكتاب جذور الشعار الاستعماري الذي ينادي بالقومية، وأثبت فيه إيمان الإيرانيين وتحمسهم للإسلام بعد خلاصهم من قيود الاستضعاف الساساني، وأنهم جاهدوا في صيانة الثقافة الإسلامية واستغنائها واستند في ذلك إلى الآثار والشواهد التاريخية.

وهذا الكتاب من حيث قوة المنطق والاستدلال والاعتماد علىٰ الشواهد التاريخية المسلمة في إثبات مسائله قد بلغ حداً يفضح وإلى الأبد هذه الشعارات المشؤومة التي ينادي بها القوميون الوطنيون، ويثبت أنها نداءات فارغة واستعمارية. قال الأستاذ في فصل من هذا الكتاب:

(لم يجد الاستعمار لتنفيذ خطته المعروفة (فرّق تسد) وسيلة أقرب من لفت أنظار الشعوب الإسلامية المختلفة إلى قوميتهم وعنصريتهم، وأن يشغل بالهم بمجدهم الموهوم.

يقول لليهود؛ أنكم شعب عريق في كيت وكيت، ويقول للترك؛ هيا أسسوا حركة الشباب الترك والقومية التركية، ويقول للعرب - وهم مستعدون لقبول هذه التعصبات أكثر من غيرهم -؛ اعتمدوا علىٰ العروبة والقومية العربية، ويقول للإيراني: إنّك من الشعب الآري، فيجب أن لا تقيس نفسك بسائر الشعوب، وخصوصاً العرب، فإنّهم من الشعوب السامية..).

وقال في موضع آخر من الكتاب:

(إن الشؤون المشتركة بين الإسلام وإيران تعد من مفاهرهما معاً. أما الإسلام فلأنه الدين الذي استطاع بمحتواه القويم أن يجب إليه شعباً ذكياً متحضراً مثقفاً وأما إيران فلأنه شعب ترك التعصب وخضع للحق وضحّى في سبيله أكثر من غيره من الشعوب بمقتضى روحه الساعية وراء الحق والمحبة للثقافة).

وكذلك تجلّى كفاحه الإيديولوجي المؤقت في كتب من قبيل (ختم النبوة) (والرسول الأمي) و(السلوك الجنسي في الغرب). ففي هذه الكتب قام الأستاذ أيضاً بالرد علىٰ الشبهات التي كان يلقيها النظام الحاكم لتضعيف الدين الإسلامي.

* * *

٢ - الجهاد الإيديولوجي الطويل الأمد:

كانت الوجهة الأصيلة لكفاح الأستاذ نفي الأساس الفكري العقائدي للثقافة الأجنبية وتبعه سحق جميع مظاهر الشرك والإنحراف والإلتقاط في المجتمع. ولا شك أن المطهري ما كان يكتفي في كفاحه بمجرد نفي الأسس الفكرية الثقافية الأجنبية إذ لا يمكن الحصول علىٰ النتيجة المطلوبة بمجرد المواجهة السلبية لتلك الأفكار بل لا بد مع الجانب السلبي من كفاح إيجابي أيضاً، وهو عرض نظام فكري وأساس فلسفي قوي وأصيل يمكنه المقاومة تجاه الثقافة المهاجمة.

وكان الأستاذ واثقاً من أنّ الإسلام هو الطريق الوحيد لإنقاذ الشعوب المحرومة من مخالب الاستعمار والاستثمار، فالواجب هو تعريف المجتمع بالفكر الإسلامي.

وكان بإمكانه بفضل قدرته العلمية ونظرته الثاقبة أن يفتح أبواب الحوزة العلمية علىٰ المجتمع المثقف، ويكشف الستار عن وجه العلوم الإسلامية وأن يعرض علىٰ المجتمع الأصول الفكرية والعقائدية للإسلام كنظام فكري، وذلك بالاستعانة بالمنابع والذخائر العظيمة القيمة الموجودة في الحوزة العلمية.

هذا في حين أن الأغلبية من أصحاب القلم والبيان من علماء الدين كانوا ممن لم يدرك الوضع الخطير الفجيع الذي يهدد كيان الإسلام وبين من لم يستطع المواجهة الصحيحة للوضع الحاضر الذي أوجدته المخططات الدقيقة المرسومة من قبل النظام من جانب والحركات الالتقاطية من جانب آخر، فالكتب والمقاولات المنتشرة كانت إمّا سطحية ومكررة وإمّا فاقدة للأصول الأساسية في الفكر الإسلامي.

* * *

والأستاذ أقدم علىٰ ملء هذا الفراغ في برنامج طويل الأمد كما يلي:

أ - مواجهة الخط الالتقاطي مع الغرب:

كان الأستاذ يدرك تماماً أن كلا سبيلي الالتقاط اليميني واليساري

تتصل جذورهما المفرط بالعلم والنظرية الحسية، ولذلك كان يعلن مخالفته للاعتماد علىٰ التجربة بصورة مطلقة، وكان يرى ذلك خطراً عظيماً علىٰ الفكر الديني. وكان يعلم بأن هذا النوع من التفكير يمهّد السبيل للتفسير المادي للقرآن والأحاديث.

قال الأستاذ لأحد الأخوان في لزوم المعارضة مع الخطر الإلتقاطي الغربي:

(إن هذه الحركة الفكرية لا تنحصر في إيران فحسب بل لها سوابق ممتدة في الدول العربية، فالمفكرون المسلمون العرب من قبيل سيد قطب وفريد وجدي وأبو الحسن ندوي و... كانوا ينادون بهذا النوع من التفكير).

إنّ البلدان العربية سبقتنا في هذا المجال حوالي (٥٠) سنة وتأثروا بالثقافة الغربية، وتدنّست ثقافتهم بها، وقد راجت هذه الأفكار بينهم بسبب بعض المسائل الثقافية، فلا بد من مكافحة هذه الأفكار بأسلوب صحيح مع ملاحظة الظروف الخاصة ولصيانة الفكر الإسلامي.

والأستاذ في مواجهته مع الأفكار الإنحرافية غالباً ما كان يأخذ بالبحث والنقد أسس تلك الأفكار ومبانيها فينضب الجدول الإنحرافي من المنبع. فحينما شاع التفكير الالتقاطي الغربي بين المتديّنين، واشتدت الهجمات علىٰ الفكر الفلسفي من قبل هذا الخط وعرف المنطق التجريبي بأنه الطريق الوحيد لمعرفة مضامين القرآن، نشر

الأستاذ المجلد الأول من كتاب (أصول الفلسفة) وكانت هذه أول خطوة قام بها المطهري في طريق الكفاح الطويل.

وهذا الكتاب (أصول الفلسفة) يشرح بلسان مبسط أهم مسائل الفلسفة الإسلامية، ويشتمل علىٰ تعاليق مفصلة وعميقة من الأستاذ الأمر الذي زاد في قيمة الكتاب مضموناً ودقة، وقد أوضح فيه أصالة الفلسفة الإسلامية واستغناءها من حيث المحتوى بالنسبة إلى الكتب الموجودة وأعلاها مضموناً، ويعتبر حتى الآن أرقى كتاب فلسفي يستفيد منه المتعطشون للحقيقة.

وقد قام الأستاذ في هذا الكتاب مسايراً للأصل بتعريف الفلسفة الإسلامية وتوضيح قصور المنطق الحسي والتجريبي في تبيين قسم من المجهولات البشرية ـ كتفسير الكون والمعارف الإلهية ـ وبيَّن فيه خصائص التعقل والتفكير الفلسفي في هذا المجال.

قال الأستاذ حول مضمون الكتاب:

(هذا الكتاب يشتمل علىٰ مجموعة المسائل الفلسفية بصورة مختصرة، ويبيِّن فيها أهم المسائل الفلسفية مع محاولة تبسيط الأسلوب والبيان حد الإمكان ليستطيع كل أولئك الذين يتمتعون بذوق فلسفي ومعلومات مختصرة أن يستفيدوا منه كل بقد إمكانياته، ولذلك تجنبنا سرد الأدلة والبراهين المتعددة في كل مورد، واكتفينا لإثبات كل دعوى بذكر أبسط الطرق والبراهين).

وقد دوَّن هذا الكتاب ودرس في البداية من قبل المرحوم العلامة

الطباطبائي علىٰ صورة مقالات متعددة، ولكنه كان صعب التناول بسبب إجمال المطالب وتعقد بيان العلامة في اللغة الفارسية. ولذلك طلب العلامة من الأستاذ المطهري أن يشرح مطالب المتن ويعلّق عليها حتى يكون الكتاب مبسطاً سهل التناول لعامة المثقفين، وقام الأستاذ بهذه المهمة خير قيام ونشر كتاب (أصول الفلسفة) بهذا الوجه المقبول.

وفي مواجهة للأستاذ مع أصالة الإنسان والفكر الالتقاطي الغربي أخذ بالنقد والبحث عن أسس معرفة الإنسان في المدرسة الغربية وأوضح نقاط التناقض فيها. والذي يدل علىٰ شدة اهتمامه بهذا الموضوع الهام هو خطبة ومقالاته العديدة حول الإنسان وكرامته في الإسلام والمقارنة بين التفسير الإسلامي للإنسان ومسلك أصالة الإنسان.

إنّ هذا المسلك يقول بذاتية الإنسان وأصالته تجاه الباري جل وعلا، وبعبارة أخرى يقول باستقلال الإنسان وأصابته الذاتية في حد نفسه، وهذا يناقض التفسير الإسلامي للإنسان الذي يقول بأن أصالة الإنسان ترتبط بتعلقه بالله وهجرته عن ذاته وأن كرامته منحة من الله ومن إفاضة مقام الخلافة الإلهية له. وقد أثبت الأستاذ أن الأساس الفلسفي لمسلك أصالة الإنسان ينتهي أخيراً إلى تحقير الإنسان ومسخه وعبوديته، قال الأستاذ حول هذا الموضوع عن كتاب (الإنسان والإيمان):

(إنّ هذه النظرية لا تؤدي إلى نفي أصالة التمايلات الفطرية في

الإنسان كحبه للحقيقة والخير والجمال والخالق فحسب بل تؤدي أيضاً إلى نفي أصالة الميل إلى الواقع في ملاحظة الإنسان للكون والواقع الخارجي).

وقال في موضع آخر حول هذا المسلك عن كتاب (الإنسان في القرآن):

(إنّ أمثال (أوغست كونت) الذين يبحثون عن دين الإنسانية يربّون هذا الفكر في أذهانهم، وهذا هو مشكل أصالة الإنسان الذي أصبح فلسفة العصر تقريباً وينادي به - علىٰ الأغلب - المثقفون.

هذه النظرية ترى الإنسان أمراً وحدانياً وراء الطبقات والقوميات والثقافات والأديان والألوان والشعوب والأقوام وتنفي كل تمييز وتفاوت.

وعلى هذه الفلسفة تعتمد البيانات الصادرة باسم حقوق البشر في العالم وتنشر هذا الأسلوب من معرفة الذات. ولكنها في الواقع - مع أنها تظهر منطقية أكثر من غيرها ومع كل ما انتشر لها من دعاية - أبعد الفلسفات عن الواقع. لماذا؟

إن السرّ يكمن في كيفية وجود الإنسان وحقيقة ذاته. فهو يختلف في كيفية وجوده وحقيقته عن جميع أنواع الموجودات من الجمادات والنبات والحيوان. وذلك من جهة أن كل شيء يوجد ويخلق في هذا الكون فماهيته وواقعه إنّما هو ما تصنعه عوامل الخلقة، ولكن الإنسان بعد خلقه يبدأ مرحلة الكينونة بأن يكون علىٰ أي وجه

فالإنسان ليس هو الشيء الذي خلق بل هو الشيء الذي يريد أن يكون. وهو الشيء الذي تصنعه مجموعة من العوامل التربوية، ومنها إرادته واختياره).

وقال في موضع آخر حول سخافة هذه النظرية الغريبة كتاب (الإنسان في القرآن):

(إنّ (برتداند راسل) الفيلسوف والرياضي البريطاني المعروف، (وجان بول سارتر) الفيلسوف الوجودي الفرنسي من الشخصيات البارزة القائلة بأصالة الإنسان في عصرنا الحاضر، ومن الغريب أنّ (راسل) بنى فلسفته الأخلاقية علىٰ أساس يتناقض مع أصالة الإنسان.

فإنّ مبنى فلسفة الأخلاق لدى (راسل) هو المصلحة الشخصية أي أنه يرى أساس الأخلاق كسب المصلحة الأكثر والأرقى في ظل الأصول الخلقية ولا يقول بفلسفة أخرى للأخلاق، وهنا نجد أن أصالة الإنسان لدى (راسل) كيف انتهت إلى عبودية المصلحة الشخصية.

وأما أصالة الإنسان (لدى سارتر) فالنتجية البارزة لها هو دمع التماسح التي يصبها بين فترة وأخرى علىٰ مظلومية إسرائيل وتأمله، ومن الظلم الذي جرى عليها من قبل العرب، وخصوصاً من اللاجئين الفلسطينيين).

ولم يكتف الأستاذ بتأليف الكتب الكثيرة في سبيل إيقاف حركة الإلتقاط والأفكار الغريبة بل بذل غاية جهده عملياً في توجيه أفكار المثقفين. ولهذا السبب بالذات اختار جامعة طهران كموقع

استراتيجي ليكون مرتبطاً دائماً بالمثقفين المتدينين والمستغربين المغفلين علىٰ حد سواء.

وكان منذ عام (١٣٣٧هـ.ش) (١٣٧٩هـ.ق) حتى سنة (١٣٥٠ هـ.ش) (١٣٩٢هـ. ق) بل بعده أيضاً من خطباء الجمعية الإسلامية للأطباء بصورة دائمية تقريباً، وأكثر مؤلفات الأستاذ من نتاج تلك الخطب.

ومن جهة أخرى كان المطهري باستقراره في الجامعة همزة وصل بين الحوزة العلمية والجامعة وكم من رجال جامعيين جذبهم الأستاذ نحو الحوزة للتعليم والتعلّم، وهكذا كان العلامة المطهري أحد الرجال الذين فتحوا باب كل من هذين المركزين الاجتماعيين العظيمين تجاه الآخر.

* * *

ب - مواجهة الخط الإلتقاطي مع الشرق:

مع تصاعد أمواج الثورة وازدياد سرعة الحكة النضالية لم تتمكن حركة الالتقاط مع الغرب من الاستمرار، نظراً إلى عدم تطابقها مع الظروف النضالية، فخرجت من ساحة المعلاكة وخلّفت بعدها الفكر الإلتقاطي مع الشرق.

وهذا الفكر بسبب أرضيته المساعدة انتشر بسرعة بين الشباب، ولذلك كان خطره أكبر من الفكر السابق، ومن هنا اهتم الأستاذ بهذا الخط أكثر من الخط الالتقاطي الغربي. ولم يتوان الأستاذ في مسير

هذا النضال المستمر الطويل بفضل عزيمته القوية وقدرته الفائقة، وتلقى في هذا السبيل أنواع التهكم والتهكم من أصحاب الأفكار الملفقة مع الفكر الشرقي.

وأمام هذه الهجمات كان كالأب الشفوق يمسح بيد العطف والرحمة صابراً محتسباً علىٰ مفارق الشباب المغفل الذي لم يجد له ملجأ ولم يعتمد علىٰ ركن وثيق، وكان يرى أنّ هذه الشكوك والوساوس ستكون مقدمة للفلاح والهداية.

كان واثقاً مطمئناً بأصالة الإسلام وعظمة مباينة الثقافة والعقائدية، وغلبته علىٰ الإيديولوجيات الشرقية والغربية، ولذلك لم يمتنع بكل شامة ورحابة صدر من ترغيب الشباب علىٰ إبداء شكوكهم، وأراد بذلك أن يهدم وإلى البناء الفكري القديم البالي الذي اكتسبه الشباب من الإسلام التقليدي والسنن الخرافية والذي يعتبر أهم العوامل لنمو الأفكار الانحرافية. فإذا تهدم هذا البناء بالشكوك أمكن أن يبني مكانها البناء العقائدي الأصيل عظيماً متماسكاً لا تهدمه الزلازل المرجفة. قال الأستاذ في هذا الموضوع (عن كتاب العدل الإلهي):

(إنّ هذا العصر عصر الاضطراب والشك في المسائل الدينية خصوصاً بالنسبة إلى طبقة الشباب، فهذه المجموعة من الأسئلة والشكوك الحديثة من متطلبات العصر ومقتضيات الزمان بل قد تجددت بعض الأسئلة القديمة أيضاً.

فهل تستوجب هذه الشكوك والوساوس والأسئلة التي ربما تصل

حد الإفراط أن نتأثر ونأسف أم تستوجب أن نستقبلها مغتبطين فرحين؟ إنني أعتقد أنه لا داعي للقلق والتأسف فإن الشك مقدمة اليقين، والسؤال مقدمة الوصول، والاضطراب مقدمة الاطمئنان، فالشك معبر وطريق حسن وضروري، ولكنه مسكن ومنزل غير مناسب، والإسلام حيث يكثر الدعوة إلى التدبر واليقين يعلمنا ضمناً أن الحالة الأولى للبشر هي الجهل والشك والترديد وأنه يصل إلى مرحلة اليقين والاطمئنان بفضل التدبر والتفكير الصحيح. قال أحد الحكماء:

«يكفي في فائدة الكلام أن يكون موجباً للشك والترديد، فيبعثك إلى البحث عن الحق واليقين»، الشك هو القلق، ولكن ليس كل ارتياح مفضلاً علىٰ هذا القلق، فالحيوان لا يشك ولكنه هل يصل إلى مرحلة اليقين والإيمان؟ فهذا النوع من الارتياح في مرتبة دون الشك، ولكن ارتياح أهل اليقين فوق الشك).

كان الأستاذ يتألم جداً من وجود الأفكار التلفيقية والانحرافية، قال حول هذا الموضوع:

(كل حركة إجتماعية لا بد لها من الإعتماد علىٰ حركة فكرية وثقافية وإلا فستقع في شباك الحركات التي تتمتع برصيد ثقافي وتنصهر فيها، فتغير مسيرها لا محالة، كما رأينا الجماعة الذين لا يملكون من رصيد الثقافة الإسلامية شيئاً كيف وقعوا كالذباب في نسيج العنكبوت.

ومن جهة أخرى لا بد لكل حركة ثقافية إسلامية تريد أن تكون رصيد الحركة إجتماعية أنْ تتغذى وتنشأ من متن يقافتنا العريقة لا الثقافات الأخرى.

فلا يكفي أن نلتقط أصولاً من سائر الثقافات كالفلسفة الماركسية كان يحاول أنْ يستخرج إجابة المسائل من ذخائر الثقافة الإسلامية الثمينة ويبينها ويشرحها. وقد وفق في هذه الطريقة للحصول علىٰ نتائج عظيمة.

وحول نظرية المعرفة عرض الأستاذ بتفصيل جميع جوانبها من وجهة النظر الإسلامية، والمباحث التي بينها في الخطب التي ألقاها بصدد تشريح نظرية المعرفة تبين لنا بوضوح مدى شخصيته العظيمة وثباته أمام الأمواج الالتقاطية والتثقيفية المعاصرة.

وقد اعتمد الأستاذ في هذه الخطب علىٰ الآيات والروايات والفلسفة الإسلامية وبيَّن نظرية المعرفة علىٰ أساس الاعتقاد بالنفس المجردة، فعرض الأبحاث الفلسفية حول الوجود الذهني واتحاد العاقل والمعقول وتقييم المعلومات البشرية وغير ذلك في أسلوب شيق، وأخذ يعدّ منابع المعرفة وأسبابها.

وأكد علىٰ حصول المعرفة عن طريق القلب دور التقوى والتزكية وصفاء الباطن في المعرفة وذلك في ذلك الجو الساخن بالنظريات الحسية والمادية حيث لم يكن يجرؤ أحد علىٰ الاعتراف بوسيلة للمعرفة خارجة عن نطاق التجربة إلا وتنصب عليه اللعنات من جانب إله العلم التجريبي.

وعندما كان الأستاذ يبين الأفكار الالتقاطية لنقدها والرد عليها لم يكن يكتفي بذكر أدلتهم التي يستندون إليها بل كان يأتي بدلائل جديدة لإثبات عقائدهم لم تصل إليها عقولهم القاصرة، ثم يأتي عليها جميعاً فينفذها واحدة تلو الأخرى. وتتبين هذه الملاحظة الدالة علىٰ عمق تفكيره وحدَّة نظره بمراجعة مقالته (بحث حول التقسيم الطبقي من وجهة نظر القرآن).

وأبحاث الأستاذ حول مسألة الكون والوجود كثيرة جداً، فكتاب (أصول الفلسفة) وأكثر خطبه ومقالاته تدور حول هذا المحور. وقد جمع مختصراً من كليات تلك الأبحاث في المجلد الثاني من كتاب (التفسير التوحيدي للكون). وكان سر قدرته في هذه الأبحاث يكمن في مسلكه الفلسفي حول الكون والوجود ومعرفة الكون.

والمطهري في صراع دائم مع الأفكار المنحرفة، وقد ألّف كتابيه (التفسير التوحيدي للكون) و(الحياة الخالدة) بصورة مختصرة وجامعة وضمنها الأبحاث الطويلة الفلسفية والفقهية والتفسيرية ونحوها وذلك بصدد عرض مسائل الكون والوجود بصورة منتظمة.

وقد أوضح في كتاب (التفسير التوحيدي للكون) نظرة الإسلام إلى العالم وبهذه المناسبة عرض فيه مسائل التوحيد والعدل والحكمة البالغة الإلهية. فابتدأ فيه بتعريف تفسير الكون ثم تعرض لأهمية هذا التفسير وأن جميع الأديان والشرائع والمدارس والفلسفات الاجتماعية تعتمد علىٰ نوع من تفسير الكون، وبعد ذلك أشار إلى الفرق بين تفسير الكون والأحساس به ثم استنتج من مجموعة ذلك قوله:

(إن كل تفسير للكون إنما يمكن أن يقع عماداً لإيديولوجية أو سنداً لإيمان إذا كان يعتمد علىٰ الدين في صياغتها وصبغتها).

وفي النهاية تعرض لموضوع الإنسان ووصول الوقاع الوجودي له إلى مرحلة الاتحاد، وكذلك بلوغ المجتمع البشري إلى مرحلة الاتحاد والتماسك في نظام إجتماعي متضامن متكامل. وتعرض أيضاً لثلاث نظريات في هذا الموضوع: المادية، والمثالية، والواقعية، وجعلها مورداً للبحث والمقارنة واختار أخيراً النظرية الواقعية التي هي نظرية (الإس لام)، فقال:

(إنّ المراد بالمجتمع اللاطبقي الإسلامي هو؛ المجتمع بدون تمييز وبدون محروم وبدون طاغوت، والمجتمع العادل بدون ظلم، لا المجتمع بدون إختلاف فإنّه بنفسه نوع من الظلم وسلب العدالة، فهناك فرق بين التمييز والاختلاف، كما أنّ نظام الكون فيه إختلاف أيضاً، وهذه الاختلافات هي التي أضفت علىٰ الكون الجمال والتنوع ودفعته إلى التطور والتكامل، ولكن ليس فيه تمييز، فالمدينة الفاضلة الإسلامية ضد التمييز لا ضد الاختلاف. المجتمع الإسلامي مجتمع التساوي والتعادل والإخاء).

وقال في موضع آخر:

(المجتمع الإسلامي مجتمع طبيعي لا مجتمع التبعيض، ولا مجتمع التساوي المنفي، وشعار الإسلام: العمل بمقدار القدرة، والاستحقاق بمقدار العمل).

وأبدى الأستاذ المطهري نظريات جديدة أيضاً في مسألة المجتمع والتأريخ، وهذه المسألة - ومع الأسف - من المسائل التي قلَّ التوجه إليها من قبل فلاسفة الإسلام. فقلّما نجد في الكتب الإسلامية بحثاً حول المجتمع والتاريخ.

وبدأ الأستاذ بحثه في كتاب (المجتمع والتاريخ) عن بدء نشوء المجتمع ونوعية تركبه من الأفراد، ثم أثبت مستنداً إلى الآيات القرآنية والأحاديث أنّ النظريات الالتقاطية حول هذا الموضوع مرفوضة من قبل القرآن الكريم.

وكما قلنا فإنّ مواجهة المطهري للثقافة الغربية والأفكار الالتقاطية كانت دقيقة مدروسة فلم يكن يكتفي بنفيها وردها بل كلّما أعلن عن فكر انحرافي عقَّبه فوراً بآرائه النظرية الصحيحة في ذلك الموضوع بالذات.

وبعبارة أخرى كانت مواجهته مع الانحراف والالتقاط مواجهة إيجابية أكثر من كونها سلبية، وقلنا أيضاً أنّ هذه الميزة التي كان يتمتع بها الأستاذ إنّما كانت بسبب علو مقامه العلمي وعمق تفكيره في المعارف الإسلامية.

فهذا العمق والمحتوى من جانب والإيمان والالتزام والشعور بالمسؤولية من جانب آخر مع سعة إطلاعه في المشاكل الإجتماعية صنعت منه معلماً إيديولوجياً بارزاً. فكان يواجه المشاكل بقوة الفقاهة، والاجتهاد ويدخل المعركة في كل المجالات وهو غني عن العلوم.

وللأستاذ أيضاً تحقيقات واسعة حول الاقتصاد والملكية، ولكنه - مع الأسف - استشهد قبل أن يتم عمله في هذا المجال. ولقد أبدى الأستاذ المطهري حول ملكية الآلة الصناعية إحتمالاً يفتح باباً فقيهاً جديداً فيحل المشكلة الاقتصادية العصرية.

وقد ذكر هذا الاحتمال في بعض ملاحظاته التي سجلها حول الاقتصاد الإسلامي، ولكنها بقيت غير منقحة، ولذلك لم تطبع حتى الآن.

والظاهر أنّه لم يوفق لمراجعتها، ولذلك لا يمكن إسناد ذلك إليه بعنوان نظرية إقتصادية إلا أنه كما قلنا يفتح أفقاً جديداً في الاقتصاد الإسلام وإن كان في أصله مجرد احتمال.

قال الأستاذ:

(وفي رأينا أن للرأسمالية الحديثة ميزة خاصة تجعل منها موضوعاً جديداً في الأبحاث الفقهية وهي بروز الآلة الصناعية علىٰ المسرح الاقتصادي، فدور الآلة ليس مجرد تحسين وسائل الإنتاج واستخدام الإنتاج واستخدام الإنسان لآلة متطورة في عمله الإنتاجي.

بل إن التكنولوجيا الحديثة قد جعلت الآلة بديلاً للإنسان، فالآلة الصناعية مظهر الفكر والطاقة والإرادة الإنسانية وتكامل المجتمع، وتبلور الحضارة البشرية في طول التاريخ، وحصيلة جهود الإنسان طيلة قرون متمادية. فالآلة بديلة للإنسان لا وسيلة في يده، وهي

إنسان صناعي. والآلة تنتج القيمة الفائضة. بمعنى أنها تنتج مئات أضعاف الطاقة التي صرفت لصنعها.

والميزة التي إختصت بها الرأسمالية الحديثة هي أن الإنسان الرأسمالي يملك في حوزته الآلة الصناعية مع هذه القدرة الفائقة التي تتمتع بها وهو لم يخلقها ولم يخترعها، وإنّما إشتراها وتملكها. فهل يمكن أنْ يكون هذا المورد الاقتصادي الضخم ملكياً شخصياً أم يجب أن نعتبره كسائر المورد الطبيعية ملكاً لعامة المجتمع؟).

* * *

ج - مواجهة الماركسية:

كانت الحركات الالتقاطية تهدد الإسلام دائماً بالإيديولوجية الماركسية، فلم تمكن معارضة الالتقاط إلا مع مواجهة منطقية مع الأصول الفكرية الماركسية التي كانت منبع الالتقاط ومن هنا كان الأستاذ يهتم بهذه الفلسفة أكثر من أي أيديولوجية أجنبية أخرى.

كان الأستاذ يعرف الماركسية جيدً بسبب تبحره في الفلسفة ومعرفته للفلسفة الأوروبية، ومن هنا كان الأستاذ أول من عرض فكراً جديداً في نقد والبحث الفلسفي حول الماركسية، فهناك الخطب والمقالات التي خصها بالمادية والماركسية مضافاً إلى شريط مسجل يبلغ ثمانين ساعة حول ماركس والماركسية يعد من أعمق الأبحاث في هذا الموضوع.

وقد بدأ الأستاذ نضاله ضد الماركسية من كتابه (أصول الفلسفة)

حوالي سنة (١٣٢٠ هـ.ش)، الموافق لعام (١٣٨٢هـ.ق)، وإنْ كان الكتاب أثمن بكثير من أن يخصص بالرد علىٰ الماركسية - كما أشار إليه الأستاذ في مقدمة الكتابة - ولكن علىٰ كل حال ففي كل موضوع يتعرض له الكتاب بعد ذلك آراء الفلاسفة المسلمين يذكر في التعليقة نظريات سائر المدارس الفلسفية بما فيها الماركسية ويعقبها بالبحث والنقد.

إنّ التحقيق حول الماركسية يعد جانباً من إختصاص المطهري، فقد قضى شطراً كبيراً من عمره في المطالعة والتنقيب عن الماركسية، وعرف بوضوح وجوه افتراقها عن الفلسفة الإلهية. كما بحث أيضاً عن أسباب التمايل نحو المادية والماركسية في إيران والعالم، وسجلها في كتابه (أسباب التمايل نحو المادية)، وتعرض فيه لهذا الموضوع من الجانب الفلسفي والديني والتاريخي والاجتماعي والاقتصادي.

ولم يغفل الأستاذ أن يعد من الأسباب الهامة التي أدت إلى هذا التمايل ضعف المتدينين وجمودهم، ولم يدافع أمام هذا الإلحاد وشرك القرن العشرين عن جمود الأفكار المتحجرة. قال الأستاذ في كتابه المذكور (أسباب التمايل نحو المادية):

(إنّ العلل والأسباب التي ذكرناها من قبيل قصور مفاهيم الكنيسة، أو صور المفاهيم الدينية و.. إمّا أنها مختصة بالعصور السابقة ليس لها دور في تمايلات عصرنا نحو المادية، أو أنها من الأسباب المشتركة بين القديم والجديد ولا تختص بعصرنا، وهنا نريد

أنْ نذكر أسباب التمايلات المادية الخاصة بعصرنا.

ففي هذا العصر نجد أنّ المادية لها نوع من الجاذبية تقريباً، ولكن ليست من نوع الجاذبية التي كانت لها في القرنين السابقين من جهة تلازمها المزعوم مع العلم والثقافة. ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهرت موجة دعائية من جراء قصور المفاهيم الكنيسية والفلسفة الأوروبية بأن الإيمان بالله والدين لا يجتمعان مع العلم، فإمّا هذا وإما ذاك. ولكن هذه الموجة لم تدم طويلاً فتبين أن هذه الدعاية لا أساس لها. فجاذبية المادي في عصرنا من جهة أخرى وهي الطابع الثوري والجدلي والنضالي الذي عرفت به).

ثم أشار الأستاذ إلى أنّ أكثر الثورات المعاصرة إما أنها ماركسية أو متمايلة إليها، وفي قبال ذلك ليس للدين في هذا الزمان تلك الروح الحماسية للنضال مع الاستثمار والاستبداد. وفي ذلك أسباب هذه الظاهرة قال المطهري عن كتاب (أسباب التمايل نحو المادية):

(.. حقاً إنّ هذا لعجيب ممن يدَّعون متابعة القرآن. ونحن نرى أنّ خروج المؤمنين بالله من ساحة المعركة واحتلالها من قبل أتباع المادية لكل منهما سبب خاص. فالساحة إنما خلت من المؤمنين حينما أصبح المدعون للقيادة الدينية يطلبون العافين.

وبعبارة أصح إنّما حدثت هذه الظاهرة حينما جاء بعض الطالبين للعافية والحياة العادية و. بتعبير الدين - بعض أهل الدنيا واحتلوا مقام الأنبياء والأئمة، واشتبه الأمر على الناس فاعتبروهم ممثلين وخلفاء

للأنبياء والأئمة مع أن سلوكهم ونفسيتهم في طرف النقيض لسلوك الأنبياء والأئمة وأتباعهم الحقيقيين ونفسياتهم، وإذا كان هناك تشابه بين الفريقين فإنّما هو في شيء يسير من المظهر الخارجي.

* * *

د - التعرّف علىٰ العلوم الإسلامية:

كان المجتمع الإيراني قبل الثورة بسنسن لا يملك عن الحوزات العلمية الدينية إلا تصورات مبهمة كالشبح ولا يعلم ماذا يجري هناك، وقلّما من كان يعرف مواضيع العلوم الإسلامية، والمسائل التي تدرس في الحوزات العلمية، وما هي المقدمات التي يتوقف عليها البحث عن القرآن الكريم، وإدراك معانيه، والتعرف علىٰ الأبعاد المختلفة للفكر الإسلامي.

وبعد أنْ شاعت الأفكار الالتقاطية حدث في المجتمع هذا التصور الخاطىء، وهو أنّ بإمكان كل واحد يملك قرآناً مع ترجمته الفارسية، ومعجماً مفهرساً أن يفسر الآيات القرآنية بلا تردد، ويشرح الأحكام الشرعية. ومن الواضح أنّ هذا الإستخفاف بالحقائق القرآنية والإسلامية كان يشكل خطراً عظيماً.

وفي هذا المجال قام الأستاذ بتعريف المجتمع علىٰ العلوم الإسلامية ليعرف الناس وخصوصاً الشباب أولاً ماذا يجري في الحوزات العلمية، وثانياً ما هي الوسائل التي لا يستغني عنها الباحث عن المواضيع الإسلامية.

ولذلك ألَّف الأستاذ كتباً لتعريف العلوم الإسلامية، وحاول فيها أن يشرح ببيان مبسط قدر الإمكان، الأصول والمواضيع الكلية لمباني التفكير الإسلامي بما فيها الفلسفة والكلام والمنطق والفقه وأصول الفقه والعرفان و. .

ومراجعة هذه المجموعة من كتب الأستاذ بالرغم من صغر حجمها واختصار مطالبها التي هي مجرد تصوير إجمالي للمعارف الإسلامية لجديرة بأن تؤدي دوراً هاماً في منع الانحراف الناشيء من عدم التأمل وعدم نضج التفكير، وكذلك في توطيد المباني الفكرية والعقائدية.

ونحن إذا تأملنا آثار المؤلفين المسلمين وجدناها ضعيفة جداً من حيث أسلوب البيان وبساطة التعبير، وقلّما نجد في الكتب الأيديولوجية كتاباً سهل التناول يكون في نفس الوقت عميقاً في المطالب قوياً في الاستدلال.

ومع هذه الملاحظة إذا لاحظنا كتب الأستاذ من قبيل (الفقه وأصول الفقه) و(المنطق والفلسفة) و(العرفان) و. . التي دونها بتعبير بسيط وهي متن أبحاثه في الجامعة لرأينا فيها دقة النظر ورقة البيان وعظمة الفن وشفقة الأستاذ.

ولا يسعنا أن نتحسر علىٰ الأستاذ المطهري الذي بين المجدين والفضيلتين مداد العلماء ودماء الشهداء والتحق في هذا الطريق بشهداء الإسلام الأماجد كالشهيد الأول والشهيد الثاني و. . ولئن

استشهد فإنّ شمس دمائه المشرقة زادت سماء الإسلام مجداً وعظمة، وأفاضت بالنور والطاقة علىٰ الثورة الإسلامية، فمنحتها حياة وحركة جديدة.

وعاد الناس يلجؤون إلى الإسلام الأصيل، وينتفعون من عيونه البكر الصافية.. ويتطهّرون منها روحاً وجسماً لدى شروق فجر الأفكار من القيم العالية للفلسفة والعرفان..



الهجرة إلى طهران

وفي شوال عام (١٣٧١ هـ.ق/ ١٩٥١م) هاجر الأستاذ المطهري إلىٰ طهران ليبدأ فصلاً جديداً مليئاً بالأحداث والتطورات، وفي هذا العام نفسه بدأ نشاطاته العلمية وأنهى تأليف مقدمة الجزء الأول من كتاب «أصول الفلسفة» كما أنهىٰ حاشيته عليه في عام (١٣٧٢هـ.ق/ ١٩٥٢م).

وفي السنة التي تلته أنهىٰ شرح الجزء الثاني من هذا الكتاب، وعلىٰ الرغم من مرور أكثر من سبعة وثلاثين عاماً على هذا التأليف فما زال يمتاز بقوة البيان ومتانة الاستدلال.

والأستاذ المطهري شرع في نشاطاته السياسية في عام (١٣٧٢هـ.ق/ ١٩٥٢م) وواصلها إلىٰ نهاية عمره الشريف، وإن كان قبل ذلك وخلال دراسته في حوزة قم، قد ارتبط بمنظمة «فدائييّ الإسلام».

وبدءاً من عام (١٣٧٤ هـ.ق/ ١٩٥٤م) شرع الأستاذ المطهري بالتدريس في كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية التابعة لجامعة طهران، واستمر نشاطه العلمي فيها عشرين عاماً.

كما شكل حوزةً تدريسية في مدرسة (مروي) الدينية في طهران شملت مختلف العلوم الإسلامية خاصةً الفلسفة، وقد بدأ نشاطه

العلمي هذا في السنين الأولى من هجرته إلىٰ طهران واستمر إلىٰ ما قبل استشهاده بثلاثة أعوام.

وتعتبر فترة إقامة الأستاذ في طهران من أغنىٰ مراحل حياته المباركة وأكثرها ثماراً فقد شهدت القسم الأكبر من خدماته العلمية والتثقيفية تحقيقاً وتدريساً ومحاضرات ووعظاً وتبليغاً وسعياً لحل المشكلات الاجتماعية.

الكثير من أبناء الشعب الإيراني يعرفون عظمة الشخصية العلمية والإسلامية للأستاذ المطهري، ولكن اتساع أبعادها وشموليتها تستلزم البحث في مختلف هذه الأبعاد للتعرف عليها بصورة أدق.



الإحاطة بأبعاد الثقافة الإسلامية

من المميزات المهمة والخصائص البارزة للأستاذ، سعة إحاطته بالثقافة الإسلامية بشتّىٰ فروعها كالفقه والأدبيات والأصول والتفسير والحديث والفلسفة والأخلاق والعرفان والسير والسلوك(١)؛ وهنا من الضروري أن نتعرف علىٰ طبيعة نظرة الأستاذ المطهري للثقافة والمعارف الإسلامية.

فالأستاذ المطهري كان علىٰ إحاطة بالثقافة الإسلامية بمختلف

---

(١) يُراجع هنا وصف الإمام الخميني له بهذه الإحاطة في بيانه بمناسبة استشهاده وتأكيده على ندرته في ذلك.

فروعها، عارفاً بخلفيات ظهورها ومسيرها التاريخي، مهتماً خصوصاً بالقرآن والسنة ونهج البلاغة وسائر المراجع الإسلامية الأصيلة مستأنساً بها، وكان ينظر إليها نظرةً واقعية تؤكد أن أبناء الإسلام المخلصين يتعاملون بعشقٍ وإخلاص مع المعارف الإسلامية المُستقاة من القرآن والسنَّة ويتوجَّهون إليها لاستنطاقها وفقاً لمقتضيات الزمان والمسائل المستحدثة والحوادث الواقعة في كل عصر.

ويرىٰ الأستاذ أنه يجب العثور علىٰ المبادىء الإسلامية لجميع العلوم الإسلامية في تعليمات الإسلام والقرآن الكريم، فالإسلام دين شامل لا ينحصر في بُعدٍ واحد أو بعدين وهكذا هو القرآن الكريم مثلما أن الإنسان نفسه ذو أبعادٍ متعددة فلا يمكن تحجيم احتياجاته في بُعد واحد أو بعدين.

إن المعارف الإسلامية تشتمل علىٰ تعاليم وتوجهات لمختلف المجالات ولا يمكن بحال عزلها عن بعضها البعض مثلما نرىٰ في القرآن الكريم الذي جميع بين مختلف نواحي الحياة بصورة إعجازية محيِّرة، فمثلاً يجب أن تتجسد أصول العقائد الإسلامية ونظرتها تجاه قضايا الكون والحياة، في مختلف شؤون الحياة الإنسانية ونشاطاتها الفردية والاجتماعية الفكرية والعلمية، العبادية والسياسية والعلاقات الاجتماعية والتبليغ والإرشاد والتربية والتعليم والأخلاق وغير ذلك، ويمكن بهذه النظرة تكوين معرفة أدق وأشمل بمختلف أقسام المعارف الإسلامية.

فالآيات الكريمة المتعلقة بالأحكام والعبادات والمعاملات

والحدود والديات وغير ذلك شكلت الأساس الذي قام عليه علم «الفقه» باعتباره أحد فروع الثقافة الإسلامية.

والآيات المتحدثة عن أصول العقائد ومعارف المبدأ والمعاد شكلت الأرضية التي أوجدت «علم الكلام» و«الفلسفة الإسلامية»، وكذلك الحال مع التوجيهات الأخلاقية القرآنية التي استحوذت على اهتمام علماء «علم الأخلاق»، وهكذا بالنسبة لفروع الثقافة الإسلامية الأخرى.

ومما تقدم يتضح أن المعرفة بمختلف أبعاد المعارف القرآنية ومختلف العلوم الإسلامية، هي أمرٌ ضروري لا غنىٰ عنه للمفكر الإسلامي، إذ إن شرط المعرفة الصحيحة والعميقة بالإسلام هو أن ننظر إليه نظرةً شمولية لكافة جوانبه وأبعاده لتتضح لنا معالم جماله وجاذبيته بالصورة الفضلىٰ والكاملة.

العشق والإيمان والإخلاص

وإضافة إلىٰ هذه الشروط هناك عاملٌ مهم آخر في هذا المجال هو عامل صدق العشق والإيمان والإخلاص، فيجب الاستعانة بجناحي العلم والإيمان للتحليق في أجواء المعارف الإلهية بتوفيق إلهي، ومن مزايا الأستاذ المطهري تجسد هذين العاملين معاً في شخصيته، فقد كان محيطاً بجميع أبعاد الثقافة الإسلامية من جهة،

ومن جهة أخرىٰ كان عاشقاً للإسلام والقرآن بكل وجوده.

الأستاذ المطهري كان يبحث مختلف القضايا دون تعصب، فلم ينكر حقيقة تغلغل بعض الأفكار الأجنبية الدخيلة في الثقافة الإسلامية علىٰ مدىٰ القرون الأربعة عشر الماضية، إمَّا مكراً من الأعداء أو جهلاً من الأصدقاء بل وحتىٰ بعد تفجّر الثورة الإسلامية في إيران، كانت الأفكار الدخيلة تُروِّج تحت غطاءٍ إسلامي، من قبل الفئتين نفسيهما، أي الأعداء الماكرين أو الأصدقاء الجاهلين.

أما سبيل مواجهة هذه الأفكار الدخيلة والدفاع عن الإسلام النقي فيتمثلان في تبليغ ونشر الثقافة الإسلامية الأصيلة باللغة التي يفهمها الجيل المعاصر، فبالاستناد إلىٰ الفقه الإسلامي العريق يُعرْض «الاقتصاد الإسلامي»، و«النظام الحقوقي الإسلامي» و«النظام السياسي الإسلامي».

وبالاستناد إلىٰ الفلسفة والعرفان الإسلاميين تطرح «نظرية المعرفة والنظرة الكونية في الإسلام»، وبالاستفادة من المعارف القرآنية: تعرض «النظرية القرآنية تجاه حركة التأريخ» وهكذا وقد قدَّم الأستاذ المطهري خدمات جليلة في هذا التعريف وتبليغ الثقافة الإسلامية عبر هذا المنهاج.

إتقان اللغة العربية والفارسية

كان الأستاذ المطهري عارفاً بالأدبيات العربية بفروعها المختلفة كالصرف والنحو والبيان والبديع، وبالصورة الكاملة اللازمة لإعداد الأرضية التمهيدية لدراسة سائرة العلوم الإسلامية، وكان يدرّس فروع علوم العربية في حوزة قم خلال إقامته فيها، ويمكن الإشارة في هذا المجال إلىٰ تدريسه لـ«المطوَّل» مثلاً.

كما كان مطلعاً بإحاطة واسعة بآداب اللغة الفارسية، وهذه الإحاطة، إضافة إلىٰ الإحاطة بالعلوم الإسلامية مكّنت الأستاذ الشهيد من إدراك عمق تأثير الإسلام في الأدب الفارسي.

ونلاحظ هنا كثرة استشهاد الشيخ في كتبه بأشعار جلال الدين الرومي، وحافظ وسعدي الشيرازيين وغيرهم من فطاحل الشعراء الإيرانيين، بما يناسب موضوع كل بحث، وتمتاز شروح الأستاذ المطهري للأشعار العرفانية والفلسفية خاصة «ثنائيات الرومي» و«ديوان حافظ» بأهمية خاصة في هذا السياق.

ولعل هذه الإحاطة الواسعة بالأدب الفارسي الثري هي التي ميزت

كتابات المطهري بلغةٍ مؤثرةٍ وبيان وبلاغة قوية، فقلما نجد مثلاً، الكلمات الغريبة والصعبة في كتاباته.

ومعلومٌ أن هذا الأسلوب في الكتابة هو ميزة إيجابية مهمة لعالم كبير مثل المطهري حيث أن أمثاله من العلماء والفضلاء قضوا فترات طويلة من حياتهم مع المصطلحات العلمية المعقدة والمفردات العربية، وهذه الميزة هي نوعٌ من التضحية كما يصفها آية الله الجوادي الآملي.



الفقيه والأصولي

كان للأستاذ المطهري تبحّر كاملٌ بالفقه الإسلامي حتىٰ أن الإمام الخميني رَحِمَهُ الله وصفه بـ«الفقيه ذي الرتبة السامية»، وقد انتفع الأستاذ من دروس أساتذة كبار كآية الله العظمى البروجردي وآية الله السيد محمد المحقق «الداماد»، وقد واصل هو رحمة الله تدريس الفقه سنين طويلة في مدرسة «مروي» الدينية في طهران.

وبفضل إحاطته الكاملة بالفقه الإسلامي العريق، نجح الأستاذ المطهري في حل الكثير من المعضلات المعاصرة كتلك المربوطة بقضايا الحجاب وحقوق المرأة في الإسلام مثلاً.

ويعتبر كتاب «الحجاب وحقوق المرأة في الإسلام» من الكتب القيمة جداً للأستاذ المطهري التي ألّفها دفاعاً عن أحكام الفقه الإسلامي الأصيل.

هذا الكتاب التحقيقي النادر حول القضايا المربوطة بالمرأة هو ثمرة الذهن الوقاد الذي امتاز به المطهري في تحليل القضايا وإحاطته الكاملة بالعقيدة الإسلامية والفقه العريق.

وكان الأستاذ يهتم بالبحث الشامل في الأحكام الإسلامية التي تعرّضت للهجمات المضادة، ويمكن الإشارة هنا إلىٰ بحثه حول قضية «الرقّ» في الاتحاد الإسلامي للأطباء وكذل مباحثه «الإسلام ومقتضيات العصر».

أما بالنسبة لعلم «أصول الفقه» فقد درسه الأستاذ علىٰ أيدي آية الله العظمى البروجردي وآية الله العظمى الإمام الخميني، وقد استطاع اكتشاف جذور بعض مباحث الفلسفة الإسلامية في أقوال علماء الأصول وأوضح دورهم في الفلسفة الإسلامية، وهذه هي ثمرة اطلاعه علىٰ أفكار الأصوليين.

وكان للأستاذ المطهري دروسٌ متعددة في «أصول الفقه» كحلقة تدريسه لكتاب «الرسائل»، كما كتب منهاجاً مختصراً في أصول الفقه كجزء من المنهج الدراسي لطلبة كلية «الإلهيات».



علم الكلام والفلسفة الإسلامية

امتاز الأستاذ المطهري بتبحّر خاص في علم الكلام والإحاطة بأفكار وآراء المتكلمين المسلمين من جهة والاطلاع علىٰ الفلسفة الإسلامية وآراء أساطينها من جهة أخرىٰ، وبهذه الميزة يُعد المطهري من الثلة النوادر الذين فهموا الفلسفة الإسلامية حقاً وذاقوا حلاوة مطالبها وأدركوا أهمية هذا الميراث القيم.

وإذا أردنا أن نستعرض الخلفيات التاريخية لأفكار الشهيد المطهري وآرائه الفلسفية، فينبغي العودة إلىٰ مرحلة دراسته في حوزة مشهد حيث كان عمره ثلاثة عشر عاماً، ففي تلك الفترة كان الشهيد مهتماً بقوة شديدة بقضايا الاعتقاد ومعرفة الله التي تشكل أساس سائر المعارف الإسلامية، حيث أدرك حقيقة أن ما لم تُحلّ هذه القضايا فإن البحث في المواضيع الأخرىٰ لن يثمر سوىٰ إضاعة الوقت، يقول الأستاذ المطهري نفسه عن هذه المرحلة:

«أتذكّر فيما يمكنني أن أتذكرُه عن حالاتي الروحية، أني كنت في الثالثة عشر من عمري، عندما، أحسست بهذا الشعور في نفسي،

شعورٌ مرهفٌ بالنسبة إلىٰ المسائل الإلهية وأخذت تتوارد علىٰ ذهني الأسئلة المتوالية بما يناسب مستوىٰ فكري آنذاك.

وفي السنين الأولى لهجرتي إلىٰ «قم»، حيث لم أكن قد انتهيت من دراسة العلوم العربية، كنتُ غارقاً في خضم هذه الأفكار بحيث كنتُ شديد الميل للعزلة والانفراد، فلم أكن أتحمل وجود شريك لي في حجرة المدرسة، فاستبدلت الغرفة الممتازة في الطابق الثاني بحجرة صغيرة لأجل الاعتزال والخلو مع أفكاري الخاصة.

وكنت لا أرغب في ساعة الفراغ أن أفكر في موضوع آخر وفي الواقع كنتُ أرىٰ التفكير في أي موضعٍ قبل الانتهاء من حلِّ مسائل هذا الموضوع تضييعاً للوقت، وإنما كنت أدرس المقدمات، كعلوم الأدب العربي والفقه والأصول والمنطق لأتهيَّأ تدريجياً لدراسة أفكار الفلاسفة الكبار حول هذا الموضوع»[١].

ونحن اليوم نحمد الله تعالىٰ علىٰ أن كانت هذه الاعتلاجات الروحية والشكوك المقدسة هي فاتحة الطريق أمام خلاصة ونجاته من وادي الحيرة والشك والوصول إلىٰ ساحل «اليقين».

فهذه الشكوك هي التي دفعته إلىٰ طلب الحقيقة وتمحيص آراء الفلاسفة والمتكلّمين والعرفاء، والتدبّر وتحليل المعارف القرآنية والتوجيهات والتعليمات الواردة عن النبي الأكرم والأئمة الأطهار عليهم السلام.

---

(١) مقالة «المادية في إيران».

من خلال ذلك توصل إلىٰ نور الحقيقة وعثر علىٰ ضالته العزيزة فتضاعف لذلك إيمانه بأحقية الإسلام وترسخت واستحكمت فيه مشاعر العشق لهذا الدين المربي للإنسان، فأوقف حياته المباركة علىٰ تبليغه والتعريف بصورته المشرقة الوضاءة وحقائقه الأصيلة.

لقد أدرك الأستاذ المشكلة الأساسية جيداً، وساهمت اندفاعاته وعشقه لحل إشكالاتها إضافة إلىٰ حبّه وتعلّقه بالمعارف الإسلامية إلىٰ تقدمه ورقيه السريع بحيث استطاع خلال الخمسة عشر عاماً التي قضاها في حوزة قم للدراسة تشكيل حصيلة علمية ثرية في شتىٰ فروع العلوم الإسلامية.

وأنهىٰ دراسة العلوم العقلية والفلسفية الإسلامية خلال سبعة أعوام، وفي عام (١٣٧٢هـ.ق/ ١٩٥٢م) ألّف شرح الجزء الأول من كتاب «أصول الفلسفة» الذي امتاز بقوة الاستدلال وجمال البيان ولم تنقص الأعوام من قيمته شيئاً.

في عام (١٣٦٣ هـ.ق/ ١٩٤٤م) بدأ المطهري الدراسة المنهجية للعلوم العقلية وفي عام ١٣٦٩هـ.ق/ ١٩٤٩م اشترك في حلقة درس الأستاذ العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان (رضوان الله تعالىٰ عليه) حيث درس عنده الإلهيات وكتاب (الشفاء) لابن سينا، ثم اشترك في الدرس الخاص للمرحوم العلامة الطباطبائي حول الفلسفة المادية.

وقد انتفع المطهري في مجال الفلسفة الإسلامية من دروس

وإفادات الإمام الخميني والعلامة الطباطبائي والمرحوم الميرزا مهدي الآشتياني (رضوان الله عليهم).

وإضافةً إلىٰ الفلسفة الإسلامية كان للأستاذ المطهري اطّلاع كاف على الفلسفة الغربية وسنتحدث عنه في فقرةٍ خاصة به لاحقاً إنشاء الله.

وقد استطاع الأستاذ معرفة القيمة الحقيقية للفلسفة الإسلامية من خلال تبحره فيها ومقارنتها بالميراث الفلسفي للفلاسفة اليونانيين، يقول ﵀ بهذا الصدد (في كتابه العدل الإلهي).

«إن الحكمة الإلهية في المشرق الإسلامي، هي جوهرةٌ عظيمةٌ غالية، أوجدتها أنوار الإسلام الوضاءة، وأهدتها إلىٰ البشرية جمعاء؛ ولكن مع بالغ الأسف، فإن الذين اطّلعوا علىٰ هذه الجوهرة العظيمة اطّلاعاً عميقاً هم ثلة قليلة للغاية، فيما صبَّ عليها الجهلة والأعداء المتعصبون أشكال الظلم.

وكان الناس يتوهّمون؛ أنَّ الحكمة الإلهية الإسلامية هي الفلسفة اليونانية القديمة نفسها تسللت إلىٰ الإسلام بطريقة غير مقبولة؛ وهؤلاء يرتكبون بذلك ـ عن علم أو جهل ـ جريمةً عظمىٰ بحق الإسلام والمعارف الإسلامية، فالحكمة الإسلامية تختلف عن الفلسفة اليونانية بالدرجة نفسها التي يختلف بها علم الفيزياء عند «أينشتاين» عن علم الفيزياء عند اليونانيين، وهناك أدلةٌ علىٰ أن حتى «إلهيات»

ابن سينا تصل إلىٰ أوروبا كاملة، والأوروبيون ما زالوا جاهلين بهذا الكنز العظيم. . ».

لقد أدىٰ الاقتدارُ الكامل للأستاذ في فهم وتدريس القضايا الفلسفية العميقة، إلىٰ أن يكون بحثه في هذه القضايا بحثاً معمقاً وأساسياً فهو يعرضها بصورة صحيحة ثم يناقش الإشكالات المطروحة ويجيب عليها، ومعلومٌ أن الطرح السليم للمسألة والفهم الصحيح لها، يُعينان كثيراً علىٰ التوصل إلىٰ الحل الصحيح بشأنها.

وتعتبر هذه المنهجية من الخصائص الإيجابية المهمة في شخصية الأستاذ وظهرت آثارها بوضوح في جميع محاضرات ودروس الأستاذ وكتاباته، وعلىٰ سبيل المثال يمكن الإشارة إلىٰ كتب «الحجاب»، حقوق المرأة في الإسلام، مقدمة وشرح كتاب أصول الفلسفة، وكذلك دروس في حركة التاريخ».

وخلاصة الأمر هي أن النظرة العميقة للأستاذ المطهري لمسائل العقائد الإسلامية أعانته علىٰ الدفاع عن حريم الإسلام من خلال سلسلة كتابات «مقدمة لنظرية الإسلام تجاه الكون والحياة» كما أن اللغة البليغة و«السهلة الممتنعة» التي امتاز بها الاستاذ في تفهيم المسائل الفلسفية قد ظهرت بوضوح في شروحه الفلسفية حيث سعىٰ إلىٰ تبسيط المعضلات الفلسفية إلىٰ درجة يستطيع معها فهم تلك المعضلات حتىٰ الذين ليس لهم اطلاع مهم علىٰ الفلسفة ومصطلحاتها.

وللأستاذ جهود مكثَّفة في مجال نقد الفلسفة المادية فقد بدأ دراستها بصورة مباشرة في عام (١٣٦٥هـ.ق/ ١٩٤٦م)، وقام بمقارنتها بمعارف الفلسفة الإلهية العميقة، فأدرك بوضوح ضعفها وخواء أسسها يقول ﷺ بهذا الخصوص: في مقالته «المادية في إيران»:

«كنت أطالع بشوق وحبٍّ وعشقٍ كبير الفلسفة الإلهية والفلسفة المادية وأناقشهما.

وحتىٰ عندما كنتُ في قم تيقَّنتُ وبصورة جازمة من حقيقة أن الفلسفة المادية ما هي بفلسفة حقيقية، وكل من يفهم الفلسفة الإلهية بعمق يرىٰ أن جميع أفكار وآراء الفلسفة المادية، أوهام لا أكثر.

واليوم وبعد ستة وعشرين عاماً علىٰ ذلك التاريخ ومع استمراري في مطالعة كلا الفلسفتين، يتضاعف يوماً بعد آخر إيماني بحقيقة أن الفلسفة المادية، هي فلسفة الذين لا يعرفون الفلسفة..».

كما كان الأستاذ متبحّراً في فلسفة «أنشتاين» وكتب ابن سينا حيث كان الأستاذ الوحيد في مستوىٰ (الدكتوراه) في هذا الفرع الفلسفي في كلية «الإلهيات»، وإلى جانب ذلك كان على إحاطة كاملة بـ«الحكمة المتعالية» لصدر المتألهين الشيرازي الذي أكنَّ له الشيخ احتراماً وعشقاً خاصاً ومشهوداً في جميع كتاباته الفلسفية، حيث كان يعتبر آراء صدر المتألهين ذروة الفكر الفلسفي في الثقافة الإسلامية، وكان عارفاً بأوجه تمايز هذه الآراء عن الآراء الفلسفية لابن سينا.

وحقيقة الحال هي أن الأستاذ المطهري وبفضل تبحره الواسع في

علم الكلام وفلسفة الإشراق والعرفان وفلسفة المشائين والحكمة المتعالية لصدر المتألهين، قد جمع في آرائه الفلسفية المنصرمة عصارة وخلاصة كافة الأفكار الأصيلة النقية لعظماء الفكر الإسلامي علىٰ مدىٰ الأربعة عشر قرناً المتصرمة، وكان بذلك عارفاً بالتطور التأريخي للأفكار الفلسفية والكلامية والعرفانية، بل إن للأستاذ نظريات وآراء جديدة مبتكرة في العديد من المعضلات الفلسفية الدقيقة، وهذه النظريات توضحُ أنه صاحب رأي معتبر في القضايا الفلسفية وقد صرَّح المرحوم العلامة الطباطبائي بهذه الحقيقة.

ويعتز الأستاذ المطهري بالمعارف العميقة التي توصل إليها في فرع الفلسفة الإسلامية، وبالأطروحات الفكرية التي بلورها من هذه المعارف فيما يرتبط بمسائل العقيدة الإسلامية.

وقد درَّس الأستاذ المطهري كتب الفلسفة الإسلامية، (كالشفاء لابن سينا، والمنظومة للسبزواري والأسفار لصدر المتألهين) وعلىٰ مدىٰ سنين طويلة في مدرسة «مروي» في طهران وكلية الإلهيات وحوزة قم المقدسة.

ومن السنن الحسنة التي سنها الأستاذ في تدريس الفلسفة هي التطرّق إلىٰ خلفيات السير التأريخي لكل مسألة من مسائلها، فيذكل هل أنها من مبتكرات الفلسفة الإسلامية أم أنها كانت مطروحة في الفلسفة اليونانية وكيف طرحت، وإذا كانت من مبتكرات الفلسفة الإسلامية فمن هو صاحبها ومتى طرحها، وهذه الخصوصية تُلاحظ بوضوح في شرحه لكتاب «أصول الفلسفة».

وهذه «السنة» نادرة بين فلاسفة الإسلام، وينتفع منها العلماء الغربيون عادة، والعمل بها يستلزم اطّلاعاً كاملاً علىٰ نتاجات جميع الفلاسفة والمتكلمين والعرفاء والفهم المعمق لآرائهم.

أما نتاجات الأستاذ المطهري ذات الطابع الفلسفي (التي تم نشرها أو المعدة للنشر) فهي:

١ ـ مقدمة وشرح كتاب (أصول الفلسفة) (٥ مجلدات).

٢ ـ الدوافع نحو المادية.

٣ ـ الإنسان والمصير.

٤ ـ التعرف علىٰ العلوم الإسلامية (المنطق والفلسفة).

٥ ـ تصحيح كتاب «التحصيل» والتعليق عليه.

٦ ـ قسم من كتاب «في رحاب نهج البلاغة».

٧ ـ المقالات الفلسفية (طبع منها إلىٰ الآن ثلاثة مجلدات).

٨ ـ نقد الماركسية.

٩ ـ شرح المنظومة.

١٠ ـ الشرح المطول للمنظومة (٤ مجلدات).

١١ ـ الحركة والزمان (طبع منه مجلدان إلىٰ الآن).

١٢ ـ دروس في كتاب «الشفاء» المجلد الأول.

العاشق للقرآن ومعارفه

لم يستطع البحث والتبحر في العلوم الكلاسيكية العقلية والنقلية إبعاد الأستاذ المطهري عن القرآن الكريم، فهو العاشق للقرآن ومعارفه. ارتبط بقوة بالقرآن وأنس به بحيث أصبح مصداقاً لقول الإمام علي عليه السلام: «فأما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا..».

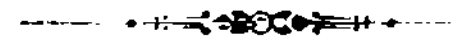
كان الأستاذ ملتزماً بتلاوة القرآن نصف ساعة قبل النوم، كما كانت للشهيد عدة دروس مستمرة في تفسير القرآن بدأت في عام (١٣٧٥هـ.ق/ ١٩٥٥م)، وكمثال يمكن الإشارة إلىٰ دروس التفسير التي كان يعقدها في محلة «قلهك» في طهران والتي استمرت علىٰ مدىٰ (١٥) عاماً، وكذلك دروسه التفسيرية في مسجد الجواد عليه السلام.

ومن الابتكارات القيمة للأستاذ في المعارف القرآنية، هو البحث الموضوعي فيها، علىٰ غرار أسلوبه في دراسة نهج البلاغة، وإن كان لم يُوفّق في أكماله واختار لتأليفه بهذا الصدد عنوان «في رحاب نهج البلاغة»، فيما أطلق على ممارسة هذا الأسلوب في المعارف القرآنية

عنوان «معرفة القرآن»، ومن المواضيع التي بحثها الأستاذ بهذا الأسلوب يمكن الإشارة إلىٰ كتابه «نظرية المعرفة في القرآن»، و«فلسفة التاريخ في النظرة القرآنية».

وقد توصل الأستاذ إلىٰ معارف قيمة من خلال العمل بهذا الأسلوب في البحث، ولم تقتصر ثماره علىٰ بحث المواضيع التي ورد ذكرها في القرآن بلغة صريحة بل تعدتها إلىٰ القضايا الراهنة التي لم تُذكر في القرآن باللغة الصريحة المتعارفة في العصر الحاضر لذا يستلزم استنباطها من الآيات، فبحثها الأستاذ وفق هذا الأسلوب واستنبط النظرة القرآنية بشأنها كنظرية معرفة التاريخ وسنن حركته.

وكان الأستاذ المطهري من أولئك الذين يحذرون من عدم توافر الاهتمام اللازم بالمعارف القرآنية في الحوزات العلمية ويقول: «يدرس الطالب الحوزوي كتاب الكفاية، ثم يقرأ الرد على الكفاية والرد علىٰ الرد. . ولكنه جاهل بتفسير القرآن».



العلاقة بنهج البلاغة

إمتاز الشهيد المطهري بارتباط قوي وخاص بنهج البلاغة والإمام علي عليه السلام ، فقد أنِسَ بهذا الكتاب، وكثيراً ما كان يستشهد في محاضراته بمقاطع منه حسب الموارد المناسبة، كان يشيد بتوجه واهتمام الشباب بنهج البلاغة ولكن كان يوصيهم دائماً بالالتفات إلىٰ مختلف أبعاده والانتباه إلىٰ عدم انحصاره في بعدٍ واحد.

وقد دَفَع تعلق الأستاذ بهذا الكتاب إلىٰ تأليف مقالات ضمن عنوان «في رحاب نهج البلاغة» والتي طبعت فيما بعد في كتاب حمل هذا العنوان نفسه، ولكن لم يستطع المطهري لكثرة مشاغله من مواصلة هذه المقالات علىٰ الرغم من تحينه المستمر لفرصة متابعتها، والأمل أن تشكل معرفة أسلوبه فيها إلىٰ مواصلة طريقه.

ومن الناحية التأريخية تمتاز معرفة الأستاذ بنهج البلاغة بسابقة طويلة بل وقد سمع منذ الطفولة باسم هذا الكتاب وامتلك معرفة سطحية عنه خلال المراحل الدراسية الأولىٰ، ولكن هذه المعرفة تعمقت كثيراً ودخلت منعطفاً جديداً بعد أن تعرف في عام (١٣٦٠هـ.ق/١٩٤١م) ـ خلال حادثة عجيبة ـ بعظيم هو «الميرزا

علي آقا الشيرازي الأصفهاني» (قدس سره) والأفضل أن نسمع شرح حاله من قلم الأستاذ نفسه:

«لعله قد اتفق لكم ـ وإن كان لم يتفق فإنكم تستطيعون أن تتصوروا ما أريد قوله ـ أنْ عشتم أعواماً مع رجل في محلة واحدة كنتم تقابلونه كل يوم مرة علىٰ الأقل فتسلمون عليه أو يسلّم عليكم وفق المجاملات العرفية، ثم تنطلقون عابرين، وعلىٰ هذا المنوال تمضي الأيام والشهور والأعوام.

حتىٰ يتفق أن تجلسوا معه عدة مجالس فتتعرفوا علىٰ أفكاره واتجاهاته ومشاعره، وحينئذٍ تشعرون بكل إعجاب أنكم لم تكونوا قادرين أن تعرفوه كما عرفتموه الآن.

ومن ذلك الحين تتبدل الصورة في أذهانكم عنه، حتىٰ صورته الجسدية تبدو في نظركم علىٰ غير ما كانت عليه من قبل، ويجد كرامة ومحبةً في أنفسكم لم يكن يحظىٰ بها من قبل، وتظهر لكم شخصيته من وراء الحجب غير ما كانت عليه وكأنه غير ذلك الرجل الذي كنتم ترونه وتقابلونه منذ سنين أو كأنكم قد اكتشفتم عالماً جديداً غير ذلك العالم السابق.

وهكذا كان تعرفي علىٰ نهج البلاغة، إذْ كنتُ أعرفه منذ صغري بعد ما رأيته بين كتب والدي (أعلى الله مقامه)، وبعد ذلك اشتغلت بالدراسة أعواماً فأكملت العلوم العربية في الحوزة العلمية بمدينة

«مشهد» ثم في الحوزة العلمية في بلدة قم المقدسة، وكنت علىٰ وشك إنهاء الدراسة التي يصطلح عليها بـ«دراسة السطوح العالية».

وعلىٰ مدىٰ هذه المدة كان اسم «نهج البلاغة» يطرق سمعي أكثر من أي كتاب آخر بعد القرآن الكريم.

وكنتُ منذُ ذاك أسمع بعض الخطب منقولة عنه في الزهد من الخطباء يكررونها كثيراً حتىٰ أني كنتُ أحفظها تقريباً، ولكني أعترف أني كنت ـ كمعظم أقراني من الطلبة ـ بعيداً عن عوالم «نهج البلاغة» أتلقاه وكأني غريب عنه وأمُرُّ به وكأني بعيد عنه.

حتى سافرت عام ١٣٦٠هـ.ق/ ١٩٤١م إلىٰ أصفهان ـ هروباً من حرِّ مدينة قم ـ بعد إقامتي فيها خمسة أعوام، فعرّفني التوفيق هناك برجل عارفٍ بنهج البلاغة، فأخذ هذا الرجل بيدي وأوردني بعض مناهله، وحينذاك شعرتُ بأني لم أكن أعرف هذا الكتاب الكبير، وبعد ذلك كنت أتمنىٰ أن أجد مَنْ يعرفني بعوالم القرآن الكريم أيضاً..»[١].



(١) مقدمة كتاب «في رحاب نهج البلاغة».

حقيقة العرفان

كان الأستاذ المطهري ذا باعٍ طويل في العرفان النظري العلمي وكذلك العرفان العملي، وفي هذا المجال اكتسب فيوضات العديد من أساطين هذا الميدان، واستطاع ـ بفضل تبحّره في المعارف القرآنية والمفاهيم الإسلامية وكذلك معرفته بآراء العرفاء ـ إدراك العديد من الحقائق التي لم يتوصل إليها سوىٰ العرفاء.

والمهم أن الأستاذ لم يكن متعصباً في اهتمامه بالعرفاء بل كان طالباً للحق والحقيقة، وكان الذي يؤكد عليه هو العرفان الإسلامي الأصيل الذي نجده متجسداً في الإمام علي عليه السلام.

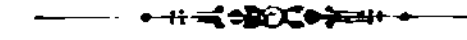
وهنا يجدر التذكير بأن العرفان الإسلامي مستنبط من ينابيع الإسلام النقية أيضاً ولا يمكن اختراع جذور غير إسلامية له لمجرد وجود أوجه شبه بينه وبين العرفان في بعض المذاهب الأخرىٰ السابقة للإسلام.

والعرفان الإسلامي الذي نقصده، هو المكون من المعارف القرآنية وتعليم الأئمة الأطهار لا سيما الإمام علي عليه السلام، والمستندة إلىٰ تطهير القلب والارتباط المعنوي بالخالق عزَّ وجلَّ والسير والتقدم

في مراتب القرب والإخلاص وعدم الغفلة عن ذكر الله والمناجاة والتضرع في الأسحار ومجاهدة النفس الأمَّارة بالسوء، وهذه القضايا هي التي اهتم بها وعرضها عرفاء الإسلام.

ومثلما أن انحرافات بعض المفسرين لا ينبغي أن تصرفنا عن المعرفة القرآنية الصحيحة كذلك لا ينبغي أن تؤدي مشاهدتنا لانحرافات بعض الصوفية إلىٰ الإعراض عن قسم مهم من المعارف القرآنية التي اهتم بها العرفاء والمتصوفة.

وامتلك الأستاذ المطهري كذلك فهماً معمقاً وأنساً خاصاً بالمتون العرفانية المدونة باللغة الفارسية وخصوصاً ديوان حافظ الشيرازي وثنائيات المولوي الرومي، كما أنه كان يعتبر «القلب» الذي اهتم به العرفاء بأنه أحد منابع المعرفة.



فلسفة الأخلاق

الأستاذ المطهري كان عارفاً بعلم الأخلاق شأنه في ذلك شأن سائر العلوم الإسلامية الأخرىٰ، وقد قرأ الكثير من الكتب المصنّفة في علم الأخلاق وفلسفتها وتوصل إلىٰ معارف قيمة في هذا المجال ذكر بعضها مترجم كتاب «كليات الفلسفة» مستفيداً من تقريرات دروس المطهري، وله «رحمه الله» عدة محاضرات تحت عنوان «فلسفة الأخلاق».

وقد بادر الأستاذ ـ ومنذ الأيام الأولى التي أعقبت هجرته إلىٰ مدينة قم المقدسة ـ إلىٰ الاشتراك في الدروس الأخلاقية التي كان يلقيها الإمام الخميني (قدس سره) وقد تأثّر بها كثيراً.

ومفهومٌ أن الفضائل الأخلاقية التي تحلّىٰ بها الشهيد المطهري لم تتأتَّ من المطالعة المجردة لكتب علماء الأخلاق، بل هي ثمرة انجذابه وتأثّره بالشخصيات الكاملة التي تربّىٰ على أيديها وهذا الموضوع سنخصص له مبحثاً مستقلاً يأتي لاحقاً.

الثقافة الغربية

حصل الأستاذ المطهري علىٰ المعرفة اللازمة بالثقافة الغربية وفروعها المختلفة، كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد، وكانت لهذه المعرفة ثمارٌ كبيرةٌ إذْ مكّنته من فهم روح التفكير الغربي في مختلف الفروع المتقدمة الذكر.

واستطاع من خلال مقارنتها بروح التفكير الإسلامي تعزيز تفكيره الإسلامي ومعالجة المشاكل الفكرية بصورة أدق وأفضل، وكذلك فضح وتبيان انحرافات التفكير والثقافة الغربية.

وساهمت هذه المعرفة في تقوية أجوبته الداحضة للشبهات التي يثيرها أولئك الذين هيمنت عليهم الثقافة الغربية والغرباء عن الثقافة الإسلامية وحقيقتها.

وبالتالي وبفضل هذه المعرفة تعرَّف الأستاذ المطهري علىٰ أفضل أساليب مواجهة هجمات الثقافة الغربية فكان يطرح كل قضية بصورة تحقيقية تتناولها من كافة الجهات وتجيب عليها من كافة الزوايا بحيث لا تدع إجاباته أدنىٰ مجال للشك وتسلل الشبهات.



التتلمذ عند كبار الأساتذة

الأستاذ المطهري خلال حياته المباركة وخاصة خلال الخمسة عشر عاماً التي قضاها في مدينة قم المقدسة، انتفع كثيراً بفيوضات العديد من كبار الأساتذة أبرزهم:

١ ـ آية الله العظمى الإمام الخميني (رضوان الله عليه)، فقد حضر المطهري لمدة اثني عشر عاماً الدروس الغنية لهذا الأستاذ الإلهي والمربّي العظيم، فاشترك في درسه الأخلاقي، ودروسه في الأصول والفلسفة.

ويعتبر الإمام الخميني من أهم أساتذة المطهري سواء من ناحية طول فترة الدراسة عنده، أم من ناحية قوة تأثيره في بناء الشخصية العلمية والمعنوية للأستاذ المطهري.

٢ ـ المرحوم آية الله العظمىٰ البروجردي (قدس سره)؛ وقد حضر المطهري دروسه المباركة في الفقه والأصول حتىٰ قبل قدوم المرحوم البروجردي إلىٰ مدينة قم، فقد كان يذهب إلىٰ حوزته التدريسية في مدينة بروجرد، ويُصنّف المطهري ضمن الطبقة الأولىٰ الممتازة من طلبة البروجردي.

٣ ـ العالم الجليل المرحوم الشيخ الميرزا «علي آقا الشيرازي» (أعلى الله مقامه)؛ في صيف عام (١٣٦٠هـ.ق/ ١٩٤١م) يسافر الأستاذ المطهري وللمرة الأولىٰ إلىٰ مدينة أصفهان فيلتقي هناك بهذا العالم الرباني الكبير، ومنذ ذلك الحين يصبح من مريديه وينتفع معنوياً كثيراً من فيضه.

٤ ـ المرحوم الميرزا مهدي آشتياني؛ وقد درس الأستاذ حدود السنة عند هذا الفيلسوف الكبير.

٥ ـ الأستاذ الكبير العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمة الله عليه)؛ وقد درس المطهري قرابة العامين والنصف عند هذا الأستاذ الكبير وتعلم منه فلسفة ابن سينا، كما شارك في درسه الخاص في الفلسفة المادية.

٦ ـ المرحوم آية الله السيد محمد المحقق (الداماد)؛ وقد درس عنده الفقه.

٧ ـ آية الله العظمى السيد أحمد الخوانساري؛ وأخذ عنه قسماً من دروسه.

بناء شخصية المطهري رَحِمَهُ الله

هناك العديد من الشخصيات التي ساهمت في بناء الشخصية العلمية والمعنوية للشهيد المطهري، وبعضها تُعدّ ضمن أساتذته، وبعضها الآخر ليست كذلك لكنها وبفضل جاذبيتها المعنوية وقوتها، قامت بدور مهم في بناء الشخصية المعنوية للأستاذ، ومن هذه الشخصيات:

١ ـ حجة الإسلام الشيخ محمد حسين المطهري، وهو والد الأستاذ، وكان نموذجاً عملياً وقدوة تجسدت فيها التقوىٰ والطهارة فساهمت في هداية الأستاذ عملياً إلىٰ الصراط المستقيم، وقد أهدىٰ الأستاذ كتابه «القصص الحق» إلىٰ والده، وأوضح في الإهداء دوره قائلاً: ـ «لقد كانت تقواه وطهارته، الدليل الأول لي علىٰ الطريق المستقيم».

٢ ـ آية الله العظمىٰ الإمام الخميني (رضوان الله عليه)؛ وله دورٌ أساسي في بناء الشخصية العلمية وكذلك المعنوية للأستاذ المطهري، وعلى مدىٰ اثني عشر عاماً من المواظبة علىٰ حضور درس هذا الأستاذ الإلهي العظيم.

اكتسب المطهري الكثير من الثمار العلمية والمعنوية منه، وكان عاشقاً له فيما كان الإمام يوليه اهتماماً خاصاً ورعاية خاصة، ونلاحظ هنا أن الإمام الخميني وصف تلميذه المطهري ـ في بياناته

وخطاباته ـ بأوصاف لم يصف بها غيره، يتحدث الأستاذ المطهري نفسه عن دور الإمام في بناء شخصيته فيقول:

«بعد أن هاجرتُ إلىٰ قم وجدت ضالَّتي في شخصية ثانية ما زلت أرىٰ مزايا المرحوم «آقا ميرزا مهدي» ـ إضافة إلىٰ مزايا أخرىٰ ـ تتجلىٰ فيها.

«إني في بداية هجرتي إلىٰ «قم» لم أكن قد أكملت بعد دراسة «المقدمات»، لذا فلم أكن مؤهلاً لخوض غمار دروس العلوم العقلية، ولكن رغم ذلك كانت الدروس التي يُلقيها ذلك الحبيب في كل يوم خميس وجمعة، ذات أثر بالغ عليَّ.

وحقاً كانت دروس معارف إلهية وسيرٍ وسلوك، وليست دروساً أخلاقية بالمعنى العلمي الجاف وحسَب، كانت تروي ظمأي وتؤنس نفسي التي تبقىٰ تحت تأثيرها إلىٰ يومي الاثنين والثلاثاء من الأسبوع التالي.

وكان لهذا الدرس والدروس التالية التي تلقيتها من ذلك الأستاذ الإلهي طيلة اثني عشر عاماً، الأثر العظيم في صياغة شطر كبير من شخصيَّتي الفكرية والمعنوية، وإني لأجد نفسي دائماً مديناً له بذلك، حقاً إنه كان صنيعة (الروح الإلهية القدسية)..»(١).

٣ ـ الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمة الله

(١) مقدمة كتاب «الدوافع نحو المادية».

عليه)، وكان الأستاذ المطهري يكن عشقاً واحتراماً خاصاً لهذا الأستاذ الكبير وفي معظم الموارد التي يذكره فيها يقرن اسمه بعبارة «روحي له الفداء».

وقد حضر المطهري العامين والنصف الأخيرين من دراسته في قم عند هذا الأستاذ ودرس عنده فلسفة ابن سينا كما قلنا.

ويُعدّ من أفضل تلامذة العلامة بل أفضلهم وكان العلامة يوليه رعايةً خاصة بحيث لم يعطِ لغيره إجازة شرح كتابه «أصول الفلسفة»، كما أن ما قاله العلاَّمة في تأبين تلميذه المطهري يُوضح هذه الحقيقة بوضوح.

٤ ـ المرحوم الميرزا «علي آقا الشيرازي» (قدس الله سره)؛ ويعتبر الأستاذ المطهري أن قسماً من حصيلته المعنوية وملكاته الأخلاقية هي ثمرة علاقته بهذا العظيم.

ولا نجد مورداً ذكر فيه المطهري هذا الأستاذ دون أن يتطرق إلىٰ بعض أبعاد شخصيته العلمية والروحية وقد ذكروه في موارد عديدة من خطاباته وكتاباته، فمثلاً يقول في كتابه «العدل الإلهي».

«كان للمرحوم الحاج ميرزا علي آقا (أعلىٰ الله مقامه) علاقةً قويةً شديدة بالرسول الأكرم وعترته الطاهرة (صلوات الله وسلامه عليهم).

هذا الرجل كان فقيهاً ـ في درجة الاجتهاد ـ وحكيماً عارفاً وطبيباً وأديباً، وكان في بعض الفنون كالطب القديم والأدبيات أستاذاً من الطراز الأول وكان يدرّس كتاب «القانون» لابن سينا.

وإلى جانب هذه المنزلة العلمية السامية، كان في خدمة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، كان يعتلي المنبر الحسيني ويعظ ويذكر المصيبة، وقلما تجد شخصاً يجلس للاستماع إلىٰ مجلس هذا العالم المخلص التقي دون أن ينقلب ويتغيَّر.

فهو نفسه عندما كان يعظ ويرشد مذكراً بالله والمعاد والآخرة يحدث فيه انقلاب وثورةً روحية معنوية فتجرَّه محبة الله والعترة النبوية، باتجاهها، فينقلب بذكر الله، نعم إنه مصداق لقوله تعاى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال/ ٢).

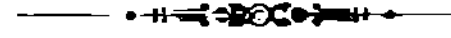
عندما كان يذكر اسم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أواسم أمير المؤمنين عليه السلام، كانت دموعه تجري طواعية.

في إحدى السنين دعاه آية الله البروجردي (أعلى الله مقامه)، لاعتلاء المنبر الحسيني في منزله في العشرة الأولىٰ من شهر محرم الحرام فكان له فيها مجلس خاص، لم يكن يتجاوز فيه «نهج البلاغة» إلا ما ندر.

وكان معظم حضور مجلسه من الطلبة وأهل العلم، فيتأثرون بشدة فيه، فلا تشهد فيه من أوله إلىٰ آخره سوىٰ الدموع الجارية..».

وتشكل معرفة الأستاذ المطهري بالحاج ميرزا علي آقا الشيرازي، إحدىٰ المعالم البارزة في حياته، حيث تحولت هذه المعرفة إلىٰ عشقٍ

من المطهري تجاه هذا الرجل الإلهي الذي قابل هذا العشق بمحبة أبوية ورعاية كريمة بحيث أنه كلما كان يزور قم يقيم في غرفة الأستاذ حيث يأتي لزيارته فيها كبار علماء الحوزة العلمية في قم وجميعهم كانوا يكنّون الحب والاحترام له.



خلّص الأصدقاء

للأستاذ المطهري العديد من الأصدقاء الأوفياء المخلصين نكتفي هنا بذكر اثنين منهم هما:

١ ـ المرحوم حجة الإسلام الدكتور محمد إبراهيم الآيتي (رضوان الله تعالى عليه)؛ وكان الأستاذ يكن له حبّاً خاصاً، وعادةً ما يقرن ذكره بذكر جانب من فضائله في محاضراته.

والدكتور محمد إبراهيم الآيتي من أصدقاء المطهري القدامى، وتمتد علاقته به إلىٰ زمن الدراسة في حوزة مشهد، كما واصلا معاً التبليغ والإرشاد.

وقد توفي الدكتور إبراهيم في حادثة اصطدام عندما كان في طريقه إلىٰ إلقاء درس في التفسير ليصبح مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

ويشير الأستاذ المطهري إلىٰ تبحر الدكتور الآيتي في التاريخ الإسلامي.

٢ ـ آية الله الشيخ حسين علي المنتظري، وهو والأستاذ المطهري يُعدان أفضل تلامذة الإمام الخميني، وكانا معاً على مدى ١١ عاماً يشتركان في البحث والدراسة وتربطهما علاقة خاصة من الحب والمودة.



فضائل الخصال

لم يكن المقام العلمي السامي للأستاذ المطهري هو وحده الذي جعل فيه تلك الجاذبية الخاصة التي نفذ بها إلىٰ أعماق قلوب الجماهير، وإن كان لهذا المقام بحدٍّ ذاته أهمية خاصة، لكنه لا يمكن أن يكون علة كل ذلك الحب والعشق للأستاذ، بل لقد امتاز المطهري بجاذبية قوية استقطبت القلوب.

فهو رجلٌ اجتمعت فيه خصال الإخلاص والصدق والصلاح والتقوىٰ والتواضع والمواظبة علىٰ ذكر الله واستشعار آلام الآخرين وغير ذلك من فضائل الخصال، فوجودُهُ كان مفعماً بالإيمان وحبّ الله، كان الإخلاص متجلياً في أقواله ومصنفاته وأفعاله، وتقواه كانت مضرب المثل لدىٰ الجميع.

وعلى الرغم من ابتعاده عن حوزة قم المقدسة وعيشه في محيط تكثر فيه أسباب الغفلة عن الله تعالىٰ (طهران زمن الشاه)، إلا أنه كان يبدو وكأنه يعيش في قلب حوزة قم المقدسة لشدة ارتباطه بالله جلَّ اسمه وبالقرآن ونهج البلاغة والمعارف الإسلامية.

الأستاذ المطهري كان يعشق بقوة وأُنس خاصٍ صلاة الليل

والتهجد وتلاوة القرآن وهذا ما تعلمه من القرآن ونهج البلاغة: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ﴿نصفه أو أنقص منه قليلا﴾.

ويعتبر التواضع من الخصال المعنوية البارزة في شخصية الأستاذ، وهو ثمرة التقوىٰ وصدق الارتباط وتأثير المعارف الإسلامية فيه رحمه الله.

المطهري كان فقيهاً وكان فيلسوفاً، وكان أديباً وكان خطيباً، وكان مدرساً وكان عارفاً وكان أستاذاً للأخلاق، وكان وكان، ولكن أيّاً من هذه العناوين الحميدة المحمودة لا يكفي في تعريف شخصيته.

لقد تحرر المطهري من كلّ قيدٍ وعنوان ولذلك فإن اسمه البسيط «مرتضى المطهري» هو أفضل من كل العناوين في تبيان شخصيته الجامعة وقبل كل شيء فإنه منسجم مع روح التواضع فيه.

وإذا أردنا أن نطلق عليه عنوانً خاصاً فإن أفضل ما يناسبه هو «الأستاذ» فهو خير كاشف عن شمولية الأستاذية في شخصية المطهري وهو العنوان الذي كان يُلقب به في حياته في أغلب الموارد.

ومن الخصوصيات المعنوية الأخرى في شخصية الأستاذ هو أنه كان يستصغر نفسه في محضر أستاذه، ويهتم برعاية احترام الأستاذ إلىٰ أقصىٰ حدّ، وهذه الخصوصية ظلَّت ملازمة له حتىٰ بعد وصوله إلىٰ المراتب العلمية السامية، فهي مترسخة ثابتة فيه، وحتىٰ بعد وصوله إلىٰ المقامات العلمية السامية لم يكن يجد في هذه المقامات

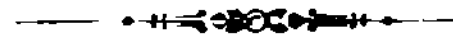
مانعاً عن الخضوع بكل أدب في محضر الأساتذة وسؤالهم عن الأمور التي لا يعرفها ويتعلمها.

وهذا ما كان يقوم به مراراً وتكراراً، وما أكثر الأساتذة «المجهولين» الذين استفاد منهم الأستاذ المطهري دون أن تكون لهم الشهرة العلمية الكافية، نعم فالأستاذ المطهري كان حقاً مصدقاً «للعالم الرباني والمتعلم على سبيل نجاة» في آن واحد.

الأستاذ المطهري امتاز بحالة خاصة أثناء المطالعة إذْ يركز ذهنه بقوة علىٰ الموضوع، ويُنقل أنه كان يغلق باب غرفته في المدرسة أثناء المطالعة لكي يحافظ على تركيزه الذهني.

وعندما كانت توجه إليه أسئلة تحتاج إلىٰ تركيز ذهني استثنائي بعد سلسلة من الأسئلة المطولة المتعبة يعتذر عن الإجابة ويوكلها إلىٰ فرصة أخرىٰ يجيب عنها بتركيز ووضوح كاملين.

كما امتاز الأستاذ الشهيد بسعة صدر وبشاشة وطلاقة وجه خاصة في الاستماع لأسئلة الشباب والإجابة عليها ولم يكن يتأذىٰ من أي سؤال ولا يرفع صوته عن المستوىٰ المتعارف.



مظلومية الشهيد مطهري رحمه الله

من الضروري هنا معرفة علل ما تعرض له الأستاذ في الأعوام الأخيرة من حياته وحتىٰ بعد استشهاده، من اتهامات وجَّهها إليه البعض بنزوعه إلىٰ الراحة والدعة واجتناب المواقف الثورية الحادة والتهاون في النشاطات السياسية.

ومثل هذه الاتهامات لم تتعرَّض لها الشخصيات التي لم تصل إلىٰ مستوىٰ الأستاذ حتىٰ من جهة النشاطات الثورية الظاهرية، والتعرض للسجون والمراقبة.

وقد اتضح مما تقدم أن هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة، وأوضحنا سابقاً أن إقدام الأستاذ علىٰ النشاطات الثورية الظاهرية والحادة ارتبط على الدوام بمدىٰ مناسبتها لجهوده في الحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية النقية للثورة.

وحسب تصورنا فإن لهذه الافتراءات علّتين أساسيتين ترتبطان كلاهما بموقعية الأستاذ وجهوده للحفاظ علىٰ نقاء الأساس العقيدي للثورة وحفظهما من الأفكار الأجنبية الدخيلة المغطّاة بصبغة إسلامية ظاهرية.

ويُصادف إلىٰ هاتين العلّتين عللٌ أخرى ـ لسنا هنا بصدد تفصيل الحديث عنها ـ كإخلاصه العميق واجتنابه التظاهر، أو كحدة ذكائه ويقظته ونظرته الثاقبة المؤدية إلىٰ عدم إعطاء ذرائع للعدو.

وبعبارة أخرىٰ التزامه بالتقية بمعناها الحقيقي وهو العمل بصورة يستطيع معها توجيه أكبر وأكثر الضربات للعدو مقابل أقل الخسائر.

أما العلة الأولىٰ من تلك العلّتين مورد البحث، فترتبط بموقف الرفض الحازم الذي تبناه الشهيد المطهري تجاه أفكار المنظمة الموسومة بـ«مجاهدي الشعب الإيراني».

فالأستاذ هو أول شخصية ـ بعد الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) ـ أدركت انحراف تلك المنظمة فكرياً، وامتنع عن تأييدها ودعا الآخرين إلىٰ عدم التعاون معها.

ونشير هنا إلىٰ أن الشهيد المطهري وصف منظمة «مجاهدي الشعب» بـ«منافقي الشعب»، وذلك في رسالته التي أرسلها إلىٰ الإمام الخميني في عام (١٣٩٨هـ.ق/١٩٧٨م) وسيأتي نصَّها لاحقاً.

لقد كان الأستاذ المطهري في تلك الأعوام، الشخصية الوحيدة ـ داخل إيران ـ التي اتخذت ذلك الموقف الصريح والحازم الواضح في رفض أفكار هذه المنظمة إذْ إنَّ الآخرين إمَّا كانوا ميَّالين لها أو متجاهلين، ولم يدركوا موقف الأستاذ الحازم إلا بعد أن تبنَّت المنظمة صراحة الأفكار الماركسية وتخلّت صراحةً عن الإسلام، أو

بعد أن انتصرت الثورة الإسلامية في إيران واتَّضحت حقيقتها بالكامل.

وقبل ذلك لم يكن الكثير من المتصدّين والعاملين في نشاطات الثورة قادرين علىٰ إدراك انحراف هذه المنظمة النفاقية وهذا الأمر كان يؤذي الأستاذ ويجعله يعاني آلام الإحساس بالغربة.

وبسبب موقفه الحازم هذا تعرض الأستاذ المطهري لسهام الاتهامات وشتّىٰ الافتراءات من قِبَل أعضاء هذه المنظمة وأنصارها، فاتَّهموه بالنزوع للدعة والراحة وعدم الثورية.

وهذه الاتهامات من السهل أن يصدقها الشباب المنبهرون بالمنظمة وعملياتها العسكرية التي كانوا يرون فيها برهان ثوريَّتها وكانوا يستدلون بمغالطة هي «أن هذه المنظمة، هي منظمة ثورية والمطهري يعارضها فهو إذاً ليس ثورياً».

أما العلة الثانية التي سبَّبت اتهام الأستاذ «باللاثورية» علىٰ الرغم من سابقته الجهادية الطويلة سياسياً وثقافياً، فهي ترتبط بالانتقادات التي وجَّهها الأستاذ لبعض آراء وأفكار المرحوم الدكتور علي شريعتي.

وبطبيعة الحال نحن هنا لا نعتبر منظمة «مجاهدي الشعب الإيراني» والمرحوم الدكتور شريعتي من سنخيةٍ واحدة، كما أن انتقادات الأستاذ لتلك المنظمة ولآراء الدكتور شريعتي لم تكن من سنخية واحدة.

فالمطهري كان يعتبر أفكار المنظمة ماركسية المنبع، في حين أنه كان يعتقد بوجود أفكار صحيحة إيجابية لدىٰ المرحوم شريعتي وأخرىٰ سلبية غير صحيحة، وأفكار هذين الطرفين وأساليبهما متباينة أساساً.



مع الدكتور علي شريعتي رحمه الله

في عام (١٣٩٨ هـ.ق/١٩٧٨م)، وضمن سياق الاختلافات والمناقشات التي شهدها الشارع الثقافي في إيران حول المرحوم الدكتور شريعتي وأفكاره، صدر بيان موقع من قِبل الأستاذ المطهري والمهندس بازرگان.

نبَّه إلىٰ الجوانب والنقاط السلبية في آثار المرحوم شريعتي ضمن الإشارة إلىٰ الجوانب الإيجابية والتأكيد علىٰ احترام شخص الدكتور، ونشير هنا إلىٰ أن المهندس بازرگان قد سحب توقيعه بعد بضعة أيامٍ، ونصّ البيان هو:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«نظراً لأن القضايا المتعلقة بالمرحوم علي شريعتي ما زالت منذ مدة مثار لغطٍ وتضييع لأوقات فئاتٍ عدة وانصرافها وانشغالها عن القضايا الأساسية والضرورية، وكذلك نتيجةً لاستغلال الأطراف المشبوهة والمغرضة لهذا اللغط.

لذا رأينا نحن الموقَّعين علىٰ هذا البيان ضرورة التباحث حول الموضوع، وبعد سلسلةٍ من اللقاءات والتباحث بهذا الشأن واتحاد

وجهات النظر إلىٰ درجةٍ كبيرةٍ توصلنا إلىٰ أن الواجب الشرعي يستلزم منَّا إطلاع الرأي العام علىٰ آرائنا المشتركة بهذا الصدد ـ بصورة إجمالية أولاً ثم تفصيلية فيما بعد ـ إيماناً منَّا بواقعِ أن أكثر الذين أُصيبوا بعدم وضوح الرؤية وإتلاف الوقت نتيجة ذاك اللغط هم من طلاَّب الحقيقة.

فقررنا إيصال آرائنا إليهم خصوصاً لتكون وسيلة خير لإنقاذهم من ذاك الضياع والعودة إلىٰ التزام عُرىٰ الوحدة والألفة بين المسلمين، ويقينٌ أن في ذلك رضا الله تعالىٰ.

والمناط فيما يُشاع بشأن المرحوم شريعتي أو يرتبط بميوله وقناعاته واستنباطاته وآرائه حول القضايا الإسلامية، هو ما تعكسه آثاره وكتاباته.

ونحن لنا علاقة بشخصه إضافةً إلىٰ اطلاعنا علىٰ آثاره وكتاباته، واستناداً إلىٰ هذه المعرفة، نؤمنُ بعدمِ صحةِ ما يُنسبُ إليهِ من ميول [. .]، كما لم تكن له آراءٌ غير إسلامية تجاه أيٍّ من أصول الدين «توحيداً ونبوَّةً ومعاداً وعدلاً وإمامةً».

ولكن وبحكم أن دراسته وثقافته كانت غربية، ولم تسنح له الفرصة الكافية والمجال اللازم للتحقيق الوافي في مجال المعارف الإسلامية، حتى أنه كان أحياناً يجهل بديهيات القرآن والسنَّة والفقه والمعارف الإسلامية ـ لذلك وعلىٰ الرغم من الازدياد المستمر في معلوماته في هذا المجال نتيجةً لجهوده المكثَّفة، فإنه وقع في أخطاء

كثيرة لا ينبغي السكوت عنها فهو نوعٌ من كتمان الحق ومصداق لقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾.

واستناداً لما تقدم وبملاحظة إقبال الشباب الواسع علىٰ كتب المشار إليه، وانتباهه هو نفسه إلىٰ أخطائه بعد التذكير المستمر له بشأنها من قبل أشخاص نزيهين، وبعد اتّساع معلوماته، وتوكيله أحد أصدقائه وكالةً مطلقة لإصلاحها.

وبالتوكّل علىٰ القوة الإلهية ومع حفظ احترامنا لشخصيته وتقديرنا لخدماته وجهوده في جذب الشباب إلىٰ الإسلام، فقد قررنا بيان آرائنا حول محتويات مؤلفاته وآثاره في منشورات بلغة صريحةٍ ودون مجاملة أو التفاتٍ إلىٰ انفعالات الأنصار المتعصبين أو الأعداء المغرضين.

نسألُ الله العون والتسديد، شاكرين لجميع الأفراد الذين يُعينونا علىٰ ذلك من غير قصدٍ سيىء وعبر اطلاعنا علىٰ آرائهم المدعمة بالبراهين.

والسلام على مَنْ اتّبع الهُدىٰ

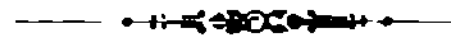
بعد نشر هذا البيان انهالت علىٰ الأستاذ المطهري سهام شتىٰ التهم والافتراءات حتىٰ وصل الأمر إلىٰ اتهامه بالتعاون مع النظام الملكي.

ومفهومٌ أن من الصعب على بعض الشباب الثوري المتحمس، الاقتناع بموقف الأستاذ هذا، فهم كان يرون في المرحوم الدكتور شريعتي الكثير من مظاهر الثورية وبسببها عشقوه.

لذا كان صعباً عليهم التحرر من عواطفهم والتصديق بأنَّ بعض أفكاره لا تنسجم مع المفاهيم الإسلامية، بل إن هذه الحالة شكلت أرضية مناسبة لاقتناعهم باتهامات اللاثورية التي روَّجها الأنصار المتعصبون لشريعتي ضد الأستاذ المطهري.

فأولئك الشباب كانوا يتعاملون مع هذه القضية وفق المغالطة التي أشرنا إليها وهي أنه ما دام الدكتور شريعتي إنساناً ثورياً، والأستاذ يعارض أفكاره، إذاً فالأستاذ المطهري ليس ثورياً!!

لكن الأستاذ المطهري لم يرهب هذه الهجمات التي شنَّها ضده أمثال أولئك الذين كان لبعضهم ارتباط بالنظام الشاهنشاهي، واختار الصمت تجاهها دون أن يسمح لها بالتأثير عليه، فلقد كان مؤمناً بعمله ذاك ويراه واجباً شرعياً يساهم عبر القيام في دفع مسيرة الثورة وفق أحكام ومفاهيم الإسلامي النقي.



بين مطهري وشريعتي رحمهما الله

كنتُ يوماً عند الإمام فقال: لقد أرسلوا شخصاً من طهران لهدف واحد هو أن يأتي إلىٰ هنا ويتحدث ضد الشيخ المطهري والسيد الشريعتي - وكانا كلاهما يومذاك على قيد الحياة -، أنا أعرف السيد المطهري وأعرف كيف يفكر، جاؤوني بكتابه «قضية الحجاب»، ووضعوه على منضدتي وقالوا: إن هذا الكتاب قد جعل نساء جنوب طهران أيضاً ينزعن الحجاب! في حين أنني قرأت هذا الكتاب، فهو لم يجعل جنوب طهران خاليةً من الحجاب، بل إنه جعل الكثيرات من السافرات يقتربن من الحجاب الشرعي.

كما جاؤوني بكتاب «معرفة الإسلام» للسيد الشريعتي وقالوا: أنه ضد المقدّسات الإسلامية، لم أرغب أن أردَّ عليهم، لذلك قلت لهم: إن هذا الكتاب ضخم، فحددوا لي المقاطع التي ترونها ضد المقدسات، فأشاروا إلىٰ أحد المقاطع، فوجدته على غير ما يقولون، أجل من المحتمل أن يكون قد عبَّر فيه عن ذوقٍ خاصٍ قد لا أرضاه أنا ولكنه على أي حالٍ ليس بالصورة التي يروجونها هم كفكر معارض للإسلام يجب الوقوف بوجهه[١].

---

(١) حجة الإسلام السيد محمود دعائي. مجلة سروش، السنة الثالثة ٣٠/ ٣/ ١٣٦٠هـ.ش (١٩٨١م)، (نقلاً عن كتاب حكايات وعبر الإمام الخميني رَحِمَهُ اللَّهُ) للمؤلف.

السيد بهشتي يتحدث عن نفسه رَحِمَهُ اللهُ

أسمي محمّد حسيني بهشتي، وأحياناً يكتب خطأ محمّد حسين بهشتي، ولدتُ في الثاني من شهر آبان عام (١٣٠٧ هـ. ش-١٩٢٨م) في مدينه أصفهان في محلة تسمّى (لومبان)، وهي من المحلاّت القديمةِ جداً في المدينة، في بيت روحاني، إذْ إنّ أبي عالم دين.

بدأت تعليمي في سن الرّابعة لدى الكتاتيب، وتعلّمت القراءة، والكتابة، وقراءة القرآن بسرعة فائقة، حتى أصبحت أعرف بين أفراد عائلتي بالفتى الفطن والذكي. ربما سرعة تقدمي في التعليم هو الذي أوجد في العائلة مثل هذا التصور..

بعدها قررتُ الدراسة في المدارس الحكومية، فدخلتُ مدرسة «ثروت» التي تبدّل أسمها فيما بعد إلى «١٥ بهمن». وكانوا قد وضعوا لي اختباراً قبل الموافقة علىٰ قبولي.. وعلى ضوء نتيجة الاختبار قالوا لي: تستحق أنْ تذهب إلى الفصل السادس، إلا أنّ سنكَ لا يسمح بذلك، فوضعوني في الفصل الرّابع..

أكملت دراستي الابتدائية في هذه المدارسة، وحصلت في

الامتحانات النهائية العامّة علىٰ المرتبة الثانية.. بعدها دخلت ثانوية «سعدي» لمواصلة دراستي المتوسطة والإعدادية، وبينما كنتُ أواصل الدراسة في السنة الثالثة بدأتْ حوادث شهريور عام (١٣٢٠-١٩٤١م). ونتيجة لهذه الحوادث وجُدتْ رغبة عامّة لدى الفتيان واليافعين في دراسة المعارف الإسلامية..

ومازلت أتذكر حتى الآن، كان يجلس إلى جواري في الفصل فتى حادّ الذكاء، وكان إبناً لعالم دين أيضاً. فبينما كان المدرّس يدرسنا في السنة الثانية، كان هذا الفتى يقرأ كتاب «معالم الأصول»، وهو كتاب في أصول الفقه.

وقد أوجد ذلك في نفسي شوقاً لأنْ أتركَ الدراسة في ثانوية «سعدي» وأذهب لأكون أحد طلبة العلوم الدينية. وهكذا تركت الثانوية عام (١٩٤٢م)، والتحقت بدراسة العلوم الدينية في مدرسة الصدر بأصفهان، لأنني خلال هذه الفترة كنت قد قرأت شيئاً من العلوم الإسلامية.

وخلال الأعوام (٤٢-١٩٤٦م) درست في أصفهان الآداب العربية، والمنطق، والكلام، ومرحلة سطوح الفقه والأصول بسرعة ملفتة للنظر، أضحت سبباً في أن يحيطني أساتذة الحوزة العلمية بألطافهم واهتمامهم..

وفي عام (١٩٤٥م) كنتُ قد طلبت من والديّ بأن يسمحا لي بالمبيت في غرفتي الخاصّة في المدرسة الدينية، لا تفرّغ للدراسة،

وأصبح طالب علوم دينية بمعنى الكلمة.

أمضيت عاميّ (١٩٤٥ و١٩٤٦م) في المدرسة الدينية، وكنت آنذاك أدرس أواخر مرحلة السطوح عندما قررت الانتقال إلى قم لمواصلة الدراسة فيها. وممّا أودُ ذكره هنا هو إنني خلال دراستي في الثانوية كان درس اللغة الأجنبية هو الفرنسية، وأثناء تلك السنتين قرأنا الفرنسية، إلا أنّ ما كان شائعاً في أوساط المجتمع آنذاك تعلّم اللغة الإنكليزية.

وفي السنة الأخيرة من وجودي في أصفهان قررت أن أدرس اللغة الإنكليزية دورة كاملة.. انتقلت إلى قم سنة (١٩٤٦م)، وأكملت فيها دراسة بقية السطوح والمكاسب والكفاية خلال ستة أشهر.

ثمّ بدأت بدراسة «مرحلة الخارج» أوائل سنة (١٩٤٧م)، فدرست خارج الفقه والأصول لدى أستاذنا العزيز المرحوم آية الله محقق داماد، كذلك حضرت دروس أستاذي المربّي والقائد الكبير الإمام الخميني، ثمّ بدأت أحضر درس المرحوم آية الله السيد البروجردي، ودرْس المرحوم آيه الله سيد محمد تقي خوانساري، ولفترة قليلة دروس المرحوم آية الله حجة كوه كمري.

وكنت أدرس في أصفهان المنظومة في المنطق والكلام، إلا أنني لمْ أستطع مواصلة ذلك في قم نظراً لقلة أساتذة الفلسفة آنذاك. فتفرّغتُ غالباً لدراسة الفقه والأصول، والقراءات المتنوعة، وكذلك مارستُ التدريس، فكنت أُدرّس وأدرس.

في سنة (١٩٤٨م) فكرت في مواصلة دراستي الجامعية الأكاديمية، فعدت وأكملت دراسة الإعدادية في قسمها الأدبي، والتحقت بكلية المعقول والمنقول التي تسمى اليوم بكلية الإلهيات، والمعارف الإسلامية.

وفي سنة (١٩٥١م)، انتقلت للإقامة في طهران للتفرّغ لدراستي الجامعية، وكذلك لمتابعة دراستي للغة الإنكليزية علىٰ يد أُستاذ أجنبي متمكن من اللغة. وآنذاك كنت أحصَل علىٰ مصروفي من ممارسة التدريس. واستمرّ هذا الوضع حتى حصلت علىٰ البكالوريوس في عام (١٩٥٢م)، وبعدها عدت إلى قم لمواصلة دراسة العلوم الإسلامية، وفي الوقت ذاته التدريس في ثانوياتها كمدرّس للغة اليوم كافية للتدريس، وأمضي بقية الوقت في الدراسة.

خلال الأعوام (١٩٥١ إلى ١٩٥٦م)، تفرغت لدراسة الفلسفة، وكنت أتردد إلى دروس الأستاذ العلاّمة الطباطبائي، الذي كان يدرّس كتاب الأسفار لملا صدرا، وكتاب الشفاء لابن سينا، وفي هذا المجال كنّا نقيم في ليالي الخميس والجمع مع عدد من الأخوة، منهم المرحوم الشهيد مطهري، اجتماعات خاصة نتداول فيها البحوث والنقاش في الفلسفة، استمرت ما يقارب الخمس سنوات، وفيما بعد جمعتْ ورتبتْ بحوث هذه الجلسات وطبعت في كتاب «روش رئاليسم»- مذهب الواقعية-.

وخلال هذه الفترة كنّا لا ننقطع عن ممارسة نشاطات تبليغية واجتماعية، وكنا قد نظمنا مع المرحوم مطهري وأخوة آخرين يقارب عددهم (١٧) شخصاً، برنامج عمل نذهب علىٰ ضوئه إلى القرى النائية للتبليغ للإسلام.

تزامن وجودي في طهران عام (١٩٥١م)، مع تصاعد النضال السياسي والاجتماعي لحركة النفط الوطنية، بقيادة المرحوم آية الله الكاشاني، والمرحوم الدكتور مصدق، وآنذاك كنت شاباً معمّماً أُشارك بشوق ولهفة في التظاهرات والتجمعات والإضرابات. وصادف أنْ كنتُ في أصفهان أثناء حوادث (٣٠ تير. ١٣٣١ هـ.ش ـ ١٩٥٢م)، وشاركتُ بفاعلية في إضرابات (٢٦-٣٠ تير)، ورُبّما كنتُ أوّل أو ثاني الخطباء في المضربين الذين تجمّعوا في مبنى البريد.

ومازلتُ أتذكّر كيف عقدت في خطابي مقارنة بين موقف الشعب الإيراني تجاه النهب البريطاني للنفط الإيراني، وموقف الشعب المصري وعبد الناصر تجاه بريطانيا وفرنسا، وتأميم قناة السويس. وقد صرختُ محذّراً قوام السلطنة ـ رئيس الوزراء آنذاك ـ، والشاه بأن الشعب الإيراني لا يسمح بأن يصادر المستعمرون ثروات بلاده.

بعد انقلاب (٢٨ مرداد)، وفي محاولة لتقويم الموقف، وصلنا إلى هذه القناعة وهي؛ أنّ غياب الكوادر الفاعلة كان محسوساً، وإننا نفتقر الى مثل هذه الكوادر، فكان قرارنا إيجاد حركة ثقافية نشطة، نستطيع في ظّلها أنْ نعدّ الكوادر المطلوبة، حركة إسلامية أصيلة تهيئ

الأرضية المناسبة لإعداد شباب متدين مثقف. . .

فقمنا بتأسيس ثانوية «الدين والمعرفة» بالتعاون مع الأصدقاء، وكانت مسؤولية إدارتها تقع علىٰ عاتقي مباشرةً، كان ذلك عام (١٩٥٤م). وبقيت في مدينة قم حتى عام (١٩٦٣م)، وخلال هذه الفترة تمكنا من إيجاد حركة ثقافية نشطة حديثة في المجتمع وفي الحوزة أيضاً. واستطعنا أنْ نوجد علاقات طيبة مع الشباب الجامعي، حيث تحقق لقاء وتعاضد بين طلبة العلوم الدينية وطلبة الجامعة يبعث علىٰ الدهشة والإعجاب، إذ كنا نؤمن بضرورة أن تسير هاتان الشريحتان الواعيتان والملتزمتان جنباً إلى جنب دائماً، وتتحركا انطلاقاً من قاعدة الإسلام الأصيل الخالص.

وخلال هذه الفترة بدأ في الحوزة النشاط التأليفي الموجّه للجيل الجديد بلغة حديثة، فكان هناك «مدرسة الإسلام»، و«مدرسة التشيّع»، وكانت بمثابة بداية حركة لنشر الفكر الإسلامي الأصيل والعميق بلغة عصرية حديثة، وكنّا نساهم في الإجابة عن الأسئلة المطروحة بين أوساط الشباب.

بعد ذلك التحقت في الأعوام (١٩٥٦ إلي ١٩٥٩م)، بكلية الإلهيات لدراسة الدكتوراه في الفلسفة والمعقول.

وفي عام (١٩٥٩م) بدأنا نقيم الاجتماعات الشهرية التي من برامجها حديث الشهر. وقد كرّست الجهود لإيصال نداء الإسلام إلى الجيل الواعي بلغة جديدة وأسلوب حديث. ففي كلّ شهر كانت تلّقي

محاضرة في الاجتماع الشهري، وكان يحدد موضوعها من قبل بالاتفاق، لكي يتمكن الحاضرون من التحضير لها.

وكان الأخوة العلماء والمفكرون يتناوبون علىٰ أدائها، وكانت تسجل علىٰ أشرطة كاسيت، ومن ثمّ تكتب، وتطبع في كرّاسات وتوزع، ومن ثمّ تجمع في كتاب، وقد طبع منها ثلاثة كتب تحت عنوان «حديث الشهر»، وكتاب آخر بعنوان «حديث عاشوراء». ومن ضمن المحاضرين في هذه الاجتماعات كان المرحوم آية الله المطهري، وآية الله الطالقاني، وعلماء آخرون. في الحقيقة كانت هذه النشاطات انطلاقة لنشاطات أُخر تبلورت فيما بعد من قبيل ما كان يقام في «حسينية إرشاد» والتي وجدت لها شهرة واسعة جداً.

في عام (١٩٦٠م)، وحيث كنّا نفكر في إعادة تنظيم الدراسة في الحوزة العلمية في مدينة قم، كان المسلمون في ألمانيا خاصة بعد إنشاء مسجد هامبورغ، الذي شيد بتوجيه من المؤسسة الدينية، وبأمر من المرحوم آية الله العظمى السيد البروجردي، وتأسيس المركز الثقافي هناك، كانوا يصرّون علىٰ المرجعية الدينية بإرسال أحد علماء الدين لإمامة مسجد هامبورغ، والإشراف علىٰ عمل المركز.

وقد طُلب إلى كل من آية الله الميلاني، وآية الله الخوانساري، وآية الله الحائري، أنْ أذهب إلى هناك، وأصرّوا علىٰ ذلك. وقد تزامن ذلك مع قرار الجناح العسكري في «الجمعية المؤتلفة» باغتيال منصور- رئيس الوزراء آنذاك- الذي اغتيل بالفعل، وبدأت الحكومة التحقيق في ملف القضية، وكان اسمي قد ورد في الملف، ففكّر

الأصدقاء أن يخرجوني من إيران بأية صورة، وأن أواصل نشاطي في الخارج.

ذهبت إلى هامبورغ، وكان قراري أنْ أبقى هناك بعض الوقت حتى ينتظم العمل، ثمّ أعود إلى إيران. إلاّ انني أحسست هناك بأن الجامعيين كانوا بحاجة ماسة إلى تشكيلات إسلامية تحتويهم، وتبلور نشاطهم وتوجهه، فقمنا بتشكيل نواة الاتحادات الإسلامية لطلبة الجامعات -قسم اللغة الفارسية- وبعدها أصبح المركز الإسلامي كياناً كبيراً فاعلاً.

فيما يخص إعادة تنظيم مناهج الدراسة في الحوزة العلمية، كانت هناك نشاطات واجتماعات متعددة للتعريف بمدّرسي الحوزة العلمية، ومناهجها، وقد اشتركت في جلستين منها، وقد إستطعنا أنْ نخطط علىٰ المدى البعيد وأنْ نعد مناهج دراسة العلوم الدينية في الحوزة تدرّس علىٰ مدى سبعة عشر عاماً. وكان ذلك منطلقاً لتشكيل مدارس نموذجية، حيث قمنا بتأسيس المدرسة الحقانية أو المدرسة المنتظرية تيمناً بإسم المهدي المنتظر عليه السلام، حيث أخذت تدرس المناهج الجديدة، وكنت أُخصص لها جزءاً من نشاطي ووقتي.

وفي عام (١٩٦٢م)، حيث إنطلق التحرك الإسلامي بقيادة الإمام الخميني، والمشاركة الفاعلة لعلماء الدين، كنت حاضراً في صلب الأحداث، التي كانت إنعطافةً كبيرةً في الوعي الثوري لأبناء الشعب الإيراني المسلم.

وخلال هذه الفترة قمنا بتشكيل مركز الطلبة الذي تولى صديقي العزيز المرحوم الشهيد الدكتور مفتّح، مسؤولية الإشراف المباشر علىٰ نشاطاته. كان المركز يقيم اجتماعات أسبوعية، وفي كل اجتماع كان يلقي أحدُنا كلمةً فيه، فكان الحضور يبعث علىٰ الإعجاب. ففي مكان واحد كنتَ ترى طلبة العلوم الدينية، وطلبة الجامعة، وطلبة المدارس، والمثقفين، والمتعلمين، يجلسون إلى جوار بعض.

وكانت هذه الجهود نموذجاً للمساعي علىٰ طريق إيجاد الوحدة بين طلبة الجامعة، وطلبة العلوم الدينية. وقد ضاق النظام ذرعاً بنشاط هذا المركز، فأخذ يمارس ضغوطاً ضدنا إضطرتنا إلى أنْ نترك مدينة قم في شتاء عام (١٩٦٣م)، والمجيء إلى طهران.

واصلتُ في طهران نشاطي الفكري والسياسي، واستطعتُ أنْ أكوّن علاقات حميمة مع الكثير من فصائل النضال. فكانت علاقتي قوية بأعضاء «الجمعية المؤتلفة»، وقد تم تعييني من قبل الإمام الخميني باقتراح من الشورى المركزية، كواحد من أربعة أشخاص شكلّوا المجلس الفقهي، والسياسي لهذه الجمعية.

بقيت في هامبورغ أكثر من خمس سنوات، كانت لي خلالها نشاطات متعددة، سواء في مجال التبليغ الإسلامي بين أوساط الأُوروبيين، أو في مجال النشاط الفكري والسياسي والتنظيمي للطاقات الإسلامية المتنامية . .

وخلال الخمس سنوات هذه تشرّفت بحجّ بيت الله الحرام؛

وسافرت إلى سوريا ولبنان، وذهبت إلى تركيا للإطلاع على النشاطات الإسلامية هناك. وسافرت أيضاً إلى العراق، والتقيت الإمام الخميني عام (١٩٦٩م).

وفي عام (١٩٧٠م)، وبعد أن إنتظم العمل في هامبورغ جئت إلى إيران لضرورة شخصية، وكنت واثقاً منْ أنّهم سوف لا يسمحون لي بالعودة، وهذا ما حصل بالفعل، إذْ منعوني من الخروج.

فقررت إثرَ ذلك أنْ أعودَ ثانيةً إلى نشاطاتي الثقافية السابقة، وفي مجال التأليف، فبدأنا نشاطات فكرية، وبحوثاً علمية واسعةً، بالتعاون مع الشيخ مهدوي كني، والسيد الموسوي الأردبيلي، والمرحوم الدكتور مفتح، وآخرين.

بعدها قمنا بتشكيل نواة حركة علماء الدين المناضلين، التي تمّ الإعلان عن تشكيلها رسمياً في عام (٧٧- ١٩٧٨م)، كما سعينا إلى إيجاد تنظيم سياسي يعمل في الخفاء، وآخر شبه معلن. وفي عام (١٩٧٧م) حيث وصل النضال إلى أوجه، كرّسنا كل الطاقات للعمل في هذا المجال. وبفضل الله ومنّه، والمشاركة الفعّالة لجميع الإخوة من علماءالدين في التظاهرات، والنضال الثوري حققنا الإنتصار الكبير.

وفاتني أنْ اذكر إننا منذ عام (١٩٧١م) بدأنا نقيم دروس تفسير القرآن، حيث كنا نجتمع كل يوم سبت تحت شعار «مدرسة القرآن»، مع مجموعة من الشباب النشط الفعّال من الإخوة والأخوات. وقد

إزداد عدد المشاركين في هذه الدروس حتى بلغ في الأيام الأخيرة ما بين (٤٠٠ إلى ٥٠٠) شخص. وكانت حقاً دروساً مفيدةً وبناءةً. وعلى إثر الأصداء الطيبة التي حققتها هذه الدروس تنبّه «السافاك» الى تأثيرها، فأقدم علىٰ اعتقالنا عام (١٩٧٥م).

واصلتُ نشاطي السياسي والاجتماعي بعد إطلاق سراحي، إلى أنْ انتقل الإمام الخميني إلى باريس، عندها ذهبت للقاء الإمام، وبقيت في باريس عدة أيّام. ، بعدها تمّ تشكيل نواة مجلس قيادة الثورة بتوجيهات من سماحة الإمام الخميني، وأوامره.

وكانت النّواة الأولى تتألف؛ من الشيخ المطهري، والشيخ الهاشمي رفسنجاني، والسيّد الموسوي الأردبيلي، والشيخ باهنر، وأنا.

وبعد ذلك التحق بمجلس قيادة الثورة الشيخ مهدوي كني، ثمّ السيد الخامنئي، والمرحوم آية الله السيد محمود الطالقاني، والمهندس مهدي بازركان، والدكتور سحابي، وآخرون. ثم عاد الإمام إلى إيران. وأعتقد أنّه قد قيلَ وكتُبَ الكثير عن الفترة التي أعقبت عودة الإمام، فلا حاجةً لتكرار ذلك.

أمّا مجموعة الكتب التي ألفتها حتى الآن فهي عبارة عن:

١ ـ الله في القرآن.

٢ ـ ما هي الصّلاة؟.

٣ ـ النظام المالي، والقوانين المالية الإسلامية (مجموعة متسلسلة).

٤ ــ شريحة جديدة في مجتمعنا.

٥ ــ علماء الدين في الإسلام، وبين أوساط المسلمين(مجموعه متسلسله).

٦ ــ المناضل المنتصر.

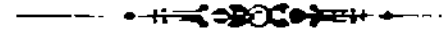
٧ ــ معرفة الدّين.

٨ ــ دور الدّين في حياة الإنسان.

٩ ــ أيُ مسلك.

١٠ ــ المعرفة.

١١ ــ الملكية.



الشهيدان مطهري وبهشتي رحمهما الله

يعتبر آية الله مرتضى مطهري مع آية الله محمد حسين بهشتي قطبي مفكري الثورة الإسلامية في إيران، فكانا مجددين في الفكر الإسلامي الشيعي وتطبيقاته، وكانا فعالين في وضع لبنات النظام الذي أقامته الثورة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية.

وكانا يقومان بحل المعضلات الفكرية والاجتماعية التي كانت تصادف مجلس قيادة الثورة، مع مواجهة التوجهات اليسارية واليمينية لقادتها، إلا أن مطهري كان تجديديًا بينما كان بهشتي أصوليًا.

وقد استشهد مطهري قبل مرور عام على إنتصار الثورة الإسلامية في (٢/ ٥/ ١٩٧٩م)، برصاصة أحد المتطرفين، بينما استشهد بهشتي بعده بعامين تقريبا في (٢٨/ ٦/ ١٩٨١م)، عند قيام منظمة مجاهدي خلق بتفجير مقر حزب الجمهورية الإسلامية الذي كان متواجدًا فيه يلقي إحدى خطبه.

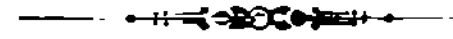
ويبدو أن فترة وجوده في الكلية سمحت له بممارسة نشاطه السياسي من خلال الجمعية الإسلامية للطلاب حتى اعتقل مع الامام

الخميني في أحداث المدرسة الفيضية عام (١٩٦٤م).

وقد أطلق سراحه بعد مدة مع نفي الامام الخميني إلىٰ تركيا، حيث أقام في حي أمير الأمراء، وأخذ يعمل على تشكيل جمعية علماء الدين المناضلين بموافقة الأمام الخميني ومساعدة زملائه.

كما ساعد في السنوات التالية على تأسيس حسينية إرشاد، وصار عضو مجلس إدارة هذه المؤسسة، وهناك بدأت تظهر أفكاره ونظرياته الإسلامية.

وفي عام (١٩٧٠م)، أصدر بيانًا بال اشتراك مع آية الله زنجاني، والعلامة طباطبائي لإدانة الإجراءات الأمريكية في فلسطين، وجمع التبرعات لصالح اللاجئين الفلسطينيين.



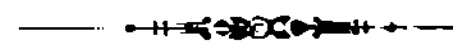
هذا ما قاله الإمام الخميني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال لي الإمام يوماً إنّي متأسف لموت الدكتور بهشتي لثلاثة وجوه؛

أحدها: ليته لم يقصر نظره على خصوص الجامعيين وسعى لكل أبناء المجتمع أعم من العلماء والآخرين ليستفيد الجميع من أفكاره وآرائه لما كان يملكه من قدرة على البيان، وإحاطة بالكلام، وتأثير في المستمعين.

الثاني: أن لم يدعه المحيطون به يعمل جيداً ويبلّغ بشكل جيد، فاشتغل بهم واشتغلوا به.

الثالث: أنه رحل عن الدنيا سريعاً، ولم يتمكن من الإستمرار ليتم عمله[١].



(١) حجة الإسلام السيد محمود دعائي. (نقلاً عن كتاب حكايات وعبر من حياة الإمام الخميني رَحِمَهُ ٱللَّهُ) للمؤلف.

شهادة السيّد بهشتي رَحِمَهُ اللَّهُ

إستشهد آية الله السيد البهشتي في حادث إنفجار مقر الحزب الجمهوري الإسلامي بطهران على أيدي مخالفين لنظام الثورة الإسلامية في إيران.

وذلك سنة (١٤٠١هـ) (١٩٨١م)، وعلى إثر ذلك أعلن الإمام الخميني الحداد العام في إيران، وتم تشييعه تشييعاً مهيباً مع باقي شهداء الحادثة، وتمّ دفنه في مقبرة جنة الزهراء جنوب طهران.



من إنجازات السيّد البهشتي رحمه الله

ـ تأسيس مدرسة في قم إسمها (متوسطة الدين والعلم) بالتعاون مع زملائه لغرض تثقيف الشباب بالثقافة الإسلامية، وإيجاد حركة ثقافية لإعداد الكوادر اللازمة، والتزم مسؤولية إدارة هذه المدرسة. .

ـ أوجد حركة ثورية طلابية عن طريق توثيق الصلات بين الحوزة العلمية والجامعة، لأنه كان يعتقد بأن الطلاب الجامعيين وطلبة الحوزة يمكنهم التكاتف والتضامن التام على العمل وفق الأسس التي دعا إليها الإسلام.

ـ تأليف الكتب الإسلامية بلغة حديثة وفق أسس العقيدة الإسلامية، تنسجم مع طبائع الجيل الجديد.

ـ قام بالتنسيق مع العلماء في الحوزة العلمية بقم، لغرض إعداد برنامج خاص لدراسة العلوم الإسلامية، وكان ثمرة ذلك تأسيس مدرسة (الحقاني المنتظرية) نسبة إلىٰ الإمام المنتظر (عج)، كنموذج لهذا المشروع.

ـ ذهابه إلىٰ مدينة هامبورغ في (ألمانيا) لتنظيم أمور مسجد هامبورغ، الذي أسسه السيد البروجردي حيث قام بتأسيس الإتحاد

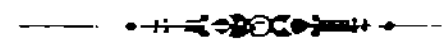
الإسلامي للطلبة الإيرانيين هناك، وبدأ بنشر الإسلام «الثوري» في أوربا وقارة أمريكا.

ـ المساهمة الفعالة بتشكيل رابطة العلماء المجاهدين في إيران، التي قادت الثورة الإسلامية ضد نظام الشاه، حيث قامت هذه الرابطة بالتظاهرات والنشاطات السياسية ضد الحكم الشاهنشاهي، حتى تحقق النصر.

ـ سافر إلىٰ باريس والتقى بالإمام الخميني عندما كان هناك، وقام بوضع اللبنة الأولى لمجلس قيادة الثورة الإسلامية في إيران، وكان ذلك قبل سقوط الشاه.

ـ قام في سنة (١٣٧٠هـ) ـ أيام الحركة الوطنية التي قادها آية الله الكاشاني والدكتور محمد مصدق ـ بإلقاء خطاب في اصفهان تحدّث فيه حول عدم قدرة الشعب الإيراني على تحمّل المطامع الإستعمارية التي كانت تستهدف نهب ثرواته.

ـ دعمه لإنتفاضة (١٥ خرداد) (١٩٦٢م) التي قادها الإمام الخميني ضد الشاه في سنة، وقيامه بالتنسيق مع العلماء بتأسيس (جمعية الطلبة) في مدينة قم، وعلى إثرها تمّ إبعاده من قبل النظام إلىٰ طهران.



الدكتورعلي شريعتي رحمه الله

الولادة والنشأة

ولد علي محمد تقي شريعتي في عام (١٩٣٣م) في قرية (مزينان) القريبة من مدينة مشهد في محافظة خرسان.

ينحدر الدكتور علي شريعتي من أسرة متعلمة فقد كان أبوه مفسّرا للقرآن، وكاتبا معروفا ومؤسسا لمركز علمي يسمى (مركز نشر الحقائق الإسلامية).

في عام (١٩٥٥م) إلتحق علي شريعتي بكلية الآداب جامعة مشهد، وتخرّج منها بدرجة إمتياز عام (١٩٥٨م).

أرسل في بعثة دراسية إلىٰ فرنسا عام (١٩٥٩م)، حيث درس الأديان وعلم الاجتماع، وحصل على شهادتي دكتوراه؛ الأولى في تاريخ الإسلام، والثانية في علم الإجتماع.

تزوج علي شريعتي أثناء دراسته الجامعية في مشهد من زميلته (بوران شريعتي رضوي) (١٩٥٦م).

محطات مهمّة في حياة شريعتي رَحِمَهُ اللهُ

يعد علي شريعتي من أبرز رواد الحركة الإسلامية الإيرانية وفي مقدمة مفكريها، وقد لعبت جهوده وأفكاره دوراً كبيراً في التعبئة الفكرية والسياسية التي سبقت الثورة الإسلامية عام (١٩٧٩م) إلىٰ حد أنه كان يلّقب في أوساط الشعب (معلم الثورة).

إنخرط شريعتي منذ أن كان صغيراً في العمل السياسي حيث إنضم هو ووالده في نهاية الأربعينات إلىٰ حركة كانت تظم جماعة من المثقفين الإيرانيين المتأثرين بالأفكار اليسارية التي كانت تجد صدى واسعاً في ذلك الحين، وهي الحركة (الإشتراكيون الذين يخشون الله).

وكذلك التحق هو ووالده إلىٰ تيار مصدّق، الذي كان يعرف بالحركة الوطنية عام (١٩٥٤م)، وكان وقتها طالباً في المرحلة الثانوية.

واستمر نشاطه السياسي حتى أصبح عضوا في حركة المقاومة الوطنية التي أسسها آية الله الزنجاني وآية الله الطالقاني ومهدي بازركان، وكان ممثلاً لهذه الحركة في خارج إيران أبان دراسته في باريس.

كانت نقطة التحول في مسيرة شريعتي هي حسينية إرشاد التي أفتتحت عام (١٩٦٩م)، لكي تكون مركزاً علمياً حيث ركّز فيها شريعت ي كل نشاطه، فألقى محاظرات منتظمة عن الإسلام وتاريخ التشيع مصححا من خلالها المفاهيم السائدة.

وأسّس فيها خمس لجان للإشراف على النشاطات المتعددة، لجنة تاريخ الإسلام، ولجنة تفسير القرآن، ولجنة للأدب والفن، ولجنة للغة العربية لتصحيح منابع التراث الشيعي، ولجنة للغة الإنكليزية لحمل رسالة الإسلام العالمية ونشرها.

عانى شريعتي خلال مسيرته هذه من السجن مرات عديدة، فقد سجن عام (١٩٥٨م) لمدة ستة أشهر بسبب القمع الذي تعرضت له الحركة الوطنية.

واعتقل عام (١٩٦٥م) في منطقة آذربيجان على الحدود التركية الإيرانية لدى عودته من أوربا، وأفرج عنه بعد عام واحد.

وبعد قرار السلطات إغلاق حسينية إرشاد عام (١٩٧٣م). إختفى علي شريعتي وتوارى عن الأنظار، لكنّه سرعان ما سلّم نفسه إلىٰ السلطات بغية إنقاذ والده المعتقل.

وبقي هذه المرّة في السجن ما يقارب (١٨) شهراً، ثم أطلق سراحه بعد أن تدخّل من أجله المسؤولون الجزائريون أثناء زيارة الشاه إلىٰ الجزائر عام (١٩٧٥م).

شخصيات تأثر بها شريعتي رحمه الله

إن أوّل من تأثر به الدكتور شريعتي كان والده الذي يعتبر معلمه الأوّل، حيث تلقّى بعض أفكاره، وراح يطورها وينضجها لاسيّما أفكاره الإصلاحيه، حيث قام بتأسيس مركز الحقائق الإسلامية.

ومن الذين تأثر بهم الدكتورعلي شريعتي الدكتور مصدّق الذي يمثّل الوطنية الإيرانية بأبهى صورها ـ قاد مصدّق ـ حملة كبيرة لتأميم النفط الإيراني، ولّدت له صراعا مع شاه إيران.

ومن شدة إعجاب شريعتي به انضم إلىٰ تياره عام (١٩٥٤م)، وكان في حينها طالبا في المرحلة الثانوية.

ومن الذين تأثر بهم شريعتي كذالك الإمام الخميني [يذكر في أحد مؤلفاته أنه يفتخر بأنه مقلّد للخميني، وأنه لا يمكن أن يتخذ مرجعاً غيره].

أمّا عن أساتذته الآخرين فلا يعرف من الشخصيات الإيرانية من نستطيع أن نجزم أن شريعتي كان متأثراً به، في حين نجد من الأساتذة الغربيين من يحقق لنا اعتباره أستاذا له من أمثال [(فرانز فانون)

و(سارتر) و(ريمون آرون) و(ماسيبون) و(ماك بريك) و(هنري ماسيه)].

أمّا عن الذين تأثروا به فنستطيع أن نقول: أن جيلاً كاملاً من المثقفين الإيرانيين وخصوصاً الجامعيين قد تأثروا به.



مؤلفات الدكتور شريعتي رحمه الله

توجد كتب عديدة لـ (علي شريعتي) يتداولها المثقفون والمهتمون به، وأكثر هذه الكتب مطبوعة ليست مؤلفات كتبها بيده، بل هي محاضرات ألقاها وسجّلت، ثم أفرغها أتباعه على شكل كتب، وهذا يفسّر كثرة العناوين المطبوعة له، والتي عدّها بعضهم أكثر من مائة عمل علمي.

ومن آثاره المطبوعة:

١ ـ معرفة الإسلام.

٢ ـ المرأة في عين وقلب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ ـ فاطمة عليها السلام هي فاطمة عليها السلام.

٤ ـ التشيع العلوي والتشيع الصفوي.

٥ ـ ماذا يجب عمله.

٦ ـ من هنا نبدأ.

٧ ـ الإعداد الذاتي الشورى.

٨ ـ علم الاجتماع الإسلامي.

٩ ـ الأمة والإمامة.

١٠ ـ الإنسان في الإسلام.

١١ ـ (سربدران) مسرحية دينية.

١٢ ـ العودة.

١٣ ـ الشيعة حزب كامل.

١٤ ـ الحضارة والتقدم.

١٥ ـ مجد محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

١٦ ـ أبو ذر.

١٧ ـ أبي وأمي نحن متهمون.

١٨ ـ مولدي = الأرض القاحلة.

١٩ ـ مسؤولية التشيع.

٢٠ ـ الشهادة.

٢١ ـ الإمام السجاد عليه السلام أجمل روح عابدة.

٢٢ ـ الإمام علي عليه السلام في محنة الثلاث.

٢٣ ـ النباهة والاستعمار.

٢٤ ـ الشهادة رسالة الحسين عليه السلام.

٢٥ ـ الدعوة رسالة زينب عليها السلام.



حادثة وفـات علي شريعتي رَحِمَهُ اللَّهُ

بعد إعتقال دام أكثر من ثمانية عشر شهراً أفرج عن علي شريعتي عـام (١٩٧٥م)، لكنه وضع تحت المراقبة، ومنع من القيام بأي نشاط، واستمر هذا الحال إلىٰ أن سمحت له السلطات بالسفر، فرحل إلىٰ لندن عام (١٩٧٧م).

وبعد شهر من إقامته هناك عثر عليه ميتاً في شقته ميتةً غامضةً، تعلن عنها السلطة أنها نوبة قلبية، بينما يكاد يجمع جميع المراقبين إنها كانت حادثة مدبرة، قام بها جهاز المخابرات الإيراني [ألسافاك الإيراني].

يقول الاستاذ إبراهيم دسوقي شتا:

«والكل يعلم أنها من تلك النوبات المصطنعة النى دبرتها السلطة عشرات المرّات لأعدائها».

ولم تسمح السلطات الإيرانية بدفن جثمانه في إيران، فنقل إلىٰ دمشق، ودفن في الحرم الزينبي.

العلاقة بين بهشتي وشريعتي رحمهما الله

لم تكن للسيّد بهشتي معرفة لصيقة وقوية بالدكتور شريعتي قبل مغادرة شريعتي إيران، وكان الأمر يقتصر على الاطلاع على بعض كتاباته ونزرٍ متفرّق من اللقاءآت العامة في مشهد وطهران بعد العام (١٩٧٠م).

ويتوقف بهشتي عند لقاءٍ رمضاني جمعه مع شريعتي إستمر لما يربو على ثلاث ساعات، ويبدو أن اللقاء كان آخر اللقاءات التي جمعت الاثنين، إذ رحل الدكتور شريعتي في العام (١٩٧٨م) في لندن، فيما إستشهد السيّد محمد حسين بهشتي في حادثة الانفجار في (١٩٨١م).

يذكر السيّد بهشتي السياق العام لهذا اللقاء بالإشارة إلىٰ الإثارات التي كانت تدور حينها حول «الدكتور ومؤلفاته وعمله ومحاضراته وحسينية الإرشاد»، كما يقول بأن هذه الإثارات طالته شخصياً، حين بدأت الأسئلة توجّه إليه لتوضيح موقفه من شريعتي وكتاباته.

وقد كان يجيب على هذا النمط من الأسئلة بالتأكيد على أن الأخطاء التي تخللت أعماله، لا تمحو قدراته الغنية، وبالتالي يُبدي رفضه لأساليب الهجوم التي تعرّض لها شريعتي.

وبسبب هذا الموقف المتوازن من شريعتي، تعرّضت علاقات بهشتي للاضطراب مع أصدقائه العلماء، إلا أنّ ذلك لم يؤثر على رؤية الأخير لموضوع شريعتي، والذي حاول معرفته من خلال التعمّق في نتاجاته، والإجتماع معه في لقاءاتٍ داخلية كهذا اللقاء الرّمضاني.

في هذا اللقاء يقترح السيّد بهشتي على شريعتي إيجاد حل سريع لما يُثار من ضجيج حول كتاباته، إذ إنها تحتوي، كما صارحه مباشرة، «على أمور لا يمكن بأي شكل من الأشكال الدفاع عنها أو تبريرها».

وقد كان رد شريعتي حاظرا حين عاتب السيّد بهشتي، وطلب منه أخذ محاضراته وبحوثه، و«التناغم الفكري» معها لأجل «تنضيجها»، وإعادة النظر فيها، لتكون جاهزة بعد ذلك للطرح والإذاعة بين الناس.

ويبدو أن السيّد بهشتي لم يكن يتوقع ذلك من علي شريعتي، حيث سأله إنْ كان ستشمل هذه المراجعة ما لم يُطرح بعد من محاضرات، فكان جواب شريعتي بالإيجاب، وشمولها لكلّ ذلك.

فأدرك بهشتي حينها صفتي «الإنصاف والتواضع» في شخصية شريعتي، بوصفه إنساناً باحثاً.

شريعتي والنظرة التحليلية الإجتماعية

ـ الدكتور علي شريعتي: هو من الشخصيات البارزة المؤثرة، ومن المصلحين المعروفين في القرن المعاصر، علماً بأنّ له أصدقاء وأعداء ومؤيدين ومخالفين كثيرين جداً.

ولقد كان هذا المؤرخ يبحث التاريخ مستنداً إلىٰ النظرة التحليلية لعلم الاجتماع. وقد تلقّى كثير من شباب عصره هذه التحليلات بالقبول الحسن، وإستناداً لإيجاد هذا الأسلوب يمكن إعتباره في عداد روّاد المدرسة التحليلية لعلم الإجتماع التاريخي.

ولقد إعتمد في منهجه لتدوين التاريخ وتحليله على المقارنة بين الشخصيات، وعلى النتائج التي تمخضت عنها أعمالهم القائمة على الإستفادة من المدارس المعتبرة في عصره.

وقد كانت له نظرة تاريخية خاصة للشيعة والتشيّع بعيداً عن المظاهر السياسية والبهارج الكلامية، واستغلال الحكومات، وسيطرة العادات والتقاليد والأعراف القومية والمحلية، وعن كل ما من شأنه اخفاء الحقائق، فكان يقارن بين التشيّع الأصيل، والتشيّع غير الأصيل كلّ ذلك وسم عمله بوسام خاصّ متميز.

ويمكننا أن نجد مثال هذه النظرة في كتابه: (التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي)، وقد كان كتابه هذا قد أثار موجة من الحساسية والنقد. ولازالت الخلافات بين مؤيديه ومخالفيه قائمة لحد الآن.

والمهم فيما نحن بصدده أنه أوجد نظرة جديدة إلىٰ التاريخ، وإن أعطى للتاريخ وتحليله قيمة ومكانة بحيث لم يستطع أحد من معاصريه أن يفعل فعله.

ونستطيع أن نشكل على كتاباته بأنه كان يبالغ في التحليل، ويفرضه على النصّ فرضاً، ولو بدأ بنقد الروايات وتنقيحها وترجيحها قبل التحليل والتفسير لكان أكثر توفيقاً ونجاحاً في عمله.



شريعتي ومسألة الإمامة

يستطرد بهشتي في ذكر بعض فضائل شريعتي، وهو يتعاطى مع موقف البحث والتعاون الفكري مع بعض منتقديه.

فشريعتي لم يكن منغلقاً على ما يتوصّل إليه من نتائج، وكانت لديه القابلية الأخلاقية والعلمية لإحداث المراجعة على أفكاره، طالما اتضح له خطؤها أوعدم متانتها العلمية.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك، هو موضوع النص بالإمامة بعد النبي ﷺ، حيث تداول بهشتي هذا الموضوع مع ـ السيد الإمام علي الخامنئي ـ، وانتهى الكلام إلىٰ رؤية شريعتي في هذه المسألة، والذي كان يعتقد شريعتي أن النبي ﷺ لم ينصّب الإمام علي عليه السلام على الناس، بل رشّحه للإمامة كي ينتخبوه.

وينقل السيد بهشتي عن الإمام (علي الخامنئي) بأن هذا الموضوع أُثير بعض المرات مع الدكتور، وأن شريعتي ـ كما يستشف الإمام الخامنئي ـ، كان يعتقد أنّ الإسلام لا يمكن أن يفرض قائداً على الأمّة، وما قاله النبي ﷺ في تولية الإمام علي كان ترشيحاً وإرشاداً لا تنصيباً.

إلاّ أن (الإمام علي الخامنئي) يشير إلىٰ وقوف هذا الاعتقاد عند مرحلةٍ معينة من مراحل التطور الفكري لشريعتي.

وهو ما يؤكده بهشتي بوضوح أكثر، حينما يجري بعض المقارنات التي دفعت شريعتي إلىٰ إعادة النظر في رؤيته السابقة، ليُدرك بعدها أن «قضية تعيين الإمام من بعد النبي الأكرم ﷺ بالتنصيب والنص، هو شيء معقول ومنطقي، لذا فلا معنى لتأويل الروايات والنصوص الواردة بهذا الشأن، وبالتالي فقد كان هذا استنتاجه وأقرّ به».

وهذا التحوّل في الموقف النظري من الإمامة، يعدّه بهشتي علامة على حيوية الفكر وتجدده.



موقف بهشتي من شريعتي رحمهما الله

في سياق هذا الموضوع يعرّج السيد بهشتي للحديث عن ضرورة إحتضان منْ نختلف معهم ونرفضهم، وأن «الثورة الإسلامية» إنْ لم تفعل ذلك فلن تأخذ مسارها الصحيح.

ويذكر أن هناك خلطاً يقع فيه البعض بين اتخاذ الموقف الديني بصراحة، وبين التعامل المتحجّر مع التيارات الأخرى.

ويتوقف عند مصطلح الإلتقاط، الذي كان رائجا في وقته، ليؤكد أيضاً على ضرورة عدم المساس بالأصالة الدينية في إطار البحث عن التواؤم مع الفكر الآخر.

ولعلّ ورود مصطلح «الالتقاط» كان سبباً في اشارة السيّد البهشتي للشيخ المطهري في هذا المقطع من المحاضرة، خصوصاً وأنهما تباحثا مراراً حول نشاطات الدكتور شريعتي.

فالسيد البهشتي يذكر أن حساسية الشيخ مطهري تجاه بعض كتابات شريعتي، كانت تتركّز على نقطة الإلتقاط تحديداً.

حيث كان يقول الشيخ مطهري بأنه يجد في مقاطع متفرقة من

كتاباته ـ إشارة الى الدكتور شريعتي ـ «رائحة التأثر بالفكر الجدلي المادي».

يقول الشيخ مطهري: وأن شريعتي، يواصل في هذا الإتجاه بلا وعي منه، «وهو ما يعد أكثر خطورة بالنسبة لشبابنا الذي يفتقر إلىٰ المستوى المعرفي للدكتور».

هذا الرأي الذي ينقله بهشتي يتضمّن خلاصة موقف الشيخ مطهري من هذا الموضوع، ولم يُخفِ بهشتي طابع الحدّة عند الشيخ المطهري في تعبيره عن موقفه الديني والفكري.

يستخلص بهشتي محاضرته بشكل عام يكشف فيه وجهة نظره في شريعتي ومسيرته الفكرية، وحول ذلك يقول ما نصّه:

«من خلال إطلاعي على كتابات المرحوم الدكتور وأقواله وحواراتي معه، أدركتُ فيه مثل هذه الميزة في التقصّي وطلب الحقيقة. كان الدكتور بنظري ينطلق دوماً من الفكر الممزوج بالمذاهب الأوروبية والحديثة، أوالعرفان الإيراني والهندي، أو مزيج آخر باتجاه معرفة الإسلام الحي والبنّاء، والأكثر خلوصاً ونقاءً من الشوائب. هذا المسير رهن للذهن الوقّاد والقريحة الغنية والروح المتعطشة والنفس الباحثة والجهود الحثيثة في الليل والنهار، الأمر الذي قلّ نظيره على طريق الفهم والتفهيم. هذا الرأي الذي أحمله عن المرحوم الدكتور شريعتي».

رأي الإمام الخميني رحمه الله

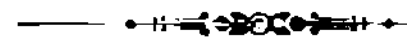
كنتُ يوماً عند الإمام فقال: لقد أرسلوا شخصاً من طهران لهدف واحد هو أن يأتي إلىٰ هنا ويتحدث ضد الشيخ المطهري والسيد الشريعتي - وكانا كلاهما يومذاك على قيد الحياة -، أنا أعرف السيد المطهري وأعرف كيف يفكر، جاؤوني بكتابه «قضية الحجاب»، ووضعوه على منضدتي وقالوا: إن هذا الكتاب قد جعل نساء جنوب طهران أيضاً ينزعن الحجاب! في حين أنني قرأت هذا الكتاب، فهو لم يجعل جنوب طهران خاليةً من الحجاب، بل إنه جعل الكثيرات من السافرات يقتربن من الحجاب الشرعي.

كما جاؤوني بكتاب «معرفة الإسلام» للسيد الشريعتي وقالوا: أنه ضد المقدّسات الإسلامية، لم أرغب أن أردَّ عليهم، لذلك قلت لهم: إن هذا الكتاب ضخم، فحددوا لي المقاطع التي ترونها ضد المقدسات، فأشاروا إلىٰ أحد المقاطع، فوجدته على غير ما يقولون، أجل من المحتمل أن يكون قد عبَّر فيه عن ذوقٍ خاصٍ قد لا أرضاه أنا ولكنه على أي حالٍ ليس بالصورة التي يروجونها هم كفكر معارض للإسلام يجب الوقوف بوجهه[1].

(١) حجة الإسلام السيد محمود دعائي. مجلة سروش، السنة الثالثة ١٣٦٠-٣-٣٠هـ.ش (١٩٨١م)، (نقلا عن كتاب حكايات وعبر من حياة الإمام الخميني رحمه الله المؤلف).

إحدى بنات الإمام الخميني رحمه الله

كانت إحدى بنات الإمام تأنس بالشخصية العلمية للمرحوم الدكتور علي شريعتي، ولكن ليس بحالةِ المدافع المتعصب عنه الذي لا يقبل غير قول الدكتور، بل كانت تتعامل على وفق رأي الإمام الذي كان يعتقد أن الكثير من كتابات وخطابات المرحوم الشريعتي مفيدة ويمكن الاستفادة منها وينبغي تدريسها، وأن في بعضها إشتباهات ينبغي التنبيه لها وإصلاحها، وهذا ما كان يقوله الدكتور الشريعتي نفسه بشأن كتاباته فلم يكن يدعي لنفسه صحة كل ما يقوله[1].



(١) حجة الإسلام السيد محمود دعائي. (نقلا عن كتاب حكايات وعبر من حياة الإمام الخميني رحمه الله المؤلف).

المطهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ والمجتمع

الأستاذ المطهري تربىٰ علىٰ الإسلام فامتازت شخصيته بشموليتها لذا لم يكن ممكناً أن يعزل نفسه عن المجتمع، ومن هنا اهتم كثيراً بمشاكل المجتمع وسبل حلها حتىٰ وهو في عنفوان شبابه وقبل إنهاء دراسته الحوزوية المتعارفة، وقد رأينا كيف أوقف عمره المبارك علىٰ خدمة المجتمع والقيام بإخلاص بواجبه الإلهي عبر صورٍ شتّىٰ من تبليغ وإرشاد وتدريس وتأليف وتحقيق ونشاطات سياسية واجتماعية، وقد تجلّت تأثيرات ذلك في مختلف الميادين ونشرع الآن بالحديث على تأثيرات الأستاذ الشهيد في الميدان الاجتماعي في إيران وضمن فقرات عدة:

في الحوزة العلمية

كان للأستاذ المطهري علاقة قوية بالمجتمع الحوزوي، وظلّت روحُه معلقة بحوزة قم علىٰ الرغم من رحيله عنها وهجرته إلىٰ طهران التي شرع وفور وصوله إليها بالتدريس الحوزوي في مدرسة

«مروي» الدينية في طهران، وربّى فيها طلبة يُعدّون اليوم من فضلاء العلماء.

وإضافة إلىٰ هذا الدرس الحوزوي الذي استمر إلىٰ قبيل استشهاده بعامين، كانت للأستاذ دروس في قم في الأعوام الأخيرة حظيت بإقبال واسع من قبل طلبة حوزتها، كدروسه عن الماركسية، ودروسه عن المجتمع والتاريخ في القرآن، وكذلك دروسه في الأسفار الأربعة لصدر المتألهين الشيرازي.

ومعلومٌ أن ارتباط وعلاقة واهتمام الأستاذ المطهري بالحوزة لم يكن نابعاً من كونه حوزوياً فهو قد تحرر عملياً من التعصب بل نابع من إيمانه بأن الحوزة هي المؤسسة الوحيدة الصالحة لقيادة المجتمع.

فالأستاذ كان يعتبر الحوزة وعلماءها وطلبتها هم الحماة والمدافعون الحقيقيون عن خندق وحريم الإسلام ومعارف القرآن.

وهذه الحقيقة أثبتها تأريخ الحوزة الممتد لأكثر من ألف عام، ولذا كان يكنّ احتراماً خاصاً لها، فهي التي أنجبت آلاف العظام من أمثال الشيخ الطوسي، والعلامة الحلي ونصير الدين الطوسي، وابن سينا، وشيخ الإشراق، والفيض الكاشاني والشيخ الطبرسي، والعلامة المجلسي، والشيخ البهائي، والحر العاملي، وصدر المتألهين الشيرازي، والمحقق ميرداماد، والملا هادي السبزواري، والسيد جمال الدين الأسد آبادي «الأفغاني»، والسيد حسن المدرس،

والعلامة الطباطبائي والإمام الخميني، وأي برهان علىٰ أصالة حياة «الحوزة» علمياً ومعنوياً من إنجاب أمثال هؤلاء؟!

وإلىٰ جانب هذا الاحترام كان الأستاذ الشهيد يرىٰ ضرورة مكافحة آفاتها، فالحوزة كالشجرة تصيبها بعض الآفات فيجب مكافحة الآفات وليس استئصال الشجرة نفسها، وقد أوضح المطهري آراءه الإصلاحية في هذا المجال في مقاله «المشاكل الأساسية في الجهاز الحوزوي».

لقد كان الأستاذ بنظرته الثاقبة علىٰ معرفة بالمشاكل التي يعاني منها المجتمع الإسلامي، وكذلك بالأخطار المهددة للإسلام وعقائده، وهو في هذا المجال يأتي بالدرجة الثانية بعد الإمام الخميني في قائمة النوادر العارفين بهذه المشاكل والأخطار.

وكنتيجة لهذه المعرفة المعمقة، بادر إلىٰ الدفاع الدؤوب والصلب في مواجهة البدعة الخطيرة «إسلامٌ بدون الحوزة»، وهي من أخطر البدع التي رُوج لها طويلاً عن وعي أو بدونه وغُلّفت بغطاء تضليلي هو غطاء التحرر الفكري المزعوم.

ومفهوم أن الإسلام بدون الحوزة وعلمائها يعني الإسلام دون العارفين بحقائقه المتبحرين في مفاهيمه، وإسلامٌ كهذا يستطيع الأعداء والمغرضون توجيهه حيثما أرادوا، بل وحتىٰ ترويج أفكارهم باسمه.

إن فصل الإسلام عن الحوزة هو فصل القرآن نفسه عن عترة النبي صلى الله عليه وآله، والإسلام بدون الحوزة يذكّر بالإسلام دون الإمامة، فالشيعة الذين تعلموا القرآن من الأئمة الأطهار عليهم السلام، تعلموا منهم أيضاً أن رجوعهم في زمن غيبة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، إنما يكون إلىٰ رواة أحاديثهم، الذين سبقوا الآخرين في معرفة القرآن وخالفوا الأهواء وتجلىٰ فيهم ذكر الله تعالىٰ وتقواه.

من جهة أخرىٰ، فإن وجودِ الأستاذ المطهري بمقامه العلمي السامي وفضائله الأخلاقية وخدماته العظيمة للمجتمع الإسلامي، هو بحدٍّ ذاته من أفضل مفاخر الحوزة، ومن البراهين الناطقة بحقيقة أن الحوزات العلمية ما زالت قادرة علىٰ تربية أمثال أولئك العظام وتقديمهم للمجتمع.

حظي الأستاذ المطهري باحترام خاصٍ في الأوساط الحوزوية وهو من مؤسسي «جماعة العلماء المجاهدين في طهران»، وواقع الحال هو أن الأستاذ شكل حلقة الارتباط بين الإمام الخميني من جهة وبين سائر المراجع والعلماء الحوزويين والجامعيين والتجار والكسبة من جهة أخرى.

وكان يحظى بثقة عالية عند الإمام الخميني أهلته لأن يكلفه بمسؤولية تشكيل مجلس قيادة الثورة الإسلامية.

في الجامعات

لقد كان الأستاذ المطهري أعرف من الآخرين بمشاكل وهموم المثقفين والجامعيين، وطبيعة الأفكار الغالبة عليهم، بحكم ارتباطه المستقيم بمحافلهم وندواتهم ومؤتمراتهم علىٰ مدىٰ خمسة وعشرين عاماً.

ولهذا يمكن القول إنَّ المطهري استطاع القيام بالدور الأكبر في الربط بين الحوزة والجامعة، ما زالت محاضراته القيمة التي كان يلقيها في المحافل الجامعية في طهران والمدن الأخرىٰ حاضرة في الأذهان.

كما أن الإقبال الواسع من قبل الجامعيين علىٰ محاضراته ودروسه في المحافل الجامعية أو في المساجد أو المؤسسات الإسلامية هو دليل واضح علىٰ دوره في الربط بين الحوزة والجامعة.

وإضافةً إلىٰ تصانيفه ومؤلفاته فقد خاطب الأستاذ المطهري الفئة المتعلمة، من خلال محاضراته ودروسه العديدة في مختلف الكليات والجامعات والمساجد والاتحادات الإسلامية للمهندسين والأطباء وفي المؤسسة الإسلامية في حسينية إرشاد ومسجد الجواد والمراكز العلمية والدينية الأخرىٰ، وعرض الإسلام النقي ومفاهيمه الأصيلة خالية من الأوهام والتحليلات الخاطئة والنزعات الغربية لمدّعي الثقافة.

العلاقة مع عامَّة الشعب

تحلّىٰ الأستاذ المطهري بالأخلاق النبوية فلم يقطع علاقته بعامة الناس شأنه في ذلك شأن سائر العلماء الحقيقيين، ولم يمنعه سمو درجته العلمية من التحدث إلىٰ عامة الناس وإرشادهم ووعظهم وإيصال ثمار علمه إليهم.

ولم تكن مجالس وعظه وإرشاده العامة أقل أهمية وتأثيراً من دروسه، فكان يركّز فيها علىٰ القضايا التربوية أكثر من الأمور النظرية ويعلّم فيها عامة الناس معارف القرآن ونهج البلاغة العميقة.

وبطبيعة الحال تميَّزت خطاباته ومجالسه العامة بلغةٍ أبسط من لغة دروسه لكنها لم تفتقد أبداً للمعارف العميقة والتحقيقية وغاية الأمر أن يعرض فيها المعارف الإسلامية العميقة بلغةٍ مبسطة بأقصىٰ حدٍّ يمكن لعامة الناس فهمها.



العالِم المحقق

المنهج التحقيقي الذي اتبعه الأستاذ المطهري، يعتبر أحد خصائصه المهمة التي تضم نموذجاً عملياً يمكن أن يكون قدوةً لجميع أولئك الذين يريدون انتهاج الأسلوب العلمي في حلٍّ وبحث المعضلات والمسائل الإسلامية كافَّة.

ويمكن القول دون أدنىٰ تردد إنَّ المنهج التحقيقي المنظّم هو أحد أهم عوامل نجاح المطهري في معرفة الإسلام وتبليغه، وقد نبَّه هو مراراً إلىٰ هذه الحقيقة مذكراً بأن الطرح الجيد للسؤال ومعرفة طبيعة الإشكال يشكل القسم الأهم من الإجابة.

والأسلوب الصحيح في بحث القضايا المختلفة يمكن مشاهدته في كتب الأستاذ كافة، يقول رحمه الله عن الأسلوب الصحيح في المطالعة:

«.. في المرة الأولى يقرأ المرءُ الكتاب بهدف المتعة، وفيها لا يستطيع الحكم علىٰ مطالبه، ثم يطالعه ثانيةً، فأقوىٰ حافظةٍ تحتاج إلىٰ مطالعة الكتاب النافع مرتين متواليتين كحدٍّ أدنىٰ، وبعد ذلك،

يعمد إلىٰ مناقشة وتحليل مطالبه وتصنيفها وفق هذا التصنيف في ذهنه.

ثم يسعىٰ إلىٰ اختيار كتاب آخر حول الموضوع نفسه لمطالعه بالأسلوب نفسه، ومن المهم تجنّب الدخول في موضوعٍ ثانٍ قبل أن يتضح الموضوع الأول بصورة كاملة ويُحفظ في الذهن.

ومن الخطأ أن يعمد المرء على نحو ملء الفراغ إلىٰ مطالعة كتاب آخر حول موضوعٍ آخر قبل أن يترسَّخ موضوع الكتاب الأول ومطالبه في الذهن ويتسنىٰ له مناقشة مختلف جوانب الموضوع الأول.

أمّا أن يطالع اليوم كتاباً تأريخياً وغداً كتاباً نفسانياً وبعده كتاباً دينياً، فذلك يؤدي إلىٰ خلطها جميعاً ويصبح ذهنه مخزناً غير مرتب تتبعثر فيه المعلومات.

إن الإنسان الناضج يجمع الكتب والمواضيع التي يراها ضرورية بالنسبة له، ثم يطالعها مراراً ويصنّفها ثم يلخّصها، ويدوِّن خلاصاتها ويحفظها ويكمل موضوعاً واحداً ثم ينتقل إلىٰ موضوع آخر.

ومثل هذا الأسلوب يمكّن الإنسان من الاستفادة من حافظته بطاقتها القصوىٰ مهما كانت ضعيفة، فيصبح ذهنه مثل مكتبة منظمة ذات رفوف مرتبة يسهل الانتفاع منها في كل حين، فكل رفٍّ من رفوفها مخصّص لكتب حول موضوع محدد، بحيث يستطيع استخراج أي كتاب يريدُهُ بسهولة.

وفي غير هذه الحالة يكون ذهن الإنسان مثل مكتبة تضم آلاف الكتب المبعثرة أو الملقاة بعضها فوق بعض وكلما أراد أن يستخرج كتاباً منها، فعليه أن يبحث عنه ساعتين قبل العثور عليه..»[1].



(١) الإمدادات الغيبية في حياة الإنسان.

العالِم المبلّغ

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾.

أدّىٰ الشهيد المطهري واجبه الإسلامي في خندق التبليغ علىٰ أكمل وجه؛ وكان لمحاضراته جنبة تخصيصية في بعض الأحيان كبحوثه عن نظرية «المعرفة».

وتكون في أحيان أخرىٰ ذات جنبة عمومية تخاطب الجميع، والذي يحدد طبيعة المحاضرة طبيعة الحاضرين فيها ومستوياتهم الثقافية وطبيعة المكان الذي تُلقىٰ فيه فالمحاضرات ذات الخطاب العام كان يُلقيها غالباً في المساجد أم التخصصية ففي الجامعات والمراكز الثقافية الإسلامية.

أما بالنسبة للمواضيع التي كان يتناولها فغالباً ما كانت تشمل قضايا الساعة، وكان يحرص علىٰ تبسيط المطالب العلمية التخصصية الدقيقة إلىٰ درجة يستطيع فهمها جميع الحاضرين أو أغلبهم ـ على الأقل ـ كما أن محاضراته العامة أيضاً لم تكن تخلو من المباحث الإسلامية التحقيقية.

وامتازت محاضرات الشيخ الأستاذ التي ألقاها في الجامعات والاتحادات والجمعيات الإسلامية بتنوعٍ كبير وما زال معظمها مسجلاً على الأشرطة الصوتية.



العالِم المدرّس

يُعتبر الأستاذ المطهري ـ بحقّ ـ من نوادر المدرسين في أسلوبه التدريسي والتعليمي فقد كان يطرح أدق وأعمق القضايا الفلسفية والإسلامية بمهارة عالية، وبلغة سلسة مفهومة ويناقشها بصورة تدخل أذهان الطلبة.

ولم يكن يظهر عليه التعب أبداً خلال التدريس، فقد كان نشاطه المعنوي الروحي أثناء التدريس أمراً مشهوداً للجميع.

كان للأستاذ في حوزة قم ومدرسة «مروي» الدينية وكلية الإلهيات في جامعة طهران وفي مراكز أخرىٰ عديدة، دروس كثيرة منها تدريس الكتب والمواضيع التالية:

١ ـ كتب علوم العربية المختلفة كالمُغني.

٢ ـ كتابِ المطول.

٣ ـ شرح اللمعة.

٤ ـ تدريس كتاب الرسائل.

٥ ـ المكاسب.

٦ ـ الكفاية .

٧ ـ المنظومة .

٨ ـ الشفاء .

٩ ـ النجاة .

١٠ ـ الكلام القديم .

١١ ـ الكلام الحديث .

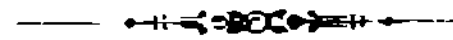
١٢ ـ فلسفة التاريخ .

١٣ ـ المعرفة .

١٤ ـ نقد الماركسية .

١٥ ـ الاقتصاد .

١٦ ـ الأسفار .



نشاط سياسي هادف

بعد عام (١٣٧٤هـ.ق/ ١٩٥٤م) بدأت النشاطات السياسية تظهر في حياة الأستاذ المطهري وكان هناك في تلك الأعوام تعاون بينه وبين آية الله الطالقاني والمهندس بازرگان في هذا المجال.

وقد قام الأستاذ بدور أساسي في قيادة جماهير طهران وربطها بقيادة الإمام الخميني خلال وقائع انتفاضة ١٥ خرداد عام (١٣٨٣هـ.ق/ ١٩٦٣م).

كما ألقى في ليلة الخامس عشر من خرداد نفسه خطاباً حماسياً تحريضياً هاجم فيه الشاه مباشرة، فاعتقل في الليلة نفسها، ثم نُقل إلىٰ السجن المؤقّت في مركز الشرطة الرئيسي في طهران ثم نُقِلَ فيما بعد إلىٰ سجون المحافظات الأخرى بمعية عدد من علماء طهران المجاهدين.

واستمر سجنه ٤٣ يوماً أُطلق سراحه وسائر العلماء المجاهدين فيما بعد بسبب شدة الضغوط التي تعرض لها النظام الشاهنشاهي من قبل العلماء والجماهير.

وواصل الأستاذ نشاطاته السياسية حيث نصبَّهُ الإمام الخميني

كأحد ممثليه في منظمة «لجان الائتلاف الإسلامي» التي كان المطهري نفسه أحد مؤسسيها.

وبعد تنفيذ هذه المنظمة لعملية إعدام حسن علي منصور «رئيس وزراء الشاه». ثمَّ حلَّها، تعرض الأستاذ لمراقبة مشددة، فواصل نشاطاته من خلال التدريس في كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية في جامعة طهران.

وكانت له إلىٰ جانب ذلك نشاطات فاعلة كدوره الأساسي في حسينية «الإرشاد» التي كان عضواً في مجلس إدارتها، أو كمحاضراته في الاتحاد الإسلامي للمهندسين والجمعية الإسلامية للأطباء.

كما قام بعد استقالته من عضوية مجلس إدارة حسينية «الإرشاد» بمهمة إدارة شؤون مسجد الجواد، وإقامة دروس تحقيقية في هذا المركز التبليغي وإلقاء محاضرات في مسجد «جاويد» وغيره حتىٰ عام (١٣٩٦ هـ.ق/١٩٧٦م) حيث منعته السلطات من ارتقاء المنبر وإلقاء المحاضرات.

منهج الكتابة عند مطهري رحمه الله

وطوال تلك السنوات لم يهدأ الأستاذ الشهيد لحظة عن جهاده باتجاه تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة سواء عن طريق التأليف أو المحاضرات أو الندوات أو التدريس وغير ذلك.

ويعتبر كل كتاب من مؤلفات الأستاذ مصداقاً للجهاد الحقيقي ضد النظام الشاهنشاهي والمجاميع والتيارات السياسية المنحرفة، فعلىٰ سبيل المثال جاء كتاب «أصول الفلسفة والمنهجية المادية» الذي شرحه الأستاذ وكتب مقدمته، لمواجهة الشيوعية في إيران وإحباط آثار نشاطات حزب «تودة» (الحزب الشيوعي الإيراني) الذي سعىٰ إلىٰ هدم أسس العقائد للكثيرين من شباب هذا البلد.

كما أن كتاب «الحجاب وحقوق المرأة في الإسلام» جاء لمواجهة سياسة النظام الشاهنشاهي علىٰ صعيد نشر الفساد في المجتمع عن طريق تمزيق أستاذ العفة والعفاف، وتحريف وتشويه الأحكام الإسلامية المرتبطة بحقوق المرأة.

وقد كان لهذا الكتاب تأثير بالغ في إحباط هذه السياسة، وفتح

الآفاق المشرقة أمام الكثير من النسوة المسلمات اللاتي أردن حفظ دينهن إلىٰ جانب مواصلة الدراسة.

وقد رأينا الكثير منهن وهُنَّ يواصلن الدراسة في الجامعات مع التزامهنَّ بالحجاب الإسلامي الكامل (في زمن الحكم الشاهنشاهي الفاسد)، وهنَّ بذلك أحبطن عملياً مزاعم القائلين بتناقض العلم مع الدين، كما ساهمن بحضورهن في تحسين الأجواء الجامعية.

وكتاب «الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران» الذي يعتبر من إبداعات الأستاذ المطهري إنما ألّفه لإحباط مؤامرة النظام الشاهنشاهي التي أعدها منظرو ومفكرو هذا النظام من أجل استئصال الإسلام في إيران عن طريق إشاعة النزعة القومية الفارسية فيها والرجوع إلىٰ ثقافة إيران ما قبل الإسلام.

وتعتبر احتفالات ٢٥٠٠ عاماً من الملكية الإيرانية وتبديل التأريخ الإسلامي (الهجري الشمسي) بالتقويم بالتاريخ الشاهنشاهي الوهمي نموذجين من الإجراءات التنفيذية لتلك المؤامرة المشؤومة.

وكان لكتاب الأستاذ المطهري ذاك تأثيرٌ قويٌّ في أوساط المثقفين جعل النظام يدرك أن هناك مدافعاً عن الإسلام يمتاز بنظرة ثاقبة وهو علىٰ أهبَّة الاستعداد ويمتلك الأسلحة اللازمة، يرصد عملاء الشاه ولا يسمح لهم بإعادة إيران إلىٰ المجوسية والثقافة الجاهلية الوهمية التي كانت سائدة في إيران ما قبل الإسلام.

أما كتاب «الدوافع نحو المادية» فقد ألفه في فترة تعرَّض شباب

هذا البلد ـ من ذوي المعلومات الإسلامية القليلة والحسّ الثوري القوي ـ إلىٰ السقوط في شباك الأفكار الماركسية.

وجاء تأليف الأستاذ لهذا الكتاب لإنقاذهم وجعلهم يميزون سبيل النجاة عن سبل السقوط والانحراف.

وعلىٰ الرغم من أن قادة منظمة «مجاهدي الشعب» المنافقين كانوا يطاردون مؤلفات الأستاذ ويسعون لمنع تداولها بين الشباب الثوري إلا أنها رغم ذلك استطاعت ترك تأثراتها الإيجابية علىٰ الكثير من هؤلاء الشباب وإنقاذهم من السقوط ومهلكة الارتداد والضلال السياسي.

وكتاب «الإنسان والمصير» هو حصيلة دروس العقائد التي كان الأستاذ يلقيها علىٰ الكوادر المتقدمة لـ«لجان الائتلاف الإسلامي»، وقد ساهم بدور مهم في هداية نشاطاتها الثورية إلىٰ الصراط الإسلامي المستقيم وإزالة الشبهات الفكرية حول قضايا من قبيل موضوع «القضاء والقدر».

كما أن مقدمة هذا الكتاب التي حملت عنوان «عظمة المسلمين وانحطاطهم»، ضمت الكثير من الحلول للمعضلات الاجتماعية والسياسية.

وألّف الأستاذ كتاب «مقدمة النظرة الإسلامية للكون والحياة» الذي ضمَّ ستة أجزاء، في خضم تصاعد مجريات الثورة، وبيَّنَ المطهري في هذا الكتاب الكثير من الأخطاء الفكرية للمثقفين

المسلمين كما فضح الانحرافات الفكرية للتيارات ذات الظاهر الإسلامي.

أما كتاب «الثورات الإسلامية في القرن الأخير»، فهو ثمرة وصول الثورة الإسلامية إلىٰ ذروتها، وانتشر تزامناً مع فاجعة يوم الجمعة السوداء قبل خمسة أشهر من انتصار الثورة.

وهذا التزامن كان سبباً لتعرض الأستاذ لأخطار كبرىٰ وقاه الله منها، حيث فقد النظام بُعيد ذلك قدرة السيطرة علىٰ الأوضاع.

وفي هذا الكتاب وضمن استعراضه لمسار الثورات الإسلامية خلال القرن الأخير بحث حقيقة الثورة الإسلامية في إيران وهويتها، وتعرض إلىٰ الأفكار المنحرفة لمدَّعي الثقافة وفضحها وفنَّدها كما دوَّن فيه مطالب مهمة حول آفات ومستقبل الثورة الإسلامية.

أهداف سياسية واجتماعية

وهكذا لم تخلُ سائر مؤلفات ومحاضرات ودروس الأستاذ المطهري من الأهداف الاجتماعية والسياسية، فمثلاً قام الأستاذ بإلقاء دروس حول «المعرفة» في مركز «التوحيد» في طهران عام (١٣٩٨هـ.ق/ ١٩٧٨م) بهدف حل المشكلة الفكرية للكثير من الشباب المسلمين والتي سببها الترويج للبدع العقيدية التي ابتدعتها المنظمة المسمَّاة «بمجاهدي الشعب الإيراني».

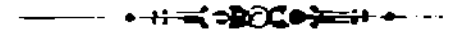
فهذه المشكلة ترتبط بقضية «المعرفة»، وعلىٰ الرغم من أن هذه الدروس تم إيقافها من قبل النظام الشاهنشاهي إلا أنَّ آثارها الإيجابية كانت من القوة بحيث جعلت الكثير من الفتية المسلمين يدركون انحراف المنظمة المذكورة ويتعرفون علىٰ العقائد الإسلامية الصحيحة.

ويكفي ما تقدم في تبيين المقصود، فتحليل كافة آثار الأستاذ الكتابية والخطابية والتدريسية تستلزم مجالاً واسعاً لا تسعه هذه المقالة، والمهم إدراك حقيقة أن من الظلم تجاهل هذه الجهود الدؤوبة وتحجيم العمل الثوري في حدود التعرض للسجن.

ومعلومٌ أن الأستاذ الشهيد قلَّل من النشاطات السياسية الحادَّة والظاهرة وعمد بدلاً من الذهاب إلىٰ السجن إلىٰ تكثيف جهوده في تأليف الكتب النافعة للغاية وإلقاء المحاضرات وإقامة الندوات في المساجد والجماعات والاتحادات والجمعيات الإسلامية وغيرها، وهو بذلك عمل بما شخّصه من واجب شرعي ملقىٰ على عاتقه.

وهذا الواجب ـ كما يشير إليه نفسه ـ اعتبره ضرورة شرعية عليه، ففي الوقت الذي كانت فيه التيارات الماركسية واليسارية تسقط في حبائلها وشباكها بدعايتها الواسعة الشباب المسلم أفواجاً أفواجاً ويوماً بعد آخر وتؤدي إلىٰ تغليف مستقبل الثورة بحجب الإبهام، في مثل هذا الوقت لم يكن يجدي نفعاً تواجد الأستاذ في السجون بل علىٰ العكس فإنَّ مثل هذا الغياب يوجه ضربةً للثورة الإسلامية.

وبالطبع فإن مثل هذا التشخيص يصدق فقط على أشخاصٍ من أمثال المطهري يمتلكون كفاءات عالية ومتنوعة، بل إن حضور الشخصيات الإسلامية في سجون الشاه كان له تأثيرات كبيرةٌ للغاية في دفعِ مسيرة الثورة.



الجهاد الأكبر

وحقيقة الأمر هي أن الفترة ما بين عامي (١٣٩٢ ـ ١٣٩٧هـ.ق/ ١٩٧٢ ـ ١٩٧٧م) شهدت نشاطات سياسية حادَّة بدرجة أقل للأستاذ المطهري، وهي بذلك شهدت نمطاً سامياً من تضحياته.

فلقد تحمَّل اتهامات من قبيل النزوع للدعة وطلب الراحة والإعراض عن الجهاد، وسكت ولم يُجبْ عن كل تلك الاتهامات الظالمة، بل جنَّد إمكاناته كافة لتقوية الأسس العقيدية للثورة وهذه المهمة لم يكن هناك شخصٌ غيره قادراً علىٰ إنجازها.

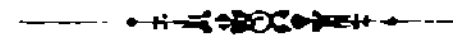
وهذه من حقائق الثورة غفل عنها العديدون واعتبروا عدم النشاطات السياسية الحادة والظاهرية عند الأستاذ آنذاك علامة نزوعه للدعة وطلب الراحة.

في حين أن جهوده العظيمة المكثفة خلال انتفاضة الخامس عشر من خرداد وفي الأعوام التي سبقتها وتلتها وكذلك خطاباته الصريحة تجاه الخطر الصهيوني وجميع الإعانات للشعب الفلسطيني وكذلك فضحه المستمر لخطط النظام الشاهنشاهي من خلال توضيح المفاهيم الإسلامية النقية الفاضحة لتلك الخطط.

والأهم من كل ذلك جهوده الضخمة خلال الفترة التي تلت استشهاد آية الله السيد مصطفى الخميني وحتى انتصار الثورة الإسلامية وبعده، جميع هذه الجهود توضحُ بقاطع البرهان على أن الأستاذ الشهيد هو ثوريٌّ حقيقيٌّ مُضَحٍّ.

أما العامل الوحيد الذي كاد يحدد طبيعة تحركاته ونشاطاته من جهة توافر الحدة الثورية الظاهرية فيها أو انعدامها فهو سعيه الدؤوب للحفاظ على الثورة وأصالتها الإسلامية.

فعندما كان الأستاذ يحسّ أن جهود الطاقات الإسلامية تسير باتجاه خدمة مصالح الماركسيين أو مُدَّعي الثقافة المعادين للحوزة وعلمائها يقلل حينئذٍ من النشاطات الثورية الحادَّة ويضاعف من جهوده التثقيفية.



نشاطه داخل إيران وخارجها

وكانت للمطهري علاقات مستمرة بالاتحادات والجمعيات الإسلامية داخل إيران وخارجها، مقدماً لها الدعم المادي والمعنوي لنشاطاتها.

وطوال الفترة التي كان فيها الإمام الخميني منفيّاً عن إيران، حافظ المطهري على علاقته وارتباطه بالإمام بل كان يعتبر أبرز ممثلي خط الإمام الخميني في إيران.

وقد استطاع في عام (١٣٩٧ هـ.ق/ ١٩٧٧م) وعلىٰ الرغم من كثرة المشاكل والعقبات الوصول إلىٰ النجف الأشرف والتشرّف بلقاء الإمام والتباحث معه حول أوضاع الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة وقضايا الثورة الإسلامية وتلقىٰ التوجهات اللازمة كما كانت بينهما مكاتبات خصوصية وما زال عدد منها موجوداً.

وبعد استشهاد آية الله السيد مصطفى الخميني ودخول الثورة الإسلامية الإيرانية مرحلة جديدة خطيرة كثّف الأستاذ المطهري جهوده وبفعالية مضاعفة باتجاه تحقيق أهداف هذه الثورة الإلهية باعتباره الساعد المقتدر للإمام الخميني داخل إيران.

وكان صاحب الدور الأساسي في الإعداد وإقامة مراسم أربعينية الشهيد مصطفى الخميني.

كما كان علىٰ ارتباط مستمر بقائد الثورة الإسلامية بعد هجرته إلىٰ باريس، وحسب قول حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الرفسنجاني ـ في إحدى مقابلاته التلفزيونية ـ فإن «منزل الأستاذ المطهري كان مقر توجيه الثورة وارتباطها بقائدها الإمام الخميني».

حلّ هموم الناس

وبعد تنفيذ العاملين في الصناعة النفطية لإضرابهم خلال أحداث الثورة، حدث نقصٌ حادٌّ في المحروقات داخل البلد، فاقترح الشهيد المطهري مشروع «تأمين المحروقات للناس» كما اقترح أسماء أعضاء وفد يسافر لجنوب البلد لهذا الغرض، وقد وافق الإمام الخميني علىٰ ذلك وأعلنه.

المحافظة على نقاء الثورة ومنهجها

وطوال فترة تصاعد الثورة الإسلامية سعىٰ الأستاذ المطهري للحيلولة دون أي استغلال سيءٍ للثورة من قبل التيارات المنحرفة ذات الظاهر الإسلامي.

وكان علىٰ غاية اليقظة تجاه ذلك فهو المدافع الدؤوب عن نقاء الأساس الفكري والعقيدي للثورة، وكان يؤمن بأن هدفنا ليس مجرد الثورة بل «الثورة الإسلامية».

ولهذا السبب بالذات كان معرضاً لسخط وحقد تلك التيارات المنحرفة واتهاماتهم حتىٰ أن بعضهم كان يقول إن الأستاذ المطهري هو العقبة التي تحول دون حصولهم علىٰ تأييد الإمام الخميني الذي لا يعارضهم ـ على حد زعمهم ـ وهذا القول كاشفٌ عن عدم معرفتهم بشخصية الإمام.

وقبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران ببضعة أشهر سافر المطهري إلىٰ باريس حيث زار الإمام الخميني وتباحث معه حول قضايا الثورة وتلقّىٰ منه التوجيات اللازمة.

وفي هذه الزيارة نفسها كلَّفه الإمام بتشكيل «مجلس الثورة

الإسلامية»، فقام بذلك بالتنسيق مع الإمام فأعلن قائد الثورة الإسلامية الكبير عن تشكيل هذا المجلس في بيان أصدره لهذه الغاية.

وعندما أعلنت حكومة «شاهبور بختيار» منع عودة الإمام الخميني إلىٰ إيران، بادر الأستاذ المطهري إلىٰ تصدّر صفوف العلماء الكبار الذين اعتصموا في جامعة طهران احتجاجاً علىٰ هذا المنع، وكان اختيارمحل الاعتصام ولعل فكرة الاعتصام نفسه قد اقترحهما الأستاذ نفسه.

وعندما وصل من باريس إلىٰ منزل الأستاذ المطهري خبرُ قرب عودة الإمام المباركة إلىٰ إيران، ظهرت علىٰ وجه الأستاذ حالة من الفرح الممزوج بالقلق، الفرح لعودة الإمام والقلق من احتمال تعرّضه للخطر.

وبسبب حساسية الأمر، فقد تولّى الأستاذ بنفسه مسؤولية لجنة استقبال الإمام فأنجزها علىٰ خير ما يرام، فمثلاً سعىٰ البعض إلىٰ جمع أمهات بعض قتلى منظمة المنافقين الموسومة بـ «مجاهدي الشعب الإيراني»، ووضع برنامج إلقائهنّ كلمة في مقبرة «جنة الزهراء عليها السلام» خلال مراسم استقبال الإمام الخميني تحت عنوان أنهنَّ يمثلن عوائل شهداء ثورة الشعب الإيراني.

وسعى هؤلاء إلىٰ التنسيق بهذا الشأن مع بعض الأشخاص الذين كانوا يصفون أنفسهم أنهم من المقربين للإمام والذين زعموا أنَّ الإمام لا يعارض هذا الإجراء.

إلا أن يقظة الأستاذ المطهري أحبطت هذا الإجراء الاستغلالي من خلال رسالة بعثها إلىٰ قائد الثورة الإسلامية الكبير بهذا الخصوص.

حنكة الشهيد المطهري رَحِمَهُ الله

وفي الأيام الأولىٰ التي تلت عودته المباركة أسكن الإمام في مدرسة «رفاه» في طهران، وهذه المدرسة كانت في فترة ما قاعدة لأنصار منظمة «مجاهدي الشعب الإيراني».

ولذلك وإحباطاً لاحتمالات استغلال ذلك، اقترح الشهيد المطهري أن ينتقل الإمام إلىٰ مدرسة «علوي» وهذا ما تمَّ بالفعل علىٰ الرغم من معارضة البعض.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية بقي الأستاذ المطهري علىٰ ما كان عليه، مستشاراً مخلصاً للإمام الخميني وموضع ثقته، وكان له حضورٌ مستمرٌ وعلىٰ مدار الساعة إلىٰ جانب الإمام في مدرسة «علوي» يطلعه علىٰ آرائه فيما يرتبط بقرارات تعيين المسؤولين وغيرها.

فمثلاً، سعىٰ البعض إلىٰ تنصيب المرحوم حجّة الإسلام اللاهوتي كمسؤول عن لجان الثورة الإسلامية، وكان هذا الإجراء علىٰ وشك أن يتم لولا أن المطهري ذهب إلىٰ الإمام واقترح عليه تعيين «آية الله مهدوي كني» لهذه المسؤولية.

لأن حجة الإسلام اللاهوتي عاطفي ولذلك من المحتمل جداً أن يتسلل إليه أعضاء منظمة «مجاهدي الشعب» فقَبِلَ الإمام الخميني اقتراحه، وتمَّ تعيين آية الله مهدوي كني الذي قَبِلَ هذه المسؤولية بعد أن اشترط أن يساعده الأستاذ في إنجازها وتأسيس لجان الثورة فوافق الأستاذ وشارك بمساهمة فعَّالة في الاجتماعات الأولىٰ التي عُقدت بخصوصها.

بحيث يمكن القول إنه ﵀ كان المساهم الأول في ترتيب وتأسيس لجان الثورة الإسلامية، كما تمَّ تعيين آية الله إمامي كاشاني كمسؤول عن إدارة مدرسة «سبهسالار» في طهران باقتراح من المطهري.

وقد ساهم الأستاذ الشهيد بدور أساسي في تأسيس حرس الثورة الإسلامية وكان يرىٰ وجود مثل هذا الجهاز ضروريةً فورية للثورة خاصة مع وجود المجاميع المسلحة المعادية للثورة.

وتتضح شدة ثقة الإمام الخميني بالمطهري فكرياً وعملياً من ملاحظة أنه عندما عين «قطب زاده» المعدوم كمسؤول عن إدارة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون. أمَرَه بأن تتم الأعمال كافة تحت إشراف وموافقة الأستاذ المطهري وكان طبيعيٌّ أن يصطدم به، فمثلاً اعترض الأستاذ بشدَّة عليه لبثِّ مجريات محاكمة «گلسرخي» من أعضاء حزب تودة في الأيام الأولى لانتصار الثورة.

فلسطين في وجدان الشهيد مطهري رَحِمَهُ اللَّهُ

ينبغي تصنيف الأستاذ المطهري ضمن قائمة روَّاد مجاهدة الصهيونية في إيران، وما زالت خطاباته الأبية تتردد في الأذهان وهي تدعو إلىٰ مكافحة الصهيونية ودعم ومساعدة الشعب الفلسطيني المظلوم.

لقد ضمَّ قلبُ الأستاذ حقداً ثورياً مقدساً كبيراً علىٰ الصهاينة، فلم يترك فرصةً مناسبةً إلا وأطلق صرخته الجهادية المدوية ضدهم.

ولا ننسَ خطابه التاريخي ضد الصهيونية الذي ألقاه في عاشوراء عام (١٣٩٠هـ.ق/ ١٩٧٠م) في حسينية «إرشاد» والذي اعتقله النظام الشاهنشاهي علىٰ أثره، ومن المناسب أن نشير إلىٰ بعض مقاطعه هنا؛ يقول الشهيد:

«لو كان نبي الإسلام ﷺ حيّاً اليوم فماذا كان سيفعل؟! وبأيّ قضيةٍ سيهتم؟!

والله وبالله أقسمُ أن الرسول الأعظم ﷺ يتأذىٰ اليوم وهو في قبره المقدس من اليهود، وهذه قضيةٌ بديهيةٌ واضحة، والساكت عنها مذنب.

والله إذا سكتُّ عنها فقد ارتكبت معصية، وكل خطيب وواعظ يرتكبُ معصيةً إذا سكتَ عنها.

وفضلاً عن الجانب الإسلامي في القضية، نتساءل ما هو تاريخ فلسطين؟!

إنَّ قضية فلسطين لا ترتبط بأيٍّ من حكومات البلدان الإسلامية، قضيةُ فلسطين هي قضيةُ شعبٍ شُرّد بالقوة من دياره.

يزعمون أنه قبل ثلاثة آلاف عام حكم فلسطين اثنان منهم، هما داوود وسليمان عليهما السلام، ولمدة قصيرة، اقرأوا التاريخ، متىٰ كانت فلسطين لليهود، متىٰ كانت معظم أرضها لهم؟! فلسطين لم تكن لليهود لا قبل الإسلام ولا بعده.

عندما فتح المسلمون هذه الأرض لم تكن تحت حكم اليهود بل كانت تحت سيطرة المسيحيين، بل إن وثيقة الصلح الموقَّعة بين المسلمين والنصارىٰ تضمّنت طلباً من النصارى بعدم سماح المسلمين لليهود بالتسلل إلىٰ فلسطين فردَّ المسلمون بأنهم يتعايشون مع النصارى ولا يتعايشون مع اليهود، فكيف تحوّل الأمر فجأة إلىٰ (وطنٍ قومي لليهود)؟!

هذه القضية هي إحدىٰ القضايا التي سوَّدت صحائف قرننا هذا الذي وصفوه نفاقاً بقرن حقوق الإنسان والحرية والإنسانية، . . . لو كان الحسين بن علي فينا لقال: «لو أردتم إقامة مراسم العزاء واللطم علىٰ مصابي فليكن شعاركم اليوم فلسطين.

شمر العصر هو «موشي دايان»، شمر ما قبل ١٣٠٠ عاماً مات فاعرفوا من هو «شمر العصر»، يجب أن تهتز جدران هذه المدينة بشعار «فلسطين»[١].

كما قام الأستاذ المطهري بفتح حساب مصرفي لجمع المعونات للشعب الفلسطيني باسمه واسم المرحوم العلاّمة الطباطبائي وآية الله السيد أبو الفضل الزنجاني.

وقد أعلن الأستاذ عن ذلك خلال محاضرة تحت عنوان «إحياء الفكر الإسلامي» ألقاها في عام (١٣٩١هـ.ق/ ١٩٧١م) في حسينية «إرشاد» واعتقل الأستاذ إثرها وتعرض للاستجواب، يقول في قسم من هذه المحاضرة:

«هذا الرجل ـ العلامة الطباطبائي ـ رجلٌ جليل ذو منزلة سامية، وأحد الأعمال التي أقدم عليها مؤخراً هو إعلان التضامن مع الأخوة المسلمين الفلسطينيين المظلومين الذين لا يستطيع حتىٰ الأميركان إنكار حقهم.

لقد أعلن العلاّمة عن افتتاح ثلاثة حسابات مصرفية لدعم هؤلاء المظلومين ـ في المصرف الوطني في الفرع المركزي وكذلك في الفرع المركزي للمصرف التجاري، وثالث في فرع البازار لمصرف الصادرات ـ فمن شاء من السادة فليسجل أرقامها.

وبعد هذا الرجل الجليل، هناك الرجل الكبير الذي افتتح هذا

---

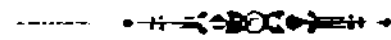
(١) نقلاً عن الملحمة الحسينية ج٢.

المجلس التكريمي للعلامة إقبال، إنه «آية الله السيد أبو الفضل الموسوي الزنجاني» وهو أيضاً رجل جليل عظيم المنزلة مجهول القدر، مجتهد ولا يشك في عدالته، وعادل لا يشك في اجتهاده.

وثالثهما هذا العبد المتحدث، وقد افتتحنا هذه الحسابات المصرفية بأسمائنا نحن الثلاثة.

وينبغي الالتفات إلىٰ أن افتتاح الحسابات المصرفية وجمع المعونات ليس الهدف الأول منها مقدار الأموال التي يتم جمعها، فمعلومٌ أننا نحن الإيرانيين لو جميعنا كل أموالنا فقد لا تصل إلىٰ مقدار ما لدىٰ اثنين من كبار اليهود الجالسين، في أميركا وهم يسرقون أموال الدنيا عبر الربا ونهب ثروات العالم.

إن المهم في افتتاح هذه الحسابات المصرفية وهذه المعونات هو كونها مصداقاً للقيام بواجب التضامن مع المسلمين، فالمسلم يجب أن يستشعر آلام ومظلومية سائر إخوانه المسلمين؛ وهذا هو شرط صدق انتمائه للإسلام»[١].



(١) كتاب الحق والباطل.

الشيخ المطهري رحمه الله والإمام الخميني رحمه الله

الأستاذ المطهري والإمام الخميني كتابان يُفسّراً أحدهما الآخر، وحسب تصوّر كاتب هذه السطور، ليس هناك مَنْ عرف الإمام بالصورة التي عرفها به الأستاذ المطهري، مثلما أنه لم يعرف أحدٌ المطهري كما عرفه الإمام الخميني.

وهذا الأمر ثمرة اثني عشر عاماً من دراسة الأستاذ عند الإمام وعلاقته القوية به التي استمرَّت إلىٰ آخر حياته المباركة، يُضاف إلىٰ ذلك وحدة السنخية الروحية والعرفانية بينهما ـ رغم اختلاف الدرجة ـ وهذه الحقيقة توضحها أقوالهما كلٌّ عن صاحبه.

يقول الأستاذ الشهيد المطهري في كتاب «حول الثورة الإسلامية».

«أنا الذي درستُ في محضر هذا الرجل العظيم قرابة اثني عشر عاماً، أدركت من خصائصه المعنوية خلال سفري الأخير إلىٰ باريس وزيارتي له، ما ضاعف من إيماني به فضلاً عن مشاغفة إعجابي بشخصيته.

عندما رجعتُ سألني أصدقائي ماذا شاهدت فيه؟! أجبتهم لمستُ فيه الإيمان بأربع:

آمن بهدفه:

إنه يؤمن بهدفه بحيث لو اجتمع العالمُ عليه لما استطاع أن يصرفه عنه.

وآمن بسبيله:

فهو يؤمن بالطريق الذي اختاره ولا يستطيع إنسانٌ أن يحيده عنه، مقتدياً في ذلك بإيمان النبي الأكرم ﷺ بهدفه وطريقه.

وآمن بشعبه:

لم أرَ أحداً قطُّ مثلَهُ من بين جميع أصحابي وأصدقائي مَنْ يؤمن مثله بمعنوية الشعب الإيراني، كانوا ينصحونه أن يخفف من حدة مواقفه قليلاً قائلين إن الشعب بدأ يتراجع تدريجياً وإنَّ معنوياته منهارة، لكنه كان يقول: «لا، ليس الشعب، إنني أعرفه خيراً منكم»، وها نحن نرىٰ جميعاً صدق كلامه يتضح يوماً بعد آخر.

وأهم من كلِّ ذلك أنه آمن بربِّه، قال لي في لقاء خاص: «فلان؛ لا تتوهم أننا نحن الذين نقوم بهذه الأعمال «الثورة»، إنني أرىٰ وأحس بيد الله في الأمر بوضوح».

إن الذي يشعر بقوة الله وعنايته ويسير في سبيل الله، يضيف الله إلىٰ قوته النصر تصديقاً لقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وتصديقاً لما يتحدث به القرآن الكريم عن أصحاب الكهف.

إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾، نعم إنهم قاموا لله، فالله يربط على قلوبهم، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

إنني أرىٰ هذه الهداية والتأييد بوضوح في هذا الرجل، إنه قام لله فمنحه الله تعالى قلباً قوياً، فلا يصله الخوف، ولا يتزعزع أبداً..».

«ولأذكر لكم واحدة أخرى، من خصوصيات هذا الرجل العظيم، هذا الرجل الذي يُصدر في النهار تلك البيانات الثائرة اللاهبة، يلتزم بالتهجد بما لا يقل عن ساعةٍ واحدةٍ في الأسحار، وتنهمر دموعه بصورة يصعب تصديقها..

إن هذا الرجل هو نموذجٌ حقيقي يُذَكِّرُ بالإمام علي عليه السلام.

قيل في علي عليه السلام إنَّه هو الضحَّاك إذا اشتد الضُراب في ميدان القتال، وهو البكَّاء في محراب العبادة حتى يُغشى عليه من شدة التضرّع، وهذه الحالة رأينا نموذجها في هذا الرجل العظيم الإمام الخميني..».

* * *

ويقول الإمام الخميني في بياناته عن الأستاذ الشهيد:

«أقدمُ التهاني والتعازي إلىٰ الإسلام والأولياء الكرام والأمة الإسلامية وخاصةً الشعب الإيراني المجاهد، بمصابهم المؤسف بالشهيد الجليل والمفكر الفيلسوف والفقيه ذي المقام السامي، المرحوم الحاج الشيخ مرتضى المطهري (قدس سره).

أمَّا التعازي فباستشهاد ذلك الرجل الفذّ الذي قضىٰ حياته الكريمة الغالية في سبيل تحقيق الأهداف الإلهية المقدسة ومجاهدة الأفكار المنحرفة، ذلك الرجل الذي عزَّ مثيله في معرفة الإسلام ومعارفه المختلفة وفي تفسير القرآن الكريم.

أما أنا فقد فقدتُ إبناً عزيزاً وقد فُجعتُ بوفاته إذْ كان من الشخصيات التي أعدَّها ثمرة حياتي.

وأما الإسلام فقد ثُلم باستشهاد هذا الابن البار والمفكّر العالم الخالد ثلمةً لا يسدها شيء..

وأما التهاني، فلأننا نحظىٰ بوجود أمثال هؤلاء الرجال الذين يضحّون بأنفسهم ويشعّون نوراً في حياتهم وبعد وفاتهم بتجلياتهم.

إنني أُهنّىء الإسلام العظيم مربي الأجيال، وأهنّىء الأمة الإسلامية بتربية رجالٍ يفيضون بالحياة على القلوب الميتة وبالنور علىٰ الظلمات.

وإني خسرتُ ابناً عزيزاً كان كبضعةٍ منّي، ولكني أفتخرُ بأنه كان للإسلام الذي سيكون له مثل هذا الابن المجاهد.

لقد غاب عنَّا «المطهري» الذي قلَّ نظيره في طهارة الروح وصلابة الإيمان وقوة البيان، والتحق بالرفيق الأعلىٰ، لكن الأعداء لن يستطيعوا أن يقتلوا شخصيته الإسلامية والعلمية والفلسفية، ولن

يستطيع المغتالون قتل الشخصية الإسلامية لرجال الإسلام، وليعلموا أن فقدان الشخصيات الكبار لن يزيد شعبنا ـ بمشيئة الله العزيز ـ إلا تصميماً وعزماً راسخاً علىٰ مواصلة الجهاد ضد الفساد والاستبداد والاستعمار[١]..



«لقد انتصرت الثورة الإسلامية في إيران بالرغم من محاولات الأعداء والمشاغبين، انتصرت بإرادة الله تعالى وتوفيقه، واستقرت المؤسسات الثورية الإسلامية الواحدة تلول الأخرى، خلال ما يقارب العام وفي سلامٍ وموفقية، ولكن تكبد شعبنا والحوزات الإسلامية والعلمية خسائر فادحة، علىٰ أيدي المنافقين أعداء الثورة، منها اغتيال المفكر الإسلامي العظيم والعلاَّمة الكبير حجَّة الإسلام الحاج الشيخ مرتضى الشهيد المطهري رحمه الله.

إنني لا أستطيع وأنا على هذه الحال[٢]، إظهار مشاعري تجاه هذه الشخصية العزيزة، وما يجب أن أقولَهُ بشأنه هو أنه قد أسدىٰ إلىٰ الإسلام والعلم خدمات جليلة ومن المؤسف جداً أن تقتلع الأيدي الآثمة هذه الشجرة المباركة من الحوزات العلمية والإسلامية وتحرم الجميع من مزيد ثمارها القيّمة.

(١) بيان الإمام الخميني بمناسبة استشهاد المطهري.
(٢) كان الإمام الخميني حينها في مستشفىٰ القلب.

كان المطهري ولداً عزيزاً لي وعماداً متيناً للحوزات الدينية والعلمية وخادماً مخلصاً للشعب والوطن، فرحمه الله وأسكنه في جوار خَدَمة الدين المخلصين.

واليوم يُسمع من هنا وهناك، أن أعداء الإسلام والثورة يحاولون بدعاياتهم المضادة للإسلام أن يمنعوا الطلبة الأعزاء في الجامعات من الاستفادة من كتب هذا الأستاذ الفقيد، وإني أوصي الطلاب والمثقفين المؤمنين أن لا يسمحوا لمؤامرة أعداء الإسلام بأن تخفي كتب هذا الأستاذ في مطاوي النسيان، أسأل الله تعالى أن يوفّق الجميع والسلام علىٰ عباد الله الصالحين»[١].

* * *

«تمر علينا اليوم ذكرىٰ استشهاد شهيد مطهّر خلّف من الآثار الخالدة ما يتوهج نوراً من الفطرة النقية والروح المتأجِجة عشقاً للهدف المقدس.

لقد كان المطهري معلماً ومربياً للمجتمع، يتحدث بلغة الجماهير دون اضطراب ولا قلق، فيسر المسائل الإسلامية ويوضح الحقائق الفلسفية ببيانٍ قوي وفكر قويم، وكل ما خلّفه من نتاج يراعه وبيانه يفيض بالعلم ويزكي الروح، ومواعظه ونصائحه التي كانت تصدر من قلبٍ مفعم بالإيمان ينتفع بها العامة والخاصة.

---

(١) بيان الإمام بمناسبة الذكرىٰ الأولىٰ لاستشهاد الأستاذ المطهري.

كان الأمل أن يُنتفع من ثمار هذه الشجرة المباركة علماً وإيماناً أكثر مما ترك وأن يتخرج علىٰ يديه علماء يفيدون المجتمع أكثر مما تخرَّج، ولكن ـ مع الأسف ـ لم تمهله الأيدي الآثمة، فحرمت شبابنا من طيبات ثمار هذه الشجرة المباركة.

ونشكر الله علىٰ ما خلّفه الأستاذ الشهيد بمضامينه العالية يمثل آثاراً غنيةً بالتعليم والتربية.

لقد التحق الأستاذ الشهيد المطهري بالحياة الأبدية، فرحمه الله وحشره مع أوليائه»[١].



«.. يصادف اليوم ذكرىٰ وفاة المرحوم المطهري ـ رحمه الله ـ، وينبغي أن أتحدث لكم بكلمةٍ عنه:

المرحوم المطهري، كان شخصاً واحداً اجتمعت فيه أبعادٌ شتّىٰ، ويندر أن قدَّم شخصٌ واحد الخدمات التي قدمها لجيل الشباب وغيرهم.

آثاره جميعاً جيدة بلا استثناء، ولا أعرف أنا شخصاًغيره أستطيع أن أقول بشأنه إنَّ جميع آثاره جيدة بلا استثناء، أما هو فإن جميع آثاره جيدة تربي الإنسان وتصنع؛

---

(١) بيان الإمام بمناسبة الذكرىٰ الثانية لاستشهاد الأستاذ المطهري.

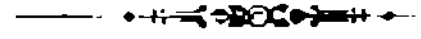
لقد خدم بلده، في ذلك الجو الإرهابي قدَّم خدمات جليلة، هذا الرجل ذو المقام السامي، أسأل الله بحق الرسول الأكرم أن يحشره مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم . . »[١].



(١) خطاب للإمام بمناسبة الذكرىٰ الثالثة لاستشهاد المطهري.

الشيخ علي أكبر الرفسنجاني

لقد كتب سماحة الشيخ الرفسنجاني عن حياة الشهيد مرتضىٰ المطهري هذه الكلمات، تحت عنوان «الشهيد المطهري.. كما عرفته» وذلك في عام ١٩٨٩م.



الشهيد المطهري رحمه الله.. كما عرفته

عندما قدمت إلىٰ مدينة قم المقدسة عام ١٩٤٨م وأنا ابن الأربعة عشر عاماً، كانت الغرفة الواقعة في الطابق الثاني من القسم الجنوبي الشرقي من المدرسة الفيضية تحظىٰ بأهمية خاصة واهتمام أخص يثير حبّ الاستطلاع بقوة لدىٰ كل قادمٍ جديد إلىٰ المدرسة وهو يرىٰ كثرة التردد علىٰ هذه الغرفة واهتمام الشخصيات بها.

وأنا القادم الجديد إلىٰ هذه المدرسة من قرية «بهرمان فوق» من قرىٰ مدينة «رفسنجان»، شدتني تلك الغرفة إليها، شأني في ذلك كسائر القادمين الجدد، كنتُ أرىٰ فضلاء الحوزة ومدرسيها

والشخصيات العلمية والاجتماعية والوجهاء المحترمين ـ الذين لم أكن أعرف معظمهم ـ يترددون إلىٰ تلك الغرفة.

وشدَّ انتباهي بالخصوص تردد الإمام الخميني عليها وكان يُعرف آنذاك بين أصدقائه بلقب «حاج آقا» أي «السيد الحاج».

في تلك الفترة شهدت إيران ذروة نشاطات انتفاضة تأميم النفط وملاحم جهاد «فدائيي الإسلام» ووقائع سياسية أخرىٰ أوجدت جميعاً حالةً نادرة من الغليان الثوري لدىٰ الطلبة الشباب جعل حبّ الاستطلاع عندي أشد جرأةً وأكثر فاعلية بحيث لم يكن من الممكن أن أظلَّ جاهلاً بهذا «القطب الجاذب» لتلك الشخصيات المحترمة.

وبالفعل أدت هذه الحالة الخاصة من حبّ الاستطلاع تعينها البساطة المترسخة في أغلب الشباب القروي إلىٰ معرفة الجواب علىٰ تساؤلي عن هذا القطب الجاذب وبسرعة.

تلك الغرفة كانت محل سكنىٰ الأستاذ المطهري الذي عرفته سريعاً بحجة الحصول منه علىٰ أجوبة بعض الأسئلة حملتُها إليه وهي أسئلة لا تخلو منها جعبة أمثالي.

ونشأت من ذاك علاقة «التلمذة غير الرسمية»، وأقول «غير رسمية» لأني كنت طالباً مبتدئاً في حين أن طلبة الأستاذ المطهري الرسميين آنذاك كانوا من الذين تجاوزوا المقدمات ووصلوا إلىٰ السطوح العالية.

لقد شدتني إليه ـ وأنا الشاب القروي ـ بساطته وتعاملُهُ المتواضع

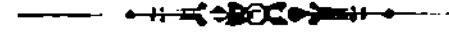
غير المتكلّف وفقره الظاهر علىٰ لباسه ومحتويات غرفته، وهذا الانشداد تضاعف عندما كنت أشاهد معه ـ ومنذ الأسابيع الأولىٰ ـ زميلهُ في الدرس والمابحثة وصديقه ونصيره الدائم «الشيخ المنتظري» الذي كان أقرب منه بكثير إلىٰ صبغة «القروية» في هيئته وتعامله وحديثه وبساطته وتُرابيَّته.

وعلىٰ الرغم من أني كنتُ أتضايق بعض الشيء عندما أرىٰ هذا الرفيق الملازم يقطع حديث صاحبه ويسارع إلىٰ الإجابة السريعة علىٰ بعض أسئلتي، إلا أنني كنت أحس بالسرور والارتياح وأنا أرىٰ اثنين من الطلبة من أصل قروي وفقيرين يحظيان بكل هذا التبجيل والاحترام في الحوزة العلمية. وباهتمام خاص من أكبر وجوهها آنذاك «آية الله البروجردي» الذي كان محترماً مكرماً في إيران عامة.

وكنت أشعر بالسرور وأنا أرىٰ هذين الطالبين وهما يحظيان بدرجةٍ علمية ممتازة بقرب المنزلة من الإمام الكبير اليوم ومن أساتذة الحوزة الكبار آنذاك، آية الله الخميني، كنت أحس بالفخر والاعتزاز لتعرفي علىٰ هذين الزميلين أما اليوم فإني أدركُ لو أنه قد مرَّ في ذهني آنذاك أن الأستاذ المطهري سيُرزق الشهادة، لتعاظم حبّي وتعلقي به درجاتٍ ودرجات.

ولكن ومع كل اشتياقي للاقتراب من هذا العظيم وسعيي بهذا الاتجاه لم أحصل علىٰ تقدمٍ مهمٍ في السنين الأولىٰ بشأن تطوير علاقتي به، ورغم أني كنت ممتعضاً من ذلك في البداية لكني فيما بعد أدركت أن توقّعي لم يكن في محله.

فلا مستواي العلمي ولا شخصيتي ولا عمري تؤهلني لأكثر من تلك العلاقة المحدودة وعليَّ أن أكون شاكراً حامداً قانعاً بها حتىٰ قبل أن تتطور وتتسع وتتعمّق.



هجرة الشهيد المطهري رحمه الله عن قم المقدسة

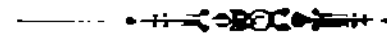
كَمْ هي مُرَّة تلك الأيام التي مرَّت علينا بعد سماعنا أن أستاذ الفلسفة والفقه والأخلاق قد رحل عن قم وحوزتها، هذ المرارة تضاعفت عندما سمعنا أن الفقر والاحتياج المادي هما سبب رحيله عن هذه الحوزة التي عشقها وظل يعيش آمال العودة إليها حتىٰ أيامه الأخيرة.

كان الأستاذ قد قرر الزواج، الأمر الذي يستلزم تهيئة منزلٍ للسكنىٰ خارج المدرسة الفيضية وبالطبع يحتاج الأمر إلىٰ ميزانية أكبر، ولا أُخفي عليكم أني قد دخل قلبي عندها وللمرة الأولى الأذىٰ من آية الله البروجردي وكان حينها المرجع المسؤول.

كنت أتساءل: لماذا سمح بأن تفقد حوزة قم مثل هذاالأستاذ علىٰ الرغم من كل الإمكانات التي كانت تحت اختياره، ولكن شيئاً فشيئاً بدأنا نرضىٰ ونستبشر خيراً بهذه الهجرة عندما أخذت تتضح لنا آثار وثمار حضور الأستاذ المطهري في طهران من خلال شدة تأثير

محاضراته في محافل الجامعيين والمثقفين في العاصمة، وهؤلاء كانوا مبتعدين منعزلين عن العلماء والحوزويين.

ولكن في قبال ذلك كان الإحساس يشتد يوماً بعد آخر بالفراغ الواسع الذي تركه الأستاذ في الحوزة، وكان يؤلمنا أن نشاهد غرفته في المدرسة الفيضية قد فقدت رونقها، وزميله الملازم «الشيخ المنتظري» قد غلب الحزن عليه وأصبح بعد رحيل رفيقه عنه أشبه باليتيم.



«مكتب التشيّع»

في عام ١٩٥٨م، تمَّ تأسيس «مكتب التشيّع» التبليغي بالتعاون مع جمع من الأصدقاء في مدينة قم المقدسة، وقد أدىٰ احتياجنا الشديد لكتابات وتوجيهات الأستاذ المطهري إلىٰ فتح باب علاقة أقوىٰ معه وبدء فصل جديد من علاقتي به كان أكثر جدية وأعظم ثماراً.

خاصة وأن تقدمي بالدراسة علىٰ مدىٰ عدة سنوات وفّر إمكانات أفضل للتفاهم والتعاون معه.

وهنا من الضروري أن أشير إلىٰ أن كتابات الشهيد المطهري كان لها قيمة خاصة واعتبارٌ استثنائي فيما كان هذا المركز ينشره من نتاجات علىٰ الرغم من أن معظم الكتابات المنشورة كانت بأقلام شخصيات علمية واجتماعية معروفة ومحترمة ولكن يمكن القول

ودون مبالغة إن كتابات المطهري هي التي أوجدت ذاك الاهتمام الخاص بما ينشره هذا المركز من نتاجات ما زالت تعتبر من المراجع المهمة للمحققين.

«مرحلة البناء»

وحقاً ينبغي تسمية تلك الأعوام بأنها أعوام «مرحلة البناء» فبعد انقلاب آب المشؤوم[1] كان النظام الملكي منهمكاً في تعزيز قوته العسكرية والقمعية ومطاردة معارضيه والمطالبين بالتحرر.

وعلى الطرف الآخر كانت القوىٰ الإسلامية منهمكة في نشاطات بنّاءة ظهرت آثارها واضحةً في مجريات الأعوام الستة عشر من عمر الثورة الإسلامية بزعامة الإمام الخميني «ما بين انتفاضة عام ١٩٦٣ إلىٰ انتصار عام ١٩٧٩م».

هذه النشاطات كانت تُمارَس في ظل وجود شخصيات مخلصة من أمثال الشهيد المطهري وبمساعدة مراكز تبليغية كـ«مكتب تشيع» و«مكتب إسلام» وغيرهما، وساهمت فيها المساعي الخيرة للأساتذة المؤمنين في الجامعات، وجهود الجامعيين المؤمنين الأبطال وفضلاء طلبة الحوزات الدينية.

(١) انقلاب الشاه بمساعدة أمريكا.

ودور الشهيد المطهري في هذه الجهود أمرٌ مشهود يستحق مزيد التقدير، فقد قام بسهم أوفر من سهم الآخرين متحملاً مسؤولية توفير التغذية الفكرية لنهضة البناء هذه، عبر محاضراته وكتاباته ومقالاته الفلسفية والاجتماعية ومناظراته الشهيرة.

وكان المجيب الداحض للشبهات الفكرية الكثيرة التي كان عملاء الشرق والغرب يبثونها لحرف جيل الشباب المسلم عن طريق وسائل الإعلام بطلبٍ وتشجيع من النظام السياسي الذي جاءت به مؤامرة انقلاب (آب).

وفي الوقت نفسه قام الشهيد المطهري بدورالجسر الرابط بين الجامعة الحديثة وبين مدارس العلوم الدينية.

ومعلوم أن المؤامرات الشرقية والغربية قد سعت إلىٰ العزل بين هذين المركزين سنين طويلة؛ لقد شق الأعداء قناةً عميقة طويلة للفصل بين الطالب الجامعي وبين طالب العلوم الدينية في حين أنهما يمتلكان أفضل وسائل التعاون الارتباط ومركز الاتصال بينهما، فاقتربا من بعضهما البعض، وقد شاهد الجميع ثمار هذا التقارب طوال سنيّ مجاهدة النظام الملكي وفي أيام الانتصار وفيما بعدها

لقد كانت محاضرات الأستاذ في جلسات «مكتب توحيد» ومؤتمرات وندوات الجامعيين في المساجد «والتكايا»(١) مظهر الوحدة والاتحاد بين هاتين الفئتين اللتين فُصلتا عن بعضهما البعض.

---

(١) التكايا مفردها تكية، وهي محل إقامة ذكرى عاشوراء وشهادة الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

وكانت مظهر الوحدة بين المسجد والجامعة وبين الجامعة والمدرسة الحديثة والمدرسة القديمة، ففي تلك المحاضرات كان الحضور مشكلاً من الجامعي والمثقف وعالم الدين والكاسب والتاجر.

وأنا شخصياً انتفعت كثيراً بعلاقة التعاون علىٰ مدىٰ الأعوام السبعة من نشاطات «مكتب تشيّع»، واستفدت دروساً كثيرة من فكر الأستاذ وعمله وتعرفت جيداً علىٰ أبعاد مساعيه وثمار وجوده المبارك.

ومن بين جهوده ومساعيه البنَّاءة وأبعادها المختلفة المتنوعة كان يشدّني أكثر من غيره البعد السياسي ـ الديني، فالجماهير الإسلامية التي دخلها اليأس بعد الهزائم المتتالية لحركات النهضة الإسلامية ـ السياسية.

كنت أرىٰ حياةً جديدةً تنبعث فيها وتستعد للنهوض بمسؤولية إيجاد نهضة إسلامية ـ سياسية وفق رؤية جديدة تناسب مقتضيات الزمان.

وقد شاهدنا الثمار المباركة لمرحلة البناء هذه ودورها في بعث الأمل في القلوب، مع أول شرارة للجهاد العلمائي تنطلق في عام (١٩٦٢م).

«دور الشهيد المطهري رحمه الله في الجهاد الإسلامي»

يقينٌ أن المواقف الحازمة التي اتخذها علماء الإسلام بقيادة الإمام الخميني تجاه نظام محمد رضا بهلوي عام ١٩٦٢م شكَّلت انعطافاً مهماً في تاريخ إيران والإسلام وعلمائه.

ومعلومٌ أن مواقف بتلك الخطورة أثمرت تلك الثمار العظيمة تستلزمُ بطبيعتها أجهزة منظمة تنظيماً دقيقاً ومتشعباً لم يكن موجوداً لدينا في ذلك الزمان وحتىٰ إلىٰ ما قبل الانتصار، وهذا النقص كان من الضروري أن يُجبر بأمور أخرىٰ وهذا ما حدث ولله الحمد.

وهنا أشير إلىٰ بعض العوامل التي تم بها جبران ذلك النقص، فإضافة إلىٰ قوة الروح الدينية لدىٰ الجماهير واعتماد القيادة عليها، وكذلك إضافة إلىٰ مفاسد النظام وإجراءاته المعادية للدين التي شكَّلت عاملاً أساسياً في إثارة المشاعر العامة وبقوة، إضافة إلىٰ ذلك كله يمكن اعتبار العوامل التالية مؤثراً رئيسياً في تعجيل تحقق الانتصار: ـ

«كفاءة القيادة»

كان الإمام الخميني مرجعاً للتقليد وله رسالة عملية وهو واجب الطاعة عند مقلديه الذين يعتبرونه نائباً لإمام العصر عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، هذا المقام يتمايز ولا شك عن مواقع القادة السياسيين والاجتماعيين والثوريين العاديين.

فبالنسبة لهؤلاء لا تتخذ طاعتهم والثقة بهم صبغة عميقة، بل لا أصالة لها أساساً، أما هنا فالرأي العام يعتبر طاعة القياة واجباً دينياً مترسخاً في الوجدان الشعبي الذي يتحرك بأمر القادة لتحقيق الأوامر الدينية.

وإضافةً لذلك، فقد كان للقائد حوزةٌ تدريسية كبرىٰ اجتمع فيها أغلبية فضلاء الحوزة العلمية المهتمين بالدراسة والملتزمين حقاً، والتّفوا بعشقٍ وإيمان حول هذا القائد، وهم يمتازون بإيمان كامل بأهلية أستاذهم وكفاءته وإخلاصه، وكل واحد من هؤلاء يُعتبرُ بدوره مرجعاً فكرياً وعملياً للناس في إحدىٰ المدن أو أكثر من مدينة واحدة.

وعلى هذا يتضح أن حوزة الإمام الخميني التدريسية ومقامه الخاص، وفّرا للثورة الامتيازات الإيجابية للعمل التنظيمي أو الحزبي دون أن تلوثها السلبيات التنافس الحزبي والاتهامات المتبادلة والنزعة السلطوية وغير ذلك من السلبيات الحزبية.

«الجهاز الحوزوي»

علىٰ الرغم من افتقاد الحوزة الدينية وجهازها العلمائي لهياكل تنظيمية محسوبة، لكنَّ لها وبصورة طبيعية حضوراً واسعاً عبر شبكة تمتمد في كافة أرجاء البلد، وتتمثل مراكز هذه الشبكة الواسعة وقواعدها في المساجد والتكايا والأماكن المقدسة ومنازل العلماء.

وهذه المراكز تُكِنُّ احتراماً كبيراً لحوزة قم المركزية المحورية، وهي وإن كانت متفرقة متباعدة لكنها تعمل وفق برامج إسلامية وآمال وطموحات واحدة تجعل تحركها منسجماً حتىٰ دون اتفاق سابق، خاصةً وأن حوزة قم تبعث كل عام مرات عديدة المبلّغين إلىٰ مختلف أرجاء إيران يؤدّون واجباتهم التبليغية ثم يعودون إلىٰ المركز الرئيسي.

وبذلك تكون الحوزة قادرة علىٰ امتلاك الخصوصيات الأيجابية للعمل التنظيمي وتسخيرها في مجريات الثورة والجهاد، وقد فعلت ذلك وظهرت آثاره بوضوح بحيث نلاحظ أنه في السنة الأخيرة كان الأجانب يشيرون في تحليلاتهم إلىٰ أهمية هذا الدور بالذات في تحقيق الانتصار.

«الشخصيات الإسلامية»

ومن العوامل الأخرىٰ المهمة في دفع مسرة الثورة الإسلامية وجود الشخصيات الإسلامية التي يثق بها أبناء الشعب في مختلف أرجاء البلد، فهذه الوجوه المحبوبة جماهيرياً والمؤمنة المخلصة وصاحبة الرأي المقبول شعبياًكان لها دورٌ أساسيٌّ في جذب ثقة الشعب وإيمانه بالثورة.

وللشهيد المطهري سهم بارزٌ وكبيرٌ في هذا المجال ومُنذ بدايات

الثورة، وكان قائدها الإمام الخميني يوليه ثقةً كبيرة، ويعتبره ثمرة عمره.

ولذلك كان يكلفه بالمسؤوليات والمهام الرئيسية وعلىٰ الطرف الآخر كان سائر العلماء والمراجع ينظرون بعين الرضىٰ لقبوله بتلك المهام ثقةً بكفاءته العلمية والعملية.

والجامعيون والمثقفون الثوريّون أيضاً كانوا يرون فيه المفكر الإسلامي المخلص ويثقون به، وكذلك الحال مع عامة الناس لا سيما الكسبة والتجار الذين كان لهم سهمٌ وافرٌ في دفع مسيرة الثورة، فهؤلاء جميعاً كانوا يرون فيه الكفاءة واللياقة من جميع الجهات.

وبالنسبة لي فقد كنت في البداية مجرد مريد محبٍّ للشهيد المطهري ثم تطوّرت العلاقة وأصبحت ما بين عامي (١٩٥٧ ـ ١٩٦٢) في حدود الاستشارة والتعاون التبليغي والصحفي.

ثم اقتربت منه كثيراً بعد تفجر الثورة بحكم قبولي مسؤولية المساهمة في التنسيق بين النشاطات في قم وطهران، فأصبحت علاقتي به أشبه ما تكون بعلاقة «رفقة السلاح» والاشتراك في الخندق الواحد.

ولهذه العلاقة بالذات أجد في نفسي صلاحية إبداء الرأي فيما يتعلق بدور الأستاذ المطهري في مجريات الثورة، وما أعتقده هو أن للشيخ المطهري في بدايات الثورة الإسلامية دوراً كبيراً في تبلور الثورة واتساعها.

إن الأستاذ المطهري وبسبب الاحترام الذي كان يحظىٰ به لدىٰ مختلف الأطراف في طهران وقم، أدىٰ دور الرابط ونقطة الاتصال بين مختلف الأطراف، ووسيلة نقل ثمار تجارب المجاميع والشخصيات الثورية النقية وذات الماضي الجهادي، إلىٰ الجماهير المسلمة والأوساط الحوزوية.

والأهم من ذلك كله هو أن الأستاذ المطهري قام بدور إحدىٰ وسائل الارتباط الرئيسية والمعتمدة يحظىٰ بأهمية كبرىٰ وشكّل إحدىٰ القنوات الرئيسية لحلّ الكثير من مشاكل ثورتنا الفتية.

«لجان الائتلاف الإسلامي»

نعلم أن لمنظمة «لجان الائتلاف الإسلامي» دوراً عظيماً وكبيراً في اتساع نطاق الثورة الإسلامية في إيران، فهذه المنظمة الفتية تشكلت من مجاميع دينية عديدة تأسس معظمها لأجل إقامة مراسم العزاء الحسيني ومجالس الوعظ والإرشاد والتبليغ، وأعضاؤها من المسلمين الأتقياء المخلصين.

ولكن أكثرهم كانوا يفتقدون التجربة السياسية اللازمة والتنظيم المطلوب وحتىٰ الاطلاع الديني والاجتماعي الكافي والعميق، وكانوا في أمسَّ الحاجة إلىٰ العون الفكري والتوجيهات الدينية والسياسية والتنظيمية اللازمة.

ومهمَّة تلبية هذه الاحتياجات تكفّلها الشهيد المطهري ـ بمعية بعض الشخصيات العلمائية الأخرىٰ ـ بإذنٍ وقرارٍ من الإمام الخميني.

ويعتبر كتاب «الإنسان والمصير» حصيلة الدروس التي كان يلقيها الشهيد المطهري علىٰ الكوادر المتقدمة لمنظمة لجان الائتلاف الإسلامي خلال اجتماعاتهم السرية.

وقد استطاعت هذه المنظمة وبفضل إخلاص وإيمان أفرادها وأصالتهم الإسلامية وبمساعدة قادة مثل الأستاذ المطهري الذي كان بالنسبة لهم مرشداً وقوله حجة شرعية.

استطاعت وباندفاعه نادرة من تغطية مدينة طهران بنشاطاتها، وانتقل نفوذها الديني إلىٰ العديد من المدن حتىٰ النائية عن طريق العلاقات التجارية والعمل وكذلك من خلال علاقاتها بالمراكز الدينية في المدن الأخرىٰ.

إن انضمام نشاطات لجان الائتلاف الإسلامي إلىٰ دور حوزة قم الدينية والمبلغين وأئمة الجماعة والمساجد، أدىٰ إلىٰ تعبئة القوىٰ العظيمة للشعب الإيراني المسلم وإدخالها إلىٰ ساحة الثورة تحت قيادة الإمام الخميني والمراجع الآخرين.

وتمت هذه العملية من خلال علاقات دينية طبيعية دون هياكل التنظيمات السياسية المتعارفة.

وفي النصف الأول لعام (١٩٦٢م) مُني النظام الشاهنشاهي بهزيمة مريرة في فشل مؤامرة «أنجمنهاي أيالتي وولايتي»، وتراجع بصورة فاضحة عن قراره بشأنها.

ولتلافي هذه الهزيمة قرر النظام اتخاذ موقف صلب تجاه تحركات الشعب المسلم ضد مؤامرة «الثورة البيضاء»، محذراً من استخدام الشدة والأساليب القمعية بأقسىٰ صورها.

في عام ١٣٨٣هـ.ق/ ١٩٦٣م، أجرىٰ الشاه المقبور الاستفتاء العام لاجئاً إلىٰ الخداع والتزوير والإرعاب والتهديد وفبركة الآراء التي لا أساس لها من الصحة والإعلان عن نسبٍ غير حقيقية من المشاركة الشعبية مدعياً الانتصار في هذا الاستفتاء التضليلي.

ولكن الجميع كان يعلم بهزيمة النظام في هذا الاستفتاء بعد اتضاح اتساع التأييد الشعبي لقرار العلماء والمراجع بمقاطعة وتحريم الاشتراك في هذا الاستفتاء.

لقد كانت مقومة ومعارضة الشعب والعلماء لسياسة الشاه من القوة والفاعلية في المبادرة بحيث اضطرت الجلادين البهلويين إلىٰ ارتكاب مجزرة المدرسة الفيضية بكل فظاعتها بعد أقل من شهرين من إجراء الاستفتاء العام.

إن ما أراده النظام الشاهنشاهي من ارتكاب هذه المجزرة الفضيعة هو قمع التحرك الجماهيري ولكن الذي أدَّت إليه هو أنها قطعت جسور النظام مع الشعب وجعلته يتهاوىٰ باتجاه السقوط الحتمي.

في عصر ذلك اليوم نفسه الذي ارتكب فيه النظام مجزرة المدرسة الفيضية وبعد فترة وجيزة من ارتكابها توجَّهت ـ وكنت من الفارّين من

المدرسة ـ إلىٰ منزل الإمام الخميني للدفاع عنه إذا حدثت هناك اشتباكاتٌ أيضاً.

وعندما وصلت رأيت الإمام علىٰ حاله المعتاد مطمئناً ثابتاً ملؤه الأمل، تحدث إلينا وكان حديثه سلوى قلوبنا وباعثاً للأمل فيها، وصف هذه الجريمة الفظيعة بأنها علامة انهيار النظام وبشرىٰ سقوط الطاغية المستبد.

ودون أي تردد بادر سماحتُهُ إلىٰ إصدار بيانٍ قصير أفتتحه بمقولة الإمام الحسين عليه السلام:

«إني لا أرىٰ الموت إلاَّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاَّ برما».

وأعطانا البيان لنقوم بمهمة طبعه وتوزيعه.

هذا الاطمئنان والثبات والأمل الذي وجدناه في القائد والبيان الذي أصدره، أعاد إلينا الحياة والاندفاع الذي فقدناه لفترة بعد الفاجعة.

فجاء استئناف النشاطات الثورية ضد النظام بعد ساعات من المجزرة التي توهم النظام أنه سيسلب بها القدرة علىٰ المعارضة من الشعب لسنين طويلة، وأخذت النشاطات الثورية هذه صبغة هجومية وبدأت من قم لتمتد إلىٰ عموم إيران ثم تنتقل إلىٰ العراق وباكستان وغيرهما.

«جند المهدي في معسكر بستان الشاه»

في أول أسبوعين من السنة الهجرية الشمسية (١٣٤٢) (١٩٦٣م) أعلن الإمام القائد أن عيد السنة الجديدة هذه هو عزاء وحزن، وانتزعت فاجعة الفيضية الدموع من الناس في كل مكان مثلما فعلت وتفعل واقعة الطف وأصبح الشاه في أعين الناس تجسيداً ليزيد العصر.

وأنجز ـ وبكفاءة ـ طلبةُ حوزة قم وأساتذتها مهمة تعريف زوَّار قم بأبعاد الفاجعة، كما قام المبلّغون بهذه المهمة نفسها في المدن الأخرىٰ التي توجهوا إليها بمناسبة عطلة أول السنة الجديدة.

أما محمد رضا بهلوي فقد كان يستعد لتوجيه الضربة الثانية للحوزة بعدما اتخذ قرار القمع الإرهابي ولم يبق له طريق للنجاة غيره، فقام جلاوزته بتنفيذ الضربة الثانية من خلال استدعاء طلبة العلوم الدينية للخدمة الإلزامية.

وطبقاً للقانون، كان طلبة العلوم الدينية شأنهم في ذلك كشأن سائر طلبة المدارس والجامعات غير ملزمين بالخدمة العسكرية أثناء فترة الدراسة.

وكان النظام يعتبر هذا القانون امتيازاً للحوزة ولكن في الواقع كان امتيازاً للنظام لأنه يمنع الطلبة الثوريين الشباب من الحضور الفاعل في المراكز العسكرية.

وبدون رعاية هذا القانون أصدر النظام أمراً بجلب طلبة العلوم

الدينية إلىٰ المعسكرات، وبعد ثلاثة أسابيع من ارتكاب مجزرة «الفيضية».

بدأ جلاوزة النظام ودون إنذار مسبق باعتقال طلبة الحوزات في قم وأصفهان ومشهد وغيرها من الشوارع وإرسالهم إلىٰ المعسكرات.

وكنت أنا ضمن الوجبة الأولىٰ من هؤلاء؛ ففي صباح يوم (٢١/ ١/ ١٣٤٢شمسي) (١٩٦٣م) وعندما كنت متوجهاً إلىٰ دائرة البريد لإرسالة مطبوعات «مكتب تشيّع»، تم اعتقالي بالقرب من مركز الشرطة في شارع (باجك) في قم.

وبعد فترةٍ قليلةٍ من البقاء في هذا المركز تم نقلي مع مجموعة من الطلبة الآخرين الذين أُعتقلوا سريعاً إلىٰ دائرة الخدمة العسكرية.

وعلىٰ الرغم من كوني متزوجاً وكان لي حينها ثلاثة أطفال، وعلىٰ الرغم من امتلاكي لوثيقة الإعفاء من الخدمة العسكرية فإنهم لم يرتبوا علىٰ ذلك كله أي أثرٍ وفي ذلك اليوم نفسه تم إرسالنا إلىٰ طهران عصراً بمعية خمسة وعشرين طالباً آخرين بواسطة إحدىٰ الشاحنات.

ثم أُلحق بنا فيما بعد عددٌ آخر من «جند إمام العصر» فأصبحنا خمسين فنزعنا الزي الحوزوي ولبسنا الزي العسكري وبدأنا بتعلّم الفنون العسكرية من المتخصصين العسكريين وتعليمهم أشياء أفضل!! لقد كان الأمر مفيداً حقاً.

ولحسن التوفيق فقد حلَّ بُعيد ذلك شهر محرم الحرام، فحوَّلنا ـ نحن الخمسين حوزوياً ـ معكسر الشاه إلىٰ أشبه ما يكون بالمسجد أو

الحسينية، بحيث عندما زار قائد القوة البرية المعسكر عصر عاشوراء «اليوم العاشر من شهر محرم يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام»، أخذتهُ الرهبة مما شاهد وأمر بمنع إقامة المجالس والمراسم.

لقد تم توزيع منشورات بيانات الإمام الخميني في كل أنحاء المعسكر الكبير «باغشاه ـ بستان الشاه»، وكانت شعارت «يعيش الخميني والموت للشاه» تُشاهد بكثرة علىٰ خيمِ ميدان الرماية الذي بقينا فيه أسبوعاً للتمرين.

لقد أدرك الشاه أنه أخطأ، وفقد امتيازاً دون أن يوجه ضربة، فسعىٰ عبر عملائه المندسين إلىٰ الضغط على المراجع لإجبارهم على إعطاء بعض التنازلات للحكومة مقابل الطلب منها بإعفاء طلبة الحوزة من الخدمة العسكرية.

ذهبت إلىٰ قم قادماً من المعسكر وزرتُ الإمام وشرحتُ له فوائد الخدمة العسكرية التي جربتها فرأيت أنه بفكره وحساباته قد توصل إلىٰ أكثر مما توصلنا إليه نحن من خلال التجربة العملية.

فشيخنا الإمام رأىٰ عبر كل الحجب ما لم نره نحن الشباب في المرآة الصافية: وقد أشار سماحته في إحدىٰ بياناته المتتالية التي كانت تنزل كالصواعق على رأس النظام إلىٰ هذا الموضوع قائلاً: «دعوا شبابنا ذوي الضمائر الحية يذهبوا إلىٰ المعسكرات ويعيشوا وسط إخوتنا العسكريين..».

ثم وقعت واقعة «١٥ خرداد» العظيمة، ففرضت علينا نحن طلبة

الحوزة رقابة مشددة في المعسكرات وقد وصلني يوماً خبر وجود ملف عني في مقر قيادة المعسكر يوضح أنهم عازمون على اعتقالي وإرسالي إلىٰ السجن، فاخترت أيسر الطريقين ورجحت الفرار على البقاء.

ولديَّ بعد الفرار من المعسكر ذكريات كثيرة تستحق الذكر سأسجلها للتأريخ لو حالفني التوفيق.

«١٥ خرداد أو ١٢ محرم»

خلال الصفحتين أو الثلاث المتقدمة استعرضنا عبر مرور سريع تأريخ الأشهر الأخيرة من عام ١٣٤١ وأوائل عام ١٣٤٢ هجري شمسي (تتقارن مع عام ١٩٦٣م).

وهي فترة مليئة بالوقائع المهمة التي ولَّدت وقائع مهمة أخرىٰ، ولا شك بأن القارىء الكريم يبحث عن علاقة هذا الاستعراض التاريخي بموضوع هذا المقال، وهذا ما أقدمه له الآن.

فطوال تلك الأيام والأسابيع والأشهر، كنتُ على اتصال بالأستاذ المطهري وكان الأستاذ قبلي وأكثر مني وفي مستويات متقدمة عالية في قلب الوقائع ومجريات الثورة.

عندما كنت في قم كنت أسافر إلىٰ طهران لزيارته أو كنتُ ألتقيه

في قم، وكنت أحصل علىٰ يومي إجازة أسبوعياً من المعسكر لكوني متزوجاً ولدي «واسطة».

وكان ضمن أعمالي في هذه الإجازات الالتقاء بالأستاذ المطهري وسائر المتصدين لشؤون الثورة، من أجل التباحث وتبادل وجهات النظر حول القضايا الراهنة.

وأحياناً كان الأستاذ كسائر العلماء الأعلام يأتون لزيارتنا في المعسكر ويلتقون بنا خلف بابه الجنوبي.

وفي إحدىٰ الزيارات صادف وجود الأستاذ مع قدوم عائلتي لزيارتي من قم، حيث شاهدتني ابنتي ذات الثلاثة أعوام ولأول مرة بالزي العسكري فقالت باستغراب «بابا.. هل أصبحت شرطياً» فضحك الأصدقاء وبينهم الأستاذ، وفي الوقت نفسه تجمعت الدموع في أعينهم.

وقد أعطىٰ الأستاذ خلال الزيارة أيضاً توجيهاته القيمة النافعة لنا بضرورة الاستفادة من هذه الفرصة النادرة والاستثنائية ـ فرصة حضور طلبة الحوزة في معسكر «عسكر الشاه».

وفي إحدىٰ هذه الزيارات اطلعتُ علىٰ توجيهات الأستاذ بشأن الاستفادة من أيام محرم الحرام في ذلك العام لفضح حقيقة «ثورة الشاه البيضاء» وكشف الحقائق أمام الجنود، فيما يتعلق بمجزرة الفيضية وبجلب طلبة الحوزة للخدمة العسكرية الإلزامية وسائر

الأعمال القمعية التي يمارسها النظام الشاهنشاهي، وقد نَفذَت هذه التوجيهات عملياً.

وإننا نعرف ـ أنا وبعض الأصدقاء ـ أيّ دور كبير اضطلع به الشهيد المطهري في حوادث محرم عام ١٩٦٣ التي مهَّدت لانتفاضة الخامس من عشر من خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣م).

وقد اكتشف النظام أيضاً نزراً يسيراً من هذا الدور، فوضع اسم الأستاذ المطهري ضمن قائمة من ستين عالماً ونيف اعتقلهم وأرسلهم إلىٰ السجون باعتبارهم العناصر المحركة لانتفاضة خرداد.

وعلىٰ إحدىٰ الصفحات في ملف الشهيد المطهري الذي أعده «السافاك» ورد تقريرٌ عن خطاب له دار حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام ومقولته الشهيرة «.. مَنْ رأىٰ سلطاناً جائراً..».

حيث حدَّد الأستاذ فيها اتجاه الانتفاضة نحو شخص الشاه والنظام الملكي، وهو أمرٌ في تلك الأيام علىٰ أدبيات المعارضة ولا يمكن تحمله بالنسبة للنظام الشاهنشاهي.

ومن جهة أخرىٰ فإن خطابات الأستاذ في السجن وأحاديثه مع السجناء وتأثراتها على أفكارهم، تشكل جميعاً فصلاً مستقلاً من خدمات المطهري وعظمة آثار وجوده المبارك ـ رحمه الله ـ.

«العلماء المهاجرون»

علىٰ إثر خطابه التأريخي المهم للغاية في المدرسة الفيضية وفي ذلك اليوم الخالد «العاشر من محرم الحرام عام ١٣٤٢هـ.ش/١٩٦٣م»، تم اعتقال الإمام الخميني في مدينة قم.

هذا التطور ولّد انفجاراً عظيماً أدىٰ إلىٰ انتفاضة خرداد الشهيرة التي كشفت للشعب حقيقة النظام الشاهنشاهي الوحشية، وفي أعقاب ذلك تم اعتقال الكثير من العلماء والخطباء الوعاظ والشخصيات العلمية والسياسية والاجتماعية.

وعُرّضَ عدد من التجار والكسبة والوجوه الثورية إلىٰ الإعدام بتهمة الإثارة والتحريض على الانتفاضة، وانتشرت إشاعةٌ في أنحاء البلد تقول إنَّ النظام الملكي عازمٌ علىٰ محاكمة الإمام الخميني وإعدامه.

هذ الإشاعة وبدلاً من أن تؤدي إلىٰ تثبيط عزائم أبناء الشعب وإرعابهم بعد كل القمع والوحشية التي شاهدوها من النظام، أدّت إلىٰ غليان شعبي عام عكسته الشخصيات الدينية والعلماء.

وبسببه هاجر الكثير من علماء المدن إلىٰ العاصمة طهران للبحث عن أساليب معالجة الأمر؛ وقد أثمرت ضغوطهم وعموم الضغوط الشعبية، في إجبار النظام علىٰ إطلاق سراح الكثير من السجناء بينهم الشهيد المطهري.

كما تم نقل الإمام الخميني من سجن «عشرت آباد» إلىٰ منزل في

منطقة «داودية» ثمَّ إلىٰ منزل آخر في منطقة «قيصريَّة» حيث وُضع تحت المراقبة التي تعني في حقيقتها سجناً أيضاً.

في تلك الفترة كنتُ قد هربت من المعسكر وأقمت في طهران متخفّياً، وكان الأستاذ المطهري قد خرج من السجن واجتمع عددٌ من الأصدقاء ورفاق الجهاد في طهران، الإمام كان غائباً في السجن.

لذا فإن مسؤولية إدارة شؤون الثورة انتقلت بطبيعة الحال إلىٰ عاتق «قادة الدرجة الثانية»، خاصة وأن المراجع في قم ومشهد لم يقدّموا مساعدةً كبيرة.

لقد تولّىٰ عندها المطهري وأمثاله مسؤولية سد الفراغ الناشىء من غياب الإمام الخميني قائد الثورة، فلم يسمح أعضاء «جماعة المدرسين» في حوزة قم، والمطهري وأنصاره في طهران، بسقوط راية الثورة، فسدوا بكفاءة فقدان الحضور المباشر للإمام خلال الأشهر التي قضاها في السجن.

وشيئاً فشيئاً، وبعد فترة من الانقطاع عن مجريات الثورة، استطاع الإمام الاطلاع على مسارها، فعدنا ثانية ننتفع من توجيهاته وهدايته النبوية.

وخلال تلك الوقائع كان لـ(لجان الائتلاف الإسلامي) دورٌ أساسيٌّ ومهمٌّ للغاية في تسيير نشاطات الثورة ودفع مسيرتها والربط بين طهران وسائر المدن، إلىٰ جانب دور الحوزة العلمية والعلماء.

وكان للشهيد المطهري في كل ذلك حضورٌ مشهودٌ وفاعلٌ

لا تخفىٰ أهميته علىٰ أحد، فالمطهري كان محل الثقة والاحترام من قبل الحوزة والعلماء، وكذلك من قبل لجان الائتلاف والمجاميع الدينية والوطنية والسياسية المعارضة للنظام، مقبولاً لديها ومطاعاً عندها.

فهو مجاهد عاملٌ من أجل استمرارية الثورة واتساع نطاقها، وقيمة وآثار حضوره خاصةً في غياب الإمام القائد واضحة للجميع غنيةٌ عن البحث والاستدلال.

«عودة الإمام إلى قم»

وقد أثمر استمرار الثورة الشعبية وضغوط الرأي العام ومساعي العلماء والمراجع في إطلاق سراح الإمام وعودتهِ إلىٰ قم بعد غياب استمر عدة أشهر، فبعث الإمام بعودته روحاً جديدة في الحوزة العلمية وفي الثورة الإسلامية.

أحس الإمام الخميني بالرضا والارتياح عند عودته إلىٰ قم لاستمرار الثورة في غيابه، فيما كان للمطهري ورفاقه ـ حقاً ـ السهم المشهود في حفظ الأجواء الثورية ومدّ الثورة بالغذاء الفكري والهداية العملية للثوار خلال فترة غياب القائد، وهذه حقيقة يقتضي الإنصاف ذكرها.

أما الإمام الخميني، ففور عودته إلىٰ قم ودون أدنىٰ تأخير، واصل

انتقاداته الحقَّة وهجماته المنطقية ضد النظام وأسياده المستعمرين ودحض بذلك «شبهة المساومة» التي حاول عملاء الشاه بثها عن طريق وسائل الدعاية العامة ليضربوا بها الروح الثورية لدىٰ أبناء الشعب.

ونتيجة لاستمرار نشاطات الإمام الخميني، لم يتحمل النظام وجوده في قم وفور طرح الإمام لموضوع ضرورة مواجهة قانون «الحصانة القضائية للأميركان في إيران» وضرورة رفض ومواجهة العلاقات الغربية الظالمة لإيران، قام النظام في ظلمة الليل باختطاف الإمام ونفيه سريعاً إلىٰ مدينة «بورسا» التركية.

«فصل جديد»

ومرَّة أخرىٰ وبسبب نفي الإمام الخميني، عادت مسؤولية هداية الشعب ومواصلة الثورة، لتستقر على عواتق طلبة الإمام الذين تربّوا في مدرسته وأبرزهم «الأستاذ المطهري».

«لجان الائتلاف الإسلامي» التي كان الشهيد المطهري يتولىٰ وأصدقاؤه مهمة توجيهها، واصلت نشاطاتها بل وصعّدتها، وكذلك الحوزة العلمية وأغلبية العلماء اتخذوا موقفاً معارضاً للنظام الشاهنشاهي.

أول شهر رمضان مرَّ على نفي الإمام شهد أجواءً غايةً في الحماسة وأُصبنا خلاله بخسائر جسيمة حيث تمَّ اعتقال الكثير من إخوتنا وأُودعوا السجون.

وفي هذا الشهر نفسه، أسقطت رصاصات «الشهيد محمد بخارائي»، «حسن علي منصور» رئيس وزراء الحكم الشاهنشاهي المجرم.

ومع الأسف فقد أدىٰ اكتشاف المجموعة التي نفّذت عملية الإعدام الثورية هذه، إلىٰ فتح ثغرة للنظام دخل منها إلىٰ «لجان الائتلاف الإسلامي».

فاعتقل كادرها القيادي وكوادرها من الدرجة الثانية من الذين كانت لهم علاقة بإعدام «حسن علي منصور» والعمليات التي سبقتها أو تلتها «وأكثر هذه الكوادر ما زالت حاضرة اليوم في ميادين الثورة تواصل جهودها لدفع مسيرة الثورة».

وبسبب هذا التطور تضاعف سخط النظام على الشهيد المطهري وفرض عليه مراقبة مشددة ومستمرة يتناوب عليها عملاء النظام وعناصر «السافاك» وقد تم اعتقالي أنا أيضاً للارتباط بهذا الموضوع وتعرّضت لأشد أنواع التعذيب المعروفة آنذاك.

ونتيجة لهذه التطورات اتخذت نشاطات الشهيد المطهري طابعاً جديداً وأساليب جديدة يمكن تصنيفها ضمن مرحلة أخرىٰ من

خدمات الشهيد المطهري وجهاده ضد الكفر والإلحاد والاستعمار والاستبدال والاستعباد.

أرجو أن يتناول باقي الأخوة هذه المرحلة من جهاد الأستاذ خلال المواضيع الأخرىٰ في هذا الكتاب الخاص عن الشهيد المطهري، ويمكن اعتبار أكثر كتب الأستاذ ومقالاته والأشرطة المتبقية من محاضراته، مربوطة بثمار وجهود هذه المرحلة التي استمرت إلىٰ الأيام الأخيرة من عمر النظام البهلوي.

وآخر مراحل حياة وجهاد الأستاذ المطهري هي التي شملت إدارة شؤون الثورة في الأيام التي سبقت الانتصار والأيام التي تلته، وهي المسؤولية التي أوكلها الإمام الخميني إلىٰ المطهري وأنصاره وأنجزوها بكفاءة.. والسلام.

٢٩/١٢/١٣٥٨هـ.ش/ ١٩٧٩م



كلام الشيخ جوادي الآملي

«نص مقابلة أُجريت مع الأستاذ آية الله الجوادي الآملي بعد استشهاد العلاَّمة المطهري».

س : ضمن تقديم الشكر لسماحتكم لنا بإجراء هذا الحوار نودُّ في البداية السؤال عن طبيعة المسلك الفلسفي للعلامة المطهري ومدىٰ تأثير آراء صدر المتألهين علىٰ التكامل الفكري للأستاذ؟

ج : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ـ بسم الله الرحمن الرحيم.

مرت الفلسفة بمراحل عدة تكمل كلٌّ منها سابقاتها، حتىٰ وصلت إلىٰ مفترق طريقين فظهرت فلسفة المشائين، وفلسفة الإشراقيين، والفلسفة بما تعنيه من معرفة العالم إما يكون الحصول عليها عبر الاستدلال والعلم الحصولي والأفكار الإنسانية، وإما عن طريق تنقية الباطن وتهذيب الروح وإزالة الغبار عن مرآة القلب لتتألق فيه أسرار العالم ويشهد العلم الحضوري.

وقد طوت كلٌّ من هاتين المنهجيتين مراحل عدة وصلت عبرها إلىٰ الكمال في تخصصها، ولكن تكاملها جعل موقف كل منهما تجاه

الأخرىٰ أكثر حدة؛ حتىٰ كان انتشار معارف الإسلام بواسطة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وهي المعارف التي قوّت من جهة طرق العلم الحصولي وفي الوقت نفسه فتحت الآفاق الرحبة أمام طرق تهذيب النفس.

فظهر من هذه المدرسة طلبة سعوا إلىٰ الجمع بين هاتين المنهجتين، وليقولوا إنَّ ما يشهده الحكيم المتألّه في فلسفة الإشراق، هو نفسه الذي يدركه الحكيم الإلهي في فلسفة المشاء.

وكثيرون هم الذين سعوا للجمع بين هذين المشربين، ويمكن تصنيف «ابن تركة» ضمنهم، فقد سعىٰ في كتابه «تمهيد القواعد»، إلىٰ تطبيق الطريق الذي يطويه العارف عبر الإشراق والشهود، علىٰ طريق الفكر ويبرهن عليه.

فقد سعىٰ في هذا الكتاب إلىٰ البرهنة استدلالياً علىٰ «وحدة الوجود» المشخّصة وهي معيار الشهود عند العالم والحكيم الإشراقي؛ كما سعىٰ شيخ الإشراق إلىٰ البرهنة الاستدلالية علىٰ ما يصل إليه أصل القلب بالإشراق والمشاهدة.

شيخ الإشراق قسّم الحكماء إلىٰ ثلاثة أصناف، هُم الحكيم المتألّه الباحث، والحكيم المتألّه المحض، والحكيم الباحث المحض.

فالأول هو الذي يرىٰ بقلبه الأسرار والعالم ويستطيع في الوقت نفسه البرهنة عليها من خلال الاستدلال والعلم الحصولي والتصور والتصديق.

فهو من أهل القلب والتألّه، وكذلك من أهل الفكر والبحث، وهو أسمىٰ حكماء البشر إذْ يصل بالشهود إلىٰ مقام (التألّه) ويصل بقوة الاستدلال إلىٰ مقام البحث، فهو لذلك حكيم متألّه باحث.

أما الثاني فهو الذي عرف أسرار العالم من خلال تزكية القلب وكان له شهود وإشراق في معرفة العالم ولكنه لا يستطيع طرح ذلك وفق قواعد العلم الحصولي والفكر، فهو ليس من أهل البحث لا يستطيع تقرير ما يحصل عليه ولا بيان ما يراه.

وهذا متأله محض، من أهل الشهود وليس من أهل البحث، من أهل الإشراق لا الفكر.

أما الثالث فيستطيع إرجاع القضايا النظرية إلىٰ البديهيات، يجيدُ الفهم والتفهم ولكنه ليس من أهل المشاهدة والوصول، لا حضور له في الوجود الخارجي، عمله في المفاهيم وماهياتها.

ولكن لا علاقة له بمتن الحقائق الواقعية فعلاقته هي بظواهر الحقائق الواقعية ومفاهيمها، عمله في التصور والتصديق والمفاهيم والماهيات لا الوجود والمتن والحقائق الواقعية، فهو من أهل البحث والفكر وليس من أهل الشهود والإشراق.

ثم يقول شيخ الإشراق إنَّ أفضل هؤلاء ـ من جهة مراتب الفضل والدرجات المعنوية ـ هو الصنف الأول يليه الثاني ثم الثالث.

فالأسمىٰ هو الحكيم المتألّه الباحث وكان يعتبر نفسه من هذا النوع وسعىٰ للبرهنة علىٰ ما يشهده بقلمه وبيانه، ولكنه لم ينجح.

لأن ماعرفه بالشهود ـ وهو حق ـ طرحه من خلال أصالة الماهية وهذا الأصل عجز عن بيان مشاهداته العرفانية تلك ولم يستطع تجسيد تلك الإشراقات الواقعية باللسان.

ولهذا لم يستطع شيخ الإشراق تحويل ما عرفه بالعلم الحضوري إلىٰ علم حصولي ـ في أيٍّ من كتبه سواء في «المطارحات»، أو «التلويحات» أو في الكتب التي ألّفها في صغره أو فيما ألّفه في أواخر عمره وحتىٰ في أهم كتبه وهو «حكمة الإشراق» الذي يصفه نفسه بأنه «قرة عيون أصحاب المعارف» وهو الوصف نفسه الذي يطلقه عليه صدر المتألهين الشيرازي (رض) في كتابه «المبدأ والمعاد».

وعلّة عدم النجاح هذا هو أن يد «أصالة الماهية» عاجزة عن حمل مشاهدات العارف ولا تستطيع أبداً تبيان مشاهدات الحكيم المتألّه أبداً.

ولذلك لم تأتلف فلسفة الإشراق بفلسفة المشاء بل علىٰ العكس بقيت الشقة بينهما إن لم تزد، فأصالة الماهية لم تصلح أن تكون جسراً للربط بينهما.

فبقي الحال علىٰ هذا الافتراق بعد شيخ الإشراق السهروردي حتىٰ عصر أساتذة صدر المتألهين، وهؤلاء سعوا للهدف نفسه، وظهرت في كتاباتهم ومنظوماتهم وأقوالهم، أحاديث عن الشهود والإشراق والعرفان.

ولكنها لم تستطع إيجاد جسر يمكن من خلاله البرهنة استدلالياً

علىٰ مشاهدات العارف، وبالتالي الوصل بين فلسفة المشاء وفلسفة الإشراق وهي في حقيقتها عرفان إذا ما فصلت عن مباحثها الفكرية.

المرحوم المحقق الداماد ـ أستاذ صدر المتألهين في العلوم العقلية، سعىٰ أيضاً لكنه لم يوفق في إيجاد جسر الوصول المطلوب.

حتى جاء دور صدر المتألهين، وعصرُه كان مرحلة تحول وانتقال، كانت تدور في فلسفة المشاء أساليب الاستدلال على أصالة الماهية من جهة وأصالة الوجود من جهة أخرىٰ، وهاتان القضيتان نفساهما كان لهما تأثير في فلسفة الإشراق.

وفي أوائل عمره وبدايات تفكيره الفلسفي كان صدر المتألهين يعتمد أصالة الماهية لأن العصر الفلسفي آنذاك كان عصر نبوغها، ولذلك لم يحقق نجاحاً في إيجاد فلسفة استدلالية عميقة تصلح أن تكون جسراً للربط بين فلسفة المشاء وفلسفة الإشراق.

ولكن عندما استطاع صدر المتألهين من خلال المجاهدات والجهود وتزكية النفس وتهذيبها، التوصل إلىٰ حقيقة أن الأصالة هي أصالة الوجود، وعندما استطاع طي مرحلة تكميل الفلسفة الاستدلالية عندها استطاع إخراج قضية أصالة الوجود ـ بعد تثبيتها ـ من قيد التباين الوجودي وينقلها إلىٰ آفاق التشكيك الواسعة.

وعن طريق «تشكيك الوجود» استطاع الجمع بين فلسفة المشاء وفلسفة الإشراق وفي الحقيقة بين العرفان والجدال، بين العرفان والبرهان.

ويؤكد صدر المتألهين أن هذا الإنجاز الفلسفي العظيم كان محالاً تحققه دون هداية القرآن، بالقرآن يبدأ طريق العرفان من القلب، وبالقرآن يبدأ طريق البرهان من الفكر.

والقرآن هو الذي يُبين مشاهدات العارف والطرق الفكرية التي يطويها الحكيم، فو يوصلهما إلىٰ هدف واحد ويهديهما معاً بمنهج سليم.

ولذلك يقول صدر المتألهين إنَّ العرفان الذي يخدم القرآن، والبرهان الذي يخدم القرآن، هما عنصران متكاملان وليسا طرفي نقيض وليسا متقابلين، فما يصل إليه الحكيم المتألّه هو نفسه الذي يقوله الحكيم المتفكر، والحكيم المتألّه هو العارف نفسه، والحكيم المتفكر هو الحكيم البحّاث.

وعندما طوت الفلسفة الإسلامية ـ بفضل هداية القرآن ـ ذاك النزاع بين العرفان والبرهان وتحقق الائتلاف بينهما، غابت في حوزات الفلسفة الإسلامية الأحاديث عن التناقض بين العرفان والحكمة.

فالحكمة تنظر بعين الاحترام إلىٰ العرفان والعرفان يعتبرها قاعدة وأرضية، ومثلما أن المنطق هو أرضية الفلسفة، فإن البحث الفكري والبرهاني هو أرضية العرفان، فالإنسان يصل إلىٰ مقام أكثر تكاملاً من خلال الانتقال من المنطق إلىٰ الفلسفة ومن الفلسفة إلىٰ العرفان.

وعندما ترسخ هذا المطلب في الحوزات الإسلامية، ظهر خلال القرون الأربعة الماضية طلبة وأساتذة ومؤلفون ومحققون حفظوا هذا

المحور وأكملوه ووسَّعوا آفاقه حيث لم يعد هناك نزاع بين هاتين المنهجتين.

حتىٰ وصل الدور إلىٰ عصر العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالىٰ عليه)، حيث استطاع نقل آثار صدر المتألهين إلىٰ إطار أوسع في الحوزات العلمية الإسلامية في إيران وخارجها وترويجها بقلمه وبيانه.

كان للعلاَّمة درسٌ عام يُدرّس فيه سطوح الفلسفة وبداياتها، وكان له درسٌ خصوصي يُدرِّس فيه (خارج) الفلسفة ومنتهياتها ويجيز الحضور في الدرس الخصوصي لمن درس فلسفة المشاء والحكمة المتعالية، وكانت هذه الدروس أرضية تأليف العلامة لكتابي «بداية الحكمة»، و«نهاية الحكمة».

وعندما انتهت دورة خارج الفلسفة، شرع بالعرفان، فدرّس كتاب تمهيد القواعد لابن تركة، وعندما انتهت دورة العرفان، شرع بالكتاب والسنَّة، وتدريس بحوث عميقة في الآيات والروايات الواردة حول التوحيد والنبوة، وحقائق وأسرار النفس، والمعاد، والجنة والنار والبرزخ والصراط والحساب، والقضايا الأخرىٰ التي وصلتنا ـ في المجاميع الروائية ـ عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وببركتهم.

يعني أن العلامة الطباطبائي بدأ بالمنطق والفلسفة ثم وصل إلىٰ العرفان وبعده وصل إلىٰ القرآن والسنَّة وختم بها، وهذا هو الطريق الذي يوصل الإنسان من خلال المقدمات إلىٰ النتيجة.

وعلىٰ مدىٰ ثلاثين عاماً فتح العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه)، سفرة إحياء الفكر الإسلامي هذه في حوزة قم العلمية، وانتفع من ثمارها المباركة طلبةٌ كثيرون اكتسبوا من فيض هذا الأستاذ الإلهي.

بعضهم شاركوا في المرحلة الأولىٰ من دروسه ولكنهم لم يحصلوا علىٰ توفيق الحضور في المرحلة الثانية، والبعض الآخر حظي بحضور المرحلة الثانية لكنه حُرم من المرحلة الثالثة، وطائفة حضرت المرحلة الثالثة ولم تحظَ بالمرحلة الرابعة والخامسة.

أما الثلة القليلة فهي التي رزقت حضور جميع هذه المراحل مع أستاذهم، في تدريس فلسفة المشاء ومن ثم الحكمة المتعالية ثم العرفان ثم التفسير والحديث.

وأحد أفراد هذه الثلة القليلة بل من أبرزهم هو آية الله الشهيد المرحوم مرتضى المطهري (رضوان الله تعالى عليه)، الذي جلس إلىٰ مائدة نضجت فلسفتها بعد الجمع بين فلسفة المشاء والإشراق والانسجام بين العرفان والبرهان وانتقالها إلىٰ خدمة القرآن حيث تكاملت الفلسفة.

كان الأستاذ هو العلامة الطباطبائي، الذي كان في القرآن حكيماً بارزاً، وفي العرفان عارفاً بارزاً وفي الفلسفة حكيماً شهيراً، وكان التلميذ هو الشهيد المطهري صاحب القلب المتعلق الوله بالقرآن، والعقل المودع عند العرفان، والروح المرتبطة بالبرهان، كان مفكراً ومن أهل القلوب والمعنويات.

إنَّ الأمر المشهود في كافة سلوكيات الشهيد المطهري سواء في الاجتماعات الخاصة أو في حضور درس الأستاذ، هو الحرية، فقلبه متحررٌ وعقلُهُ متحرّر وبالتالي كان صاحب بيانٍ حرٍّ وقلم حرٍّ.

لقد فكّرت مراراً في أن الشهيد المطهري يمثّل امتداداً لأي من قدماء المحققين الإسلاميين؟!

فرأيت أنه جاء من البلاد نفسها التي جاء منها المحقق الطوسي، لا أريد أن أقول أن الفاصلة بينهما قليلة، بل هي كبيرة، فعندما قال العلامة الحلي إنه تلميذٌ للخواجه نصير الدين الطوسي وإنه لم يرَ له نظيراً في عصره، اعترضت عليه طائفةٌ قائلة لا تقل في «عصري»، فنظائر الطوسي ثلة قليلة في جميع العصور.

بل إن ما أريد قوله هو أن المطهري نموذجٌ مصغّرٌ للمحقق الطوسي الذي كان محرراً جيداً في جميع الفروع العلمية، في العرفان والبرهان والرياضيات بكافة أقسامها وفي الأخلاق وسائر المعارف الإسلامية الأخرىٰ.

والمحرر لا يُقال علىٰ مَنْ يحرر مطلباً ولا علىٰ مَنْ يكون قلمه حرَّاً وإنشاؤه حراً وأدبه حرَّاً، فقد يكون أديباً بارعاً أو خطيباً مفوهاً لكنه ليس محرراً جيداً حتىٰ وإن عرض الموضوع دون حشوٍ وزوائد، بل إنَّ المحرر هو الذي تحرر قلبُهُ من أسر الشهوة والغضب فتألقت أسرار العالم حرةً في روحه.

وتحرر فكرُهُ من الوهم والتخيلات فاستطاع التعامل مع حقائق

العالم بعقلية فيلسوف حر لا تتطرق الأوهام إلىٰ منهجه في التفكير الفلسفي فهو يفهم بصورة صحيحة ويطبّق ما يفهمه فلا يلوثه الشرك والأهواء ولا يأسره الطمع.

وعندها تتجلىٰ في روحه أسرارُ العالم من خلال المشاهدات الإشراقية والعرفانية وبصورة حرة وتصل هذه المشاهدات إلىٰ طرز تفكيره بصورة قضايا فلسفية وعلم حصولي دون أن تعتريها الأوهام والتخيلات، فيصبح ذا تفكير حرّ في العقل النظري ومن أهل المعنويات والنظرة الحرة في العقل العملي.

وإذا ظهرت أسرار العالم في روح شخص بحرية وظهرت القضايا الاستدلالية في عقله، عندها يستطيع أن يوضحها للآخرين ببيان حر وقلم حر دون تعقيد.

ومن هنا نجد أن آثار الشهيد المطهري (رضوان الله تعالى عليه)، مفهومه واضحة لا تعتري بيانه وكتاباته زيادة ولا نقصان، فهو كان يفهم المطالب بصورة جيدة صحيحة ويتلقاها بصورة سليمة.

وهذه من خصوصيات الشهيد المطهري، ففهمه لم يكن مخلوطاً بالأوهام وعقله العملي لم يكن ممتزجاً بالأهواء ولذلك كان قلمه حراً أيضاً.

من بين الحكماء الإلهيين من وصفوا المحقق الطوسي بـ«المحرر»، فقد استطاع أن يحرر بوضوح المسائل الفلسفية المعقدة لحكمة المشاء في شرحه «للإشارات».

واستطاع أن يحرر بوضوح المسائل العرفانية وإشارات وتنبيهات ابن سينا في النمط التاسع والعاشر وكذلك الثامن منها، كما أجاد تحرير مسائل الرياضيات والحساب والهندسة والهيئة والنجوم.

وقد عُرفت الكثير من كتابات الرياضيات في الإسلام باسم «تحريرات الخواجه نصير الدين الطوسي»، لأن حرية الروح في الإنسان الحر تعبد الطريق له أما قلم حر وبيان حر.

وعلىٰ هذا ولأن الشهيد المطهري انتفع من مائدة كانت فلسفتها ناضجة وثرية، وكان الأستاذ حكيماً عالماً مفسراً للقرآن وكان هو كفوءاً من كافة الجهات، لذلك تألقت أنوار هذا الفيض الكامل في قلب هذا الحكيم المتألّه شهيدنا الشهيد المطهري (رضوان الله تعالى عليه).

ولذلك استطاع أن يجند عمره من خلال الفلسفة والعرفان في خدمة أهداف القرآن، فهنيئا له.

س : نعلم أنَّ الأستاذ المطهري يؤمن بالارتباط الوثيق بين المعرفة الفلسفية وبين العقيدة وباستحالة الفصل بينهما، وهذا ما يرفضه بعض الفلاسفة فيرجىٰ توضيح الخلفية التأريخية لهذه القضية أولاً، وثانياً توضيح رأي الأستاذ المطهري بهذا الخصوص، ثم يُرجىٰ توضيح الرأي المقابل ثالثاً، ورابعاً حبذا لو تبينون رأيكم أنتم بهذا الصدد.

ج : العقيدة تعني الإيمان والمعرفة تعني العلم، والأولىٰ هي

الحكمة العملية نفسها فيما الثانية هي الفلسفة النظرية، الأولىٰ هي بين نفس الإنسان والمطلب ـ المُعتقد به ـ وما بينهما هي الإرادة.

فالإيمان هو فعلٌ إرادي اختياري، فالإنسان يستطيع الاعتقاد بالمطلب الذي فهمه ويستطيع أيضاً رفضه.

أما المعرفة والفلسفة النظرية، فليست كذلك، فهي ليست فعلاً نفسياً، فلا يستطيع الإنسان أن يقول أني أُريد فهمَ هذا المطلب أو لا أريد فهمه، هو يستطيع أن يبحث في مقدماته أو يتجنب الخوض في بحثها ولكن عندما ينتهي من بحثها ويصل إلىٰ النتيجة فهو مجبر علىٰ فهمها ولا يستطيع أن يقول أنا لا أفهم.

أما العقيدة أو الحكمة العملية فهي فعل نفسي، والنفس تستطيعُ بعد فهم مطلب ما أن تخضع له وتؤمن به أو أن ترفضه وتتمرد عليه، ولهذا اعتبروا الإيمان من الحكمة العملية والمعرفة من الحكمة النظرية.

لقد قسموا الحكمة إلىٰ قسمين عملية ونظرية، لأن المعرفة تتعلّقُ بأمور إما أنها لا تقع في دائرة اختيار الإنسان فهي موجودة سواء كان الإنسان موجوداً أم لا، أو أنها تتعلق بأمور ترتبط بوجود الإنسان، فهي موجودة بوجوده.

ومن بحوث الحكمة النظرية يمكن الإشارة إلىٰ البحث عما هو موجود في العالم وهل أن الواجب موجود أم لا، والبحث نفسه يصدق على الوحي والنبوة والمعارد والملائكة والعلة والمعلول

والقوة والفعل والحدوث والقدم، وما معنىٰ القديم والحادث ونظائر ذلك.

أما البحث حول الإيمان والكفر والطاعة والتمرد والعصيان، الظلم والعدل ونظائر ذلك فهي من مباحث الحكمة العملية وفيها يجب علىٰ الإنسان بعد بحثها ومناقشتها أن يحوّلها إلىٰ فعل عملي.

وعلىٰ هذا فالفصل بين الحكمة النظرية والحكمة العملية أمرٌ ضروري ولم يأت أحدٌ ليقول بأن العقيدة والإيمان جزءٌ من الحكمة النظرية، ويمكن طرح قضاياها من خلال مقدمات الحكمة النظرية.

ولكن عندما قسموا الحكمة إلىٰ نظرية وعملية وقسموا النظريَّة إلىٰ عدة فروع كالإلهيات والطبيعيات والرياضيات والمنطقيات، ثم قالوا إنَّ من الممكن فقط إطلاق وصف الفلسفة دون قيد علىٰ الإلهيات والمباحث الإلهية فقط.

ولا يطلقون اسم الحكمة والفلسفة علىٰ الفروع الأخرىٰ وإن أطلقوا عليها فضمن قيد: كأن يقولوا الحكمة الطبيعية أو الحكمة الرياضية أو المنطقية، أو كأن يقولوا الحكيم الرياضي أو المنطقي فلا يقولون للمتخصص فيها «حكيم» مطلقاً.

وبعد إجراء هذا التقسيم لتلك العلوم أصبحت تشمل كافة العلوم الاستدلالية، فاعتبروا أن علوم المنطق والرياضيات والطبيعيات وكذلك الأخلاق هي من العلوم الفرعية الثانوية.

والعلم الكلي الوحيد هو الفلسفة العامة أو الفلسفة النظرية وهي

(معرفة العالم) وهي التي تحدد موضوعات العلوم الفرعية، كما أنها هي التي تحدد الكثير من مبادىء هذه العلوم.

إذاً فالحكمة العملية وهي نفسها علم الأخلاق وما شابهها يجب أن تأخذ مبادئها من الحكمة النظرية، ما دامت أنها فرعٌ، والحكمة النظرية هي الأصل ومنها يجب أن تأخذ المبادىء.

فالعقائد والحكمة العملية إذاً هي فرع تستند إلىٰ الحكمة النظرية ومنها تأخذ مبادئها كما هو حال الرياضيات والطبيعيات والمنطق مع ملاحظة الاختلاف في طريق أخذ الأخيرة عن طريق أخذ الحكمة العملية لمبادئها من الحكمة النظرية.

وما من حكيم يقول إننا نستطيع استنتاج قضية عقائدية تتعلق بإثبات وجود الموجود ـ إما بالقوة أو الفعل دون الاستناد إلىٰ قضية الموجود بالقوة أو الفعل وهي قضية فلسفية محضة، فهذا محال ولم يقل به أي حكيم معروف ولا مجال لطرحه أصلاً.

والأمر نفسه يتعلق بقضية الموجود إما علة أو معلولاً فلا يمكن استنتاج قضية عقائدية ترتبط بها دون طرح قضية العلة والعلول وهي قضية فلسفية بل إن الجميع يقولون بأنَّ كافة العلوم ومنها الحكمة العملية تستند مبادئها إلىٰ الحكمة النظرية.

في الحكمة النظرية تبحثَ قضايا وجود الإله والقيامة والوحي والنبوة والحساب والكتاب والجنة والنار، فما هو موجود وما غير موجود هي من قضايا ومباحث الفلسفة.

والحكمة النظرية وفيها تطرح قضية وجود «مبدأ» يعلم ما يجب وما لا يجب، في مبحث النبوة والرسالة يقول الفيلسوف الإلهي إن الوحي والنبوة والرسالة الشريعة موجودة وهذه ينفيها الفيلسوف المادي.

والفيلسوف الإلهي يقول إن الشريعة هي نتاج الوحي والنبوة وهذه ينكرها الفيلسوف المادي.

أما ما هي الشريعة فهذا الذي تتولاه الحكمة العملية في حين أن أصل وجود الشريعة هو من مباحث الفلسفة والحكمة النظرية وهي التي تحدد لنا أن هناك مبدأ التشريع الذي يحدد ما يجب وما لا يجب وهو الله لا شريك له الله رب العالمين الإله الواحد والمعبود الواحد.

فإذا ما طوينا هذا المبحث ـ وهو من مباحث الفلسفة والحكمة النظرية الإلهية ـ نصل إلىٰ الحكمة العملية التي تصبح فرعاً علىٰ فلسفتنا النظرية، فيقولون عندها إن ما يجب وما لا يجب علينا أن نأخذه من الوحي أم من الأفكار البشرية؟!

ولما تقدم يقول شهيدنا الحكيم المرحوم المطهري (رضوان الله تعالىٰ عليه) بأن العقيدة (الحكمة العملية) هي فرعٌ من الفلسفة أو الحكمة النظرية، ورأينا أيضاً هو يجب أن نأخذ العقيدة من الفلسفة.

إن الفيلسوف المادي الذي ينكر وجود الوحي والرسالة الإلهية والشريعة وينكر وجود «مبدأ» يحدد ما يجب أو ما لا يجب، يشكل عقيدته من أفكاره الساذجة هذه، فعقيدته هي إذاً فرع من فلسفته.

فالعقيدة هي تابعة لنوع واتجاه النظرة الفلسفية تكون إلهية إذا كانت إلهية، وتصبح مادية إذا كانت النظرة الفلسفية مادية.

فمثلاً قضية يجب أن نصلي ويجب أن لا نغتاب هي من القضايا العقائدية ولكن مِن أين يأتي هذا الوجوب والحرمة ومن هو الذي يحدد ذلك فهذه من القضايا التي تبحث في الفلسفة.

فالفيلسوف الإلهي يقول إنَّ الذي يحدد هو الوحي عن الله الواحد الذي لا شريك له، وهذا ما ينكره الفيلسوف المادي وما دام يجب وجود مَنْ يحدد ذلك لذلك فهو يرجعها إلىٰ الأفكار البشرية.

إذاً فالحكمة العملية هي فرعٌ والحكمة النظرية (الفلسفة) هي الأصل وهما ليستا منفصلتين، والفصل بينهما فصلٌ بين الثمرة والشجرة وليس فصلاً بين شجرتين بل إن الحكمة النظرية والمعرفة الفلسفية هي الشجرة وتلك العلوم ثمرتها.

وعلى هذا يتضح أن الحق هو مع الشهيد المطهري (رضوان الله تعالى عليه) فيما يقوله من أن العقيدة هي فرع عن الفلسفة والارتباط بينهما هو بالمعنىٰ المتقدم، فكثير من المبادىء المهمة للقضايا الاعتقادية تحددها المعرفة الفلسفية وليس بمعنىٰ أننا نضع مقدمتين فلسفيتين ونصل منهما إلىٰ نتيجة اعتقادية، فهذا ما لم يقله أي شخص ولم يتفوه به حكيم، وهو خلطٌ لا يطرح في المباحث العميقة.

س : الأستاذ الشهيد المطهري لم يكن فيلسوفاً وحسب بل كان

عارفاً إلهياً كبيراً، كيف ترون البعد العرفاني في شخصية الأستاذ المطهري وآثاره علىٰ حياته الاجتماعية والفكرية.

ج: مثلما تقدم فالشهيد المطهري كان إنساناً حراً، لذا فقد كان تأثير الحرية بارزاً في جميع أبعاد حياته التي كانت حياةً حرةً بفضل أن روحَهُ حرة لذا لم يُهزم لا في جهاده الأكبر ولا في الأصغر، فتغلب علىٰ العدو الداخلي وحاربه بالعقل والقلب، وتغلب علىٰ العدو الخارجي والطاغوت فجاهده بالقلم والبيان.

يقول الإمام الكاظم ﵇ لأحد أبرز تلامذته: «يا هشام! إنَّ العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره».

وهكذا كان الشهيد المطهري، فالرزق الذي تفضل به الله تعالىٰ جعله يصبح في الحكمة النظرية فيلسوفاً بارزاً وفي الحكمة العملية حكيماً متألهاً شهيراً لا أن يؤدي به إلىٰ الغرور والتفاخر بل ضاعف تواضعه لأن:

شعر مترجم:

إن التواضع علامة الوصول للكمال

مثلما الفارس ينزل عن صهوة جواده عندما يصل المقصد

الشهيد المطهري لم يكن منشغلاً بما لديه بل بالحمد والشكر علىٰ ما أعطاه الله من رزق حلال من علمٍ وافرٍ، فقضىٰ عمره بشكر هذه

النعمة، لم يرتزق بنعمة العلم بل كان يشكر هذه النعمة من خلال صرفها في محلها المناسب ونشرها، لم يكن أبداً يرتزق بعلمه ولم يكن أسيراً له.

لم يكن يرىٰ في العلم بضاعةً للمتاجرة بل كان العلم يُنير قلبه فيجعله صبوراً قبال كافة الوقائع السياسية، فلم تفتّ في عزمه صعابٌ ومشاكل مهما كَبُرَتْ، فلم يتملكهُ رزق حلال ولم يُغرهِ حرام.

فكان صبوراً عن الحرام شاكراً لله تعالىٰ علىٰ الحلال، وما يقوله الإمام الكاظم عليه السلام لهشام نجده متجسداً في شهيدنا المطهري.

الإمام يقول لهشام: «يا هشام مَنْ سلّط ثلاثاً علىٰ ثلاث فكأنما أعان علىٰ هدم عقله، مَنْ أظلم نور تفكره بطول أمله».

فالآمال والأهواء والأماني العريضة تُسلّط ظلماتها علىٰ الفكر فتذهب بنوره فتحطم هذا البنيان المرصوص الذي أعطاه الله للإنسان «العقل» وتسلط الظلمات علىٰ مشاعره، والفكر المظلم والمشاعر المظلمة ليست حرةً، وكذا حال العلم إذا تسلطت عليه ظلمات الأهواء، وبذلك يُقيّد صاحبه، لذا فإن من حوَّل نور تفكره بظلمات الأهواء فقد هدم عقله.

وثانياً: «ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه».

فالذي يمحو أفكاره واستنتاجاته ومشاهداته الصحيحة بالكلام الباطل والآراء غير المبرهن عليها فقد هدم عقله أيضاً، فمن الفضول

التفوه بالأحاديث غير النافعة والقيام بالأعمال في غير مواقعها وهي تذهب بالحكمة الصحيحة، وهذا هو العامل الثاني في هدم العقل.

أما العامل الثالث فهو: «أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه..».

فالقيام بالأعمال الشهوانية والخضوع للشهوات يمنع الإنسان من الاعتبار من الحوادث الجارية ويهدم بذلك عقله: «وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه علىٰ هدم عقله..».

كثيرة هي الحوادث التي يستطيع الإنسان أن يتخذها معبراً للوصول إلىٰ مقصده وهي سبل الاعتبار، ومن كان من أهل العبرة لا يسمح أبداً للشهوات والآهواء أن تطفىء نور باطنه وتهدم عقله فذلك يعني ضياع دينه ودنياه:

«من هَدَمَ عقله أفسد عليه دينه ودنياه..».

والشهيد المطهري استطاع عقله الانتصار علىٰ هذه العوامل الثلاثة جميعاً وبذلك عمَّر دنياه وآخرته، فهنيئاً له.

س : إن أصالة ونقاء أفكار وآراء الأستاذ الشهيد المطهري تجعل أهميتها ومصداقيتها تتضاعف بمرور الزمان، وبعبارة أخرىٰ فإن نتاجات الأستاذ تحظى بدعامات علمية ومنطقية وأصالة متينة، فما هو سر هذا التوفيق؟

ج : الشهيد المطهري كان قبل كل شيء تلميذ القرآن، والقرآن يأمر الجميع والعلماء خاصة بأمرين ويشدد عليهما، وهما أن: لا تقل ما لا تعلم، ولا ترفض ما لا تعلم.

ينقل المرحوم الكليني(رض) في كتابه القيم الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله خصَّ عباده بآيتين من كتابه:

«أن لا يقولوا حتى يعلموا..».

«ولا يردّوا ما لم يعلموا..».

فعلىٰ المؤمنين أن لا يكتفوا بمجرد الاحتمالات للحديث عن موضوع ما قبل توافر الأدلة اللازمة عليه، ولا ينخدعوا بمجرد اشتهار موضوع ما لتبنيه:

«كفىٰ بالمرءِ كذباً أن يحدّث كل ما يسمع..».

فما هو بمتفكر من لا يضع بوابة للتقييم بين سمعه ولسانه، فيقول أو يكتب كل ما يسمع دون تمحيص، وهذا تكليف قرآني يكون الإنسان كاذباً إذا لم يلتزم به فضلاً عن الخروج من وصف المفكر.

وإذا أراد أن يردّ موضوعاً ويدحضه أو يبطله فيجب أن يكون ذلك بالبرهان، فالتكذيب مثل التصديق يستلزم برهاناً فلا يصح كلاهما دون تحقيق وبرهان.

ثم يوضع الإمام الصادق استنباط هاتين القاعدتين من القرآن الكريم فيقول عليه السلام:

﴿ألم يؤخذ عليه ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾.

وعن القاعدة الثانية يستشهد الإمام بآية من القرآن:

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾.

وسر كون أن كتابات الشهيد المطهري تتضح أصالتها بمرور الزمان، هو أن الأستاذ كان محققاً في نفي الأفكار وإبطالها وفي إثباتها وتصديقها، كان محققاً في تبنيها وفي ردها، كان محققاً فيما يريد، وما لا يريد فكلها عن عقل وتفكير.

وكذلك الحال مع مواقفه تجاه الآخرين ومختلف القضايا في موالاته وبراءته في دفاعه وهجومه في صداقاته وعداواته، ولأنه كان محققاً ونظام العالم هو نظام الحق لذا كلما مرَّ الزمان تسامت درجته في العالم وترسخت موقعيته في القلوب لكونه كان راسخاً في العلم بحكم أن كلامه كان راسخاً في اليقين، فهنيئاً له.

س : ماذا كانت طبيعة نظرة الأستاذ المطهري ـ خلال مرحلة الدراسة والتدريس ـ لموضوع ولاية الفقيه وحدودها، وما هي آراؤه تجاه الحكم الإسلامي، وكيف كان يتعامل مع الذين يحبسون ولاية الفقيه في إطار ضيق؟

ج ـ الشهيد المطهري كان تلميذ القرآن، والقرآن مثلما يُبيّنُ بوضوح نظام التكوين يوضح بجلاء أيضاً النظام التشريعي، ويوضح ضرورة الوحي والرسالة والشريعة لإرادة أمور الناس وضرورة وجود قيمين لإجراء وتنفيذ الأحكام الإلهية.

فإذا كان المعصوم حاضراً فيجب الرجوع إليه مباشرة وإذا كان غائباً فيجب العمل بأوامره.

والقرآن الكريم أمر بذلك: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

وهذا الأمر طوليٌّ وليس عرضياً، إذْ أن الأمر بالطاعة قد تكرر في النصر فطاعة الله هي فوق إطاعة الرسول والأئمة وليست نوعاً واحداً، وعلىٰ هذا يُفهم وجوب طاعة الرسول في تنفيذ المقررات والأحكام والأوامر، فلا يكفي مجرد استماع أمر رسالته بل يجب طاعة أوامره أيضاً.

والمقصود من «أولي الأمر» هم الأئمة المعصومون لأن أمر الطاعة هنا مطلق، والطاعة المطلقة لا تصح إلا للمعصوم، ولكن هم المعصومون الذين ورد في الأحاديث بشأن «إعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..».

هؤلاء أمروا بالرجوع الإلزامي إلىٰ الفقيه الجامع للشرائط من أجل إدارة أمور الناس وتنفيذ الحدود الإلهية، واعتبروا طاعته واجبة.

واستناداً لما تقدم واتباعاً للقرآن الكريم كان الشهيد المطهري يُؤمن بأنه وفي غيبة ولي الأمر «بقية الله أرواح من سواه فداه»، يجب أن تكون الحكومة الإسلامية والزعامة الشرعية بيد الذي عيّنه الإمام عليه السلام.

وهو الفقيه الجامع للشرائط، المهيمن علىٰ كافة المعارف الأساسية والفرعية للدين بحكم اجتهاده المطلق، والصالح في إدارة

مختلف الفروع بحكم توافر العدالة فيه وبحكم كونه من الحافظين لحدود الله.

والشهيد المطهري ـ واستناداً إلىٰ هذا الإيمان ـ كان يؤمن ويدافع عن ولاية الفقيه ويقول بوجوب تطبيق الإسلام بكافة أبعاده العبادية والمعاملاتية والعقود والإيقاعات والأحكام السياسية والحدود والجهاد والدفاع، وجميعها لها أحكام في الإسلام.

ولا سبيل لإقامة ذلك إلا بوجود عارف بالإسلام فقيه كامل عادل مدير مدبّر عارف بخصائص الزمان غير خاضع لضغوط الواقع المعاش، وهو نائب ولي العصر فيعمل علىٰ تطبيق الإسلام بكافة أبعاده.

ولهذا كان الأستاذ يقول عن الذين يحجّمون ولاية الفقيه في حدود الأمور الحسبية وما شابه، بأنهم لم يبحثوا جيداً في القضايا الإسلامية لأن معنىٰ قولهم هو الإعراض عن تطبيق قسم مهمٍ من أحكام الإسلام في عصر الغيبة.

ولأن الأستاذ الشهيد المطهري كان يتمتعُ بحالة من «شرح الصدر» لذلك كان يفهم الإسلام بالصورة التي بينها القرآن الكريم وأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام، ولذلك كان يؤمن بوجوب تنفيذ وتطبيق جميع أحكام الإسلام في عصر الغيبة علىٰ يد الولي الفقيه إلا بعض أحكامٍ كالجهاد الابتدائي والتي استثناها المعصومون أنفسهم.

س: سماحتكم كنتم تحضرون مع الشهيد المطهري دروس

المرحوم العلامة الطباطبائي ـ الفيلسوف الإسلامي الكبير، فكيف ترون استعداد المطهري وكفاءته في فهم مطالب تلك الدروس، وكيف تقيمون آراءه واستنباطاته؟

ج ـ كان حضور الشهيد المطهري (رض) في الدرس الخاص للعلامة بركةً لنا جميعاً ومبعثاً للتحليق في آفاق جديدة أوسع، والدرس الذي كان يحضره كان مباركاً للغاية، كان قليل الحديث ولكن ما يتحدث به كان ناضجاً، كان مجتهداً حقاً مثلما قال عنه أستاذنا الفقيه العلامة الطباطبائي.

«كل مطلب كان يطرح لا يكتفي الشهيد المطهري بفهمه بصورة جيدة، بل كان يتغلغل إلىٰ أعماق روحه، ثم وصل فيما بعد إلىٰ مرحلة أصبح فيها صاحب رأي في قضايا الفلسفة الإسلامية..».

كان حضوره في الدروس الخاصة بارزاً واضحاً إذْ كان يتعامل مع القضايا المطروحة بنظرة مفكر إسلامي مجتهد، إذا ردَّ أحدٌ رأياً ما يناقش بتحقيق استدلالات الرد فإن كانت صحيحة أيَّد ذلك، وإذا تبنىٰ شخصٌ فكرةً ما ناقش أدلة التبني فإن كانت صحيحة أيَّد ذلك.

لم يكن يتعامل مع القضايا بمرور عادي ولا يكتفي بأنَّ الآخرين قالوا كذا وكذا بشأنها، كان يتعامل معها باعتباره صاحب رأي ومجتهداً في الفلسفة الإسلامية بكلا نوعيها (حكمة المشاء وحكمة الإشراق التي يُسمىٰ الجمع بينهما بالحكمة المتعالية وهذه تُشهد أفضل حالات نضوجها في فلسفة صدر المتألهين رضوان الله تعالى عليه).

المطهري كان يتعامل مع هذه القضايا باعتباره متفكراً حكيماً متألّهاً، وكان حضوره في تلك الدروس الخصوصية غنيمة لنا جميعاً.

س : في الختام نرجو التفصيل بالحديث عن إحدىٰ ذكرياتهم مع الأستاذ الشهيد المطهري، وبما تخاطبون الأمة ومحبّي الأستاذ الشهيد وقرَّاء آثاره؟

ج : لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يجمع الشهيد المطهري (رضوان الله تعالى عليه) بين الحوزة والجامعة، ويوصل بين القديم والحديث والجامعة والفيضية، وهذا ما لم نخطُهُ نحن.

أتذكر عندما ذهب إلىٰ طهران للاشتراك في امتحان التدريس في جامعتها حصل على الرتبة الأولىٰ في العلوم العقلية وعلىٰ الرتبة الأولىٰ في العلوم النقلية، وعندما عاد إلىٰ قم حدّثنا في غرفة المدرسة قائلاً:

إن لجنة الممتحنين كانت تطرح أسئلة عن مختلف القضايا الفلسفية، فكان الآخرون يجيبون بأجوبة وأُجيب بأجوبة فتعجّبت اللجنة مما أجيب وقال أعضاؤها:

«ماذا تفعل؟! إنه يستحق أكثر من درجة العشرين، وقالوا لي لو كانت هناك درجة أكبر لأعطيناكها..».

نعم كانت الدرجة التي يستحقها أكثر من ذلك، وتلك الدرجة

قليلة بالنسبة له. واستناداً إلىٰ ذكرياتي معه أقول إن الدرجة التي يستحقها لا يستطيع أن يعطيها له سوىٰ الله تبارك وتعالىٰ، وتلك هي الدرجات الوارد ذكرها في القرآن.

في القرآن الكريم ورد أن للمؤمنين درجات عند ربهم وورد فيه أن هناك درجات المؤمنين، ولكن المقصود هي الدرجة التي يعطيها الله تبارك وتعالى لهم، فتلك هي الدرجة.

أتذكّر أنه عندما أراد الأستاذ المطهر العودة إلىٰ قم المقدسة في آخر عمره، جاء إلىٰ منزلنا وقال أُريد أن أبدأ درساً في مدرسة «سعادت» علىٰ أن يكون مرتين في الأسبوع ويسد نقصاً فكرياً، فما هو الموضوع المناسب؟!.

فتقرر أن يطرح النمطين التاسع والعاشر من كتاب الإشارات لابن سينا، وهما في العرفان البرهاني.

فشرع بذلك منذ الدرس الأول، فأقبل المشتاقون وأهل القلوب الحية إلىٰ درسه وحصلوا منه علىٰ منافع ومنافع، وكان هذا الدرس مقدمة للدروس الأخيرة التي شرع بها بعد ذلك في قم.

أما الشيء الذي أحمله بعنوان «ذكرىٰ» عنه، فهو أن أجره كان الشهادة في سبيل الله، منّ بها الله تعالىٰ عليه، وما من أجر أسمىٰ من هذا الفيض الموهوب.

لقد قضىٰ سني كهولته «ما بين الخمسين والسّتين عاماً» بالطهارة ولم يكتفِ أخيراً في الجمع بين العرفان والبرهان، بل جعل البرهان

في خدمة العرفان والأثنان كان يجريهما في حديث القرآن، كانت روحه روح القرآن مثلما كانت روح الأستاذ العلاَّمة الطباطبائي.

العلاَّمة وبعد أن طوىٰ كافة المراحل عمد للقرآن، والشهيد المطهري وبعد أن طوىٰ كافة المراحل عمد إلىٰ الوحي والنبوة والمباحث القرآنية، ذهب إلىٰ النبع الذي لا يمكن الوصول إليه دون حضور، وبحسب وصف شعر حافظ الشيرازي الذي يصفه صدر المتألهين بأنه «لسان العرفاء وناظم الأولياء»:

(شعر مترجم):

حقيقة الوصول في مجيء الحضور دون دمٍ قلب ينزف

فما السعي والعمل بمقابل لكل تلك الجنان

إن الذي تفضّل به تعالىٰ علىٰ المطهري هو هذه الشهادة، فتلك الروح اللطيفة كان من الحيف أن تُحرم الشهادة، إن ذكرياتنا عن هذه الصديق الجليل عمق استعداده لتقديم كل وجوده هديةً إلىٰ الله، لم يكن يُفكر بالعيش حياة «المفكرين» بل كان همه أن يكون إنساناً عاشقاً لله.

(شعر مترجم):

أهل الأسحار في سكرة الليل...

يقبضون الكأس بقوة..

فوجهتُ العقل إلىٰ مدينةِ وجوده.

وجهَّزته متاعاً هو ذاك الشراب.

ذاك الشراب الذي يسكر الإنسان وينقل العقل من دنيا الوجود إلىٰ عالم الفناء، هو الذي يوضحه ما ينقله أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» عن الإمام الصادق عليه السلام في ذيل قوله تعالىٰ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

حيث يصفه الإمام عليه السلام بأنه: «شرابٌ طهورٌ يطهّركم عما سوىٰ الله..».

وهو الشراب الذي يقصده حافظ الشرازي في قوله:

(ترجمة شعر):

حبيبي بائع الشارب لحظني بطرف عينه

فأمنت من مكر الزمان

فخاطبته وهو ذو الحواجب الهلالية.. أن وجّه سهامك إلىٰ العتاب.

لا تُطرب عينيك يا هذا.. إذا ما رأيتَ نفسك في الوسط

إن ذكرياتنا عن الشهيد المطهري توضحُ أنه لم يكن يريد أن يرىٰ نفسه في الوسط، وما دام الإنسان حيّاً فلن يرىٰ الله، وما دام يفكر برأسه فلن يرىٰ الله، فإذا قدم رأسه لله في وادي الشهادة فعندها سيرىٰ ـ بعين الروح ـ الله تبارك وتعالىٰ، وإلا فما دام حيّاً فهو مشمولٌ بهذا الحكم:

(ترجمة شعر):

إذهب وانصب شباكك لطائر آخر

فعشُّ العنقاء أبعدُ من أن تناله

الإنسان الحي يستطيع أن يدرك المفاهيم العادية، ولكن ليس بمقدوره إدراك الحضور والشهود الإلهي:

(ترجمة شعر)

أعطني السفينة لأبحر متقدماً في هذا البحر بلا ساحل.

فالنديم والمطرب والساقي هم جميعاً هو.. وتوهم الماء والطين ذريعة لا أكثر.

إنَّ وجودنا يا حافظ هو لغزٌ... لا يثمر حلُّهُ سوىٰ فتنةٍ أو أسطورة.

وحلَّ هذه المعضلة محالٌ إلا بالشهادة، والمطهري حلها لنفسه وللكثير من أصدقائه، إذا كانوا يقولون له: إبقَ، فأنت كاتب وعمرك مبارك بالخدمة النافعة يجيب:

(ترجمة شعر):

وصال الحبيب خيرٌ من الخلود.. اللهم فأعطنا الأفضل

ضربني بالسيفِ فكتمتُ ولم أخبر أحداً

فالخير هو في حفظ سر الحبيب.

إن الإحتراق بنار العبودية هو والله خيرٌ من ملك العالمين

وعندما استطاع تصديق «أن وصال الحبيب خيرٌ من الخلود» فقد سلك في أفضل السبل فهنيئاً له.

لقد سعىٰ علىٰ الدوام أن يكون موفقاً ولكنه طوىٰ فترة الكهولة بأفضل وجه، فلم يلوّن كهولته أبداً بأفعال الشباب، وتعاظم عشقه المقدس في هذه الفترة حتىٰ جاور الشهداء.

ومثلما رافق العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) حشر معه بعد شهادته أيضاً، وهما الآن معاً في ديار الخلد: **﴿أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا﴾**.

نرجو أن نتوفق جميعاً لطي هذا الطريق، أن نكون من عشاقه وطلابه وسالكيه، فبذلك نصل إلىٰ الغاية والمقصد وإلا فلا سبيل للمقصد أبداً:

(ترجمة شعر):

تطهّر وكن صافياً واخرج من مستنقع الطبيعة

فمحال للماء الملوث بالتراب أن يعطيك الصفاء

هذا الصفاء لا يوجد في عالم الطبيعة، والإنسان الطبيعي محالٌ أن يصفو الإنسان الأسير للماء والطين محال أن يطوي زقاق المعشوق.

أسأل الله تعالىٰ أن يحشر الشهيد المطهري وسائر شهداء الثورة الإسلامية مع أرواح الأنبياء والأولياء.

وأن يوفقنا لأن يكون لنا زادٌ من العرفان القرآني، وزادٌ من معرفة الله ورسوله وأهل بيت العصمة والطهارة.

وحيث أن الظهور الحالي لهذه المعارف الإسلامية المقدسة وتوجّه الجماهير إليها جاء ببركة الثورة الإسلامية بقيادة مؤسس الجمهورية الإسلامية ولي المسلمين نائب إمام العصر، متع الله الإسلام والمسلمين بطول بقائه الشريف ـ (المقابلة أجريت في حياة الإمام الخميني ـ المترجم)، إمام الأمة الخميني دام ظله الشريف، لذا ندعو الله تبارك وتعالىٰ مقسمين بحق محمد وآل محمد عليهم السلام أن يؤيد هذا المرجع العظيم بألطافه الغيبية، ويجعلنا من السائرين في طريق الأنبياء والأولياء والشهداء والصديقين.. غفر الله لنا ولكم والسلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين.

نشكركم كثيراً علىٰ ما نفعتمونا به، نسأل الله أن يحفظكم وأنتم من الذخائر العلمية والدينية ويعينكم في دفع مسيرة السير نحو تحقيق الأهداف الإسلامية[١].



(١) نقلاً من مجلة سروش.

شهيد يتحدث عن شهيد..

(نص مقابلة مع حجة الإسلام والمسلمين الشهيد الشّيخ فضل الله المحلاتي)

س : متىٰ تعرّفتم علىٰ الأستاذ الشهيد المطهّري وماذا درستم عنده؟!

ج : في عام (١٣٦٥ هـ.ق/ ١٩٤٦م) وبعد دراستي لقسم من المقدمات هاجرتُ إلىٰ قم ودرست عند الأستاذ المطهري جانباً من معاني البيان (المطول)، وبالخصوص فصل البيان بأكمله، كما درست عنده قسماً من (المنظومة)، إضافة لذلك انتفعت من درس الأخلاق الأسبوعي الذي كان يلقيه في غرفة الطّلبة الطهرانيين.

وفي عام (١٣٨٠ هـ.ق/ ١٩٦٠م) ـ وبعد ذهابه إلىٰ طهران ـ كنّا نحضر بمعيّة المرحوم شاهجراغي وحجّة الإسلام شريعة مداري درسه في شرح (الأسفار الأربعة) لصدر المتألهين، ثم بدأ الأستاذ بتدريس الاقتصاد الإسلامي في مدرسة (مروي) فشاركت في دروسه إلىٰ عام (١٣٨٣ هـ.ق/ ١٩٦٣م).

س : ماهي أبرز خصائص الأستاذ المطهري باعتباره مدرساً إسلامياً؟

ج : مُنذ البداية كان الشهيد معروفاً في قم المقدسة بالفضل والعلم، وكان وآية الله المنتظري يُعتبران من أبرز تلامذة آية الله العظمىٰ البروجردي، وكان الإمام الخميني يأتي عصراً إلىٰ غرفة الشهيد المطهري في المدرسة الفيضية ليلقي عليه وعلىٰ آية الله المنتظري درساً خصوصياً في الأصول.

كما كان للإمام دروسٌ خصوصية أخرىٰ يشترك فيها (٥ ـ ٦) أشخاص ـ بضمنهم المطهري والمنتظري، وبذلك درس المطهري الفقه والأصول والفلسفة والعرفان والأخلاق عند الإمام الخميني.

واستناداً إلىٰ ذلك، أعتقدُ أن مباني وجذور آثار الشهيد المطهري كافة مصدرها الإمام الخميني، وكذلك الحال مع فضائله الأخلاقية والروحية وكمالاته هي نتيجة أُنسه وتعلقه بالإمام، كما أن الأستاذ الشهيد كان يطلب العلم للفقه والعقل لا من أجل غايات أخرىٰ.

س : ما هو مقصودكم من أن دافع الأستاذ لطلب العلم هو الفقه والعقل؟!

ج : لتوضيح الموضوع أنقل حديثاً من كتاب (الأربعين) للإمام الخميني، وقد حصلت علىٰ نسخة خطيَّة منه قبل ثلاثين عاماً من المرحوم آية الله السيد مصطفى الخميني.

وقد نقلتُ منه إلىٰ حدود الحديث الخامس عشر إلىٰ دفتر خاص،

والحديث الذي أشرتُ إليه هو: في أصول الكافي عن علي بن إبراهيم عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«طلبةُ العلم ثلاثةٌ فأعرفهم بأعيانهم وصفاتهم، صنفٌ يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنفٌ يطلبه للفقه والعقل».

وتعلمون أن هناك في الإنسان غريزة حب الاستطلاع وبها يسعىٰ لمعرفة كل شيء حتىٰ لو لم يكن ذا علاقةٍ بحياته، الحديث المتقدم يوضح أن هناك فئة يسعون بصدق لمعرفة مَنْ هو خالق العالم، ومِنْ أين أتينا، ما هو معنىٰ الوجود، وما هي حقيقتنا. . .

ولهؤلاء يعتبر العلم مطلوباً لذاته وليس وسيلة لتلبية غرائز أخرىٰ، والإمام الصادق يؤكد في الحديث المتقدم أنَّ العلم الحقيقي الذي يُسعىٰ له من أجل الفقه والعقل، هذا العقل بالقوة الذي يتحول بالعلم إلىٰ علم بالفعل، ثم يوضحُ عليه السلام صفات هؤلاء من تواضع وتهجّد في الأسحار، وعملٍ بما يعلمون ومعرفة بأحوال الزمان. .

والخلاصة أن العلم أثَّر فيهم وخلق فيهم الفضائل الإنسانية وبها عرفهم الناس، وبالطبع علىٰ هؤلاء ـ كما يحذّرهم الحديث ـ أن يخافوا ويحذروا من الانحراف وفي نهاية الحديث يقول عليه السلام: «فشدَّ الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانَهُ».

وينبغي هنا الانتباه إلىٰ أن علىٰ المعلم المرشد أن يكون من

الطائفة الثالثة، فلو طلب العلم من أجل الكمال والفضائل حصل عليها وعندها يستطيع نقلها للآخرين.

إننا نقول بوجوب توافر العصمة في الأنبياء، لأن المعلم غير المتعلم، فالأول (المعلم) يجب أن يكون ذا فضائل وقلب زكي وبه يستطيع أن ينثر حبوب المعرفة، فالحصول علىٰ هذا القلب مهمٌ جداً.

نعود إلىٰ الموضوع الأساسي، فالأستاذ المطهري كان حقاً من تلك الطائفة الطالبة للعلم من أجل الفقه والعقل، تعلم من الإمام الخميني ما استطاع.

ومن درس المرحوم الشيخ علي الشيرازي، حصل على الكثير من معارف نهج البلاغة وكلما سمع بصاحب كمالات ذهب إليه للحصول عليها، كان عاشقاً للكمال، كما كان من أهل التفكر والتدبّر وهذه من خصائصه الأخرىٰ يرفض الانقياد الأعمى ولذلك أصبح مجتهداً وصاحب رأي في القضايا الفلسفية..

س: ما هي خصوصيات الأستاذ في التعليم والتدليس؟

ج: كان له خصائص كثيرة في هذا المجال، من كفاءة وقوة بيان، وحلاوة النثر، كان ينهج الأسلوب النبوي في التعليم فيخاطب الناس بملاحظة مستوىٰ عقولهم، وامتاز بقدرة كبيرة علىٰ تبسط المطالب العميقة إلىٰ المستوىٰ الذي يفهمه السامع.

وهذه الملاحظة علىٰ تبسيط المطالب العميقة إلىٰ المستوىٰ الذي يفهمه السامع.

وهذه الملاحظة مشهودة أيضاً في كتبه التي لها قراءٌ من مستويات مختلفة، لقد كتب هوامش ومقدمة كتاب «أصول الفلسفة ومنهج معرفة الحقيقة» وكتب أيضاً كتاب «القصص الحق».

وكان له تأثيرٌ بالغ علىٰ طلبته لأنهم كانوا يؤمنون بعلمه وبتقواه أيضاً، وكان يدعوهم إلىٰ كسب العلم والفضائل كما كان يحترم ويكرّم أصحابها، وفي المجال السياسي كان علىٰ الدوام يسعىٰ لترشيح أصحاب الفضائل الحقة لمسؤوليات الثورة.

س: كيف كان تعامل الشهيد المطهري مع التيارات المختلفة؟

ج: تعلمون أن أبرز صفات الشهيد هو تعبده والتزامه بالعقائد والأحكام الإسلامية وتعمقه فيها، ولذلك كان يشخص الانحرافات قبل الآخرين ويجاهدها فواجه ذوي الظاهر العلمائي الديني الذين لم يفهموا حقيقة الإسلام.

وتصدّى بشدة للتيارات المنحرفة ـ صغيرة كانت أم كبيرة ـ خاصة تلك التي تتبنىٰ أفكاراً غير أصيلة وتدعي أنها إسلامية، عندما أقدمت مجموعة «فرقان» المنحرفة علىٰ نشر نشرات تفسيرية للقرآن قال الأستاذ المطهري في اجتماع لجماعة العلماء المجاهدين في طهران.

«هؤلاء خطرون لأنهم يتصرفون في القرآن، وهذا غير العدوان علىٰ الأموال والعلم. . إنه عدوان علىٰ الوحي» وقال أيضاً لأصدقائه

«إنني سأتصدّىٰ لهؤلاء. . قد يقدمون علىٰ قتلي، ولكني سأقول كلمتي لأن هؤلاء خطرٌ علىٰ الدين».

نعم الأستاذ المطهري كان لا يتجاوز عن أي انحرافٍ، فعندما كان بعض العلماء يسكتون عن انحرافات منظمة «مجاهدي خلق» لبعض الاعتبارات السياسية كان الأستاذ يقول في اجتماع لجماعة العلماء المجاهدين:

«يجب علينا أن نصدر بياناً نحدد فيه موقفنا من هؤلاء».

كان معارضاً للقوميين بشدة ويعتقد بأن النزعة القومية انحراف، والقوميون أيضاً كانوا معارضين له فمثلاً رفضوا مرة بشدة اقتراحاً بأن يلقي خطاباً في احتفال بمناسبة النصف من شعبان (ذكرىٰ مولد الإمام المنتظر)، واختاروا شخصاً آخر يطابق أهواءهم.

واستمرت معارضة المطهري لهذا التيار المنحرف بعد الثورة بصورة مشهودة، وهناك تعليقٌ له ـ لعلي لم أنقله من قبل ـ بشأن الحكومة المؤقتة حيث قال بشأنها:

«لقد أطلقوا علىٰ كل حكومة من الحكومات السابقة إسماً، كحكومة المصالحة الوطنية. . ، وأنا أُسمّي الحكومة المؤقتة بحكومة الحمقىٰ، فقد سيطر عليهم الغرور حتىٰ أصبحوا يرون أنفسهم أصحاب رأي في مقابل الإمام الخميني».

والخلاصة أن الأستاذ ولشدة تعبده والتزامه بالإسلام كان يتصدىٰ لكل تيار انحرافي.

س : هل كانت للأستاذ هذه الحساسية نفسها تجاه القضايا السياسية في البلد؟

ج : لم ينعزل الشهيد المطهري عن القضايا والنشاطات السياسية أبداً، ففي الأعوام التي سبقت عام (١٣٧٠ هـ.ق/ ١٩٥٠م) كنتُ علىٰ ارتباط بمنظمة «فدائيي الإسلام»، وكنا ننقل قضايا النشاطات السياسية للمنظمة إلىٰ آية الله العظمىٰ البروجردي عن طريق الشهيد المطهري وهو أستاذنا الذي نعشقه.

في عام (١٣٨١ هـ.ق/ ١٩٦١م) وعندما أعلن الإمام الخميني جهاده ضد الطاغوت تشكلت جماعة العلماء المجاهدين التي كانت تضم حجة الإسلام المهدوي كني وحجة الإسلام الرفسنجاني ـ الشهيد البهشتي كان في ألمانيا آنذاك ـ.

وباستثناء الفترات التي كان الإخوان في السجن، كانت الجماعة تعقد اجتماعاتها بانتظام ولكن بسرية، ومُنذ البداية كان المطهري القوة المنظرة للجماعة، ويعمل عمل الرأس والعقل بالنسبة لبدن الإنسان.

وعلىٰ رأس تظيم وهيئة «الائتلاف الإسلامي» كانت هناك لجنة علمائية تضم عدة علماء منهم الشهيد المطهري والشهيد البهشتي وحجة الإسلام مولائي، ويجدر التذكير بأن الدور الأساسي في انتصار الثورة إنما كان للعلماء لا لغيرهم.

وكانت جماعة العلماء المجاهدين في طهران على ارتباط مباشر

بالإمام الخميني تهدي جهاد الشعب وتدفعه إلىٰ الإمام، وكان لتنظيمات الجماعة نشاطات في ثمان مناطق.

ويشرف علىٰ كل منطقة اثنان من العلماء الواعين المؤمنين وكل هذه التنظيمات تخضع للجنة علمائية عُليا لا تختص بمنطقة دون أخرىٰ بل تشرف علىٰ جميع المناطق وتحدد مسار نشاطاتها، وهذه اللجنة تتألف من اثنين إلىٰ ثلاثة أعضاء والشهيدان المطهري والبهشتي كانا من أعضائها.

لقد كانت الكثير من البيانات الصادرة عن جماعة العلماء المجاهدين بقلم الأستاذ المطهري، كما أنه هو الذي كتب مسودة نظامها الداخلي، وهو النظام الذي تمت المصادقة عليه بعد استشهاد المطهري خلال اجتماع للجماعة عُقد في مدينة كرج برئاسة الشهيد البهشتي، ومع الأسف فقد استشهد البهشتي أيضاً بعد هذا الاجتماع بيومين.

بُعيد انتصار الثورة، قامت العناصر المتسللة يوماً بترك الإعلان عن صفة (الإسلامية) من اسم الثورة، في محطة الإذاعة والتلفزة، وفي اليوم التالي ذهبتُ للقاء الإمام الخميني.

فوجدت الشهيد المطهري عنده ينقل إليه خبر ترك هذا الإعلان وقال للإمام: «يجب تطهير الإذاعة والتلفزة من وجود عناصر التيارات المنحرفة».

فعمد الإمام الذي كانت له أيضاً حساسية كبيرة تجاه هذا الأمر

إلىٰ استدعاء مدير مؤسسة الإذاعة والتلفزيون آنذاك «قطب زادة» وأمره بوجوب الالتزام باسم «الثورة الإسلامية» دون أن يهتم بأيّ كان.

وخلاصة الحديث أن الشهيد المطهري كان الرأس والقوة المنظرة منذ تأسيس تنظيمات جماعة العلماء المجاهدين تحت قيادة الإمام الخميني، وهذه الحقيقة كان يعرفها الأعداء أيضاً ولذلك وجَّهوا ضربتهم الأولىٰ للشهيد المطهري.

إن للمطهري حقاً عظيماً علىٰ الثورة الإسلامية والأمة الإسلامية وليس غريباً أن يصفه الإمام بأنه «كان ثمرة عمري»، جاء في الأحاديث الشريفة أن «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء» والشهيد المطهري جنّد قلمه وبيانه لتعريف وتبليغ صورة الإسلام النقي ثم قدَّم دمه.

س: نرجو توضيح حساسية الأستاذ السياسية بعد انتصار الثورة أيضاً؟

ج: أعتقدُ أني أجبتُ علىٰ ذلك بمقدار ما ضمن جواب السؤال السابق، وأضيف هنا، أن لجنة استقبال الإمام الخميني كانت مؤلفة من ثلاثة أشخاص هم الشهيدان المطهري والمفتح وأنا (الذي ما زلت حيّاً مع الأسف).

وكان الشهيد المطهري هو الذي يديرُ كافة أمور وبرامج الاستقبال، في تلك الأيام أدرك الأستاذ بفراسته الخاصة أن هناك تياراً خاصاً يسعىٰ إلىٰ الالتفاف علىٰ الإمام عندما كان مقيماً في مدرسة (رفاه)، فطرح الأستاذ هذا الموضوع مع آية الله المنتظري، فعملا

علىٰ نقل الإمام إلىٰ مدرسة (علوي)، ولم يسمحا لذلك التيار المنحرف بتنفيذ مؤامرته.

كان منذ البداية يراقب بحذر الأوضاع ويحبط كل مؤامرة، وكان الإمام ولثقته به يوافق علىٰ تعيين مَنْ يرشحه المطهري للمسؤوليات المختلفة، وكان الأستاذ يسعىٰ إلىٰ اختيار الفرد المناسب لكل مسؤولية.

ونذكر هنا علىٰ سبيل المثال حكم تعيين الإمام الخميني لحجة الإسلامة المهدوي كنّي لرئاسة لجان الثورة الإسلامية وحكم تعيين حجة الإسلام الإمامي الكاشاني كمشرف علىٰ مدرسة الشهيد المطهري العالية (كان اسمها قبل الثورة مدرسة سبهسالار).

س : كيف كان إحساسكم تجاه استشهاد الشهيد المطهري؟

ج : ورد في الروايات أنه عندما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام جاء أحد أصحابه ووقف علىٰ قبره وحثا علىٰ رأسه التراب وخاطب الأمير عليه السلام بخطابٍ عبَّر عن عمق تفجّعه للمأساة مشيراً إلىٰ أنه رغم أنَّ الإمام عليه السلام عاش طيباً ومات طيّباً إلاّ أن قلوب محبّيه لفقده دامية، وهذا نفسه ما أحسسته يوم استشهاد العلامة المطهري، ولقد كان حقاً أصعب يومٍ في حياتي(١).

---

(١) نقلاً من مجلة (رشد معلم).

حديث الشيخ فاكر عن الشهيد المطهري رحمه الله

«نص مقابلة مع حجة الإسلام فاكر عن الشهيد المطهري»

س : كم سنة درستم عند الأستاذ المطهري؟!

ج : توفقتُ للتلمذة على يدي الأستاذ خلال العامين الأخيرين من حياته المباركة.

س : ما هي برأيكم أبرز خصائص الأستاذ في التعليم والتدريس؟

ج : كان يحظىٰ بعدة مميزات معنوية في مقام التدريس أثمرت الكثير من نجاحاته في هذا المجال وأبرزها :

١ ـ كان يقوم بمهمة التدريس باعتباره عبادةً وواجباً دينياً، فالمدرس المهني لا تنحصر مصاديقه فيمن يستلم أجراً مقابل التدريس، فهناك من لا يستلم أجراً ولكنه يتعامل مع التدريس كمهنة فحاله حال الكاسب الذي يذهب صباحاً إلىٰ دكانه لممارسة مهنته، ومثل هذا المدرس دكانه مدرسته.

فمثلاً هناك من المدرسين من يصيبه الضجر والملل بعد التقاعد من الجلوس في المنزل فيذهب إلىٰ المدرسة للتدريس دون مقابل ولكنه يتعامل وفق روح المهنة.

ولكن هناك من المدرسين مَنْ يرىٰ في التدريس واجباً، فهو يدرس لكي يُعلّم هذا التلميذ شيئاً ويساهم في إنقاذ المجتمع وتقدمه، وهكذا كان الأستاذ المطهري وهذه إحدىٰ أبرز خصائصه البارزة، حيث يشعر كل من جلس في دروسه أنه يتعامل مع التدريس باعتباره واجباً شرعياً عليه.

س : وما هي آثار هذه الميزة؟

ج : تعلمون أن الصلاح نورٌ والنور لا يمكن إخفاؤه، فالإنسان يحس بهذه الميزة من طريقة التدريس وحركات الأستاذ وسكناته، ففطرتنا إلهية إنسانية وهي من سنخيَّة الصبغة الربانية للأستاذ، فتجذب إحداهما الأخرىٰ، وتأثير هذه الفضيلة يظهر وفق الأسس المعنوية الحاكمة في العالم.

٢ ـ الميزة الثانية هي أن التلميذ عندما كان يجلس في درس المطهري ينشدّ إليه متأثراً بـ«كل الأستاذ» وليس بما يقوله ويبرهن عليه فقط، وهذا من أهم أسرار حسن التعليم والتربية.

لو انحصر اقتناع وتأثر التلميذ ببراهين الأستاذ دون شخصه لانحصر دور الأستاذ بدور المسجل الصوتي، أما الأستاذ المربي فهو الذي يتأثر التلميذ ويقتنع به نفسه وبأخلاقه إضافةً إلىٰ علمه

واستدلاله، وهذه الحالة تحصل عندما يتوفر في الأستاذ أمران هما:

ألف: النضوج والعمق العلمي.

باء: التقوىٰ والصلاح الأخلاقي.

من الناحية العلمية كان الأستاذ المطهري يلتزم بعدم طرح مسألة ما علىٰ تلامذته قبل أن تتضح له أولاً بصورةٍ كاملة ولهذا لم تكن تصعب عليه الإجابة تجاه أي سؤالٍ يُثار حول القضايا المطروحة في درسه.

ومن الناحية الأخلاقية فقد كان يمثل قدوةً لطلاّبه، فالفضائل المعنوية لا يمكن نقلها بالبيان واللسان فهذا وسيلة نقل العلم وليس الإيمان، وورد في الحديث الشريف: «جالسوا من يذكركم بالله رؤيته، ويزيدكم في العلم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله»[1].

ويُفهم من الحديث أن البيان والمنطق يزيدان في العلم ولكن الذي يزيدُ في إيمان القلب بالله تعالى فهو رؤية الرجال الربانيين ومشاهدة عملهم.

والمعلم الذي تتوفر فيه المواصفات المذكورة في الحديث المتقدم يتعامل مع تلامذته بحيث يقتنعون بكل وجوده علماً وأخلاقاً وبدون ذلك لا يختلف حاله عن المسجل الصوتي، أما إذا كانت أخلاق الأستاذ مدعاةً لنفرة التلاميذ فالآثار تكون عكسية.

---

(١) أصول الكافي ج أبواب العلم.

٣ ـ لم يكن الأستاذ (المطهري رحمة الله عليه) ليستصغر أبداً أياً من تلامذته بل كان يستمع باحترام لما يقولونه ويحل إشكالاتهم إما في وقت الدرس وإما بعده إذا لم يبق منه ما يكفي.

وهذه الخصوصية تجلَّت في عمله التحقيقي أيضاً وكان تأثيرها أكبر في هذا المجال، فهو كان يصغي لأقوال المخالفين ويحللها بصورة جيدة ويُعدّ الأجوبة المناسبة ولهذا لا نجد في إيران نظيراً للأستاذ المطهري في إحاطته بآراء المخالفين وأدلتها ويمكن ادعاء هنا أنه قد تقدم في هذا المجال حتّىٰ علىٰ أستاذه العلامة الطباطبائي (رحمة الله عليه).

المطهري كان يحترم طلابه وكان رؤوفاً بهم: كان يرفق بنا كثيراً، قصيرةٌ هي فترة العامين التي توفقت خلالها للدراسة عند الأستاذ ولكنها كانت ثرية بفضل سمو أخلاقياته المربية، كان يدعونا لمنزله ويأتي إلىٰ منزلنا، وهذا التواضع كان له تأثيره الكبير ويشكل إحدىٰ المميزات الأساسية في شخصية المطهري الأستاذية.

س : كيف يمكن للأستاذ إيجاد مثل هذه العلاقة مع حفظ حرمة علاقة الأستاذية؟

ج : حرمة الأستاذ منشأها وقارُهُ لا تكبُّره، الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يلتقي بالكثير من الأجلاف وأعراب البادية ولكن وقارَهُ كان يجبرهم علىٰ احترامه وتوقيره، والأستاذ الناجح هو الذي يجمع بين هذا الوقار وبين العلاقة المتينة مع تلميذه.

وهذه العلاقة المتينة لا تعني أن يذهب الأستاذ للعب كرة القدم مع تلميذه، بل إنها تعني مثلاً العناية بشؤونه وملاقاته بوجه حسن والاستفسار عن أحواله ويسعىٰ لحل مشاكله فينفذ بذلك إلىٰ قلبه.

٤ ـ الميزة الرابعة هي أن الشهيد المطهري كان يجعل ذهن التلميذ وقاداً نقاداً فهو كان عندما يعرض دليلاً علىٰ موضوع معين، لا يكتفي بمجرد العرض بل يتابع مناقشة الاستدلال إلىٰ توضيح ممهداته الفلسفية والدينية ويوضح للطالب منهجية الاستدلال بحيث يتعلم كيف يستدل علىٰ مطلب ما ويناقش الأدلة وصحتها.

فهو لا يعلّم الطالب البرهان نفسه والاستدلال كقالب جامد عليه أن يحفظه وبدونه لا يستطيع الوصول إلىٰ شيء، بل يعلّمه منهجية الاستدلال بحيث يستطيع الوصول إلىٰ المطلب عبر هذا الاستدلال أو غيره من براهين ويثمرها في فهم منهجية الاستدلال.

فمثلاً كان الأستاذ المطهري يقول إنه لدينا ثقافة إنسانية مشتركة في التاريخ ويستدل علىٰ ذلك بوجود الكثير من المقولات والقيم الإنسانية التي يتبناها الجميع بمختلف مللهم ومشاريعهم وعلىٰ مدىٰ التاريخ.

ولكن الأستاذ المطهري لم يكتف بتوضيح هذا الاستدلال بل يذهب إلىٰ توضيح العلة فيقول إنها ترجع إلىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ خلق جميع البشر وفق الفطرة الإنسانية وهذه الفطرة المشتركة هي مصدر هذه الثقافة الإنسانية المشتركة.

ولا يكتفي بذلك أيضاً بل يضيف أن نظام الخلقة نظام منسّق له مديرٌ ومدبّرٌ واحد يحكم كل العالم وتنعكس آثاره علىٰ جيمع البشر فتكون فطرة الجميع واحدة لها إفرازٌ ثقافي مشترك؛ ثم يتابع الاستدلال فيوضح أن وجود هذه الثقافة المشتركة يُشكل حركة واحدة، وهذه الحركة التاريخية الواحدة منشأها هذه الثقافة المشتركة وليس العامل الاقتصادي.

وهذا المسار الاستدلالي الذي كان يعمد إلىٰ توضيحه من مختلف الجوانب لا يوصل إلىٰ حلقةٍ مفرغةٍ بل يجعل ذهن التلميذ وقّاداً نقّاداً.

س: كيف كانت منهجية الأستاذ المطهري في التدريس؟

ج: من المميزات المهمة للأستاذ عن غيره هو أنه كان يجذب التلميذ بمتانة وقوة المطلب نفسه فضلاً عن البيان، صحيح أن بيان المطلب أمرٌ مهم ولكنه دون متانة المطلب لا يعدو أن يكون ظهراً برّاقاً دون محتوىٰ، أما إذا لمسَ العقل قوة المطلب ترسخ وثبت فالعقل ناشىء من نظام الخلقة وهذا مرتبط بإرادة الله وهي ثابتة.

وهذا كان الملموس في دروس المطهري فعندما يسمعها الإنسان يغرق في سمو معانيها، في حين قد يجلس الإنسان في درس فينشدّ إلىٰ بيان صاحبه حتىٰ يغفل عن متانة المطلب العلمي ويخرج من الدرس فتذهب حالة الانشداد تلك فيجد يديه فارغتين من فائدة حقيقية.

ولكن الخارج من دروس الأستاذ كان يجد في نفسه حالة عميقة من البهجة تبقىٰ إلىٰ آخر عمره، لأنها تضم مطالب حقيقية متينة، وعموماً فهذه خصوصية عموم الدورس الحوزوية.

س : ما هي بنظركم أهم الأعمال التي استطاع بها الأستاذ الوصول إلىٰ هذه الدرجة السامية من الصلاح والأخلاق الفاضلة.

ج : التقوىٰ والتقوىٰ والتحقيق علىٰ أساس أداء الواجب، أعتقد أن هناك كتابين للأستاذ هما أفضل كتبه، الأول شرحه لأصول الفلسفة والآخر عن التاريخ لم يطبع بعد سوىٰ جزءٍ منه هو المجتمع والتاريخ.

الكتاب الأول ألّفه قبل ٣٥ عاماً وفي فترة شبابه ومنذ ذاك اتضح عمق إخلاصه في العمل في سبيل الله فأنجز هذا العمل التحقيقي الذي كان المجتمع الإسلامي في أمسّ الحاجة إليه فأضاف قوةً إلىٰ المتن وهو عملٌ قام به بدافع أداء الواجب وبدافع التقوىٰ وهو بذلك سار علىٰ نهج الإمام الخميني الذي تجسد فيه هذا الدافع بأسمىٰ صوره.

س : هل كان طلاب الأستاذ يعرفون أنه شخصية ثورية تعتقد بوجوب الثورة وكيف كان الأستاذ يوضح إيمانه بوجوب إسقاط النظام الطاغوتي خلال دروسه؟

ج :الأستاذ المطهري كان يعزم المباني والقواعد الفكرية والعقائدية للثورة، ومن خلال ذلك يُفهم طلابه أن عليهم إسقاط

النظام الطاغوتي إذا أرادوا إقامة الحياة الكريمة، ولكنه لم يكن يُعلّم قضايا التنظيم الحزبي أو أساليب الجهاد المسلح وما كان ينبغي له ذلك، فقد قام بما يجب أن يقوم به.

س : إذا كانت لديكم ملاحظة تربوية خاصة عن الأستاذ فنرجو تبيانها للاعتبار.

ج : كان الأستاذ المطهري يولي أهمية كبرىٰ لإقامة الصلاة حتىٰ أنه لم يكن يصلي بملابس المنزل العادية، فنحن مثلاً عندما نصلي في المنزل نصلّي بملابس الاستراحة المنزلية خاصةً في صلاة الفجر حيث نصلي بلباس النوم نفسه.

أما الشهيد المطهر فكان حتىٰ في صلاة الفجر يرتدي ملابسه ويضع العمامة على رأسه ويصلح ظاهره ثم يصلّي ولعله كان بذلك يسعىٰ إلىٰ أن يكون ذلك مقدمة للاستعداد الروحي والباطني فإصلاح الظاهر له أثره ولا شك في الاستعداد النفسي الكامل للصلاة.



حديث السيد حسن الطاهري

«نص مقابلة مع حجة الإسلام السيد حسن الطاهر الخرم آبادي»

س : كم سنة درستم عند الأستاذ الشهيد المطهري وما هي المواضيع التي درستموها عنده؟

ج : بسم الله الرحمن الرحيم: شهيدنا الأستاذ المطهري هو أحد الشخصيات العلمائية العظيمة المجهولة القدر حقاً، ففي حياته لم يعرف عظمته سوىٰ ثلة قليلة من الخواص.

قبل هجرته إلىٰ طهران كان الأستاذ يدرس في قم لكننا لم نحظَ بإدراك تلك الفترة، وفي عام (١٣٩١هـ.ق/ ١٩٧١م) فكَّر عدد من الأصدقاء بالسعي لدعوة الأستاذ للعودة إلىٰ قم أو الالتماس منه المجيء إلىٰ قم في بعض أيام الأسبوع، ففي تلك الفترة ظهرت الأفكار التحريفية والتلفيقية غير النقية.

وسعى البعض إلىٰ تحريف الآيات القرآنية وطرح تفسيرات مادية أو ثورية تحميلية لكل شيء، ومع الأسف فإن هذه الأفكار تغلغلت حتىٰ إلىٰ بعض الطلبة الحوزويين الشباب.

ومن جهةٍ أخرىٰ فالإمام الخميني وضمن رسالة بعثها من النجف إلىٰ ظهره الشيخ إشراقي، أوصىٰ بأن يذهب الأستاذ المطهري إلىٰ قم للتدريس فيها ـ لمواجهة هذه الأفكار ـ.

وبالفعل تهيَّأت المقدمات اللازمة بهمَّة عدد من الأصدقاء، فبدأ الأستاذ المطهري بالمجيء إلىٰ قم من يوم الأربعاء إلىٰ عصر الجمعة من كل أسبوع حيث ينهمك بالتدريس، فكان له درسٌ عامٌ في شرح الأسفار الأربعة لصدر المتألهين الشيرازي، ودروسٌ خاصة في المنازل علىٰ مستوياتٍ أعلىٰ.

الدروس الخاصة كانت عن قضايا الماركسية وموضوع فلسفة حركة التاريخ، فبحث في بداياتها مناقشة فلسفة (هيغل).

أما دروس الأسفار الأربعة فقد بدأها من موضوع (الحركة) لأنه كان آنذاك منهمكاً في الإعداد للجزء الرابع من كتاب «هوامش علىٰ أصول الفلسفة ومنهج معرفة الحقيقة» حيث أراد الشروع بكتابته بعد مناقشة مبحث (الحركة) واستمرت هذه الدروس إلىٰ زمن الثورة.

وفي بدايات عام (١٣٩٧هـ.ق/ ١٩٧٧م) كان يأتي إلىٰ قم للمشاركة ـ أحياناً ـ في اجتماعات جماعة مدرسيّ حوزة قم ويوقع علىٰ بياناتها ضد النظام الشاهنشاهي، وكان عضواً أيضاً في جماعة العلماء المجاهدين في طهران وهو بذلك كان يقوم بمهمة عامل الاتصال بين قم وطهران.

وبعد انتصار الثورة كان قد شرع في تدريس موضوع الحكومة

الإسلامية وأراد مواصلة درسه في شرح الأسفار لكن الأجل لم يمهله مع الأسف.

س : ما هي أبرز خصائص الأستاذ في منهجه التدريسي؟

ج : امتازت دروسه وفق مستوىً عميق أعلىٰ بكثير من مستويات قراء الأسفار العاديين، وكانت دروسه أشبه ما تكون بدروس (بحث الخارج) الاجتهادية.

فمثلاً عندما كان يطرح موضوعاً من كتاب الأسفار كان يعرض لآراء كبار الفلاسفة بشأنه كابن سينا والفارابي والملا هادي السبزواري وغيرهم ثم يعرض رأي صدر المتألهين صاحب الأسفار وآراء بعض أصحاب الهوامش والشروح على الأسفار وبعضها غير متوفرة.

ثم يناقش هذه الآراء بصورة جذرية، وقد لاحظت أن مطالعته للأسفار للتحضير للدرس لا تستغرق الربع ساعة ولكن وبفضل إحاطته بالآراء الفلسفية كان درسه مفصلاً عميقاً بالصورة المتقدم.

س : وما مدىٰ قدرته علىٰ توضيح وتبيان الموضوع؟

ج : بصورة عامة يمكن القول إن الأستاذ الذي يتضح في ذهنه موضوع البحث ويناقشه بصورة كاملة يستطيع تبيانه بصورة جيدة، والأستاذ الشهيد المطهري كان حقيقة مجتهداً محققاً في الفلسفة وصاحب رأي في قضاياها فضلاً عن إحاطته بآراء كبار الفلاسفة.

كما امتاز بسعة معلوماته، وكنا نلاحظ أنه يطرح أحياناً ـ في المواقع المناسبة ـ الآراء الأصولية والفقهية لكبار المتخصصين في

علمي الفقه والأصول وكان ذلك مثيراً لاستغرابنا من إحاطته بها علىٰ الرغم من انشغاله سنين طويلة في طهران في قضايا بعيدة عن الدراسة المتعارفة للفقه والأصول، وكان يميل كثيراً إلىٰ بحث القضايا الاقتصادية من وجهة نظر فقهية.

ومن مميزاته الأخرىٰ شدة التزامه بالإسلام وأحكامه ومفاهيمه، فمطالعاته وإحاطاته بالأفكار غير الإسلامية لم تؤثر عليه وعلى التزامه باعتبار أن الأصل ومعيار التقييم هو القرآن والسنَّة، وبالطبع كل مَنْ يحظى بعلمٍ واسع عميق يصل إلىٰ هذا الالتزام التعبّدي.

س : ما هو مقدار الأهمية التي كان الأستاذ يوليها للتعليم والتعلم؟

ج : كانت كبيرة للغاية، فمثلاً وكما أشرت فإنه بعد انتصار الثورة واصل مباحثه العلمية وتدريسه في قم علىٰ الرغم من توليه مسؤوليات جسيمة كرئاسة مجلس الثورة.

في عام (١٣٩٧ هـ.ق/ ١٩٧٧م) وقبيل تصاعد وقائع الثورة وتفجّرها، قام الأستاذ الشهيد بخطوة أساسية ساعدناه فيها، حث تمّت دعوة الأشخاص المستعدين للمشاركة في امتحانات حول العلوم الإسلامية.

ووضع الأستاذ بنفسه أسئلة في مختلف الفروع (الفقه، المنطق، الفلسفة. . .) وحظيت الدعوة باستقبال واسع وأُجريت الامتحانات في

(مسجد أعظم)، وكان القرار أن تصحح الأوراق وتغربل الإجابات ويتم اختيار الممتازين من أصحاب الإجابات.

ثمَّ تُشكل منهم لجان تحقيقية في كل اختصاص يرأسُ كل منها أقوىٰ أفرادها، ويُشرف الأستاذ بنفسه علىٰ عمل جميع اللجان، وبذلك يتشكل في الحقيقة مجمعٌ علميٌّ تحقيقي كبير.

ومع الأسف فإن هذا المشروع قد توقف بعد تصاعد وقائع الثورة الإسلامية وانتهت متابعته بعد استشهاد الأستاذ المطهري.

س: يرجى توضيح خصائص الأستاذ الأخلاقية؟

ج: الأستاذ المطهري متخلّق حقاً بالأخلاق الإسلامية ويصعب حصر فضائله الأخلاقية، لذا أُشير هنا إلىٰ ما يحضرني الآن:

١ ـ الأستاذ لم يخرج أبداً عن طبيعته الحوزوية. قبل سنين وفي بداية تعرفي عليه، زرته في منزله المتواضع في طهران، فتعجّبت مما رأيتُ، حيث وخلافاً للتصور المتوقع رأيت أن لا سكنىٰ طهران ولا كونه أستاذاً في جامعتها قد أثّرا على طبيعة حياته المتواضعة ولا علىٰ تعامله.

٢ ـ كان الأستاذ من أهل الدعاء والتضرع، ينقل أحدُ الأصدقاء أنه في الليلة التي أخبروا الأستاذ الشهيد بصدور حكم بالسجن عشرة أعوام علىٰ الشيخ المنتظري أو أنه كان من المقرر أن يصدر (لا أتذكر تحديداً).

تأثّر الأستاذ كثيراً وطلب قرآناً وكتاب مفاتيح الجنان، وشرع الأستاذ بقراءة دعاء التوسل بحضور قلب.

٣ ـ كان الأستاذ يلتزم بتلاوة القرآن قبل النوم وقراءة الدعاء ليلة الجمعة إضافةً إلىٰ تلاوة القرآن.

٤ ـ ومن خصائصه البارزة مواظبته علىٰ أقامة نافلة الليل، وحتىٰ لو كان نومه في وقتٍ متأخّر، ينهض في الوقت المحدد لإقامة صلاة الليل.

ينقل السيد الخامنئي أن الأستاذ حلَّ ضيفاً علىٰ السيد وقضىٰ ليلته هناك، وفي آخر الليل استيقظتُ (الخامنئي) أنا وزوجتي علىٰ صوت بكاء الشيخ حيث كان يبكي وهو يتهجد.

٥ ـ والخصوصية الأخرىٰ هي أن الأستاذ كان منظماً للغاية، فمثلاً يقيمُ صلاة الليل في وقتٍ محدد، ولو نام بعد صلاة الفجر يستيقظ في ساعة محددة ويتناول إفطاره في ساعة محددة وكذا الحال في كافة شؤون الأخرىٰ.

س : ضمن شكرنا لكم علىٰ ما تفضلتم به، إذا كان هناك حادثة ما تحملونها كذكرىٰ خاصة عن الشيخ فنرجو تبيانها.

ج : الذكريات النافعة في هذا المجال كثيرة، أنقل واحدة منها.

في عام (١٣٩٨ هـ.ق/١٩٧٨م)، وحيث نشاطات الثورة ـ الإسلامية في إيران ـ لم تصل إلىٰ ذروتها بعد، تم إعداد بيان مشترك بين جماعة مدرسي الحوزة العلمية في قم وجماعة العلماء المجاهدين

في طهران ويبدو أن الصيغة النهائية للبيان قد نظمها الشهيد المطهري وضمن توضيحها لأهداف الثورة هاجمت التيارات القومية وأعداء علماء الإسلام الذين يدعون إلىٰ (إسلام دون علماء حوزويين).

هذا الهجوم لم يوافق عليه عددٌ من السادة العلماء الذين كانوا يقولون إنه من غير الصالح في هذه المرحلة من مجاهدة النظام الشاهنشاهي طرحُ مثل هذه القضايا.

إلا أن الشهيد المطهري كان يصر على هذا الطرح ويقول إنه في هذا الوقت بالذات يجب أن تحدد هوية الثورة ومسارها وأهدافها، لكي ينعزل عنها الذي لا يؤمن حقيقة بأهدافنا الإسلامية.

ولم يتوصل الطرفان إلىٰ اتفاق علىٰ صيغة موحدة وتقرر رفع الأمر إلىٰ الإمام الخميني، وفُوّض هذا الأمر لي فأعددت في ليلة من ليالي شهر رمضان صورة عن كلا الصيغتين للبيان ـ الموافقة لرأي الأستاذ وغير الموافقة له ـ وكتبت أدلة كلا الطرفين، وعثرت علىٰ مسافر إلىٰ العراق بعثت معه الرسالة الشاملة لهذه التوضيحات إلىٰ الإمام الخميني في النجف الأشرف وتقرر أن يوصل الجواب بطريقة ما إلينا.

وبعد ذلك رأىٰ الشهيدان المطهري والبهشتي وعددٌ آخر من الأصدقاء أن أذهب بنفسي إلىٰ النجف وأُطْلِع الإمام الخميني علىٰ مجموعة من القضايا التي لم يكن من الممكن إطلاعها عليه عبر الهاتف أو الرسائل.

وتهيأت بالفعل مقدمات السفر وفي ليلة السفر إلىٰ لبنان دعاني الشيخ المطهري إلىٰ منزله وتحدّث معي مفصلاً حول القضايا التي تقرر أن أطرحها علىٰ الإمام الخميني فسجلت في دفتر ملاحظاتي ما قاله بهذا الخصوص.

وفي صباح اليوم التالي أوصلني ابن الشيخ المطهري إلىٰ المطار حيث سافرتُ إلىٰ لبنان وكنت أحمل رسالةً من الشهيد بهشتي إلىٰ الإمام موسى الصدر حول ترتيب أمر سفري إلىٰ العراق.

ولكني عندما وصلتُ إلىٰ بيروت علمتُ أن الإمام موسى الصدر قد سافر إلىٰ ليبيا (ذلك السفر الذي ذهب فيه ولم يعد)، فتأخرت عشرة أيام في بيروت قبل أن أتمكن من السفر إلىٰ العراق بصورة غير رسمية.

ثم وبعد عودتي إلىٰ إيران بعد شهر وعدة أيام، كان مبرر نشر ذلك البيان قد انتفىٰ حيث تحددت بوضوح أهداف العلماء من الثورة، ولكن النقطة الأساسية هي في جواب الإمام الخميني علىٰ الرسالة التي بعثناها مع ذلك المسافر للإمام بشأن البيان المذكور، فقد كان الجواب قد وصل حيث قال الإمام فيه:

«الحق مع الشيخ المطهري في هذه القضية، فالذين دون الحوزة مثل الطب دون طبيب، والذين يقولون إسلام دون حوزة لا يريدون ضرب الحوزة بل ضرب الإسلام في الحقيقة..».

السيد علي المحقق الداماد

كتابة تلميذ عن أستاذ

تحت عنوان «روح التعبّد بالإسلام لدى الأستاذ المطهري» كتب أحد طلاب الشهيد الشيخ مرتضى المطهري وهو السيد علي المحقق الداماد هذا الموضوع وذكر سيرة أستاذه، ونحن ننقل نص ما كتبه عن الشهيد المطهري رحمه الله:

من الصعب تعداد خصائص الأستاذ الشهيد المطهري وأصعب منه بكثير الحديث الشامل عن أبعاد شخصية هذا المعلم الكبير.

فقد كان مدرساً لا نظير له في التعليم، يمتاز بدقة تحقيقية عالية في خوض غمار المطالب وشرح مختلف جوانبها ببيانٍ متين واضح يوصلها إلىٰ الطلبة وعقولهم فلا ينقلها لهم كمجرد «محفوظات» كما يفعل البعض ممن يُسمَّون مدرسي الفلسفة الذين لا يفقهون المعاني الحقيقية لتلك المطالب.

وإذا ما سألهم أحد الطلبة عن شيء من معانيها أعادوا عليه تلك المصطلحات المحفوظة نفسها أما بالنسبة للأستاذ الشهيد فإن أعمق

المباحث الفلسفية كانت واضحة لديه حقيقة بكافة معانيها، ولهذا كان نقل هذه المباحثات أمراً يسيراً ولذيذاً، وهذه الحقيقة يدركها طلبتُهُ بوضوح.

روح التعبد والتسليم

تألقت في الأستاذ روح التعبد والتسليم بتجلٍ كبير علىٰ مستويين؛

الأول؛ علىٰ صعيد العبادة والمناجاة والخشوع والخضوع والتضرع لله تعالى، فلم يترك منذ وصوله سنّ التكليف صلاة الليل، وكنت أراه ملتزماً بتلاوة آيات من القرآن الكريم بتدبر قبل النوم، وأما حالته أثناء الدعاء والتهجد في الليل فهذا ما لا يمكن وصفه.

أما المستوىٰ الثاني؛ فهو علىٰ صعيد التسليم للأحكام الإلهية، الأستاذ الشهيد كان عالماً كبيراً كثير المطالعة، فقيهاً أصولياً، فيلسوفاً.. وكان يشرق في نفسه ما يطالعهُ وإلىٰ جانب كل ذلك كان متعبداً مسلماً تجاه الأحكام الشرعية كافة.

ولتوضيح أهمية هذه الخصوصية، نقول: ظهرت قبل أكر من عشرين عاماً وفي البداية بين علماء أهل السنة لا سيما في مصر، فكرة التوفيق بين أحكام الإسلام وبين ما نفهمه نحن وندركه ونقيسه بعقولنا من الصالح والطالح.

فمثلاً إذا ما عجزوا عن تقديم تبريرات ـ أو منافع ـ لبعض الأحكام الإسلامية، سعوا إلىٰ القدح بأصل الحكم أو أدلته، فقالوا قد يكون المقصود هكذا وليس هكذا،

وقد وصل أمر انتشار هذه الفكرة إلىٰ درجة من الاتّساع بحيث أصبح لِزاماً أن يقولوا مثلاً «إنَّ الصلاة واجبة».

أو عندما يتحدثون عن وجوب الصوم يقرنون بالقول «إنَّ الصوم وسيلة للصحة البدنية والشفاء من الأمراض وإنه يزيل الفوارق الطبقية» فالالتزام بالأحكام الشرعية أصبح مشروطاً بمعرفة عللها وفوائدها.

هذه الحالة التبريرية سرت أيضاً إلىٰ المفكرين الإسلاميين في إيران، ووصل الأمر تدريجياً بهذ التبرير العلمي لعلل الأحكام إلىٰ حدٍّ أصبحوا معه يلجأون إلىٰ القول بأن هذا الحكم الفقهي ينسجم مع روح الإسلام، أو أن فهمنا لتعاليم الرسول هو هذا عندما يجدون في بعض الأحكام الفقهية توافقاً مع آرائهم.

وأصل موضوع هل أنَّ علينا أن نبحث في علل الأحكام الشرعية أم لا هو بحدّ ذاته موضوع ظريف ذو تفصيلات كثيرة يجب أن يبحث في مكانه المناسب.

وتكفي هنا الإشارة إلىٰ أنه ليس المقصود عدم الانتباه إلىٰ فلسفة الأحكام الشرعية أصلاً، فللكثير منها عللٌ واضحة وقد تحدثت عنها الكثير من الأحاديث الشريفة التي جمع منها مثلاً الشيخ الجليل «الصدوق» في كتابه «علل الشرائع».

ولم يمنع الإسلام من السعي لمعرفة علل الأحكام وفلسفتها ولكن النقطة المهمة هنا هي أن من غير الصحيح أن يكون تعاملنا مع الأحكام قائمٌ علىٰ معرفة عللها فإنْ لم نعرف بعضها كان التزامنا بها أضعف وتسليمنا لها أقل، بل لا ينبغي توقع أننا قادرون علىٰ معرفة وإدراك العلل الواقعية للأحكام وحقيقة عللها الكاملة.

ولو كنا قادرين علىٰ ذلك لما كانت هناك حاجة للدين والنبي والوحي، فافتقاد هذه القدرة هو علَّة الحاجة إلىٰ الوحي والنبوة إذ إنَّ الإنسان لا يستطيع الإحاطة بكافة المصالح والمفاسد.

إذا أمرَ الله تعالىٰ بعمل ما أو نهىٰ عن عملٍ ما، فإنَّ ذلك يكون حتماً لمصلحة أو مفسدة فيهما، ولكن في أي حدود تقع هذه المصلحة أو تلك المفسدة؟ هل تتعلق بحياة الفرد أم بوجوده كله؟

كلا بل هي تتعلّق بدائرة أوسع ترتبط بعموم الأمة الإسلامية بل وبنظام الخلقة كله.

ومن جهة أخرىٰ إذا صدر لي أمرٌ باعتباري فرداً مسلماً فيجب أن تلاحظ آثاره وتأثيراته علىٰ جميع أفراد المجتمع بل وعلى موجودات العالم كلها، هذا فيما يتعلق بالبعد العرضي.

أما بالنسبة للبُعْد الطولي فهناك حساباتٌ للمصالح والمفاسد وآثار الأوامر والنواهي علىٰ طول الزمن، من بعثة الرسول الأكرم ﷺ إلىٰ يوم القيامة فالإسلام دينٌ خالدٌ ثابت.

ومن المستحيل أن يحيط الإنسان بكلا هذين البعدين ـ العرض

والطولي ـ مهما كان اتساع علمه ومعلوماته، وبسبب ذلك بالتحديد تصل الأحكام والتشريعات البشرية إلىٰ حلقاتٍ مفرغة مهما كانت طريقة وضعها دقيقة.

بهذا التوضيح نفهم استحالة التعرف علىٰ كافة علل الأحكام والمسائل الإسلامية.

وكما أشرنا فقد ظهرت في تلك الفترة محاولات لجعل العقل الإنساني معياراً في فهم حقائق علل الأحكام الشرعية، وهذه المنهجية هي التي أدّت إلىٰ ظهور حالات من اصطدام أصحابها بالفقه الإسلامي وما ورد في الرسائل العملية من أحكام.

أما الأستاذ المطهري فقد امتاز بتعبّد كامل وتسليم تجاه الأحكام الشرعية الواردة في الفقه الإسلامي العريق ثمرةً لأدلته الصحيحة، وعلىٰ الرغم من كثرة اتصالاته بالمثقفين وتدريسه في الجامعات ـ وهي أبرز مراكز أصحاب المنهجية المتقدمة ـ وعلىٰ الرغم من سعة إحاطته بالكتب المادية التي يصفها بأنه قرأها كلمة كلمة مثل (آراني).

وعلىٰ الرغم من كونه فيلسوفاً والفيلسوف من أهل التعقل وفهم العلل، ـ نقول ـ علىٰ الرغم من كل ذلك لم يكن الشهيد المطهري يسمح بأدنىٰ تجاوز علىٰ الأحكام الشرعية التي لم تتضح عللها لا في كتاباته ولا في محاضراته ولا في دروسه.

والأمل هو أن يتخذ جميع المسلمين وخاصة الجامعيين والمعلمين والمفكرين الأستاذ المطهري قدوةً في هذا التعبد والتسليم بالأحكام الإلهية وهم يعيشون في بلدٍ إسلامي وفي ظل حكم

إسلامي، وعلينا أن نحذر من أن نفرض آراءنا الشخصية علىٰ الدين ونطرحها هنا وهناك تحت عناوين أنها تمثل روح الإسلام، أو فهم روح الإسلام.

فإذا كنا مجتهدين في الأحكام الشرعية فعلينا أن نعمل وفق الضوابط والمعايير الاجتهادية المقررة لاستنباط الأحكام.

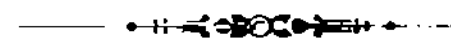
وإذا كنا مقلدين فيجب أن تكون كافة مسائل وأحكام الرسائل العملية حجّة علينا، نتعبّد بها.

أما إذا قلنا تجاه هذا الحكم الشرعي أو ذاك أن «ما يبدو لي هو هذا أو ذاك..» أو «يجب أن يكون الحكم هكذا وليس كذا..» فإننا نكون بذلك ساعين لفرض آرائنا علىٰ الله تبارك وتعالى.

وهذا هو نفسه الذي كان مطروحاً في زمن الأئمة عليهم السلام تحت عنوان «القياس والاستحسان» والذي كافحه أئمة الهدىٰ عليهم السلام طويلاً وبحزم.

ومعلوم أن الاستحسان يعني القول بـ«أن الأحسن أن تكون المسألة هكذا وليس هكذا..».

وخلاصة الحديث لا ينبغي لنا أن نقيس مسائل الشرع بعقولنا الناقصة(١).



(١) نقلاً عن مجلة (رشد معلم).

شخصيات تاريخية

«بقلم اثنين من تلامذته»

الشخصيات التاريخية هي التي تترك آثارها على أفكار الجيل المعاصر والأجيال اللاحقة وتغيّر نظراتها تجاه قضايا العالم والحياة وتفتح أمامها آفاقاً جديدةً في التعامل مع هذه القضاي، فتصبح قدوةً لهذه الأجيال.

مثل هذه الشخصيات العظيمة تمتاز بتفوق خاص في بعد واحد أو أكثر من أبعادها على الآخرين، فتغطّي بتشعشع أنوارها في هذه الأبعاد علىٰ الآخرين وتجعلهم أشياعاً لها.

ويمكن الإشارة إلىٰ العديد من مصاديق هذه الشخصيات الاستثنائية علىٰ مدىٰ التاريخ، فهي تمثل قمماً شامخة تبرز من بين الكثير من القمم ذات الارتفاع الأقل، وتستحوذ علىٰ عناوين كبيرة من أمثال الكتّاب المقتدرين، والفنانين والأدباء المبدعين أو المفكرين ذوي الأفكار العميقة، أو القادة الأكثر إخلاصاً وصدقاً، والمخترعين الأذكياء والساسَة الأكفاء، والعرفاء المتألقين، ومئات أخرىٰ من الأوصاف المماثلة.

وهنا نلحظ درجات ومراتب مشهودة بوضوح بين هذه الشخصيات الاستثنائية، فمنها ذات تألق أكبر ومحسوس بدرجة أكبر تبرز منها أيضاً ثلةٌ أقل عدداً تتألق بصورة أشد وتمتاز بتعدد أكبر في الأبعاد المتفوقة المتألقة فيها، وهذه الثلة هي التي تضم القمم الأكثر ارتفاعاً وشموخاً.

ويقف علىٰ رأس قائمة هؤلاء الأنبياء يليهم الأولياء ثم المقتدون بهم والمقتفون آثارهم.

والمرحوم الأستاذ الشهيد آية الله المطهري (قدس سره) هو من هذه الطائفة النخبة في المجتمع الإنساني، وهم ـ مع حفظ توالي الدرجات ـ يعتبرون التابعين للأنبياء القائمين مقامهم ونوابهم.

والمطهري، تجلّت فيه مختلف أبعاد شخصيته التي جمعت الفضائل والسمو والنضوج المثير للإعجاب.

كان أستاذاً ومعلماً بارزاً، ومحققاً مقتدراً مدققاً، ومتكلماً بصيراً وغيوراً، فيلسوفاً مجتهداً مبدعاً وذا آراء عميقة، مصلحاً متحمساً مخلصاً واعياً، كان ذا قلب حيّ ويحيي القلوب المستعدة، وعارفاً ذا وجدان نوراني.. وكان وكان..

ولكل ذلك، فإن معرفة مثل هذه الشخصية محالٌ دون دراسة مختلف جوانب حياته ومطالعة آثاره ومؤلفاته وباقياته الصالحات، وحيث أن هذا مما لا يدرك كله، لذا فلا نتركه جُلَّه، ونسعىٰ هنا إلىٰ محاولة التعرف على بعض من نفحات هذه الشخصية التاريخية.

أستاذ بارز

الذين قضوا عمراً في التعليم والتدريس، يعرفون جيداً كم هي حساسة ودقيقة وصعْبة هذه المهمة، وكم هي في حاجة إلىٰ مزيد من الصبر والثبات والاستقامة والنظم والدقة، فلا يكفي أن تكون للأستاذ معلومات كثيرة وعميقة لكي يكون درسُهُ ناجحاً مؤثراً، فالنجاح والاقتدار في التدريس مرهونان بعوامل عديدة يعتبر امتلاك المعلومات اللازمة أحدها وحسب.

الاستاذ المطهري كان ناجحاً موفقاً بصورة كاملة في مجال التدريس، وكان من ذاك النوع من الأساتذة الذين يجعلون محضر دروسهم مفعماً بالمودة والمحبة التي تجذب الطالب إليها مهما كان وتجعله يَحِنُّ إلىٰ محضر تدريسهم باستمرار.

وعلىٰ الرغم من أن الأستاذ المطهري قضىٰ دراسته في الحوزة ولم يدرس بصورة مباشرة في المؤسسات التعليمية الحديثة ولم يتعلم من أحد الأساليب الحديثة في التدريس، إلا أنه كان متسلطاً مقتدراً في العمل التدريسي إلىٰ درجة يبدو وكأنه قد تعلم لسنين طويلة أحدث أساليب التدريس علىٰ أيدي أفضل أساتيذ هذا الفن ووفق آخر نتائج علم النفس.

أتذكرُ جيداً المرة الأولىٰ التي اشتركت فيها بمعية عددٍ من أصدقائي الجامعيين في محضر درس الأستاذ المطهري في مدرسة مروي الدينية في طهران وفي غرفة أحد الطلبة الأفاضل، حيث كان

يدرس حينها برهان «الوسط والطرف» من المقالة الثامنة من كتاب الشفاء لابن سينا، وبالخصوص الفصل المربوط بتناهي علل الفاعل والقابل.

كُنَّا أنا وأصدقائي قلقين من قدراتنا علىٰ تكييف أنفسنا مع المنهجية التدريسية لهذا العالم الحوزوي، وعلى الانتفاع من علمه، حيث أننا قد طوينا كافة مراحلنا الدراسية في فروع فنية ووفق أساليب حديثة منظمة للغاية، واعتدنا عليها خلال دراستنا للعلوم التجريبية والرياضية.

عندما وصلنا إلىٰ الغرفة التي كان يدرّس فيها الأستاذ، كان الحضور من الكثرة بحيث امتلأت الغرفة وجلس العديدون خارجها فاضطررنا إلىٰ الجلوس خارج الغرفة أيضاً.

أي في مكان لا نرىٰ منه الأستاذ الأمر الذي ضاعف من قلقنا لأن رؤية الأستاذ أثناء التدريس كما هو معروف تساعد علىٰ فهم المطلب، ولكل ذلك فقد وطّنا أنفسنا عىٰ عدم الحصول على أي ثمرة من هذا الدرس، خاصة وأنه لم تكن لدينا نسخة من الكتاب الذي يدرّسه الأستاذ لكي نستطيع من خلالها متابعة درسه.

وبَدَأ الدرس، فتهاوىٰ ذلك القلق كُلُهُ، وأصبحنا مثل قطعات حديدية صغيرة يجذبها المغناطيس، وذبنا في بيانه الذي كان من السلاسة والوضوح بحث استطعنا فهم المطلب بوضوح ويسر علىٰ الرغم من أنَّ سابقتنا في دراسة الفلسفة لم تكن طويلة.

كانت أقوال الأستاذ منظمة متسلسلة متتابعة بنسق منطقي واستدلالي هو من المتانة والوضوح، بحيث يبدو الدرس وكأنه ليس درساً حوزوياً في الفلسفة بل درساً جامعياً في الرياضيات.

هذه المنهجية في التدريس هي من الخصوصيات التي يمتاز بها الأستاذ المطهري عن نظائره الذين تربوا في الوسط الحوزوي.

وهذه الخصوصية هي من العوامل التي ساهمت في خلق تلك الحالة من الإقبال الشديد علىٰ دروسه من قبل الطلبة والأساتذة الجامعيين، فهم لم يكونوا يحسّون بأنهم غرباء في دروس الأستاذ المطهري، بل يجدون أجواءه قريبة للغاية من الأجواء العلمية التي اعتادوا عليها وأنِسُوا بها.

المرحوم المطهري كان في منهجه التدريسي ـ وكسائر شؤونه الحياتية الأخرىٰ ـ منظماً للغاية وملتزماً ببرنامج محددٍ دقيق، فطوال الدرس يلتزم بحفظ الموضوع الأساسي للدرس، ويتابعه بدقة، ولا يسمح للاستطراد أن يبعده عنه، فيختار حتىٰ الاستطرادات بحيث تكون مرتبطة مباشرة بموضوع الدرس.

وفي كل درس كان يلاحظ طبيعةَ الحاضرين ومستوياتهم فيتحدث عن المواضيع التي يحتاجونها وباللغة المتناسبة مع طبيعة إدراكهم، فمثلاً يختلف درسه العام في تفسير القرآن عن دروسه الخاصة التي كان يعقدها في المنزل، وهذه تختلف عن دروسه في الجامعة وهكذا.

وبصورة عامة كان ينتفع من الأمثلة والحكايات الطريفة الحاملة للعبر في دروسه العامة لكيلا يصيب الحاضرين الملل أو التعب، أما في دروسه الخاصة وخاصة الفلسفية فقد كان نادراً ما يخرج عن موضوع الدرس طوال فترته.

وإضافةً إلىٰ سعة المعلومات وعمقها، كان للأستاذ الشهيد بيانٌ ميتنٌ يجذب الحاضر ويشده للدرس أكثر وأكثر، كما كان يتحلىٰ بالصبر وسعة الصدر في الإجابة علىٰ أسئلة الحاضرين.

ولكنه كان جاداً للغاية في الدروس الخاصة ـ لا سيما في الفلسفة ـ وفيها كان يحدث أحياناً أن يرفع صوته أكثر من المتعارف إذا لاحظ في طلبته عدم الجدية في فهم مباحث الدرس.

ولكنه في الوقت نفسه كان يحرص علىٰ تشجيع التفاتاتهم الجيدة ويوصيهم بالمزيد من المطالعة والأعمال التحقيقية.

قبل حضوره إلىٰ الدرس كان الأستاذ ملتزماً بسنةِ أساتذة الحوزة في مطالعة موضوع الدرس وترتيب كافة مباحثه، وكان يُحضِّر للندوات التحقيقية ويسجل ملاحظات حول موضوعها وحول مباحثه الأساسية، وإذا لم تتوفر له فرصة التحضير يفصح عن ذلك ويطلب من التلامذة تأجيل الموضوع إلىٰ الدرس القادم.

وإذا أراد نقد كتابٍ ما، أحضر نسخة منه كتب هوامشه عليها فيقرأ المتن ثم يقرأ حاشيته عليه، وإذا احتاج الدرس إلىٰ مطالعة الطلبة لبعض مباحثه حدّدها لهم وطلب منهم مطالعتهم بدقة تمهيداً للدرس

القادم، فيما يتولى هو إعداد ما تحتاجه المباحث من آيات وأحاديث وأقوال العلماء.

وكانت طريقة الأستاذ في كافة دروسه وتقريباً بصورة عامة تتمثل في إيضاح رأي صاحب متن الكتاب مورد الدرس ثم آراء شرّاح الكتاب ويشرح في الأخير رأيه الاجتهادي؛ وهذه الطريقة يقل نظيرها بين أساتذة الحوزة والجامعات علىٰ حدٍّ سواء.

إذْ إنهم يكتفون في الغالب بالشرح الدقيق للمتن وقلما يشرحون آراءهم الاجتهادية، في حين كان الأستاذ المطهري يوضح رأيه المستقل تجاه كل موضوع بل وكان يشجع طلبته علىٰ التحقيق والتدبر الاستدلالي في المتون وتحديد الغثّ من السمين.

الأستاذ المطهري أعدَّ دروساً منتظمة لأساتذة جامعة طهران، وكثيراً ما كان يحدث أن يعرض فيها نتائج تحقيقه وتمحيصه الشخصي لآراء ونتاجات كبار الفلاسفة الغربيين ـ اعتماداً علىٰ الترجمات غير الكاملة لمؤلفاتهم ـ أمثال «هيغل وهيوم»، فيذعن الأساتذة وبعضهم من المتخصصين بمؤلفات هذا الفيلسوف أو ذاك بأنهم لم يروا من قبل تحليلاً بهذه الدقة لآراء الفيلسوف المتخصصين في دراسة آثاره.

ومن الخصائص الأخرىٰ للأستاذ في التدريس بيان الخلفية التاريخية للمباحث، فحسبما يقتضيه كل موضوع في كل مجال، كان يعمد إلىٰ تبيان مراحل تطور هذا العلم منذ البداية إلىٰ زماننا هذا.

ويعطي نظرةً إجماليةً عن الموضوع مورد البحث فيسهّل علىٰ الطلبة إدراك الموضوع، كما كان يسعىٰ الأستاذ إلىٰ توضيح ارتباط كل موضوعٍ بالمواضيع الأخرى، فيوضع مثلاً ارتباط هذا المبحث الفلسفي بذاك المبحث في علم الكلام أو ذاك المبحث في علم الأصول.

وإضافة إلىٰ ذلك كان الأستاذ يوضح جيداً علاقة المطالب التي يدرسها بالقضايا المستحدثة في زماننا وتأثيراتها العملية، وبهذه الخاصية كانت دروسه تكتسب صفة عملية وجاذبية خاصة تخرجها من صبغة الدروس التجريدية الجافة.

إن دروس الأستاذ المطهري بكلا نوعيها العامة ذات الحضور الكثير أو الخاصة التي يلقيها علىٰ عددٍ محدود من الطلبة، كانت تمتاز بكونها دروس تربية وتزكية وليست تعليمية محضة.

والأستاذ نفسه كان يحضر الدرس وهو علىٰ وضوء، وكان لمجرد حضوره أجواءٌ معنوية سامية تلقي ظلالها علىٰ المستمعين فتغرقهم بحالة خاصة من القدسية تؤهلهم للحصول علىٰ الجذبات الإلهية كل حسب استعداده.

أما علاقة المرحوم المطهري بتلامذته فلم تكن علاقة عادية بين أستاذ وتلميذ، بل كان الأستاذ مرشداً مربياً يلتف حوله مريدوه ليقتبسوا من أنواره وينتفعوا بإرشاده.

المحقق المقتدر

هناك نوعٌ من التشابه بين التحقيق العلمي وبين استخراج المعادن الثمينة من أعماق الأرض، فإذا كان الباحث عن الكنز، لا يعرف جيداً خصائص المنطقة التي تضم الكنز وإذا لم يضع خططاً دقيقةً محسوبة لعملية الاستخراج.

والأهم من ذلك إذا كان لا يدري عما يبحث وأين يبحث، فلن يكون نصيبه في هذه الحالة غير التعب والنصب والإعراض عن موالة مشروعه، بل وقد يصيبه اليأس إلىٰ درجة لا يفكر معها بالعمل في أي نشاط مثمر.

الأستاذ المطهري كان من تلك الطائفة من المحققين الذين:

أولاً: يعرفون جيداً ما هو الشيء الذي يبحثون عنه، وهذا ليس بالأمر اليسير الذي يمكن التغاضي عنه، وكثيرون هم في التاريخ البشري أولئك الذين كانت لهم طاقات كبيرة لكنها ضاعت، وضلوا دون أن تثمر شيئاً بسبب عدم توافر الدرك والفهم الكافي الوافي للهدف الذي يجب أن يسعوا له، وأصبح مثلهم مثل الذي وصله مالٌ كثير إرثاً من والده ولكنه أضاعه وأتلفه لقلة عقله فأوصل نفسه إلىٰ الإفلاس.

وثانياً: كان المطهري من المحققين الذين يمتازون بدقة النظر وعمق التدبر، فكان محققاً مدققاً وهناك فرق بين التحقيق والتدقيق، فقد يكون هناك بعض الأفراد يحسنون استنباط المسائل بدقة،

يجيدون القراءة والفهم ويربطون ببصيرة بين أجزاء القضية ويصلون إلىٰ النتائج الصحيحة ويجيدون الفصل بين نقاط القوة والضعف في الموضوعات ولكنهم ليسوا من أهل البحث والتحقيق، وليست لهم القدرة الذهنية علىٰ فتح آفاق جديدة في التعرف علىٰ الأفكار والآراء وتوسيعها.

وعلىٰ الطرف الآخر هناك من يحسنون جمع المسائل وتتبعها والتحقيق بشأنها ولكنهم يفتقدون العمق والدقة اللازمة للانتفاع بما جمعوا.

المرحوم المطهري كان إضافة إلىٰ سعة المعلومات يمتلك قدرة كبيرة علىٰ التحليل والبحث والتفسير والتمحيص، فما يمر عليه الكثيرون دون أن يكتشفوا فيه شيئاً، يناقش المطهري أبعاده ويوضح حقيقته ونقاط القوة والضعف فيه.

وثالثاً: الأستاذ الشهيد كان يرفض بشدة التقليد الصرف والنقل الببغاوي من هذا الكتاب أو تلك الرسالة أو عن ذلك المفكر، فهو كان يعمد إلىٰ مناقشة ونقد مختلف الآراء وتبيان الصحيح منها وبهذا امتازت مؤلفاته عن غيرها لم يكن يأنف عن تبني آراء الآخرين الإبداعية القيمة.

ويعتبر المخالفة غير الاستدلالية نقيض الروح العلمية، لكنه في الوقت نفسه كان يرفض تبني أي رأي ما لم يناقشه بذهنه الثري

بالمعارف الإسلامية الغنية، ويطمئن من انسجامه معها، فلا يخضع في ذلك لأي قالب أو إطار.

كان يعتقد بأن الإنسان ـ وكل موجودٍ حيٍّ ـ يؤثر ويتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه، وكلما ارتقىٰ في مراتب كمال أسمىٰ كلما زاد تأثيره وقلَّ تأثره، وحتىٰ هذا التأثر القليل يطرحه ثانية بصورةٍ تنسجم مع معاييره، وهكذا كان الأستاذ.

رابعاً: كان الأستاذ المطهري في عمله التحقيقي منظماً كسائر شؤون حياته الأخرى، وإضافة إلىٰ الحواشي التي يكتبها علىٰ متونِ بعض الكتب لتبين وجهة نظره أو لتقسيم وتصنيف مواضيعها أو تصحيحها، كان يعتمد أسلوب التلخيص وكتابة الملاحظات بشأن المواضيع المهمة كما كان يعتمد أسلوباً منظماً مرتباً وفق تصنيف (بطاقات) تحقيقية خاصة.

قبل عام (١٣٧٩هـ.ق/ ١٩٥٩م) كان الأستاذ يعتمد أسلوب تسجيل الملاحظات والمعلومات التي يحتاجها في دفاتر خاصة، وتضم بعض هذه الدفاتر أشعار ومراثي ومدائح أهل البيت عليهم السلام والقصص والأدعية..

والبعض الآخر يضم مطالب عميقة ذات ماهية تحقيقية، بعضها يختص بموضوع محدد والبعض الآخر أشبه ما يكون بالكشكول.

وبعد عام (١٣٧٩ هـ.ق/ ١٩٥٩م) غيَّر الأستاذ المطهري من أساليب جمع المطالب واعتمد أسلوب الكارتات (البطاقات) التحقيقية

وهو أسلوبٌ أكثر عمليةً وأيسر وأكثر مرونة ومنفعة، وهذه الكارتات علىٰ قسمين:

أ ـ الكارتات التي ترتبط بموضوع واحد مثل (القرآن، الإمام علي، الإمام الحسين، الفلسفة، وغير ذلك.. وتجمع كارتات كل موضوع في مكانٍ مشخَّص.

ب: الكارتات المتعلقة بمواضيع شتىٰ إما لم يَجْرِ تحقيقٌ بشأنها، وإما أنها تُعد للتحقيق حولها مستقبلاً عندما تكتمل المعلومات المطلوبة عنها.

وقد طُبع فهرس كامل تقريباً للكارتات التحقيقية ضمن الجزء الأول من الكتاب الخاص عن الشهيد المطهري الذي نُشر في ذكرىٰ استشهاده، ويضم كل كارت عنوان موضوعه وخلاصة عنه وتُلحق كل مجموعة منها بكارت يضم فهرس حول الكتب مورد الحاجة بشأن موضوع كل مجموعة من الكارتات.

خامساً: كان المرحوم المطهري في عمله التحقيقي يلتزم بقاعدة الأهم فالأهم ويؤمن بضرورة إجراء التحقيقات في المواضيع التي يحتاجها المجتمع، وكان يجتنب بصورة كاملة التحقيقات الأكاديمية التي لا تحل مشاكل المجتمع وتنعدم فوائدها.

وخلافاً لأغلب المثقفين بل ولعددٍ كبير من العلماء الدينيين الذين يخوضون في تحقيقات يجدون في أنفسهم ميلاً إليها حتىٰ لو كانت لا تخدم المجتمع بشيء.

كان الأستاذ المطهري يجتنب تضييع وقته في بحث أي موضوع ما لم يتيقن من أنه يلبي إحدىٰ حاجات المجتمع، ويحل المشاكل الفكرية للشباب المعرَّضين للانحراف وإساءة الظن بالمعارف الإلهية، وكان يتألم كثيراً من التحقيقات العديمة الفائدة للمجتمع، يقول رحمه الله في إحدىٰ مؤلفاته. :

«تعتبر المنشورات والمطبوعات في كل مجتمع معياراً لمستوىٰ نضوجه الفكري، ويمكن من ملاحظة المؤلفات المنشورة باسم الإسلام معرفة مستوىٰ النضوج الفكري لمجتمعنا.

ولو قارنا بين المطبوعات الإسلامية المعاصرة وبين مؤلفات ما قبل ألف عام فستكون نتيجة المقارنة مخجلة لنا حقاً.

وعندما تراجعون المؤلفات الغربية تجدون أن أحدثها هو أكثر علمية وتطوراً وقيمة من سابقاته تاريخياً، ولكن عندما تراجعون المؤلفات الإسلامية تجدون العكس، فالأحدث هو الأقل قيمة، قد يكون في الأمر مبالغة بعض الشيء.

وهذا صحيح ولكن مما لا شك فيه أن أكثر الكتب البليغية الإسلامية تزيد أضرارها علىٰ منافعها، فبدلاً من أن تكون منبهة منوّرة نجدها تخديرية، مضلة غير هادية، ولعل علة ذلك ترجع إلىٰ فقدان النظم والتنسيق في عمل أجهزتنا الحوزوية.

فكل مَنْ هبَّ ودبَّ يهوىٰ تصنيف كتاب عن الإسلام فيكتب،

ويحدث أحياناً أن يأخذ تقريضاً من أحد العلماء المشهورين وعندها تكون الطامَّة الكبرىٰ».

«مثلما ذكرتُ في بعض كتاباتي فإن مطبوعاتنا الدينية لا تحظىٰ بالنظم المطلوب، ولو غضضنا النظر عن المؤلفات التافهة والضارة، فحتىٰ المؤلفات النافعة أيضاً تفتقد إلىٰ الحسابات الصحيحة لطبيعة الاحتياجات ومراعاة الأولويات.

فكل مؤلف يكتب ما يراه ـ حسب وجهة نظره وذوقه ـ مفيداً ويطبع ما يصنّف، فتكون النتيجة أن نجد تراكماً في المئلفات المكرّرة حول بعض المواضيع فيما هناك مواضيع ضرورية لم يكتب عنها أحد.

ونحن في هذا المجال حالنا حال البلد الذي لا يستند اقتصاده إلىٰ نظام اجتماعي صحيح، فتجد كل شخصٍ ينتج أو يستورد الذي يعجبه دون أن تتوافر قيادة مخططة تسيطر علىٰ حركة الإنتاج والاستيراد وفق احتياجات المجتمع.

وبعبارة أخرىٰ فإن كل شيء فيه متروك للصدفة ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة أن تتراكم في السوق سلعٌ تزيد عن الحاجة الحقيقية فيما تنعدم سلعٌ أخرىٰ..».

سادساً: وكان الأستاذ المطهري يرفض بشدة المطالعة والقراءة غير المنظمة والتي لا تعتمد برنامجاً صحيحاً واعتبرها نوعاً من كفران النعمة؛ يقول في مقالة (الإدارة والقيادة) من كتاب الإمدادات الغيبية:

«يتباين الأفراد من جهة مستوىٰ الذكاء والقدرة علىٰ الفهم والاستيعاب وقوة الحافظة.

الأفراد الناضجون يمتازون بأنهم يستفيدون من حافظتهم بصورة صحيحة، أما غير الناضجين فعلىٰ العكس رغم أنهم قد تكون لهم حافظة قوية. فهم يتوهمون أن الحافظة مثل المخزن الذي يجب أن يكون مملوءاً بأيِّ شيء كان، حالها في ذلك حال مخزن البيت الذي تجد فيه قطعة معدنية هنا وكرسياً مهشماً هناك وعلبة فارغة..

أما الإنسان الناضج الرشيد فهو يدقق في الاستفادة من نعمة الحافظة، فهو أولاً يختار المواد النافعة ليودعها فيها، أي أنه يحترم حافظته فلا يلقي فيها أي شيء، وهو يفكر في أي معلومات ينفعه حفظها، ثم يصنف المعلومات النافعة حسب أهميتها ويختار الأكثر نفعاً ويودعها حافظته مثل أمانةٍ يودعها عند أمين.. أي أنه يكون دقيقاً في المعلومات التي يتلقاها ويودعها ذهنه..».

وكان الأستاذ نفسه ينتفع من مطالعاته بأقصىٰ حدّ، ويُلاحظ هنا أن (الكارتات) التحقيقية التي خلّفها تصيب الإنسان بالحيرة والتعجب لكثرتها وسعة المطالعات والمناقشات التي تكشف عنها.

وكان الأستاذ يسعىٰ علىٰ الدوام إلىٰ تشخيص المواضيع التي تلبي احتياجات فورية عاجلة للمجتمع الإسلامي ويرتبها حسب الأولوية، ثم يعمد إلىٰ التحقيق الكامل بشأنها مع مراعاة الأهم فالأهم ومع مراعاة قدرته واستعداده.

سابعاً: كان الأستاذ المطهري دؤوباً متابعاً في أعماله التحقيقية، إذ كان يتابعها باستمرار ويعيد النظر فيها ويضيف إليها المطالب الجديدة دائماً فتتكامل الموضوعات لديه وتزداد نضوجاً ومتانة.

وكان عمله في هذا الصدد يبدأ بمطالعات المقدمات وإعداد الكارتات والملاحظات مورد الحاجة، ثم دراستها والتحقيق حول موضوعها واستكشاف نقاط القوة والضعف فيه ثم التحدث عنه أو عن الكتاب وطرحه في الدرس الخاص أيضاً كل مرة من زاوية مختلفة مكملة للمرة السابقة، ثم يُراجع ما قاله وما كتبه ويزيل الإشكالات الواردة فيه، ثم يعدّ الصيغة النهائية ويعرضها على أصدقائه وطلبته لنقدها ثم يراجع أراءهم ويجري التعديلات اللازمة بشأنها.

وحتىٰ بعد طبع كتبه يقوم الأستاذ المطهري بمراجعة كل كتاب وتكميله ونقده ثانية عند تهيئته للطبعة الثانية، وهو بذلك أعطىٰ نموذجاً بارزاً للتحقيق العلمي وتطوير وتكميل المباحث.

متكلّم بصير

علم الكلام قديمٌ قِدَمَ الدين في المجتمعات البشرية، فهي لم تخلُ من التفكير الديني في أي فترة حتىٰ وإن تباينت حالة إقبالهم علىٰ الدين شدة وضعفاً، وفي كل الفترات كان لعلم الكلام وحل المعضلات التي يطرحها أعداء الدين موقع مهم في الحياة الفكرية لبني الإنسان.

وعلم الكلام الإسلامي كسائر فروع المعارف الإسلامية الغنية، خطا خطوات تطورية مهمة علىٰ مدىٰ القرون السالفة، واقترب عند الشيعة من الفلسفة وذاب فيها مع ظهور متكلمين وفلاسفة بارزين من أمثال الخواجة نصير الدين الطوسي، فظهرت معرفة واحدة متناسقة.

طوت مراحل نموها وسيرها التكاملي حتىٰ عصر صدر المتألهين الشيرازي الذي أوصل الحياة الفكرية الإسلامية إلىٰ الذروة، وامتزجت في أفكار هذا المفكر العظيم الفلسفة بالعرفان وعلم الكلام فظهرت معرفة سامية هي بحق «الحكمة المتعالية».

وبعد صدر المتألهين ضعفت روح التفكير الإسلامي، والعلماء اكتفوا بكتابة حواشٍ علىٰ مؤلفاته وإكمال بعض براهينه أحياناً ومعالجة بعض أخطائه.

وفي غضون ذلك هجمت على العالم الإسلامي الأفكار الغربية في وقت كان المسلمون يعيشون مرحلة الانحطاط والتخلف بعد زوال مجد حضارتهم وثقافتهم لذا لم يكونوا قادرين علىٰ مواجهة هجمة تلك الأفكار الغربية.

المرحوم المطهري ارتوىٰ من نبع المعارف الإسلامية النقي، وأدرك جيداً عظمة الميراث الذي خلفه عظماء الإسلام، وكان أيضاً علىٰ إحاطة بالأفكار الغربية التي صدَّرها العالم الغربي المتقدم للبلدان الإسلامية.

ويعرف جيداً نقاط قوتها وضعفها، لذلك سار علىٰ نهج أسلافه

العظماء، وعمد إلىٰ تدوين علم كلامٍ يستند إلىٰ المعارف الإسلامية النقية، ويلبي احتياجات المجتمع المعاصرة.

وقام بتوضيحه وتبليغ مطالبه بلغةٍ مفهومة تجذب الشباب المبتعدين عن الإسلام وترغبهم في مطالعة معارفه، وفي الوقت نفسه تكون هذه اللغة قادرةً علىٰ إبطال الآراء المخالفة بصورة يقتنع بها ويؤيدها أصحاب العقول.

ويمكن من خلال ملاحظة عناوين كتب المطهري والتدبر في محتوياتها التيقن من نجاحه في إحياء علم الكلام الإسلامي وتدوين ما يصفه هو بعلم الكلام الجديد.

في البداية شرع في كتابة مقالات ورسائل في المسائل الأساسية لعلم الكلام ظهرت بصورة أو بأخرىٰ بين المتكلمين في كل عصر وبين كل جيل من أمثال:

١ ـ علاقة العقل بالإيمان، وحدود حجيَّة العقل وحدود فاعلية وحجيَّة النقل.

٢ ـ العلاقة بين الإيمان والعمل.

٣ ـ قضية الجبر والتفويض.

٤ ـ قضية صفات الله تعالىٰ وأفعاله.

٥ ـ قضية الإمامة والقيادة.

وكل واحدة من هذه القضايا هي من المسائل القديمة المهمة لعلم

الكلام وقد طرحت بصورٍ مختلفة تتناسب مع طبيعة كل عصر، وقد عمد الأستاذ الشهيد إلىٰ طرحها وفق براهين منطقية قوية داحضة لشبهات التيارات الإلحادية أو المنحرفة وإثبات تفوق الأفكار الإسلامية بشأنها.

وبعد الانتهاء من مسائل علم الكلام التقليدية، عمد الأستاذ إلىٰ المناقشة الدقيقة للمسائل المستحدثة، فطالع بصبرٍ ودقة نادرة آراء المخالفين من كافة المشارب.

وتُلاحظ في مكتبته ـ الكبيرة نسبياً ـ كتب ومراجع مختلف التيارات السياسية والفكرية وعلىٰ أغلبها حواشٍ وهوامش بقلم الأستاذ، تعتبر دليلاً خالداً علىٰ عمق تبحّره وسعةِ مطالعاته، وعدة من هذه الكتب كانت نادرة أو ممنوعة يحصل عليها عبر تلامذته الذين يسعون إلىٰ جلبها إليه.

وبعد النقد والمناقشة الشاملة للأفكار الرائجة، شرع الأستاذ في نقد وتفنيد آراء أعداء الدين، والإجابة علىٰ شبهاتهم، وتوضيح الأفكار الدينية، فكان بحق حارساً يقظاً محامياً عن حريم الإسلام، راداً هجمات أعدائه من مختلف الجهات والاتجاهات داحضاً لأفكار المخالفين.

فمثلاً دافع عن الأدب الفارسي بعد الإسلام، ورد سهام أولئك الذين حاولوا تصوير الأدباء والشعراء والمفكرين المسلمين بأنهم

سكارىٰ أو عابثون أو زنادقة ومحلدون أو متعاونون مع السلطات الظالمة.

الأستاذ المطهري كان يعرف أن علة هذه الهجمات الظالمة ترجع إلىٰ كون أفكار الإسلام ومعارفه نفذت إلىٰ قلوب الإيرانيين عبر آثار هؤلاء الذين ترجموها أدباً ونثراً إلىٰ الفارسية، هذه الآثار التي شملت معارف الإسلام في التفسير والفقه والأصول والحكمة والعرفان والأخلاق..

فأراد الاستعماريون قطع ارتباط الإيرانيين بمعارف الإسلام السامية، من خلال محاربة الأدب الفارسي تحت ذريعة كثرة اختلاط المفردات العربية به.

الأستاذ المطهري فنّد في كتابه «الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران» أفكار هذه الهجمات، ومحورهاالأساسي الذي سعىٰ إلىٰ الربط بين مجد الإيرانيين وبين فترة ما قبل اعتناقهم الإسلام، وإنكار تأثيرات الإسلام علىٰ رقي المجتمع الإيراني.

كما فنّد المطهري شبهات أعداء الإسلام بشأن حقوق المرأة في الإسلام أو مسألة الرق وما شابه ذلك.

في ذروة تصاعد وقائع الثورة الإسلامية في إيران وقبل فرار الشاه، قام أحد مدعي الثقافة ـ الذي صرعه اليأس الفلسفي طويلاً ـ قام بنشر مقال مُفصّلٍ سعىٰ من خلاله إلىٰ التشكيك بالحكم الإسلامي الذي كانت تطالب التظاهرات المليونية بإقامته.

وقد نشر هذا المقال في صحيفة «أيندگان» التي كان يديرها الصهاينة المتسترون بغطاء يساري، وأُحيط المقال بحملة دعائية واسعة، في تلك الأيام طلب المرحوم المطهري من كاتب هذه السطور أن أجمع كافة نتاجات هذا الكاتب لكي يطّلع عليها ويعد الرد المناسب علىٰ شبهاتها.

وعلىٰ الرغم من ضخامة المسؤوليات التي كان يضطلع بها آنذاك ومن ضمنها مسؤولية رئاسة مجلس الثورة، وفي خضم تلك اللحظات المصيرية، ومشاغلها الكثيرة، لم يترك الأستاذ المطهري مهمة الدفاع عن حريم الإسلام، فعمد إلىٰ مطالعة آثار ونتاجات الكاتب المذكور وإعداد الرد المناسب علىٰ ما ورد في مقدمته.

وقد قام بتوضيح بعض جوانب هذا الرد من خلال مقابلتين تلفزيونيتين أُجريتا معه قبل استشهاده، وأوضح تناقضات وسخف الأفكار الواردة في تلك المقالة، وآسف لعدم توفر فرصة شرح أمهات المطالب التي أوردها الأستاذ في هاتين المقابلتين.

المرحوم المطهري لم يكن أبداً من أهل المساومة والمداهنة خاصة في المسائل المرتبطة بالإسلام، وخلافاً للكثيرين الذين يلتزمون الصمت ـ حفظاً لمصالحهم الشخصية أو مكانتهم الاجتماعية ـ، تجاه الكثير من التجاوزات علىٰ أحكام ومفاهيم الشرع الحنيف.

كان المطهري يعتبر مثل هذا الصمت ذنباً لا يغتفر، وكان محالاً

أن يلتزم الصمت تجاه ذلك، فهو في مقام الدفاع عن الإسلام لم يكن يراعي أي مقام أو شخصية فيتحدث عن المخالفات الشرعية بصراحة ويذكر بها دون أيّ ملاحظات مصلحية.

في الأعوام الأخيرة من عمر الحكم الشاهنشاهي واستمراراً لسياساته المعادية للدين، قام عملاؤه في كلية الإلهيات في جامعة طهران باستجلاب عدد من المعادين للدين بعنوان أساتذة ومدرسين في الكلية ليجعلوها منبراً للدعاية للنظام وسياساته.

أحد هؤلاء كان يهاجم الإسلام صراحةً في درسه من خلال تدريسه لموضوع تأريخ الفلسفة الإسلامية، فتصدىٰ له عددٌ من الطلبة ولكن بسبب قلة معلوماتهم لم يستطيعوا أن يدحضوا شبهاته وأفكاره المنحرفة فتمادىٰ الأخير في نهجه التضليلي.

أولئك الطلبة المؤمنون لم يجدوا ملجأ إلا الأستاذ المطهري، فذهبوا إليه وشكوا إليه الحال، فتوجه إلىٰ ذاك المدرّس وعنّفه وفضح مساعيه لاستغفال الطلبة وقال له:

«إنه ليس من الفضل تضليل عدد من الطلبة ذوي المعلومات المحدودة، ولو كنت تدعي المعرفة فأنا مستعدٌ لمناقشة آرائك في حضور أساتذة الكلية أو طلبتها أو في محفل عام، ليتضح الحق من الباطل، والزبد مما ينفع الناس».

كما كتب الأستاذ رسالة مفصلة حول هذا الموضوع إلىٰ إدارة

الكلية ودعا إلىٰ تأسيس درس جديد للماركسية في الكلية بدلاً من السماح لذلك المخادع بطرح أفكاره الماركسية من خلال درس الفلسفة الإسلامية.

حادثة أخرىٰ نذكرها كنموذج علىٰ عمق الغيرة الإسلامية لدىٰ هذا العظيم وشدة حرصه علىٰ تصحيح الانحرافات، وهي تعود إلىٰ عام (١٣٩٥هـ.ق)، وقد وقعت في مسجد جاويد بطهران.

في تلك الفترة العصيبة وحيث ارتفعت حمىٰ الكفاح المسلح وأصالة أسلوبه، شاعت في كل مكان العبارة المشهورة «إنَّ الحياة عقيدة وجهاد»، واتخذها العديد من تيارات المسلمين الكفاحية كشعار استراتيجي مقدس، خاصة تلك التيارات التي كانت تشعر بالضعف والانهزامية مقابل التيار الماركسي.

فعمدت إلىٰ وضع هذه العبارة ونسبتها إلىٰ الإمام الحسين بن علي عليه السلام، كمقابل للعبارة المنقولة عن ماركس والتي يعتبرها أشياعه شعاراً لهم وهي عبارة «إن تاريخ كافة المجتمعات البشرية هو تاريخ الصراع الطبقي».

واستهدفوا من وضع تلك العبارة الحصول علىٰ اعتبار ما لدى اليساريين من أن أصالة الكفاح والصراع موجودة أيضاً في الفكر الديني، فهم يشاركونهم أيضاً في هذا الشعار الاستراتيجي.

وفي شهر رمضان أو محرم من ذلك العام سعىٰ أولياء المسجد المذكور إلىٰ الاستفادة من تصاعد المشاعر الدينية الثورية تلك، لرفع

مستوىٰ الوعي العام تجاه الأوضاع السياسية، فدعوا مجموعة من الخطباء الدينيين لإلقاء محاضرات في المسجد ودعوا الأستاذ المطهري لإلقاء محاضرة في أهم ليالي تلك الأيام.

وعلىٰ الرغم من مشاركة بعض زعماء تلك التيارات المتأثرة بالتيار الماركسي، والذين يرفضون أي نوع من أنواع توضيح الثقافة الدينية الصحيحة تحت ذريعة أن ذلك يؤثر علىٰ وحدة قوىٰ المعارضة للنظام، وكانوا لذلك ساخطين علىٰ الشهيد المطهري لشدة التزامه برعاية المعايير الشرعية في الأمور كافة وخاصة تلك المتعلقة بشؤون العمل السياسي.

نقول علىٰ الرغم من كل هذه الأجواء غير المساعدة، كان الأستاذ المطهري وانطلاقاً من إحساسه بمسؤوليته الإلهية، قد قرر طرح توجيهات حسَّاسة تستهدف تصحيح مسار الكفاح وتفنيد قسمٍ من القناعات غير الصحيحة والانحرافية وتوعية الأذهان تجاهها.

ومن هذه القناعات تطرق في محاضرته إلىٰ تلك العبارة المنسوبة إلىٰ الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأوضح عدم صحة هذه النسبة مشيراً إلىٰ أنها مستحدثة في الأدب العربي ولا أثر لها فيه إلىٰ ما قبل خمسين أو ستين عاماً، وقال:

«وفقاً لما توصلت إليه من خلال تحقيقاتي بهذا الشأن فإن هذه العبارة هي شطر من شعر أحد الشعراء المصريين ولا تجوز نسبتها إلىٰ الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لا سيما إذا لم يتم توضيح نوع الجهاد

المذكور فيها بصورة دقيقة وتحدد هويته الإلهية. . ».

وهنا تعالت صيحات أولئك المتأثرين باليساريين قائلةً أنه ليس من الصحيح طرح هذه المواضيع لأنها تؤدي إلىٰ إثارة الخلاف بيننا وبين الماركسيين، وهم يكافحون النظام أيضاً، لذا علينا احترامهم وتقديرهم، ولا يجوز القول بخطأهم لمجرد أن كفاحهم غير إلهي.

وعلىٰ أي حال فقد تشنج الوضع في اجتماع تلك الليلة كثيراً، ولكن الشهيد المطهري أثبت مرة أخرىٰ أنه غير مستعد في دفاعه عن الحق، أن يغض الطرف ويتساهل ملاحظة لبعض الاعتبارات.

وقد شاهدنا كيف أنه بمرور الزمان وتوالي المعترضين عليه، الذين تحولوا سريعاً إلىٰ الانضمام إلىٰ الماركسيين مفتخرين بالإعلان الصريح عن هويتهم، فاتضح نفاقهم السابق بشأن الارتباط بالإسلام، وقد تضاعفت أكثر وأكثر فضيحة هؤلاء خلال وقائع ثورتنا الإلهية «ولم يبق للفحم إلا السواد».

المصلح المخلص الواعي

ولد المرحوم المطهري في واحدة من أكثر فترات الحياة الفكرية للبلدان الإسلامية حساسية، وتعرض وهو في أول شبابه إلىٰ موجات وهجمات الأفكار الإلحادية.

وتعرف عن قرب علىٰ أشكال مؤامرات الكفر العالمي لضرب الإسلام، كما أدرك علل فشل الكثير من الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي، وأدرك بوضوح ضخامة مسؤولية الدفاع عن حريم الشريعة المحمدية المنتهك، خاصة مع اتّساع نطاق المؤامرات المضادة وفقدان إمكانات المواجهة.

ونتيجة كل ذلك أدرك أنَّ أي تهاون في الدفاع عن رسالة إبراهيم عليه السلام وسلالته الطاهرة سيؤدي إلىٰ ضياع كل شيء وذهاب فرص الإحياء.

وللتحرك في المساهمة في أداء هذه المسؤولية، عرف أن الخطوة الأولىٰ في مواجهة هذا الخطر العظيم هو في التعرف العميق الشامل علىٰ أبعاد القضية كافة وماهية المرض لكي نستطيع تحديد العلاج المناسب.

من هنا عمد الأستاذ المطهري إلىٰ القيام بعملٍ تحقيقي واسع، من أجل معرفة علل تخلف المسلمين وضعفهم وتعريفهم بنقاط الضعف، يقول هو رحمة الله عليه عن هذا العمل التحقيقي العميق الواسع:

«لا أتذكر بالتحديد متى بدأت بالتفكير في علل تخلف المسلمين، ومتىٰ تولدت لديَّ رغبة البحث والتحقيق شخصياً حول هذا الموضوع، ولكن يمكنني القطع بأن هذا الموضوع قد جذب انتباهي منذ أكثر من عشرين عاماً، حيث أخذت بالتفكير به وحوله ومطالعة كتابات الآخرين عنه.

ومنذ ذلك الحين وما زلت أطالع أو أسمع بشوقٍ أيّ كتاب أو قول عن هذا الموضوع وأسعى للتعرف على آراء الخطيب أو المؤلف بشأنه.

وقبل عدة أعوام وخلال محاضرة كنت ألقيها حول أحد الأحاديث الشريفة[١]، انسحب الحديث في منتصف المحاضرة إلىٰ هذا الموضوع، وعلىٰ الرغم من أن ما قرأته وسمعته إلىٰ ذلك الوقت بشأنه كان مفيداً، لكنه لم يقنعني.

وحيث وجدت رغبة لديَّ ولدىٰ الحاضرين في البحث عن هذا الموضوع واستيعابه، لذا قررت الخوض فيه بدقة وتحليل وتحقيق كامل، لأن معرفة علل التخلف التي ما زالت قائمة هي مقدمة معرفة سبيل إصلاح أوضاع العالم الإسلامي الراهنة.

ولإنجاز هذا العمل التحقيقي، كان عليَّ أولاً أن أتعرّف علىٰ آراء الآخرين ـ من المسلمين وغيرهم ـ بشأنه وأناقشها، وثانياً أن أحدّد المطالب التي ينبغي طرحها بشأن هذا الموضوع حتىٰ لو كانت لم تطرح من قبل.

وهنا عرفت اتساع نطاق هذا المبحث، وأدركت أن هناك مطالب ومباحث كثيرة يجب البحث فيها والتحقيق بشأنها لكي يكون العمل تحقيقياً مستوعباً وعلمياً، والتحقيق حول هذه المواضيع كلها أمر لا يستطيعه شخص واحد أو علىٰ الأقل يستلزم سنين طويلة.

---

(١) هو الحديث النبوي «الإسلام يعلو ولا يعلىٰ عليه» وهو معتمد لدىٰ السنة والشيعة.

ورغم ذلك قررت أن ألخّص مقدمة المطالب المذكورة، وأخضع بعضها للبحث والتحقيق كنماذج، وأحولها إلىٰ الآخرين لعلني من خلال ذلك أستطيع إيجاد نوع من التعاون والاتحاد الفكري بشأن موضوع اجتماعي إسلامي مهم، تُنجز في إطاره سلسلة من البحوث المنظمة المفيدة».

ويشرع الأستاذ في تحقيق عميق حول الموضوع ويستقصي أغلب الموارد الأساسية والمهمة ويسعىٰ إلىٰ عدم إغفال شيء قدر المستطاع، وكانت الحصيلة إعداد فهرس لسلسلةٍ من المباحث الأساسية التي يستلزم كلٌّ منها تحقيقاً علمياً دقيقاً يحتاج إلىٰ مشاركة جمعٍ كثير من المفكرين الإسلاميين، يقول الأستاذ المطهري بشأن ذلك:

«وفي سلسلةِ هذه المباحث، يجب طرح مبحث بمثابةِ مقدمة لها، ويدور حول مسار عظمة المسلمين ثم تخلّفهم ويشمل المطالب التالية:

١ ـ أساس عظمة وسمو الحضارة الإسلامية.

٢ ـ علل وموجبات وركائز الحضارة الإسلامية.

٣ ـ أثر الإسلام في رفعة المسلمين.

٤ ـ اقتباس واستناد الحضارة الأوروبية الحديثة علىٰ نتاج الحضارة الإسلامية.

٥ ـ الواقع الراهن للعالم الإسلامي ومظاهر التخلف والانحطاط.

٦ ـ رغم زوال الحضارة الإسلامية إلا أن الإسلام ما زال قوةً حيَّة وفاعلة ومترسخة وهو ينافس أقوىٰ القوىٰ الاجتماعية والثورية المعاصرة.

٧ ـ إن الشعوب الاسلامية هي في حالة الاستيقاظ والنهوض.

وبعد هذا المبحث (المقدمة) الذي يحتاج إلىٰ رسالةٍ مستقلة ينبغي طرح بحث فلسفي عميق هو «طبيعة الزمان» المرتبطة بفلسفة التاريخ، وتُبحث إجابة التساؤل القائل هل أن عامل التقدم والتطور لقوم ما هو نفسه عامل انحطاطهم فيما بعد.

وهذا ما تنازع حوله فلاسفة التاريخ، حيث هناك مَنْ يقول إن كل عامل يستطيع دفع شعب ما للتقدم والتطور في ظل ظروف معينة ضمن مرحلة تاريخية خاصة، وفي حال انتهائها وتغيير تلك الظروف لا يعود ذاك العامل قادراً علىٰ دفع مسيرة التقدم تلك، بل يتحول نفسه إلىٰ سبب للتأخر والتخلف والانحطاط، فإذا صح هذا القول فهو يعني أن كل حضارة تزول بفعل العوامل نفسها التي أوجدتها، دون أن تتدخل عوامل خارجية.

فعلى الدوام تكون العوامل القديمة رجعية والعوامل الجديدة هي الرابحة، فالعوامل الاجتماعية الجديدة توجد حضارة جديدة تختلف لا محالة عن الحضارة السابقة.

ولو صحت هذه القاعدة فلا يمكن بالطبع استثناء الحضارة الإسلامية منها وعليه يكون عقيماً أي بحث عن علل المسلمين إذا

ما فُصلَ عن موضوع علل وعوامل قضية التحضر الإسلامي.

وعلى هذه القاعدة أيضاً لا يجوز لنا تحميل شخص أو شعب أو تيار ما مسؤولية تخلف المسلمين، فزوال الحضارة الإسلامية كسائر الحضارات الأخرىٰ وكل الظواهر الحية الأخرىٰ هو نتيجة حلول الأجل الطبيعي أو غير الطبيعي عاجلاً أم آجلاً.

فالحضارة الإسلامية ولدت ونمت ومرَّت بمرحلة الشباب ثم الشيخوخة ثم ماتت، فالأمل بعودتها مثل رجاء عودة الموتىٰ إلىٰ الحياة الدنيا، فلا يمكن القبول به وفق القوانين الطبيعية ولا يمكن تبريره إلا بالمعجزات أو الحوادث الخارقة للعادة الخارجة علىٰ كل حال عما اعتاده بنو الإنسان.

وبعد ذاك المبحث التمهيدي (المقدمة) يأتي دور هذا المبحث الفلسفي التاريخي العميق الذي لا يمكن التغاضي عنه، فالأفكار الساذجة في هذا المجال كثيرة ولعل هناك الكثيرين ممن يصدقونها.

ولإكمال هذا المبحث الفلسفي وربطه بسلسلة المباحث التالية، نرى من الضروري البحث الشامل حول قدرة الإسلام في الاستجابة لمقتضيات الزمان أو عدم قدرته علىٰ ذلك، وهذا المبحث يكون بطبيعته علىٰ قسمين الأول فلسفي صرف والثاني إسلامي، وكلاهما ينطوي تحت عنوان «الإسلام ومقتضيات الزمان».

وعندما ننهي هذا المبحث، ونثبت عدم صحة القاعدة المتقدمة حول فلسفة التاريخ، ونبرهن علىٰ عدم لزوم أن تكون علل تخلف

المسلمين هي نفسها علل تقدمهم وتطورهم، نصل إلىٰ بحث علل ركود مسيرة المسلمين وتوقفها ثم تخلفهم وانحطاطهم وأقوال الآخرين بهذا الصدد.

وينبغي البحث هنا ضمن ثلاثة أقسام بملاحظة أقوال الآخرين ـ من المسلمين وغيرهم ـ وملاحظة المواضيع والقضايا والتيارات المرتبطة باحتمالاته؛ وهذه الأقسام هي:

١ ـ قسم الإسلام.

٢ ـ قسم المسلمين.

٣ ـ قسم العوامل الخارجية.

ويشمل كل قسم قضايا ومطالب عديدة، فمثلاً في القسم الأول من المحتمل أن تبحث بعض المفاهيم والعقائد الإسلامية التي تطرح كعوامل مؤثرة في تخلف المسلمين.

وقد يعتبر البعض أن النظام الأخلاقي الإسلامي موجب لتخلف المسلمين وضعفهم، كما قد يوجد هناك من يعتبر القوانين الاجتماعية الإسلامية سبباً لتخلف المسلمين.

وبالفعل فقد وُجّهت هذه الاتهامات لقسم من المفاهيم والعقائد الإسلامية، ولقسم من الأخلاق الإسلامية، وكذلك لقسم من الضوابط الاجتماعية الإسلامية.

وهناك أيضاً فصولٌ متعددة يجب أن تبحث في قسمي المسلمين والعوامل الخارجية.

ومن المفاهيم والعقائد الإسلامية التي وجّهت لها تلك الاتهامات:

١ ـ الاعتقاد بالقضاء والقدر.

٢ ـ الإيمان بالآخرة واحتقار وذم الدنيا.

٣ ـ الشفاعة.

٤ ـ التقية.

٥ ـ انتظار الفرج.

والقضايا الثلاثة الأولىٰ مشتركة بين السنَّة والشيعة فيما الأخريان من مختصات الشيعة تقريباً.

فأحياناً يُقال إنَّ سر تخلّف المسلمين يكمن في شدة اعتقادهم العميق بالقضاء والقدر، ويُقال أحياناً أخرىٰ إنَّ اهتمام الإسلام الكبير بالآخرة والحياة الخالدة جعل المسلمين يُعرِضون عن التفكير الجاد بالقضايا الحياتية الأساسية.

ويُقال حيناً آخر إنَّ الاعتقاد بالشفاعة الموجود في جميع مراح التاريخ الإسلامي (باستثناء بعض الأفراد وأخيراً باستثناء فرقة مخصوصة)، جعل المسلمين لا يتورعون عن أي رذيلة ويتساهلون تجاه الذنوب التي ترجع حكمتها أساساً إلىٰ تأثيرها السيء على السعادة.

أما ما يُتهم به الشيعة خاصة فهو التقية وانتظار الفرج، بالنسبة

للأولى قيل إنها أولاً درس في النفاق، وإنها ثانياً جعلت الشيعة خائفين ضعفاء غير قادرين على مواجهة الحوادث.

أما بالنسبة لانتظار الفرج، فقيل إنَّ هذه الفكرة سلبت من الشيعة أي مسعى للإصلاح، وفيما تفكر سائر الأمم والأقوام الأخرى بإصلاح شؤنها يجلس الشيعة (بانتظار يدٍ غيبية تأتي لتفعل شيئاً ما).

وفي الأخلاق الإسلامية اتَّهموا: الزهد، القناعة، الصبر، الرضا، التسليم، التوكل، بأنها عوامل مؤثرة في تخلف المسلمين.

وتعتبر القوانين القضائية والجزائية في الإسلام، من المواضيع التي يجب أن تُبحث هنا، وهي التي أُستبعدت في الكثير من البلدان الإسلامية، ولجأت هذه البلدان إلىٰ اقتباس قوانينها الجزائية من منابع أخرىٰ هي الآن تتلقىٰ عقوبة ذلك بدرجةٍ أو بأخرىٰ.

وهناك قسمٌ من القوانين المدنية في الإسلام، وُجّهت لها هجمات عنيفة كحقوق المرأة أو الأحكام الاقتصادية المتعلقة بالمالكية والإرث وغيرهما.

الحدود التي شرَّعها الإسلام فيما يرتبط بعلاقات المسلمين بغيرهم من أمثال زواج المسلمين بغير المسلمين، أو ذبيحة غير المسلم أو نجاسة الكافر، أوالحقوق والحدود في العلاقات الدولية.

هذه الحدود هي من ضمن المواضيع التي أزعجت البعض فاعتبروها سبباً لتخلفهم عن ركب الحضارة.

هذه هي مجموعة مسائل وقضايا ينبغي أن تبحث في قسم الإسلام

من الأقسام الثلاثة المتقدمة، وهناك ـ ولله الحمد ـ أرضية مناسبة حالياً لإنجاز هذه التحقيقات التي يؤدي اتضاح نتائجها إلىٰ تعزيز إيمان الشباب والمتعلمين ودحض الشبهات عن أذهانهم.

وبعد الانتهاء من هذا القسم نصل إلىٰ قسم المسلمين حيث ننتقل من الإسلام إلىٰ إلىٰ المنتمين إليه، حيث هناك مَنْ يقول إنَّ الإسلام ليس هو عامل تخلف المسلمين، بل إنهم هم أنفسهم عامل هذا التخلف وهم المسؤولون عنه.

وتبرز في هذا القسم تفصيلات عديدة، فعلنا أولاً تحديد نقاط الانحراف، فما هي الأمور الإسلامية التي هجرها المسلمون؟ وما هي الأمور التي ليست من الإسلام في شيء لكنها شاعت بين المسلمين؟ وما هي الأمور التي ليست من الإسلام في شيء لكنها شاعت بين المسلمين؟! وعلينا ثانياً مناقشة هل أنَّ عامة المسلمين هم المسؤولون عن هذا التخلف أم خاصتهم؟

لقد ظهر الإسلام بين العرب ثم انطوت تحت لوائه شعوب أخرىٰ من الإيرانيين والهنود والأقباط والبرابرة وغيرهم، ولكل منهم خصائص قومية وتاريخية خاصة به.

فيجب البحث والتحقيق لمعرفة هل أن جميع هذه الشعوب أو بعضها هي التي حرفت الإسلام عن مساره الأصلي بسبب خصوصياتها القومية الراسخة.

وهل أن مصير المسلمين سيكون غير ما هو عليه الآن لو كان الإسلام قد انتشر بين شعوب أخرىٰ كالشعوب الأوروبية مثلاً؟

ألم يكن لعامة المسلمين تأثير في الوصول إلىٰ الواقع الراهن وما نزلت بالإسلام والمسلمين من مصائب؟! وهل أن مسؤولية ذلك تقع علىٰ خاصة المسلمين من حكّام وعلماء؟!

أما في قسم العوامل الخارجية فهناك الكثير من التيارات التي يجب دراسة تأثيرها، فمنذ صدر الإسلام كان له أعداء لدودون في الداخل والخارج، فلم يكن اليهود والنصارىٰ والمجوس والمانويون والزنادقة الذين كانوا يعيشون بين المسلمين، لم يكونوا يغفلون عن الكيد للإسلام وكانوا يضربونه بخناجر من الخلف.

وكان لمعظمهم تأثيرٌ كبيرٌ في تحريف وقلب الحقائق الإسلامية، من خلال وضع الأحاديث، أوإثارة الفرقة والاختلاف بين المسلمين، أو الترويج للاختلافات وتكريسها علىٰ الأقل.

وتُلاحظ في تاريخ الإسلام حركاتٌ سياسية ودينية أوجدها غير المسلمين بهدف إضعاف أو محو الإسلام.

وكانت توجّه أحياناً هجمات عنيفة ضدَ العالم الإسلامي، وأبرزها الحروب الصليبية والهجوم المغولي، ولكل من هذه الهجمات تأثيرٌ كبيرٌ في تخلف المسلمين.

وأخر هذه الهجمات هو الاستعمار الغربي في القرون الأخيرة الذي امتص بدماء المسلمين وجعل ظهرهم محنياً بفعل ضغوط مظالمه بحقهم».



بعد أن عرض هذه الأطروحة دعا المرحوم المطهري كل من يستطيع أن يقدم شيئاً إلىٰ التعاون لإنجازها، لكنَّهُ لم يحصل علىٰ استجابة مشجِّعة، ورغم ذلك شدَّ أحزم العزم دون أدنىٰ ضعف أو تردد، وتولىٰ نفسه مسؤولية القيام بهذا العمل التحقيقي الواسع والمهم.

إن ملاحظة عشرات المؤلفات التي خلّفها الأستاذ المطهري وسائر محاضراته وآثاره الأخرى، توضح حقيقة أنه لم يَحِدْ قيد شعرة عن أطروحته الأساسية هذه طوال حياته القصيرة المباركة.

وتثبت حقيقة أنه قد نجح إلىٰ درجة كبيرة في إنجاز الكثير والكثير جداً من مطالب ومباحث هذا العمل التحقيقي الضخم.

المرحوم المطهري وضمن مواصلة نشاطاته الإصلاحية، عبر أعماله التبليغية والإرشادية في الحوزة والجامعة عبر المحاضرات العامة، وكذلك عبر كتابة الكتب والرسائل والمقالات المختلفة في المواضيع التي يحتاجها المجتمع.

إضافةً إلىٰ كل ذلك كان الشهيد يهتم بأمرين آخرين الأول إصلاح المشاريع الإصلاحية ثمارها.

وكان إلىٰ آخر أيام حياته يعتقد بقوة أن الطائفة الوحيدة الجديدة بقيادة الثورة الإسلامية هم العلماء الحوزويون الواعون الأتقياء العارفون بأحوال العصر وشؤونه، لذلك كان يدعوهم للثورة والقيام بدورهم الأساسي هذا.

كان ومنذ سنيّ حياته الإجتماعية الأولىٰ يقول للعلماء إنكم أنتم المسؤولون عن إنقاذ الناس من هجمات وعدوان الغرب والشرق، ولا يليق بكم الغفلة عن ذلك في هذه الظروف الحساسة.

في عام (١٣٨٢ هـ.ق/ ١٩٦٢م) نشر الأستاذ مقالاً تحت عنوان «المشكلة الأساسية في الجهاز الحوزوي» سعىٰ خلالها إلىٰ تقديم اقتراحات لإزالة العقبات القائمة أمام التحرك الفاعل للحوزة.

وتابع هذه المساعي باعتبارها فريضة مقدسة واستمر علىٰ ذلك حتىٰ عامي (١٣٩٨ ـ ١٣٩٩هـ.ق/ ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩م) حيث تبلورت الثورة الإسلامية للشعب الإيراني.

وآنذاك قام بنشر كتاب «الحركات الإسلامية في القرن الأخير» والذي استهدف من خلاله توعية الجماهير بالأخطار والعقبات التي تعترض طريق الثورة وتقديم التوجيهات اللازمة لمواصلة التقدم ضمن المسار الصحيح، مذكراً بالدور الأساسي للحوزة وعلمائها في هداية الثورة وقيادتها.

وفي هذا الكتاب حدد الأستاذ بوضوح ودقة آفات الثورة،

ومواصفات القيادة الصالحة، مصرحاً أن العلماء الحوزويين الواعين والأتقياء هم وحدهم الجديرون بقيادة الثورات الإلهية.

وهنا ومن خلال نقل فهرس الآفات التي تحدث عنها الأستاذ في هذا الكتاب وأشار إلىٰ تعرض الثورات الإلهية لها، ومقارنتها بوقائع الأعوام المنصرمة من عمر ثورتنا الإسلامية، يمكننا ملاحظة مصداق آخر من مصاديق النظرة الصائبة الثاقبة للأستاذ الشهيد؛ يقول (رحمة الله عليه):

«.. نذكّر هنا بما نراها آفات ـ تهدد الثورات الإلهية ـ دون أن ندعي أننا استقصيناها بصورة كاملة وهي:

١ ـ تسلل الأفكار الأجنبية الدخيلة.

٢ ـ الإفراط في التلاهث خلف الحداثة.

٣ ـ عدم متابعة الثورة والتخلي عنها قبل الوصول إلىٰ الهدف.

٤ ـ تسلل النفعيين.

٥ ـ عدم وضوح المشاريع والخطط المستقبلية للثورة.

٦ ـ تغيير الدوافع والانحراف عن المسار الأصلي».

الرافد لمسيرة الثورة

الأستاذ الشهيد كسائر المصلحين المخلصين، قرنَ آراءه

الإصلاحية بالخطوات العملية ساعياً لتحسين أوضاع المسلمين وموقعية الإسلام.

فقد كان له تعاون وثيق مع لجان «الائتلاف الإسلامي»، وتولى مسؤولية توجيهها وهدايتها فكرياً وعملياً.

ومعروفٌ أنه وبعد عملية اغتيال حسن علي منصور (رئيس وزراء الشاه الأسبق) واعتقال الشهيد (محمد بخارائي) واختفاء أفراد هذه اللجان، قام الشهيد المطهري بمهمة إعادة الثقة والسكينة إلىٰ القلوب التي اضطربت بسبب تلك الاعتقالات والملاحقة، وشجَّعها علىٰ مواصلة الجهاد.

فقام بعقد دروس عميقة لأفراد اللجان المذكورة تحت عنوان «الإنسان والمصير»، وكانت ثمرة هذه الدروس كتاباً قيّماً طبع تحت هذا العنوان نفسه.

وكان للأستاذ الشهيد دوراً أساسيّ في نشاطات جماعة العلماء المجاهدين منذ بداية تسأسيسها تحت قيادة الإمام الخميني إلىٰ انتفاضة خرداد من عام (١٣٨٣هـ.ق/١٩٧٨م).

ثم وبعد نفي الإمام عن إيران، تولىٰ المطهري مهمة «تسجيل» الثورة وأنجز هذه المهمة علىٰ الرغم من كل الصعاب والضغوط الآتية من الأصدقاء الجهلة بشكل اتهامات وإشاعات أو من جبهة الأعداء بشكل ملاحقة وسجن وأشكال المنع وتقييد التحرك.

وعلىٰ صعيد آخر فمما لا شك فيه أنه ولولا الجهود الضخمة الدؤوبة لهذا الرجل العظيم لما كان معلوماً كيف كانت ثورتنا الفتية ستواجه وتصمد وتقاوم ـ بعد سقوط الشاه ـ كل تلك التيارات الفكرية المنحرفة ذات الإمكانات الواسعة والدعاية الواسعة التي تبثّ بها أفكارها المسمومة بين الشباب الطيّبين والسذّج ويرغبونهم ببضائعهم الفكرية الخادعة والمزيفة.

لقد دأب الأستاذ المطهري مُنذ بداية حياته الاجتماعية وخاصةً بعد انتفاضة خرداد وإلىٰ نهاية حياته المباركة، علىٰ تكثيف جهوده من أجل توعية المسلمين وإصلاح حالهم وتعريفهم بواقعهم وحقيقة التيارات الفكرية المخادعة.

هذه الجهود ـ ورغم عدم وضوحها الظاهري ـ شكّلت تياراً قوياً مقتدراً أوجد تغييرات أساسية في أفكار المجتمع، وواصل عمله الأساسي دون الاهتمام بعتاب اللائمين.

فهو يدرك أهمية وفورية الحاجة لهذا العمل الرسالي المهم فواصله دون يأس أو ضعف وكأنه كان يضع نصب عينه مفاد قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

في سنيّ تصاعد حمىٰ أفكار الكفاح المسلح، واجهت مجموعةٌ من الجامعيين ـ المتأثرين بهذه الحمىٰ والذين لم يستطيعوا بسبب ضيق آفاقهم من فهم الأبعاد المختلفة للحوادث الواقعة وطبيعة اتجاهاتها ـ واجهت الأستاذ المطهري بالعقوق، واتهمته بعدم التوجه الفاعل للعمل الثوري الاجتماعي، وهي علىٰ الرغم من اعترافها بمنزلته العلمية، كانت تعارض حضوره في محافل الطلبة الجامعيين الذين يكنون له الكثير من الود والاحترام.

ورغم عدم نجاح تلك المجموعة في مساعيها لمنع حضور الأستاذ، إلا أنها كانت تواصل مساعيها في إثارة العقبات بكل ما استطاعت، وكانت بذلك تعمل ـ عن جهل أو عن عمد ـ علىٰ حرمان الشباب الظامىء المستعد من الارتواء من نبع المعارف الإسلامية النقية المتجسد في أفكار المطهري موجهة بذلك ضربةً للثورة الإسلامية.

وننقل هنا بعض الحوادث الحاكية عن جهل وتعصب تلك المجموعة المنحرفة، والكاشفة في الوقت نفسه عن عمق مظلومية وصمود وثبات الأستاذ المطهري.

وهذه الحوادث التي عاصرها كاتب هذه السطور وإن كانت ترتبط بجامعة «صنعت شريف» في طهران إلا أنها تمثل الحالة التي كانت عليها المحافل الجامعية كافة في إيران في تلك الأعوام.

في عام (١٣٩٤ هـ.ق/ ١٩٧٤م)، كان بعض أفراد تلك المجموعة من الجامعيين يتولون إدارة الشركة التعاونية في الجامعة،

وكانوا عبر ذلك يقومون بطرق ملتوية بإبعاد كتب المطهري عن أيدي الجامعيين.

وعندما اعترضت غالبية الطلبة في الجامعة علىٰ هذا الإجراء، كانوا يبررونه بأن هذه الكتب تحتوي مطالب ضعيفة وغير علمية، كما أنها تسبب الفرقة بيننا وبين القوىٰ اليسارية (التقدمية)، (وبالطبع لا يحتاجون إلىٰ الاستدلال علىٰ هذه الادعاءات) أو عندما يعجزون عن الإجابة يقومون بتحركات دكتاتورية لإجبار سائر الطلبة علىٰ الرضوخ.

والملفت للانتباه هنا أن عدداً من أفراد تلك المجموعة الجامعية انضموا إلىٰ منظمة «بيكار» الشيوعية واختفوا، وعدد آخر منهم انضم بعد الثورة إلىٰ صفوف منظمة «منافقي الشعب» وقدموا لها خدمات كبرىٰ قبل أن ينتقلوا إلىٰ العيش في الأوكار والمخابىء؛ ولا شك بأن القراء الذين عاصروا تلك الأحداث يعرفون هوية هؤلاء.

حادثة أخرىٰ ترتبط بالعام المذكور نفسه، فبعد إعلان منظمة «بيكار» لتبنيها الصريح للماركسية، قرر طلبة جامعة (صنعت شريف)، دعوة عدد من المفكرين الإسلاميين لإلقاء محاضرات في الجامعة من أجل الحدّ من الاضطراب والأذىٰ المعنوي الذي لحق بالطلبة الجامعيين بسبب ذاك الإعلان.

وبعد تبادل وجهات النظر تقرر دعوة الأستاذ المطهري أو أحد

الشخصيات العلمائية وكان حوزوياً أيضاً وهو ما زال علىٰ قيد الحياة، فرجّح أكثر الطلبة اختيار الشهيد المطهري واتفقوا علىٰ ذلك.

ولكن اعترض عددٌ من أفراد تلك المجموعة من الجامعيين علىٰ قرار الأغلبية وقالوا نرجح اختيار العالم الآخر، وبرروا هذا الاختيار بقولهم إنهم انتبهوا مرة عند صعوده المنبر أن «جواربه» ممزقة وهذا دليل علىٰ شدة الروح الثورية لديه!!

وهناك الكثير من الذكريات عن أمثال هذه التبريرات الطفولية يتذكرها من عاشوا في محيط الجامعات في تلك الأيام، ولو قدر لهذه الذكريات أن تجمع وتُدون لاحتاج الأمر إلىٰ حمل بعير من الورق، وعلىٰ أي حال فمن المناسب أن نختم هذا البحث بالحادثة التالية:

في عام (١٣٩٩هـ.ق/ ١٩٧٩م) وقبل أشهر من انتصار الثورة وحيث اقتربت نشاطات ثورة شعبنا المسلم من ذروتها، شدد المتآمرون المنافقون من تحركاتهم الشيطانية من أجل حرف الثورة عن مسارها الأصلي، وكان منها مؤامرة إقامة أسبوع التضامن الوطني.

فوفقاً لخطة معدة محسوبة تقرر إقامة مؤتمرات وندوات في جامعات البلد كافة التي كانت مغلقةً آنذاك كإجراء احتجاجي ضد النظام، وفي هذه المؤتمرات تقرر أن يتحدث ممثلون عن مختلف الأحزاب والتيارات بمختلف مشاربها وعقائدها حول موضوع التضامن الوطني وكيفية الوصول إليه، وأن يجتنبوا قدر الإمكان

التطرق للقضايا المختلف بشأنها، ويؤكدوا في المقابل علىٰ النقاط المشتركة.

وكان الهدف من ذلك هو إعداد الأرضية لسلب القوىٰ الإسلامية حق قيادة الثورة، لكي يطرح أولئك ـ المتآمرون ـ أنفسهم كشركاء فيها.

وبدأت هذه المؤتمرات عملها في عدة جامعات في آن واحد، ولكن المقيمين لها كانوا عجولين إلىٰ درجةٍ اتضح معها منذ اليوم الأول أن الهدف منها هو مجرد إنكار الروح الإسلامية للثورة، وضرب العقيدة التي تشكل المحرك الأساسي لها.

والغريب أنه حتىٰ بعض الخطباء الذين شاركوا في المؤتمرات ممثلين للقوىٰ الإسلامية وقعوا في الفخ وساهموا ـ من حيث لا يدرون ـ في دعم أهداف المقيمين لها.

وهذه الحقيقة اتضحت لهم في اليوم الثاني أو الثالث من بدء عقد تلك المؤتمرات، وقد اتفقنا بمعية عدد من أصدقائنا في الجامعة علىٰ أن نستعين بالأستاذ المطهري لوضع حدٍّ لهذه المؤامرة.

والمثير أنه حتىٰ في تلك الظروف كان بعض أفراد تلك المجموعة من الجامعيين، يعارضون فكرة طرح اسم الأستاذ المطهري في تلك المؤتمرات.

ومع ذلك ذهبنا إلىٰ منزل الأستاذ وطلبنا أن يحضر الاجتماع التالي لإلقاء محاضرة باعتباره ممثلاً عن القوىٰ الإسلامية.

ورغم ذلك الظرف غير المشجع وافق الأستاذ وأعلن استعداده ولكنه قال «انظروا الوضع فإذا رأيتم أن فائدة حضوري أقل من ضررها فأخبروني لامتنع عن الحضور».

وعلىٰ الطرف الآخر قام أفراد تلك المجموعة ولأجل مواجهة دعوتنا للشيخ، قاموا بدعوة الدكتور «بيمان» لإلقاء كلمة في اليوم نفسه، وقرروا أن يكون هو المتحدث الأول، ومع الأسف فعلىٰ الرغم من تذكيره المتكرر بالاتفاق، نحا الدكتور «جيمان» في كلمته باتجاه الهدف الذي يريده مقيموا تلك المؤتمرات.

فأكد أن جميع الأحزاب والتيارات لها دور في الثورة، وعلىٰ الإسلاميين أن لا يتصوروا بأنهم أصحاب الدور الرئيسي فيها، وأحاديث أخرىٰ من هذا النوع كانت أشبه ما تكون بالهجمات العنيفة، وانقضت دقائق كلمته علينا وكأنها قرون.

وأخيراً انتهت كلمته وجاء دور كلمة الأستاذ المطهري، فبدأ كلمته بمتانةٍ واتزانٍ وعزَّة وهيبة هي من خصائص عباد الله المؤمنين، وتحدث عن تاريخ الثورة مشيراً إلىٰ مختلف المؤامرات التي حاكتها أحزاب شتّىٰ لحرف الثورة عن مسارها.

ثم أشار بصورة إجمالية إلىٰ انتفاضات الشعب الإيراني خلال القرن الأخير، وشرح أسباب هزيمتها، وأثبت أن جميع هذه الانتفاضات إنما هي نتاج روح الإسلام وارتباط الجماهي المسلمة بتراثهم الديني العريق، كما أن النجاحات الأولية التي حققتها كانت بفضل حضور العلماء الحوزويين فيها، وعندما فُصلوا عنها عبر مكائد

شتّىٰ، أُصيبت بالضعف والفتور والوهن ثم الهزيمة والانكسار.

ثم تحدث عن دور شخصية قيادة الثورة، وأثبت ببيانٍ بليغ أن قيادة الثورة الحقيقية هي كما في الثورات السابقة للعلماء المجاهدين الأتقياء السائرين علىٰ نهج سيد الأحرار الحسين بن علي عليه السلام، وأن القائد المطلق الوحيد للثورة الحالية هو روح وسليل رسوله الإمام الخميني..

وهنا دوت صيحات التأييد من الحاضرين الذين تجاوز عددهم عدة آلاف، وارتفعت أصوات التكبير والصلوات علىٰ الرسول وآله معبرة عن أن ما يقوله الأستاذ معبّر عن لسان حال الجميع.

وكانت ثمرة هذه الكلمة الحماسية للأستاذ، هي قيام الطلبة المسلمين في جامعة «صنعت شريف»، بحركة جريئة منسّقة في عصر ذلك اليوم نفسه طهروا خلالها الجامعة من عملاء النظام الشاهنشاهي المشؤوم.

وأعلنوا عبر تظاهرات غاضبة إنهاء أسبوع التضامن ووأد مؤامرته، وقد أدت هذه الحركة البطولية التي فجّرها الأستاذ الشهيد من خلال كلمته التوعوية، إلىٰ فضح هوية المقيمين الحقيقيين لتلك المؤامرات التآمرية وأجبرتهم علىٰ وقف مؤامرتهم تلك.

غلّفوا بها الإسلام بل جنّد جهوده النشطة من أجل المساهمة الفعّالة في تحقيق ذلك.

وكان يعتقد بضرورة الالتزام الدقيق بالمبادىء والتعاليم الإسلامي

النقية، وفي الوقت نفسه التعرف علىٰ ثقافات ومعارف الآخرين واستخراج الثمار الإيجابية لها ولأفكار كبار مفكريها للاستفادة منها في توصيع وتنضيج الثقافة الإسلامية.

يقول الأستاذ المطهري في مقدمة الجزء الأول من كتابه «التعرف علىٰ العلوم الإسلامية» وبعد أن يوضح المعنىٰ الصحيح لهذه العلوم، يقول حول الثقافة الإسلامية:

«تعتبر الثقافة الإسلامية، ثقافة مميزة بين ثقافات العالم، فلها روحٌ خاصة بها، ومجموعة من المميزات الخاصة بها».

ولمعرفة فيما إذا كانت ثقافةٌ ما تمتاز بالأصالة والشخصية المستقلة، ولها روح وخصائص خاصة بها، أم أنها ثقافة تلفيقية منتزعة من ثقافت أخرىٰ سابقة لها، أو أنها مجرد استمرار لهذه الثقافات، نقول لمعرفة ذلك يجب علينا دراسة الدوافع الحاكمة علىٰ تلك الثقافة واتجاهات حركتها وطبيعة ظهورها ونموها وكذلك عناصرها البارزة.

فإذا كانت لها دوافع خاصة بها، وكانت حركتها موجهة باتجاه خاص بها، كما أن طريقة ظهورها ونموها وتحركها تختلف عن سائر الثقافات الأخرىٰ، ولها أيضاً عناصر خاصة بها تمتاز بظهور خاص أيضاً، ففي هذه الحالة يمكننا القول بأن هذه الثقافة أصيلة ولها شخصية مستقلة.

ولكن الأصالة والشخصية المستقلة لا تعني أن هذه الثقافة يجب

أن لا تكون قد انتفعت من ثقافات وحضارات أخرىٰ فهذا هو المحال، ولا توجد ثقافة تظاهرات غاضبة إنهاء أسبوع التضامن ووأد مؤامراته، وقد أدت هذه الحركة البطولية التي فجَّرها الأستاذ الشهيد من خلال كلمته التوعوية، إلىٰ فضح هوية المقيمين الحقيقيين لتلك المؤتمرات التآمرية وأجبتهم علىٰ وقف مؤامراتهم تلك.

الرائد في إحياء الدين

سخَّر المرحوم المطهري حياته المباركة من أجل إحياء العلوم الدينية، وبعث الحياة في أوساط المسلمين، ولم يكتفِ بالدعوة لإزالة الخرفات التي في العالم لم تستفد من الثقافات والحضارات الأخرىٰ، ولكن المهم هو طريقة الاستفادة.

فمرةً تضم الثقافة أو الحضارة، ثقافةً وحضارةً أخرىٰ دون أي تصرف أو غربلة، وهذا نوعٌ من الاستفادة، وهناك نوعٌ آخر تتغذىٰ فيه الثقافة بالثقافات الأخرىٰ فتهضمها وتحولها إلىٰ شيء جديد والثقافة الإسلامية انتفعت من الثقافات والحضارات الأخرىٰ وفق الطريقة الثانية.

فهي نمت وتطورت مثل نمو الخلية الحيَّة، جذبت الثقافات اليونانية والهندية والإيرانية وغيرها، وحولتها إلىٰ شيء جديد يحمل مواصفات وخصائص الثقافة الإسلامية نفسها.

ويعترف المحققون في تاريخ الثقافات والحضارات أن الثقافة والحضارة الإسلامية تقف في صف كبريات الحضارات الإنسانية».

ولكن وعلىٰ الرغم من هذه السابقة المشرقة للثقافة الإسلامية الأصيلة التي كانت في زمن ما علة ظهور كبرىٰ الحركات الحضارية في التاريخ الإنساني.

يرىٰ الأستاذ المطهري أن هذه الثقافة قد فقدت حيوتها، وأصبحت أشبه بموجود في حالة الاحتضار منها بشجرة مثمرة يانعة، ومن جهة أخرىٰ لا نجد بين المسلمين أثراً لتلك الروح الملحمية التي تجسّدت في أسلافهم الأماجد، حتىٰ أصبح الحال وكأن غشاوة غليظة من غبار الاستكانة والتهاون والنسيان قد غلّفت جسد الأمّة الإسلامية وأطفأت شعلة الحياة الإسلامية بين المسلمين.

ومن أجل إحياء الأفكار الإسلامية وبعث الحياة والحركة بين المسلمين عمد الأستاذ المطهري ـ في الخطوة الأولىٰ ـ إلىٰ توضيح علل الواقع المأساوي هذا، وهي إضعاف الروح الدينية، والإعراض عن الحق كما سماها، فسعىٰ في كتابه «الدوافع نحو المادية» إلىٰ تحديد أبرز عوامل التوجه نحو المادية والإعراض عن المعنويات والإيمان في الغرب.

وضمن حديثه عن كل عامل سعىٰ إلىٰ توعية «المتغربين» الذين تطوعوا للترويج للثقافة الغربية وتوهموا أن اتباعها هو سبيل التخلص من تخلفهم، وكذلك سعىٰ إلىٰ توعية المسلمين الذين فقدوا الثقة

بأنفسهم وانبهروا بالتقدم الظاهري للحضارة الغربية واعتبروها حقاً مطلقاً لا نقاش فيه.

نقول سعىٰ الأستاذ لتوعية جميع هؤلاء بحقيقة أن الغربيين لو كانوا قد أعرضوا عن الدين واعتبروه أفيون الشعوب بألف مبررٍ ومبرر فإن ذلك يصدق علىٰ الدين المحرّف المنتشر بينهم ولا ينطبق بأي حالٍ من الأحوال علىٰ الإسلام، فهو دين الحياة والحركة الذي يدعو الجميع إلىٰ السعي والتحرك وينبذ الجمود.

يقول رَحِمَهُ الله في رسالة «إحياء الفكر الإسلامي» التي تضم محاضرة ألقاها في عام (١٣٩٠ هـ.ق/ ١٩٧٠م) بمناسبة ذكرىٰ وفاة العلامة إقبال:

«الإسلام هو علىٰ الدوام داعية الحركة والحياة المفعمة بالمعرفة والاقتدار.

وإطلاق صفة «الحي» علىٰ الذات الإلهية المقدسة في القرآن الكريم تعني بحال أن لله قلباً ودماً وشرايين، بل تعني أنه العالم والقادر المطلق.

إن منهج الإسلام هو منهج المعرفة والاقتدار أو الوعي والحركة، وطبقاً لنصوص القرآن فإن المنهج التفكيري الذي لا يثمر المعرفة والاقتدار بل يؤدي إلىٰ الجمود والجهل، ليس من الإسلام في شيء، فالإسلام هو دين الحياة الذي يرفض الجهل والجمود والعجز والضعف..».

ولكن المسلمين الذين ورثوا هذا المنبع الفياض العظيم والجوهرة الثمينة، جهلوا قيمتها فهجروها ووصل بهم الحال إلىٰ درجةٍ أصبحوا يعارضون فيها أي نوع من النشاط والتحرك، يقول الأستاذ الشهيد في جانب آخر من الرسالة المذكورة:

«أحد أصدقائنا كان يمتاز بطرافة خاصة، وله تفسير طريف للظواهر يسميه «منطق سيارة الدخان»، كان يقول: عندما كنت صغيراً كان منزلنا في مدينة ري قرب مرقد السيد عبد العظيم الحسني.

وفي ذلك الوقت لم تكن هناك خطوط سكك الحديد العديدة، وكان هناك سكة قطار واحدة فقط توصل بين مرقد السيد عبد العظيم ومدينة طهران، كنت أرىٰ الأطفال يجتمعون في محطة القطار وهم ينظرون إليه بإعجاب ودهشة وكأنهم يولونه احتراماً وتعظيماً، ويستمر هذا الحال إلىٰ أن تحين ساعة تحرك القطار، وعندما يشرع بالحركة يأخذ الأطفال بالركض ورمي القطار بالحجارة.

كنتُ أستغربُ هذه الحالة وأتساءل مع نفسي، إذا كان ينبغي رمي القطار بالحجارة فلماذا لا يفعلون ذلك وهو واقف، وإن كان بنبغي إظهار الإعجاب به، فهذا الإعجاب ينبغي أن يتضاعف عندما يتحرك القطار فلماذا يشرعون في رميه بالحجارة بعد أن يتحرك؟

وظلت هذه التساؤلات قائمة في نفسي حتىٰ كبرتُ ورأيتُ أن

هناك قانوناً عاماً حاكماً علىٰ مختلف المجتمعات البشرية، فأي شيء نجده يحظىٰ بالاحترام والإعجاب ما دام ساكناً، ولكن ما أن يتحرك ويشرع في خطوته الأولىٰ تهجم عليه الحجارة من كل جانب يرمونه بها إضافة إلىٰ الامتناع عن مساعدته..».

المرحوم المطهري كان يدرك جيداً أن التخلف الذي شاع بين الشعوب الإسلامية خلال القرون الأخيرة، قد أصابها بمصيبة مضاعفة، إذْ إنه من جهة أبعدها عن ثقافتها ودينها وأفكاره ومفاهيمه، وجعلها تقتنع بالقشور دون اللب.

ومن جهة أخرىٰ جعلها عاجزة عن معرفة الجذور والأساس الفكري للحضارة الغربية المهاجمة ـ بمعناها الثقافي لا الجغرافي ـ، وكل ذلك جعلها علىٰ استعداد لتقبل أيّ تخلف وسقوط وأي إجراء آخر.

ويرىٰ الأستاذ المطهري أنَّ الخلاص من هذا الواقع المأساوي المؤسف يستلزم طي ثلاث مراحل أو التسلح بثلاثة أسلحة هي:

أ: الإحاطة ومعرفة الثقافة الإسلامية بمختلف أبعادها.

ب: الاطلاع علىٰ الثقافات الأجنبية.

ج: تعزيز وإكمال ملكة الاجتهاد، وهو القوة التي يمكن من خلال الاستعانة بها والأستناد إلىٰ العلوم المكتسبة، الإجابة علىٰ المسائل المعاصرة والمستحدثة واكتشاف نقاط القوة والضعف في الأفكار المختلفة والاستعانة بذلك لحل مشاكلنا.

وقد سعىٰ (رحمة الله عليه) بنفسه لتحقيق هذا النموذج الإنقاذي واتباعه بدقة.

فإلىٰ جانب إكمال دراساته في مختلف فروع الثقافة الإسلامية (فقهاً وفلسفةً وعلم كلامٍ وعرفاناً وتاريخاً وتفسيراً وأدباً)، قام الأستاذ بدراسة الثقافة الغربية، مركزاً علىٰ الجانب الفلسفي والاقتصادي منها، بحكم دائرة تخصصه.

وقد قام الأستاذ بالدراسة النقدية للثقافة الغربية منذ الأعوام التي كان خلالها يكتب هوامشه وشرحه لكتاب «أصول الفلسفة ومنهج معرفة الحقيقة»، وتابع هذه الدراسة النقدية الجادة إلىٰ آخر أيام حياته.

وكان يُدرّس في الدروس الخاصة التي أعدَّها لأساتذة الجامعة، مباحث الاقتصاد والفلسفة الحديثة، كما كان يعمد بحكم سعة اطلاعاته ومعلوماته إلىٰ دراسات مقارنة، ومناقشات نقدية وتطبيقية.

وكانت ثمرة هذه الجهود الدؤوبة هي نجاح الأستاذ الشهيد في حلِّ الكثير من المشاكل والمعضلات التي طرحتها التيارات المتغربة وكشف نقاط ضعفها ونقائصها، كما استطاع من جهة أخرىٰ إحياء الثقافة الإسلامية والمساهمة في إثرائها.

ويمكن الإشارة ـ كنماذج لإبداعات الأستاذ في هذا المجال ـ إلىٰ نجاحه في حلِّ مشكلة ملكية وسائل الإنتاج المتطورة والمكائن

الصناعية الكبيرة، وكذلك برهنته علىٰ بطلان نظرية «جدلية هيغل» بأسلوب جديد مبدع، كما أوضح بطلان ادعاء الماركسية للواقعية.

وإضافة إلىٰ متابعة تحقيقاته العميقة وجهوده الدؤوبة لإحياء دور وفاعلية المعارف الإسلامية المنسية، كان الأستاذ المطهري يسعىٰ إلىٰ تصحيح آراء سائر المفكرين والمحققين المعاصرين وتوجيههم إلىٰ التحقيقات العلمية النافعة وتحذيرهم من الأفكار غير النقية.

وهنا يمكن اعتبار انتقاداته الاستدلالية المتينة لآراء المفكرين التجريبيين أو المؤلفين المتغربين أو المتشرقين من المعالم التي لا تُنسى في العقود المنصرمة من تاريخ هذا البلد.

ويعتبر الدكتور علي شرعتي من أبرز المفكرين الذين كان الأستاذ المطهري يرغب في تصحيح أخطائه والحيلولة دون انحرافاته المحتملة.

وحسبما ما نقله الأستاذ بنفسه لكاتب هذه السطور، فإنه كان وبحكم معرفته عن قرب بكفاءات الدكتور شريعتي، يعتقد أن للدكتور قدرة عميقة يمكنه بها التأثير بدرجة كبيرة في صياغة أفكار جيل الشباب.

ولذلك كان الأستاذ يرغب كثيراً في تنقية أفكار الدكتور قدر المستطاع من الغث والانحرافات ويقرّبها من الأفكار الإسلامية النقية، شريطة أن ينجز هذه المهمة الإلهية، بطريقة لا يُلحق معها أدنىٰ إساءة بشخصية الدكتور شريعتي.

ومن إجراءات الأستاذ في هذا المجال التصحيحي والتي أُثيرت حولها ضجَّة كبيرة هي نشره بياناً حول الموضوع بالاشتراك مع المهندس «بازرگان»، ولكن هذا الإجراء الضروري الذي لم يرد منه سوىٰ رضار الله تبارك وتعالىٰ لم يُنقل إلىٰ الحيز العملي ـ رغم توافر الجرأة المطلوبة فيه ـ بسبب وساوس الخناسين وضعف وتهاون بعض الأصدقاء.

فبُعيد نشر هذا البيان نشر المهندس بازرگان بياناً آخر تبرأ فيه مما ورد في البيان الأول وكأن نشر البيان الأول هو ذنبٌ لا يغتفر، لذا سعىٰ لتبرئة نفسه من مسؤولية كتابته ونشره.

وقد سألت الأستاذ بعد فترة مديدة من هذه الحادثة عن ملابساتها فقال:

«كان هدفنا هو إحياء الأفكار الجديدة البديعة للدكتور شريعتي، وأردنا من خلال تصحيح أفكاره ومؤلفاته، أن نجعل المتعلقين بقلمه ينتفعون به بصورة أفضل.

هذا أولاً وثانياً أن نسدَّ الطريق أمام أي شكلٍ من أشكال إساءة استغلال مؤلفاته والمساعي المنحرفة لأولئك الذين يسعون إلىٰ تشويه صورة المعارف الإسلامية.

أما بالنسبة للمهندس بازرگان فلعله كان أكثر اندفاعةً منّي للقيام بهذه المهمة، لقد كنا حريصين علىٰ أن ننجز هذه المهمة بصورة يُحفظ بها احترام شخصية الدكتور شريعتي في أذهان الناس خاصةً

جيل الشباب، فلا تلحق به أي إساءة، فنناقش أفكاره بصورة علمية محضة.

وقررنا أن ننجز هذه المهمة والخدمة للمجتمع الإسلامي حتىٰ لو كان ثمن ذلك تعرضنا لأشكال الاتهامات والافتراءات، قررنا أن نحفظ مفكراً مثل الدكتور من أن يتحول إلىٰ مصدر للانحراف الفكري.

وأن تتحول أفكاره إلىٰ موارد استغلال المنحرفين، وأن نجعل المجتمع الإسلامي قادراً علىٰ الانتفاع من الأفكار المنسجمة مع المعارف الإسلامية من بين الأفكار الجديدة التي طرحها الدكتور.

ولكن مع الأسف، جاء المهندس بازرگان بعد فترة وجيزة من بدء العمل بهذه المهمة ليخبرني باعتذاره عن مواصلة العمل، وبذلك توقف هذا المشروع الكبير الذي كان من الممكن أن يصبح منشأً للكثير من الخيرات والبركات ويفتح باب الحوار والنقد الذاتي في أوساط المتدينين وإحياء آثار الدكتور الباقية.

وقد عرفت فيما بعد هوية الذين غيَّروا رأي المهندس بازرگان، وبينهم أشخاصٌ ليست لهم نوايا حسنة أبداً، بل أن نصائحهم كانت بدوافع الأهواء والأمراض النفسية».

أما الشهيد المطهري ووفاءً بالعهد الذي عاهد العلماءُ الربانيون الله تعالىٰ عليه من مواصلة الدفاع عن دين الحق حتىٰ النفس الأخير، فقد واصل إنجاز هذه المهمة المقدمة قدر استطاعته، ولم توحشه في

طريق الحق قلة سالكيه متحملاً شتىٰ الاتهامات والافتراءات والأذىٰ وضغوط الأعمال والمهام الأخرىٰ ليكون مصداقاً حقيقياً للنهج النبوي:

«إن أُريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب..».

ومن خلال مراجعة نتاجات الشهيد المطهري في الفترة التي تلت الحوادث المتقدمة يمكن ملاحظة أنه خصص أقساماً وفصولاً لنقد أفكار وآراء الدكتور شريعتي وتصحيحها دون أن يذكر نسبتها إليه بالاسم.

كما يمكن من خلال مراجعة الآثار المخطوطة التي تركها الأستاذ (رحمة الله عليه) وكذلك الحواشي التي دونها علىٰ مؤلفات الدكتور شريعتي.

تشكيل مجموعة قيمة ونادرة من مباحث النقد العلمي النزيه التي دونها عالمٌ إسلامي عارف علىٰ آراء مفكر مسلم.

وآمل أن تنظم هذه الملاحظات الخطية للأستاذ المطهري وحواشيه النقدية وتوضع بصورة مناسبة تحت تصرف الجيل الثوري المعاصر المتعطش لمعرفة الحقيقة والذي يُكنُّ الاحترام والتقدير لأساتذته ومعلميه.

وكما قُلنا في بداية هذا الفصل فإن جهود الأستاذ لإحياء الفكر الإسلامي لم تنحصر في إزالة الخرافات والأفكار غير الأصيلة التي

علقت به، بل إنه ومثلما كان يعارض بشدة إلحاق الأفكار غير النقية والأجنبية بالمعارف الإسلامية بصورة تلفيقية غير سليمة.

كان في الوقت نفسه يرفض ويكافح بقوة الجمود والتحجر والتعبّد بالخرافات والافتخار الأحمق بالعظام النخرة للسالفين، والخشية من التطوير والتحديث والابتكار.

كن (رحمة الله عليه) ينتقدُ بشدة، تلك الطائفة من المسلمين الذين يعشقون ويقدسون أفكارهم التي تبنوا أغلبها عن تقليد محضٍ ودون مناقشة نقدية سليمة ـ والذين يرفضون التخلي عن الخرافات التي أدخلوها في عقائدهم وعقائد أتباعهم باسم الدين ـ وكان الأستاذ يعتبر هؤلاء من العوامل المهمة في إبعاد الشباب عن الأفكار الإسلامية الأصيلة البناءة.

وإضافةً إلىٰ ما تقدم، وإضافةً إلىٰ مساعيه في التحديث وتقديم الأفكار الإبداعية السليمة والأصيلة، وجهوده لإثراء الثقافة الإسلامية عبر استخراج وتنقية منابعها الثرية المنسية.

وكذلك عبر التركيب والتأليف بين الآراء والنظريات العميقة للمفكرين من المدارس الأخرىٰ بعد تنقيتها بين الآراء والنظريات العميقة للمفكرين من المدارس الأخرىٰ بعد تنقيتها وغربلتها وتحويلها إلىٰ ما يناسب الصبغة الإسلامية ومعارفها القوية الراسخة دون تلفيق انحرافي مرفوض.

نقول إضافةً إلىٰ كل ذلك، شخّص الأستاذ المطهري الطريق العملي لإحياء مجد المسلمين، بتحقق الوحدة الواعية بينهم أولاً، وثانياً بالتخلق بالأخلاق الإسلامية والالتزام العملي بأحكام وأوامر الشريعة الإسلامية السمحاء وبالخصوص إحياء العمل بسنَّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

في الفصل الأخير من كتاب «الدوافع نحو المادية» يشرح الأستاذ جانباً من توجيهاته بشأن إحيار الفكر الإسلامي ومواجهة التيارات الإلحادية فيقول:

«. . وعلىٰ أي حالٍ فإن الخطوة الضرورية لمواجهة النزعة المادية تكمن في تقديم وعرض المنهج الإلهي القادر علىٰ الاستجابة وتلبية الاحتياجات الفكرية لمفكري العالم.

وفي المرحلة الثانية يجب توضيح ارتباط المسائل والأحكام الإلهية بالقضايا والشؤون السياسية والاجتماعية، كما ينبغي تحديد منزلة ومقام الدين الإلهي من زاوية أساسية الحقوق السياسية والاجتماعية فيه، بحيث تزول شبهة أن الإيمان بالله ملازم للخضوع لمنطق القوة واستبداد الحكام.

والتعاليم الإسلامية ولله الحمد غنيةٌ ثريةٌ بما يدحض أمثال هذه الشبهات علىٰ الرغم من أنها لم تُبلّغ إلاّ قليلاً.

إن واجب المفكرين الإسلاميين الواعيين هو تبيان وتبليغ الأحكام

الحقوقية في الإسلام تجاه القضايا السياسية والاقتصادية بالذات وتعريف الناس بها.

كما يجب في المراحل اللاحقة مكافحة فقدان النظم والتنسيق في العمل التبليغي ومكافحة الآراء غير التخصصية في هذا المجال.

كما ينبغي الاهتمام الكامل بقضية توفير الأجواء الأخلاقية والاجتماعية المتناسبة مع المفاهيم المعنوية السامية، إذ إن الإسلام أولىٰ أهمية كبرىٰ لهذه القضية ولأجلها شرع واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبغض النظر عن سائر أبعادها فإن توفير تلك الأجواء يعتبر أمراً ضرورياً للأرضية المناسبة لنمو وتطور المفاهيم والقيم المعنوية السامية.

والأكثر ضرورةً من كل شيء في عصرنا الراهن، هو أن يسعى العارفون بالمفاهيم والقيم الإسلامية الحقَّة إلىٰ بعث الروح الثورية التي تشكل عنصراً أساسياً في التعاليم الإسلامية، «وهذا يحتاج ولا شك إلىٰ جهاد فكري وجهاد بالقلم والبيان. . وجهاد عملي كذلك».

وللتفكير الفلسفي والمطارحات العقلية والتأملات النظرية، سابقة طويلة بين المسلمين وتاريخ مليءٌ بالحوادث الطريفة والمرَّة.

ورغم أن الإسلام قد ظهر في وسط قوم سيطرت عليهم الأوهام الجاهلية والظنون الباطلة لا معرفة لهم بالمعارف السماوية، لكنه استطاع خلال فترةٍ قصيرةٍ وبصورةٍ إعجازية تحويل رجالٍ من هؤلاء إلىٰ عرفاء ليوث النهار ورهبان الليل.

بل وخلق حضارةٍ عظيمة متألقة امتدَّت إلىٰ أجزاء واسعةٍ من العالم، ولم يشهد التاريخ الإنساني نظيراً لها لا من قبل ولا من بعد.

لقد أدىٰ الانتشار السريع للإسلام ودخول أقوامٍ وشعوب مختلفة إليه، بينها من يتملك مواريث ثقافية عريقة، كالإيرانية واليونانية والرومية والهندية، إلىٰ توفير الأرضية المناسبة لتفتّح الطاقات الكثيرة الكامنة في الثقافة الإسلامية.

لقد أدرك المسلمون مبكّراً ضرورة الاطّلاع والتعرف علىٰ ثقافات سائر الأقوام والملل الأخرىٰ، فعمدوا إلىٰ الاستعانة بالمترجمين المتمرسين والبدء بحملةٍ واسعةٍ لترجمة المصادر العلمية للملل الأخرىٰ.

وخلال مدة قصيرة نقلوا مجموعة ضخمة من الآثار والمؤلفات العلمية والفلسفية من اللغات اليونانية والسريانية والبهلوية (الفارسية القديمة ـ المترجم) والسنكريتية إلىٰ اللغة العربية.

ولكن ترجمة هذه الآثار والمؤلفات ما هي إلا المقدمة الضرورية لإنجاز مهمة إثراء الثقافة والعلوم الإسلامية، من هنا لم يمرَّ وقتٌ طويلٌ حتىٰ بدأت عمليات التحقيق والنقد والمناقشة لهذه المؤلفات من قبل علماء المسلمين، فنمت بذلك ـ وبسرعة قياسية ـ الشجرة المباركة الطيبة للمعارف الإسلامية التي أصلها راسخ ثابتٌ في الوحي الإلهي.

وامتدَّت فروعها الطيبة إلىٰ مختلف الفروع الحياتية، من علوم اللغة والآداب، إلىٰ الفلك والنجوم والرياضيات إلىٰ علم الكلام والفلسفة والعرفان، وعلوم الفقه وأصول الفقه، وعلوم التفسير وغيرها.

نمت وتكاملت كل هذه الفروع بسرعةٍ مدهشةٍ وعانقت ثمارها السماء وعطَّرت روائحها أجواء الأمصار الإسلامية.

ومن بين هذه الفروع الطيبة لشجرة الثقافة الإسلامية حظيت الفلسفة بموقعٍ ممتاز ومكانة سامية؛ وفي الوقت نفسه تعرضت أكثر من غيرها من فروع الثقافة الإسلامية الأخرىٰ إلىٰ هجوم ورفض وإبطال طائفة لها، وتأييد وإحقاق طائفةٍ أخرىٰ.

فبعض اعتبر دراسة الفلسفة مساوية للكفر والزندقة، وطرحوا شعار «حسبنا كتاب الله» مؤكدين أن لا حاجة لنا بالمعارف المستلهمة من اليونانيين وأمثالهم، فلا مبرر أن يتوجه المسلمون الذين ارتووا من ينابيع الوحي الصافية إلىٰ ما نسجته عقول أرسطو وأفلاطون وأمثالهما.

وبعضٌ ذهب إلىٰ ما هو أبعد من ذلك واعتبروا دراسة الفلسفة أسوأ من الكفر، وانتقدوها لأنها تؤدي إلىٰ إيجاد الحجاب الأكبر والجهل المركب.

وقد ضعفت الحركة الفكرية كثيراً واشتدت معارضة الفلسفة بين أهل السنة بسبب رواج أفكار الأشاعرة ونبذ مسلك المعتزلة من جهة.

ومن جهة أخرىٰ ظهور مشرب من وصفوا أنفسهم بأهل الحديث الذين استندوا إلىٰ ظواهر الأحاديث واكتفوا بها وأعرضوا عن أي شكلٍ من أشكال البحث والتعمق والتفسير في القضايا المختلفة.

بل ومنعوا ذلك، حتىٰ وصل الأمر إلىٰ حدّ قيام أبي حامد الغزالي ـ وهو الفقيه السنيّ الكبير وصاحب الكتاب القيّم إحياء علوم الدين ـ، بتصنيف كتاب تهافت الفلاسفة.

الذي انتقد فيه الفلاسفة في عشرين مسألة واعتبرهم في سبعة عشر مسألة منها أهل بدعة، وفي ثلاث أخرىٰ من أهل الكفر، وهي مسائل القول بأزلية العالم وإنكار المعاد الجسماني وإنكار العلم الإلهي بالجزئيات.

ولم يضعف تيار رفض الفلسفة بين عامة المسلمين في القرون الأخيرة، بل استقوىٰ بفعل تأثير أفكار المفكرين الغربيين علىٰ المسلمين خاصةً في البلدان العربية.

فتجدد هذا التيار واستقوىٰ في مقدمة الجزء الخامس من شرحه لكتاب «أصول الفلسفة ومنهج معرفة الحقيقة» يشير الأستاذ المطهري إلىٰ القضية المتقدمة فيقول:

«في عصرنا الحاضر، اتَّخذت معارضة التعمق في المسائل الفلسفية شكلاً آخر وصبغةً جديدة، وهي صبغة الفلسفة الحسيَّة، فكما نعلم، انتصر في أوربا المنهج الحسّي والتجريبي في معرفة حقائق الطبيعة علىٰ المنهج القياسي.

وإثر هذا الانتصار ظهرت فكرة تقول إن المنهج القياسي والعقلي لم تعد له قيمة في أي مكان، وإن الفلسفة الوحيدة التي يكمن الاعتماد عليها هي الفلسفة الحسيَّة.

والنتيجة اللازمة لهذه الفكرة هي أن الإلهيات ما دامت خارجة عن دائرة الحس والتجربة فهي أمرٌ مجهولٌ لا يمكن التحقق بشأنه، بل إن البعض عمد إلىٰ إنكارها جملةً وتفصيلاً، وهذا هو الذي شهده الغرب..».

أما بالنسبة للعالم الإسلامي فقد شهد موجةً من المعارضة ذات السابقة التاريخية تبنَّاها أهل الحديث تجاه كافة أشكال التفكر والتعمق.

هذا أولاً وثانياً شهد علىٰ الطرف الآخر الانتصارات المتتالية للمنهج الحسّي في معرفة الطبيعة.

وهناك ثالثاً عامل صعوبة التعمق في الفلسفة وصعوبة حلّ معضلاتها، هذه العوامل أثَّرت بشدة علىٰ الكتاب المسلمين وأدت إلىٰ ظهور نظرية تلفيقية بينهم تقول بأن التحقيق في الفلسفة الإلهية أمرٌ ممكن ولكن هنا أيضاً تجب الاستفادة من المنهج الحسي والتجريبي المستخدم في معرفة الطبيعة.

وقد دعا إلىٰ هذه النظرية وانتقد مخالفيها كُتَّابٌ من أمثال فريد وجدي وسيد أبو الحسن الندوي وكذلك مفكرو الإخوان المسلمين من أمثال سيد قطب ومحمد قطب.

وعلىٰ الرغم من مخالفة المسلمين العرب للفلسفة، فإن إقبال الإيرانيين عليها كان ملحوظاً منذ بداية انتشار الإسلام بينهم، واستمر بحيث أنه وبعد انطفاء شعلة الأفكار الفلسفية بين عامة المسلمين.

حمل الإيرانيون مشعلها وحالوا دون زوالها ونجحوا في ذلك بل وفي انتشار أنوارها ومضاعفة تشعشعها وتألقها يوماً بعد آخر، مؤدّين دينَهم تجاه المعارف الإسلامية من خلال تربية فلاسفة كبار، من أمثال أبي علي ابن سينا، والشيخ شهاب الدين السهروردي والملا صدر الدين الشيرازي.

وقد أدىٰ إقبال الإيرانيين على الفلسفة إلىٰ ظهور أشكالٍ من سوء الفهم لدىٰ بعض المفكرين العرب، وكذلك المفكرون الغربيون، فادّعىٰ بعضهم كأحمد أمين المصري، أن الفلسفة ألصق بالشيعة منها بالسنَّة.

وعلَّل ذلك بميل الشيعة إلىٰ الأفكار الباطنية، فيما ادَّعى بعضٌ آخر من أمثال «راسل» أن سر ميل الشيعة إلىٰ المسائل العقلية يرجع إلىٰ خصوصيتهم القومية وانتمائهم الإيراني.

وإضافةً إلىٰ هذه الآراء التي تفتقد التحقيق العلمي، ظهرت بين الشيعة أيضاً تيارات عديدة معارضة للفلسفة تشابه التيارات التي ظهرت بين أهل السنَّة، والحديث عن هذه التيارات مفصلٌ لا يسعه المقام.

وهناك تيارٌ ظهر في السنين الأخيرة يحصر طريق معرفة الحقائق الإلهية بالتدبر في آيات القرآن الكريم دون أن يحدد طريقة التدبّر وقواعدها، هذا التيار لم يحرّم تعلّم الفلسفة والعلم الجديد والعرفان ـ صراحةً ـ لكنه يحصر فائدتها بمعرفة الباطل دون الحقائق الإلهية.

فهو يسعىٰ بطريقةٍ خفيةٍ إلىٰ نفي الفلسفة الإلهيَّة وبالتالي المعارف الإسلامية التي تثمرها هذا أولاً.

وثانياً فهو يغرق طلاب الحقيقة في الظلمات من خلال عدم تحديد سبل وقواعد التدبّر في آيات القرآن الكريم والاكتفاء بالأقوال العامة دون تفصيل وشرح ينير أمام المشتاقين لمعرفة الحقائق الإلهية درب التدبر في القرآن المجيد.

المرحوم المطهري كان يرىٰ نفسه وجهاً لوجه أمام هذه التيارات المختلفة التي تعارض التعقل وتطوير العمل العقلي، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى كانت دراسته الدقيقة المعمّقة للتاريخ الإسلامي تُثبت بوضوح حقيقة أن ضعف الاهتمام بالعلوم العقلية بين المسلمين كان علىٰ الدوام سبباً في ازدياد قوة وشدة تأثير التيارات المنحرفة علىٰ الأمة الإسلامية، وتمزيقها لها وتحويل المسلمين إلىٰ فرق متنازعة وتيارت صغيرة متطاحنة ضلت جميعها عن الصراط المستقيم.

ومن جهة ثالثة كان (رضوان الله تعالى عليه) يرىٰ الأفكار المنحرفة ذات الظاهر الحسن والمجهزة بسلاح الاستدلال المنطقي

والفلسفي المخادع. وهي تهجم بكثافة من الشرق والغرب على العالم الإسلامي، وتوقع المسلمين سيما جيل الشباب في شباكها المتنوعة.

كما كان يرى هذه الأفكار المنحرفة المستوردة تتلفح أحياناً بغطاء إسلامي، وتختلط ببعض الأفكار الإسلامية فيزيد ذلك من قدرتها على خداع وتضليل شباب المسلمين.

كما كان رحمه الله يرى كيف أن النزعة المادية والإعراض عن الحق أخذا ينتشران في البلدان الإسلامية كتيارات غالبة خطف بريقها الأبصار فأعماها عن إدراك عمق الفاجعة.

ولمواجهة هذا الواقع المأساوي الخطير، قام الأستاذ المطهري بإنجاز مجموعة من الأعمال الإصلاحية الأساسية أبرزها هي:

أولاً: الدفاع عن الحكمة والفلسفة الإسلامية وإثبات استقلالها ودحض الاتهامات التي وجّهت إليها خاصة اتهام كونها ذات منشأ يوناني.

وعلى هذا الصعيد قام (قدس سره) وبعد مقدمات تمهيدية بإثبات حقيقة أن القرآن الكريم والسنّة (الأحاديث الشريفة)، شكلا المصدر الأساسي والأول في تدوين العلوم العقلية الإسلامية لا سيما الفلسفة الإلهية.

ولو لم يكن هناك من دافع للمسلمين سوى هذين المصدرين لكانا

كافيين في تشجيع المسلمين للتوجه نحو هذه العلوم والبحث فيها بصورة فعَّالة وجادة.

لقد وردت في القرآن والسنَّة الكثير من الأحاديث السماوية عن قضايا الفلسفة الإلهية، فما هو الهدف منها؟!

هل أن الهدف هو طرح سلسلة من المسائل المستعصية التي لا يمكن حلّ رموزها لإجبار العقول علىٰ التسليم والسكوت والقبول الأعمىٰ بها؟!

أم أنَّ الهدف هو طرح دروس سامية للتدبر والتفكّر والفهم والاستلهام، وتحريك الأذهان وفتح آفاق الخوض في بحور المعارف الإلهية السامية؟!

إن القضايا الصادرة عن منابع الوحي الإلهي هي علىٰ قسمين، الأول يشمل مجموعة من الأحكام العملية التي يجب الالتزام بها لتُعطي الثمار المطلوبة منها، وفي هذا القسم لا يؤثر فهم وإدراك ماهية هذه الأحكام ومعرفتها كثيراً في الحصول علىٰ ثمارها، المهم هو العمل بها وليس معرفتها، فمن يدرك أسرارها دون أن يعمل بها لا يحصل علىٰ شيء، فيما الذي يعمل بها تعبّداً وحتىٰ دون الاطلاع علىٰ أسرارها وحكمتها يحصل علىٰ ثمارها المقررة.

وغالباً ما تكون حكمة وأسرار هذه الأحكام خارج دائرة إدراك العقل الإنساني، نعم مما لا شك فيه أنَّ اقتران المعرفة والعمل بهذه الأحكام يؤدي إلىٰ نتائج وثمار أفضل ولكن الهدف الأول هنا علىٰ

كل حال هو العمل وليس المعرفة فالتعبّد والتسليم تجاهها أمران أساسيان.

أما القسم الثاني من القضايا الصادرة عن الوحي الإلهي فهي سلسلة من المسائل النظرية والعقائدية المتعلقة بالذات الإلهية المقدسة وصفاتها الثبوتية والسلبية ـ صفات الجمال والجلال ـ، ومسائل العوالم السابقة لعالم الدنيا والتالية له، وكثرةٌ جداً هي النصوص الواردة بشأن هذه المسائل سواءٌ في القرآن الكريم أم في السنة علىٰ هيئة أحاديث أو أدعية أو احتجاجات أو خطب.

فمثلاً في نهج البلاغة ورد الحديث عنها حدود الأربعين مرة بعضها على شكل مباحث مفصلة يستغرق كل منها الصفحتين والثلاث.

وفي كتاب «الكافي» للكليني ورد أكثر من (٢٠٠) حديث شريف في أبواب التوحيد تناولت قضايا من أمثال إثبات وجود الخالق والحد الأدنىٰ من المعرفة، وصفات الجمال كالعلم والقدرة، وصفات الجلال كنفي الجسمية والتحرك وغيرها.

وكتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق هو بحدٍّ ذاته يضم بحوراً من المعرفة، فحملت حدود الـ(٤٥٠) صفحة مباحث وأحاديث تحت عنوان «التوحيد ونفي التشبيه» و(٢٠) صفحة عن (العلم والقدرة) و(١٢) صفحة عن «صفات الذات وصفات الأفعال»، و(٣٧) صفحة عن «أسماء الله» و(٢٧) صفحة في «الرد علىٰ الزنادقة»، و(٢٥)

صفحة عن «القضاء والقدر»، و(٣٥) صفحة اختصَّت باحتجاجات الإمام الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات.

وهناك مباحث أخرىٰ غير ذلك، وجميعها لم تُطرح بشكل سلسلة من القضايا التعبدية بل بصورة مطالب استدلالية تفهيميه تضم مقدمات منطقية تبنىٰ علىٰ أساسها النتائج.

في القرآن ونهج البلاغة وخطب المعصومين واحتجاجاتهم وأدعيتهم وردت مباحث عن الإحاطة الذاتية لله عز وجل وقيوميته وكونه مطلقاً لا حدَّ له، وكونه الوجود المطلق الذي لا يُحدّ بحدٍّ ولا يُقيّد بقيد لا يخلو منه مكانٌ ولا زمان، سابق للمكان والزمان، واحد دون عدٍّ، الزمان والمكان متأخران عليه، بمعنىٰ أنهما في مرتبة فعله، وجودُهُ مساوٍ لوحدته، ودليل وجوب وجوده هو عين دليل وجوب وحدانيته، مع كل شيء وليس في شيء، مع كل شيء لا علىٰ نحو التقارن، وخارج كل شيء لا علىٰ نحو الفصل والعزلة، كل شيء منه وراجع إليه، بسيطٌ لا جزءَ له، صفاته عينُ ذاته، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، أوليته عين آخريته، وظهورُهُ عين بطونه، لا يشغله شأنٌ عن شأن، كلامُهُ عينُ فعله، كلت العقول عن كنه معرفته، ومعرفته نوعُ تجلّيه في العقول جلَّ عن التجسيم والسكون والحركة والتبدل والتغيّر والمثل والضدّ والشَبَه والاستعانة بغيره.

كما وردت في القرآن أشكالٌ من الاستدلال نظير قوله تعالى:

﴿**قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ الأنبياء الآية ٢٢.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ المؤمن: الآية ٩١.

لقد بُحثت قضايا «الذات والصفات والأسماء» مفصلاً من قبل فلاسفة الشرق والغرب وعرفائهما ومتكلميهما، ضمن مناهج استدلالية كثيرة ومتنوعة، ولكن المنهج المستخدم في المتون الإسلامية، هو منهج مبتكر لا سابق له، مثلما أن القضايا المطروحة فيها لم يُطرح الكثير منها سابقاً كمعظم المسائل التي أشرنا إلىٰ عناوينها آنفاً.

كما أن مناهج الاستدلال في فلسفة ما بعد الإسلام اختلفت عما قبله، فمثلاً نلاحظ ـ خلال مرحلة ما بعد الإسلام ـ أن أساليب الاستدلال اليونانية علىٰ الأغلب التي نراها في كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد، ونصير الدين الطوسي، تختلف عن مناهج الاستدلال عند صدر المتألهين الشيرازي.

فمناهج الأخيرة مفعمة بالاستلهام من القرآن ونهج البلاغة وأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام.

المحور الاستدلالي في كتب الفارابي وابن سينا مثلاً، ينطلق من قاعدة «وجوب الوجود» في مباحث الذات والصفات وشؤون الحق تعالىٰ من وحدة وبساطة وغنىً ذاتي وعلم وقدرة وإرادة، فجميعها تُستنتج من وجوب الوجود وهذا يُبرهن عليه بدوره بنوع من «البرهان الآنّي» عبر طريق غير مباشر.

وبهذا الطريق لا يمكن دون فرض «واجب الوجود» إثبات وجود «الممكنات»، لذا فلا يمكن للعقل أن يصل عبر هذا الطريق إلىٰ الملاك في واجب الوجود.

أما في المتون الإسلامية، فقد تم الاستناد إلىٰ منطلق آخر هو ملاك وجوب الوجود، وهو إطلاق وعدم محدودية الذات المقدسة للحق تعالىٰ.

يقول الأستاذ العلامة الطباطبائي (قدس ره) في (العدد الثاني من نشرة «مكتب تشيع» مقدمة بحث روايات المعارف الإسلامية:

«هذه الإيضاحات الواردة في الفلسفة الإلهية، تحلُّ سلسلة من المسائل والمطالب التي لم تُطرح بين المسلمين من قبل ولم تكن مفهومة بين العرب، بل لم تكن أساساً معنونة في كلمات فلاسفة ما قبل الإسلام الذين تُرجمت كتبهم إلىٰ العربية بل وفي كتب حكماء الإسلام ـ من عرب وعجم ـ الذين تركوا آثاراً في هذا المجال.

وبقيت هذه المسائل علىٰ هذه الحالة من الإبهام والغموض وقام كل واحد من الشرَّاح والباحثين بتفسيره حسب ما يفهم فاتضحت بعض الشيء.

وفي القرن الحادي عشر الهجري حُلّت وفُهمت كمسألة الوحدة الحقَّة للواجب «الوحدة غير العددية».

ومسألة أن ثبوت وجود الواجب هو عينه ثبوت وحدانيته (وجود الواجب لكونه وجوداً مطلقاً فهو مساوٍ للوحدانية)، ومسألة أن

الواجب معلومٌ بالذات، وأنه يُعرف بنفسه دون واسطة، ويُعرف كل شيءٍ به وليس العكس..».

وعلى سبيل المثال لا نجد في نهج البلاغة وهو أحد المصادر الأساسية للمسلمين لا نجد أبداً ولو مورداً واحداً يُطرح فيه «وجوب الوجود» باعتباره قاعدة لتفسير وجود الممكنات، بل إن المنطلق هو من الملاك الحقيقي لوجوب الوجود، أي من حقيقة محض وجود الذات الإلهية المقدسة.

يقول الأستاذ المطهري ضمن شرحه لحديث مروي عن الإمام علي عليه السلام في كتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق:

«إن أساس البيان هنا هو أصل وجود الحق سبحانه حقيقة واقعية لا حدّ لها ولا حصر ولا نهاية فهو الواقعية المحضة التي يفتقر إليها كل موجود ويصدر وجوده منه.

نعم فالأساس والمنطق في المباحث كافة الواردة في نهج البلاغة عن الحق تعالىٰ، هو حقيقة أن الله تعالى الوجود المطلق غير المحدود الذي لا يحدّه أبداً قيدٌ ولا حد.. هو أول الأولين وآخر الآخرين..».

وهذا المنطلق الأساس الذي نجده في نهج البلاغة لا نرىٰ من آثاره شيئاً في كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي ونصير الدين الطوسي.

وكما أشار الأستاذ العلامة فإن هذه المطالب العميقة في الإلهيات بالمعنىٰ الأخص، تستندُ إلىٰ سلسلة من القضايا التي تمت البرهنة عليها في مباحث الفلسفة العامة، ولا يسعنا هنا التطرق إليها وبيان براهينها.

القضايا المطروحة في نهج البلاغة لم تكن مطروحة من قبل من قِبَلِ فلاسفة الوجود ليست وحدةً عددية، فالعدد في مرتبة متأخرة عن مرتبة الذات المقدسة، أو قضية أن وجوده تعالىٰ مساوٍ لوحدته وأنه بسيط الحقيقة، ومعيته مع كل شيء وقضايا أخرىٰ، هذا أولاً.

وثانياً فإن الاستناد في هذا الكتاب يختلف عن البحوث الفلسفية المتداولة في عالم اليوم.

وعلىٰ هذا لا نستطيع القول إنَّ ما ورد في هذا الكتاب هو من اختراعات العارفين بالمفاهيم الفلسفية.

إن لنهج البلاغة دوراً عظيماً في فلسفة المشرق، ونلاحظ هنا شدة تأثر صدر المتألهين ـ الذي غيَّر الكثير من أفكار ونظريات الفلسفة الإسلامية ـ بكلمات الإمام علي عليه السلام.

فكان منهجه في مسائل التوحيد قائماً علىٰ أساس الاستدلال بالذات من الذات، ومن الذات علىٰ الصفات والأفعال، وجميعها مستندة إلىٰ محض وجود الواجب، وهذا يستند إلىٰ سلسلة من المبادىء والأصول التي تمت البرهنة عليها في الفلسفة العامة.

إن الفلسفة الإلهية للمشرق قد نمت ببركة معارف الإسلام وبها استقوت مستندةً إلىٰ سلسلة من الأصول والمبادىء المتينة، أما الفلسفة الإلهية في الغرب فهي محرومة من هذه المزايا.

وبعد أن يستعرض الأستاذ الشهيد كل القضايا المتقدمة ويؤكد علىٰ أن طرح المباحث العميقة في الفلسفة الإلهية هو الذي فتح الآفاق الرحبة للمسلمين لا سيما شيعة أهل البيت عليهم السلام؛ يقول رحمة الله عليه:

«وعلىٰ أي حال لم تكتف المصادر الإسلامية ببحث هذه المسائل وهي من أمهات مسائل الفلسفة الإلهية، بل إنها طرحت مسائل أخرىٰ عديدة تعتبر ذروة ما يصل إليه العقل البشري ولم يسبقها إليها أحدٌ في عالم الأفكار والآراء.

فما هو الهدف من طرح هذه المسائل، إنها ليست أحكاماً وأوامر لكي نقول إن واجبنا تجاهها هو العمل بها وحسب، فهي مجموعةٌ من القضايا النظرية، فإذا كان من غير الممكن للعقل الإنساني فهمها واستيعابها فما الفائدة من طرحها؟!

كأن يطرح معلمٌ علىٰ تلميذ في الصف الأول الابتدائي مسائل تتعلق بمرحلة الجامعة، ويأمره بأن يقتنع بما يقوله رغم أنه لا يفهمه.

ويصرح حديث شريف مروي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام بأن الله تبارك وتعالىٰ أنزل سورة الإخلاص (التوحيد) والآيات الأولىٰ

من سورة (الحديد) لقوم يأتون في آخر الزمان يشير الحديث الشريف إلىٰ تعمقهم في المعارف الإلهية.

والعجيب أن النظريات الفلسفية والعرفانية الدقيقة قد أثبتت أن آيات قل هو الله أحد والآيات الأولىٰ من سورة الحديد هي الذورة النهائية للتوحيد والمعرفة.

وواقع الأمر هو خلاف ما يدّعيه البعض، فإن طرح مباحث الفلسفة الإلهية من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام وتفسيرهم وتوضيحهم لهذه المباحث خاصة في نهج البلاغة.

قد أدىٰ إلىٰ أن يصبح العقل الشيعي منذ البداية عقلاً فلسفياً وليس ذلك بدعةً في الإسلام، فهو الطريق الذي هدىٰ القرآن الكريم المسلمين إليه وهو الطريق الذي بيَّن حقائقهُ الأئمة الأطهار عليهم السلام اتباعاً لتعاليم القرآن وتفسيراً له، وإن كان هناك من تأنيب أو تقريع فهو موجَّه إلىٰ الذين لم يسلكوا هذا الطريق وضيعوا وسيلة الوصول..».

ثانياً: وبعد أن يوضح الأستاذ الشهيد حقيقة أن الحكمة (والفلسفة الإسلامية) ـ وخلافاً لما يدعيه الجهلة والمغرضون ـ لم تستورد من اليونان ولا غيرها بل هي حكمةٌ إلهية إيمانية تُبَيّنُ فيها براهين أصول دين الإسلام ومعارف القرآن العقلية بأفضل بيان.

بعد ذلك خطا (رحمة الله عليه) الخطوة الثانية التي سعىٰ فيها إلىٰ إكمال ثمرة الخطوة الأولى، وتبيان أنَّ الميراث الفلسفي للمسلمين

الذي تكامل طوال القرون والأعصار يختلف كثيراً عما لدىٰ الأقوام الأخرىٰ اختلافاً جوهرياً وأساسياً.

وإذا كان هذا الميراث قد أخذ أو اقتبس شيئاً من الآخرين، فمن نوع اقتباس الموجود الحي النشط الذي ينتفع ـ خلال نموه ـ من جميع ما حوله من سائر الإمكانات التي يرىٰ فيها موادَّ أوليَّة تساعد علىٰ نموه وظهور وتفجّر طاقاته الذاتية لا أن يصطبغ بلونها.

الأستاذ كان يستدلُّ علىٰ أن لازمة التكامل هو الاستقلال المضطرد عن المحيط والتسلط المتنامي عليه والتأثير المستمر فيه، فالموجود المتكامل هو الذي ينتفع بالوسط المحيط به لكنه لا يصطبغ بصبغته، بل إنه يستندَ إلىٰ قواه وطاقاته الذاتية، فتعامله مع ما يحيط به يكون تعاملاً فعَّالاً بنَّاءً مؤثراً في الوسط وليس تعاملاً انفعالياً متأثراً مخرّباً.

والمصايق الكاملة لهذا النمط من التعامل نجده في سلوكيات وحياة أولياء الله، ونقيض ذلك نجده في سلوكيات الذين خرجوا من دائرة الإنسانية وظهروا بسلوكية الحيوانات.

الطائفة الأولىٰ نجدهم قد تركوا أقوىٰ التأثيرات في محيطهم وأوجدوا أفضل التغييرات فيه لكنهم ورغم انتفاعهم بإمكانات محيطهم لم يتلوثوا بسلبياته وخبائثه وكأنهم يخوضوا البحر دون أن يبتلّوا.

أما الطائفة الثانية فقد خضعوا لتأثيرات محيطهم الخارجي إلىٰ درجةٍ فقدوا معها استقلاليتهم بدرجة كاملة، يتلونون بلونِ ما كل

حين، ويسعون إلىٰ التلوّن بألوان الآخرين فراراً من فضيحة فقدان الشخصية المستقلة.

لقد نجحت العلوم العقلية الإسلامية ـ واعتماداً علىٰ قدراتها الذاتية ـ في مواجهة الثقافات القوية للشرق والغرب، والحفاظ علىٰ هويتها الإسلامية النقية.

بل واستطاعت الانتفاع بإنجازات الآخرين الجيدة وجذبها وهضم العناصر الإيجابية في آراء الآخرين وتوسيعها وتنضيجها، وفي الوقت نفسه حفظ الصبغة الإلهية وزيادة تألقها وتجليها وهي ضمانة وحدة الفلسفة الإسلامية وقوامها وعلّة دوامها.

وبملاحظة أن الفلسفة هي معرفةٌ عالميةٌ وليست حكراً علىٰ قوم ما قام حكماء المسلمين ـ وإضافة إلىٰ طرحهم مسائل فلسفية جديدةً لم يسبقهم إليها أحدٌ وقد توصلوا إلىٰ سبل حلٍّ عميقة بديعة لها ـ.

قاموا بغربلة المسائل الفلسفية القديمة ونقدها وتحسين براهينها وتكميلها وأبطلوا في بعض الموارد الاستنتاجات غير الصحيحة للسابقين وقدموا بدلاً عنها استنتاجات جديدة متينة قوية، وبعد إجراء كل هذه المراحل من الغربلة والنقد وسمحوا لها بالورود إلىٰ دائرة الحكمة الإسلامية.

يقول الأستاذ المطهري حول مسائل الفلسفة الإسلامية:

«حسب دراستي لها من الوجهة التأريخية تصنف مسائل الفلسفة الإسلامية ضمن أربعة أقسام:

١ ـ المسائل التي بقيت على صورتها الأولى ـ تقريباً ـ والتي تُرجمت إليها، فاحتفظت بصورتها دون تصرف ولا تغيير ولا إكمال.

٢ ـ المسائل التي أكملها فلاسفة الإسلام بصورة قوَّت أسسها والبرهنة عليها، كأن غيَّروا براهينها أو أضافوا إليها براهين أخرىٰ، ومعلومٌ أن لتكثير البراهين قيمة كبرىٰ في الفلسفة وخلافاً للرياضيات.

في الرياضيات يعتبر تكثير البراهين نوعاً من التفنن الفكري كالذي فعله الخواجة نصير الدين الطوسي والآخرون في شرح «تحرير إقليدس»، حيث برهنوا علىٰ المسألة بطرق مختلفة؛ ولكن بساطة مفاهيم الرياضيات تجعل الأذهان تقنع ببرهان مقنع واحدٍ عليها.

أما في الفلسفة فالأمر يختلف، إذ إن طرق إثبات مسائلها أشبه بالطرق الوعرة والمنعطفات، فلبعض الأذهان يسهل العبور من طريق ويتعذر من طريق آخر، من هنا فإن لتكثير البراهين والاستدلالات قيمة كبيرة في مسائل الفلسفة.

٣ ـ المسائل التي وإن احتفظت بعناوينها القديمة إلا أن مضمونها ومحتواها قد تغيّر بالكامل وأصبح شيئاً آخر؛ فالذي تم إثباته وتأييده في مرحلة الفلسفة الإسلامية هو غير ذلك الشيء الذي يحمل الاسم والعنوان نفسيهما في الفلسفات القديمة.

٤ ـ المسائل التي تحمل اسماً وعنواناً جديدين، بمعنىٰ أنها لم تكن مطروحة أساساً قبل الإسلام، وطرحت في العالم الإسلامي».

وإضافة إلىٰ تصرفهم وتصحيحهم وإدخالهم آراءً مبتكرة كثيرة علىٰ مسائل الفلسفة العامة، قام حكماء المسلمين بتغيير الشكل الظاهري لهذه المسائل ونظموا ورتّبوا مطالبها ورتّبوا لها أبواباً وفصولاً وفروعاً في الكتب الفلسفية وأخرجوها بصورة أكثر وأفضل تنظيماً من جهة الترتيب المنطقي وأسهل منهجية في التعلم.

ومن بين تلك الأقسام الأربعة للمسائل الفلسفية فإن التي تشكل العمود الفقري للفلسفة الإسلامية ـ حسب تعبير الأستاذ الشهيد ـ هي المسائل المستحدثة وليدةُ نبوغ وإبداع حكماء المسلمين الذي لا نظير له.

وهذه من المسائل الفلسفية هي التي شكلت عماد وأساس الكثير من المسائل الفلسفية الأخرىٰ؛ وبعض هذه المسائل المبتكرة هي كما يحددها الأستاذ (رحمة الله عليه):

«قضايا الوجود الأساسية؛ يعني أصالة الوجود، وحدة الوجود، الوجود الذهني، أحكام العدم، امتناع إعادة المعدوم، وكذلك مسألة الجعل، ملاك احتياج الشيء إلىٰ علّة، اعتبارات الماهية، المعقولات الفلسفية الثانية، بعضٌ من أقسام التقدم، أقسام الحدوث، أنواع الضرورات، والمحاولات (الامتناعات) والإمكان، بعضٌ من أقسام الوحدة والكثرة، الحركة الجوهرية تجرد النفس الحيوانية، التجرد البرزخي للنفس الإنسانية إضافةً إلىٰ التجرد العقلي، جسمانية حدوث النفس وروحانية بقائها، الفاعلية بالتسخير، وحدة النفس والبدن، نوع تركيب المادة، صورة الوحدة في كثرة قوىٰ النفس، عودة ارتباط

المعلول بالعلة وفق إضافة إشراقية، المعاد الجسماني البرزخي، البعد الرابع للزمان قاعدة بسيط الحقيقة، العلم البسيط الإجمالي في عين الكشف التفضيلي.

وأما في المنطق، فهناك تقسيم العلم إلىٰ تصورٍ وتصديق ويبدو أن هذا التقسيم تم للمرة الأولىٰ علىٰ يد الفارابي، وهناك القضايا الاعتبارية، تقسيم القضية إلىٰ خارجية وذهنية وحقيقية وهو من أهم المسائل المنطقية وأكثرها قيمة وقد تم للمرة الأولىٰ علىٰ يد أبي علي بن سينا، تكثير الموجّهات الذي أثمره التعمق والتحقيق في «القضية المطلقة» لأرسطو، فمثلاً طرح القضية العرفية العامة التي ذكر الخواجة نصير الدين الطوسي أنَّ أول من عنونها هو فخر الدين الرازي.

وكذلك الحال مع تقسيم القياس إلىٰ اقتراني واستثنائي وكذلك مع تبيان أن نقيض القضية المركبة الجزئية هي القضية الحملية مرددة المحمول، خلافاً لما توهمه القدماء من أن نقيضها هي القضية المنفصلة المانعة الخلو المركبة من نقيضي الجزءين الأساسيين، تبيان نوع آخر من عكس النقيض غير النوع المعروف، التفكيك بين القضية السالبة الطرف عن القضية المعدولة الطرف».

ومفهومٌ أن هذا الفهرس الذي يقدمه الأستاذ إنما يوضح قسماً من المسائل التي استحدثتها الفلسفة الإسلامية، وهو نموذج يوضحُ ضخامة الجهود التي بذلها حكماء المسلمين المبدعين حيث طرح كلٌ منهم بدوره مسائل متعددة في الحكمة الإسلامية.

وأبرزهم المرحوم الملا صدر المتألهين الشيرازي الذي ابتكر وحده عشرات المسائل الفلسفية الجديدة التي لم يطرح حتىٰ اسمها إلىٰ زمانه.

ثالثاً: وضمن دفاعه عن تطوير العمل العقلي ومعارضته الجمود الذهني والتيارات التي تجمد عمل العقل، كان المرحوم المطهري يسعىٰ إلىٰ فتح أبواب الاجتهاد الدؤوب في مجال تقديم الحلول للمسائل المستحدثة، استناداً إلىٰ المعلومات والعلوم الموجودة، وحلِّ المعضلات الجديدة في مختلف شؤون الحياة الفكرية للمسلمين، ويشجُع علىٰ إجراء التحقيقات الفكرية العميقة.

في مقالة حملت عنوان (حق العقل في الاجتهاد) يقول (رحمة الله عليه):

«.. إن العلم هو مفتاح الدين، فإطار المعارف والمقررات والأحكام الإسلامية واسع يشمل مختلف شؤون الحياة الإنسانية، ومعلومٌ أننا نستطيع الانتفاع أكثر من فيض التعاليم الإسلامية في كل قسمٍ من شؤون الحياة الإنسانية عندما نكون عارفين بالأصول العلمية المتعلقة بهذا القسم.

لو كان الاطلاع علىٰ اللغة العربية كاياً في فهم الدين لكان أي من عوام العرب يفهم من المعارف الدينية بالمقدار نفسه الذي يفهمه الحكيم الإلهي..

.. نظراً لكون أن الأحكام الإسلامية شملت كافة شؤون حياة

المجتمع الإنساني، وهي أحكام وتعاليم تستند إلىٰ الحكمة وليست عبثيةً وهذا ما يقتضيه أصل «العدل» المعروف، من هنا فإننا نكون أقدر على فهم وإدراك لغة الوحي الإلهي، من خلال مطالعة واقعيات وحقائق تلك التعاليم التي سُجّلت على مدىٰ قرون طويلة بصورة علوم مدوّنة. .

. . هناك مقررات وأحكام في الإسلام ترتبط بصورة أو بأخرىٰ بالاقتصاد أو الاجتماع أو الحكم أو السياسة، وقد اتضح الآن أنها مقررات يقينية وقواعد ثابتة حتمية التأثير، ومع وضوح هذه الحقيقة فكيف يمكن لأحد أن يدَّعي القدرة علىٰ إدراك مقاصد الإسلام وأهدافه تجاه هذه المجالات، بدون معرفة تلك الأصول والقواعد، فضلاً عن ادعاء القدرة علىٰ تبليغها للعالمين باعتباره أسمىٰ التعاليم الاجتماعية.

ولو استطاع أحد العوام الذي لم يعرف شيئاً من الفلسفة الإلهية أن يفهم الآيات والأحاديث الواردة في التوحيد والمعارف الربوبية بمستوىٰ فهم الفيلسوف الإلهي نفسه، العارف بالأصول والمبادىء العقلية، لاستطاع عندها جاهلٌ أن يفهم آراء الإسلام تجاه القضايا الاجتماعية بالصورة نفسها التي يفهمها عالمٌ اجتماعي متخصص».

رابعاً: لقد سعىٰ المرحوم المطهري إلىٰ الحيلولة دون تكرار مأساة الجمود علىٰ الآراء الفلسفية لصدر المتألهين الشيرازي واعتبار فلسفته بأنها الفلسفة الإسلامية ولا فلسفة بعدها.

ولتحقيق هذه الغاية سعىٰ الأستاذ المطهري إلىٰ التأكيد علىٰ أهمية التحقيقات والنشاطات العقلية والخوض والتعمق في المعارف الإسلامية وأفكار وآراء سائر المدارس الأخرىٰ، كما كان يشجع كثيراً علىٰ التفكير النقدي والدراسة التحقيقية الناقدة لآراء المتقدمين في العالم الغربي ومع استقرار حاكمية الكنيسة في القرون الوسطىٰ ورواج الأفكار التي طرحها رعاة الكنيسة باعتبارها تمثل الديانة المسيحية، ظهرت حالةٌ من التوجه للفلسفة للاستعانة بها للدفاع عن آراء رعاة الكنيسة ومحتويات الإنجيل ومواجهة الأفكار المعارضة للمسيحية.

وعلىٰ مدىٰ قرون عدة كان المسيحيون يستعينون بآراء أفلاطون للبرهنة علىٰ عقائدهم، لكنهم شيئاً فشيئاً أعرضوا عنها عندما اتضح تناقض النظام الأفلاطوني مع الأفكار المسيحية، فتوجهوا إلىٰ آراء «أرسطو» التي بدأت تصل إليهم عبر ترجمة مؤلفاته في القرن الثاني عشر الميلادي وكذلك من خلال الشروح التي كتبها الفلاسفة المسلمون علىٰ آراء «أرسطو».

وقد استطاع كبار مفكري المسيحية من أمثال «ألبرت كبير» و«سن توماس أكونياس» من الربط بذكاء بين فلسفة أرسطو وبين العقائد المسيحية بحيث استطاعوا جعل آراء أرسطو مسيطرة على العالم المسيحي وأصبحت آراؤه حجة ومخالفتها مخالفة للمسيحية.

ولو كان مفكرو المسيحية إلىٰ ما قبل القرن الثالث عشر الميلادي يسعون للبرهنة علىٰ انسجام عقائدها مع الأصول العقلية، فإنهم بعد

هذا القرن الذي شهد سيطرة آراء أرسوط على العالم الغربي، أخذوا يسعون للبرهنة على انسجام عقائد المسيحية مع آراء أرسطو.

وتطور وانتشر هذا الاتجاه بين المسيحيين إلى درجة أصدر معها «البابا لويس الثالث عشر» دستوراً أصبحت بموجبه «فلسفة سن توماس أكونياس» ـ وهي أفضل شروح آراء أرسطو في العالم الغربي ـ «الفلسفة الرسمية الصحيحة الوحيدة»، وأصبح تدريسها أمراً إلزامياً في المدارس الكاثوليكية كافة وأصبحت لنصوص (سن توماس) في شرح نصوص الإنجيل حجية الإنجيل نفسه بل أكثر، حتى أصبح انتقادها علامة لعدم الإيمان والإرتداد عن الدين.

وما زال الأمر على هذا المنوال بين المسيحيين الكاثوليك وقد لاحظنا كيف أن الفيلسوف «راسل» تعرض لتلك الاعتراضات والاحتجاجات العنيفة كلها من قبل المسيحيين، واتهموه بالسعي لإضعاف الأصول الدينية، وكل ذلك لأنه انتقد بعض آراء أرسوط خلال برنامج إذاعي.

وعلى أي حالٍ، فقد أدّى جعل فلسفة أرسطو الفلسفة الرسمية في العالم المسيحي وحصر حق تفسير نصوص الإنجيل بها، إلى تجميد الفكر المسيحي بالكامل.

إذ إن أي فلسفة تظل حيَّة مثمرةً ما دامت تتعرض للنقد والتفسيرات ومهاجمتها، وكذلك ما دامت قادرة على التوسع والتكامل والنمو من خلال إجراء الجرح والتعديل والاستجابة للصور

المتغيرة بحكم تغيرات الزمان، مع الحفاظ علىٰ أصولها ومبادئها الثابتة.

أما عندما يصبح نقدها أمراً ممنوعاً، وينحصر الرد علىٰ المنتقد باستخدام العصا والإبعاد، وعندما يُدعىٰ العوام إلىٰ التقليد الأعمىٰ لها ويُمنعون من التفكير، فإن من اليقين أن الشك سيتسلل إلىٰ اعتقادت أتباعها وستنهدم أركان الإيمان بها، ولن يبقى منها سوىٰ الأثر التاريخي لا أكثر.

وقد شاهدنا في التاريخ الإسلامي أنه وبعد رواج أفكار الأشاعرة ـ بين أهل السنة ـ وإبعاد المعتزلة عن ميادين الفكر والسياسة، ظهرت علائم بارزة لضعف الحياة الفكرية، وتأخر نضوج المعارف العقلية وتطورها وكانت النتيجة هي خفوت شعلة هذه المعارف بينهم.

علىٰ الرغم من الجهود التي بذلها بعض علمائهم للحيلولة دون ذلك، وهذا الأمر أدىٰ إلىٰ تلك المواقف الانفعالية الضعيفة التي واجه بها مفكرو عامة المسلمين هجوم الحضارة الغربية علىٰ ديارهم، وحتى تلك الثلة من المفكرين المسلمين التي أدركت عظمة أخطار الهجوم الحضاري الغربي لم تستطع مع الأسف ـ بسبب فقدانها الإمكانات الفكرية القوية ـ تشكيل سدٍّ منيعٍ في مواجهة هذا السيل العارم.

أما في العالم الشيعي، فلم يتمكن هذا التيار التجميدي التحجيري من الظهور بالقوة التي تسيطر علىٰ الحركة الفكرية وتجمّدها، وسر

ذلك يرجع إلىٰ الارتباط بأئمة أهل البيت عليهم السلام فهؤلاء هم أكبر الدعاة إلىٰ الفكر النقدي، والمشجعون علىٰ تطوير وتنمية الجانب العقلي، والمانعون الرافضون للتعصب الأعمىٰ والتقليد الجاهلي.

لقد أصبحت الروح الاجتهادية وخاصية التفقه بمعناها العميق المعبّر عن البصيرة بالحقائق وتجاوز ظواهر الأمور إلىٰ بواطنها، أصبحت طبيعة ثانيةً في هؤلاء العظماء.

وكانت ثمرة كل ذلك أن لا نجد بين مفكري هذه المدرسة من يدّعي أن فهمه وتفسيره للنصوص هو وحده التفسير المعتبر والحقيقي، وسائر التفاسير غير صحيحة، أو أن آراءه هي فقط المنسجمة مع حقائق عالم الوجود.

إن ظهور منهجية السير والسلوك العرفاني بين الشيعة، وتعاملهم الفعّال النشط مع المسائل الفلسفية الحكمية، وانتفاعهم من كنوز المعرفة العظيمة لأهل البيت عليهم السلام، قد أدىٰ إلىٰ نمو وترعرع العلوم العقلية بينهم وتطورها بصورة محيّرة، فترسخت بهمّة مفكريها شجرة المعرفة وامتدت جذورها وتكاثرت فروعها.

وقد استمر تيار السلوك الفكري إلىٰ القرن الحادي عشر الهجري، حيث ظهر الحكيم المتألّه الأستاذ الملا صدر الدين الشيرازي (رضوان الله تعالىٰ عليه).

وعلىٰ عهد هذا النابغة وببركة نبوغه الإعجازي امتزجت فروع المعرفة المختلفة من عرفان وتصوّف وفلسفة وعلم كلام وغيرها،

وشكلت في بوتقة واحدة فلسفيةً فريدةً هي التي سُمّيت «الحكمة المتعالية».

وقد اقترن ظهور هذه الفلسفة المتطورة التي تضم ذرىٰ المعارف الإسلامية السامية، ببدء مرحلة التخلف المادي والمعنوي للمسلمين وضمور الحركة الفكرية بينهم، وقد أدّىٰ هذا التزامن إلىٰ إيجاد ظاهرتين هما:

أ: توهم بعض المفكرين والمثقفين أن الفلسفة الإسلامية قد وصلت إلىٰ ذروة تكاملها، فلا سبيل بعد ذلك إلىٰ إبداعات جديدة، وهي فقدت القدرة علىٰ إعطاء ثمرات جديدة، لأن ظهور «الحكمة المتعالية» قد نقل عملياً جميع أقسام المعارف التي تشكل بالقوة دائرة الفلسفة الإسلامية إلىٰ مرحلة الفعل، فلا إمكانية بعد ذلك إلىٰ تصور توسّعها وتكاملها ونموها.

واستناداً إلىٰ هذا أعلن أولئك المفكرون أن أي شكلٍ من أشكال النمو والتوسع والتكامل في الفلسفة الإسلامية أصبح أمراً محالاً منطقياً، أي أنهم في الحقيقة أعلنوا نهاية تاريخ الفلسفة الإسلامية بلغة واضحة يفهمها الجميع[١].

---

(١) لا يخفىٰ أن إعلان وصول الفلسفة الإسلامية إلى نهايتها ليس أمراً جديداً، وقد صدر هذا الخطأ في السابق من قبل المستشرقين المتسرعين الذين لم تسنح لهم فرصة التعمق في آراء الفلاسفة المسلمين، أو من المستشرقين المغرضين الذين سعوا علىٰ الدوام إلىٰ التعتيم علىٰ الحقيقة.

فإلىٰ فترة قريبة كانت معظم كتب تاريخ الفلسفة الإسلامية التي ألفها الغربيون، تصرح بأن الفلسفة الإسلامية قد بلغت نهايتها على عهد ابن رشد الذي شرح آراء أرسطو، =

ب : أما الظاهرة الثانية فهي النزوع إلىٰ تثبيت فلسفة «الحكمة المتعالية» باعتبارها الفلسفة الرسمية للدين الإسلامي، وبعبارة أخرىٰ تكرار التجربة نفسها المرة للعالم المسيحي تجاه جعل فلسفة أرسطو وشرَح (سن توماس آكونياس) لها، الفلسفة الرسمية للمسيحية.

ولقد حارب الأستاذ الشهيد المرحوم المطهري كلا هاتين الظاهرتين بطريقة جذرية، وبأسلوب ذكي مبتكر أصاب عدة أهداف بحجر واحد.

فردَّ على أصحاب كلا الاتجاهين المتقدمين، بل وغيرهما من المعارضين لكل تفكير فلسفي.

والرافضين للاستفادة من وسيلة الفلسفة في فهم الحقائق وكشف الأسرار ودحض ادعاءات المدعين، وقد أنجز الأستاذ المطهري هذه المهمة، بجدارة كاملة ونجاح تام[1].



= أو علىٰ ابن سينا، وأن من تلاهما من فلاسفة المسلمين لم يقوموا بأكثر من شرح آراء السابقين لهم فلم يأتوا بجديد، وإذا أردنا أن نحس الظنّ بالغربيين فإن هذا القول نتيجة جهلهم بالمسار التكميلي للفلسفة الإسلامية خاصة في إيران، ولكن حسن الظن بالمستشرقين فيه الكثير من السذاجة والبساطة.

(١) نقلاً عن مجلة سروش.

مؤسسة حسينية «الإرشاد»

يضم هذا الفصل مجموعةً من الملاحظات ومسودات ورسائل كتبها الأستاذ الشهيد ضمن أوراقه الخاصة عن مؤسسة حسينية الإرشاد، أهم مؤسسة دينية تبليغية ساهمت بقسطٍ وافر في نشاطات الثورة وتربية قواعدها الجماهيرية ونحن نثبت هنا هذه الوثائق علىٰ حالها دون تصرف حفظاً لقيمتها التأريخية، ونلفت انتباه القراء إلىٰ أن بعضها «مسودات» كما أشرنا، لذا تشمل أحياناً بعض التكرار والتعديلات من قبل الأستاذ نفسه، تمثل تطويراً في بلورة بعض الأفكار.



منهاج العمل في حسينية إرشاد

منهاج عمل المؤسسة الخيرية في حسينية الإرشاد للتعليم والتحقيق العلمي والديني:

الهدف العام لهذه المؤسسة هو تقديم الخدمات الدينية والعلمية من أجل نشر وتبليغ الإسلام وتقوية هذا الدين المقدس.

والمؤسسة تسعىٰ لتحقيق هذا الهدف العام عبر الإجراءات المذكورة لاحقاً وهي تضع أمر متابعتها نصب العين فلا تنحرف عنه أبداً، والإجراءات هي:

١ ـ دعوة الخطباء العلماء وذوي الكفاءة الإسلامية، لإلقاء المحاضرات التربوية المستندة إلىٰ البراهين والمتناسبة مع المستوىٰ الفكري للفئة المتعلمة.

وتُلقىٰ هذه المحاضرات بصورة دورية أسبوعياً أو بما يتناسب مع أيام الاحتفالات أو مراسم العزاء الدينية، شريطة أن تكون هذه المحاضرات قادرة علىٰ تقديم نماذج الأسوة الصالحة من جميع الجهات ويمكن الاستفادة منها عملياً وتكون مورداً للثقة والاطمئنان وتستطيع إيجاد تحولٍ في المحاضرات الدينية بصورة عامة.

٢ ـ دعوة العلماء المقتدرين والشخصيات الصالحة في البلد لإقامة

الندوات العلمية والفلسفية والتأريخية والأدبية في حدود الحقائق المرتبطة بالدين الإسلامي المقدس، ويشترط في المدعوين أن لا تكون لهم سابقة سيئة من وجهة النظر الإسلامية.

٣ ـ طبع المحاضرات والندوات ونشرها بهدف تعميم الفائدة وإكمال الاستفادة منها.

٤ ـ إيجاد «قسم الإجابة علىٰ الأسئلة»، وشُخّت ضرورته بلزوم التعرف الصحيح والكامل علىٰ الاحتياجات الفكرية والأخلاقية للمجتمع خاصة الشباب منه وإشكالاتهم والقضايا والعقد التي تشغل أذهانهم لكي يمكن عبر ذلك معرفة الإجراءات اللازمة في هذا الصدد.

ويجب أن تدوَّن هذه الأسئلة وتحفظ في قسم خاصٍ بها، وتُشكل لها ملفات حول إجراءات الإجابة عليها إما بصورة تحريرية أو عبر المحاضرات.

٥ ـ تأسيس «قسم التحقيقات الإسلامية»، ويُنجز هذا القسم مهماته علىٰ دائرتين:

أ: التحقيق في القضايا الإسلامية، خاصةً في المسائل التي يحتاجها العصر. وتضم هذه الدوائر الكثيرة من القضايا الراهنة فلسفية واجتماعية واقتصادية وتأريخية وعلمية، وتندرج دراسة الأديان الأخرىٰ أو التيارات المعادية للإسلام ضمن هذه الدوائر.

ب: الدراسات الاجتماعية حول التيارات التي يشهدها المجتمع وترتبط بالدين، وتشمل هذه الدائرة التحقيق حتماً حول المنشورات

والنشاطات والإجراءات التي تؤدي إلىٰ تقوية أو إضعاف العقائد الدينية في المجتمع، وترتبط مكتبة المؤسسة بهذا القسم.

٦ ـ تشكيل الدروس التعليمية في مختلف الفروع العقائدية والأخلاقية والفقهية والأدبية وغيرها، وتُشخص ضرورة هذه الدروس من واقع أن الثمار المتحصلة منها لا تتحصّل من المحاضرات والندوات ومطالعة الكتب.

وتعتبر دروس الحج التعليمية التي عُقدت في شهر رمضان عام (١٣٧٨ هـ.ق/١٩٥٨م)، نموذجاً أولياً في هذا المجال.

٧ ـ المبادرة إلىٰ إقامة الشعائر والبرامج الإسلامية الاجتماعية بصورة نموذجية، كإنشاء «قافلة الحج النموذجي»، أو إقامة رحلات الزيارة الجماعية وغير ذلك، وتعتبر قافلة الحج لحسينية الإرشاد عام (١٣٧٨هـ.ق/١٩٥٨م) النموذج الأول في هذا الصدد.

٨ ـ تأسيس المراكز الثقافية الاجتماعية، كرياض الأطفال، والمدارس الابتدائية والثانوية ومعاهد التعليم الحرفي أو الفني وغير ذلك.

٩ ـ تأسيس مراكز النشاطات الخيرية كالمستوصفات والمراكز الطبية وغيرها.

١٠ ـ إقامة النشاطات السالمة والمفيدة في المجال الاقتصادي بهدف توسيع موارد ميزانية المؤسسة وتطوير إمكانياتها في مختلف نشاطاتها المذكورة آنفاً.

وقد تمَّت مناقشة هذا المنهاج العملي بتاريخ (. . .)[١] خلال اجتماع حضره أعضاء هيئة الإدارة وهيئة المستشارين وبعد البحث فيه مفصلاً تمت المصادقة عليه.



الصديق المكرم حضرة السيد «همايون» أدام الله أيامه

أُرسِل لكم استقالتي مع هذه الرسالة دون أن أحيطكم علماً بها مسبقاً؛ أعذرني علىٰ العبارات العنيفة والانتقادات الصريحة الواردة فيها، أعلم أن جميع الأصدقاء سيتأذون من لغتها الصريحة، وقد تعمدت أن أجعل الجميع يتأذون، إذْ أردت أن أكتب الاستقالة بصورة أسدُّ معها طريق الرجعة.

أي أُخرّب الجسور خلفي حسب ما يُصطلح، لقد كتبتها بلغة تجعلني أصل إلىٰ هدفي في قبولها بصورة أسرع من خلال ذلك، فأستريح بقطع العمل مع الشخص الذي كان علىٰ الدوام يؤذي روحي.

وعلىٰ أي حالٍ أسألكم العذر ثانيةً وأن تبلغوا سلامي لجميع الأصدقاء.

مرتضىٰ المطهري

٢٧/ ١٠/ ١٣٤٧هـ.ش/ ١٣٨٨ هـ.ق/ ١٩٦٨م)

---

(١) من المصدر.

نص الاستقالة

حضرة السيد محمد همايون ـ رئيس الإدارة المحترمة في حسينية الإرشاد:

ضمن تقديم غاية الشكر لمقامكم السامي علىٰ أشكال الألطاف المخلصة التي أحطتم بها هذا العبد.

ومع الاطلاع الكامل علىٰ توافر كامل النقاء وإخلاص النية وعلو الهمة في جنابكم أنتم المؤسس الحقيقي لهذه المؤسسة الإسلامية (حسينية الإرشاد).

ومع تقديم كامل الاعتذار، أقدم لكم استقالتي هذه من عضوية هيئة إدارة حسينية الإرشاد بعد أن تحققت عملياً إحدىٰ توقعاتي الصريحة؛ فلم يبق لديَّ شكٌّ في أن الأساليب غير المنضبطة والقرارات الفردية للسيد (. . .) ستجرُّ هذه المؤسسة إلىٰ السقوط الحتمي، وتحول الآمال التي بعثتها نشاطاتها في جيل الشباب، إلىٰ نوع من الضياع بل وسوء الظن بكل مؤسسة دينية.

ولا شك بأن هدف الشخص المذكور يختلف تماماً عن الأهداف المقررة في النظام الداخلي للمؤسسة وعن طموحات مؤسسها الخيّر، وسائر الخيرين الذين حازوا افتخار الخدمة في المؤسسة.

وأوضح دليل علىٰ هذه الحقيقة هي معارضة المذكور، والعراقيل التي يُثيرها بوجه كل شكلٍ من أشكال توزيع المسؤوليات وتثبيت الضوابط الداخلية للعمل، وضد كل إجراء مفيد وعميق يلبي

احتياجات الفئة المتعلقة، يُضاف إلىٰ ذلك ميوله الحادة لتحويل المؤسسة إلىٰ مؤسسة فارغة يلفّها الضجيج.

ولكوني أرىٰ أن هذا المرض غير قابل للعلاج، أجد أن الخدمة الوحيدة التي أستطيع تقديمها لهدف المؤسسة، هي الامتناع عن التعاون والعمل مع المشار إليه وإلىٰ الأبد، وأن أعلن ذلك جهاراً.

وفي الوقت نفسه آملُ أن تتغلب حسن نوايا مؤسس المؤسسة ومعاونيه الخيّرين وبواطنهم الإسلامية علىٰ الأفكار الشيطانية، داعياً الله تعالىٰ أن يحظ برعايته هذه المؤسسة من اللسعات الشيطانية.

أرجو اعتبار استقالتي هذه نهائية والامتناع عن معاودة مراجعتي بشأنها تجنباً لإثارة الخجل.

كما أرجو الإسراع في انتخاب عضو آخر، وإبلاغ المراجع القانونية بهذه الاستقالة، وإذا رأيتم لزوم أن أبلغ هذه الاستقالة للمراجع القانونية بنفسي فيرجىٰ إبلاغي لكي أقدم علىٰ ذلك سريعاً.

ضمناً وبملاحظة تحملي شخصياً مسؤولية الإشراف علىٰ طبع مقالات كتاب «محمد خاتم الأنبياء»، وحيث تهيأت مقدمات طبع الجزء الثاني منه وسيبدأ الطبع الأسبوع القادم، فإني سأشرف علىٰ ذلك.

أسأل الله تعالىٰ التوفيق لجنابكم وسائر الإخوة الخيّرين في المؤسسة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مرتضى المطهري

٢٧/ ١٠/ ١٣٤٧ هـ.ش/ ١٩٦٨م

الهيئة المحترمة الإدارية والاستشارية لحسينية «الإرشاد»

إلحاقاً باستقالتي المؤرخة في (٢٧/ ١٠/ ١٣٤٧هـ.ش/ ١٩٦٨م) من عضوية الهيئة الإدارية لحسينية الإرشاد، وفي أعقاب المباحثات والألطاف التي أحاطتني بها الهيئة المحترمة، وافقت استجابة لأمرها على الاشتراك ـ بصورة مؤقتة ـ في الاجتماعات التي قررت عقدها الهيئة الإدارية والاستشارية الموقرة، من أجل تحقيق التنظيم الداخلي للمؤسسة . . .

إلحاقاً[1] باستقالتي المؤرخة في (٢٧/ ١٠/ ١٣٤٧هـ.ش/ ١٩٦٨م) من عضوية الهيئة الإدارية لحسينية الإرشاد، أُبلّغُ الهيئة المحترمة بأنه ونظراً لأن الرئيس المحترم لهذه الهيئة لم يرَ صلاحاً في طرح موضوع الاستقالة حالياً، وأعتبر أن العلة الأساسية للاستقالة تكمن في عدم الارتياح من تأخير المصادقة على النظام الداخلي للمؤسسة والالتزام بالعمل به . .

ونظراً لأن الرئيس المحترم وأعضاء الهيئة الموقرة قد طلبوا مني الاشتراك حالياً في الاجتماعات التي تُعقد لمعالجة العلة المتقدمة . .

فإني أطعتُ أمر السادة الموقرين واشتركتُ واشترك في الاجتماعات المذكورة، ولكني أرى ـ مع كامل الأسف ـ هذه المؤسسة العظيمة في حال الانهيار لأن الأمراض الموجودة فيها أراها متفاقمة ومتأصلة وخطيرة للغاية.



(١) واضح أن هذه مسودة الرسالة وتكرار الصيغة فيها هو من أجل التعديل.

علل استقالتي «مرتضى المطهري»

١ ـ لقد كتبتُ استقالتي عن تفكير وحساب، أي أنَّ لها مبررات.

٢ ـ العزلة عن الاشتراك في عملٍ ما لا تدلُّ بالضرورة علىٰ خصومة شخصية بل إنها هنا تدلُّ علىٰ عدم إمكان العمل مع أطرافه.

٣ ـ إنني أعتقد باستحالة التعاون والعمل مع السيد (. . .)[1] في الوقت الحاضر، لمبررات عدة.

أ: إن طبيعة تفكيرنا وهدفنا يختلف تماماً عن ما لدىٰ هذا الشخص، وهذا الأمر ينسحب بطبيعة الحال علىٰ أساليب الوصول إلىٰ الأهداف من خلال المؤسسة.

نحن نريدُ أن نجعل هذه المؤسسة محلاً لعرض الإسلام بالصورة القادرة علىٰ تلبية الاحتياجات الفكرية الراهنة والمستقبلية وعلىٰ مستوى عال، أما المشار إليه فيريد أن يجعل هذه المؤسسة محلاً للتشريفات الظاهرية المصحوبة بالضجيج ويديرها وفق الفوضى والانفعالات.

إنه عملياً يؤيد الاستجابة الكاذبة للعواطف ويعارض كل ما له علاقة بالمنطق والعمل العقلي ويثير العراقيل في هذا المجال، وهذا المبرر وحده يكفي للانفصال.

ب: المبرر الثاني لاستحالة العمل المشترك معه، يكن في ميليه الحادّ لإدارة جميع الأعمال بنفسه ودون تدخل الآخرين، فهو يرىٰ المناقشة والمشاورة أمراً تشريفياً شكلياً محضاً.

---

(١) من المصدر.

شأنه في ذلك شأن مداولات ومشاورات مجلس الشورىٰ الوطني، الشكلية والخالية من أيِّ روح، وإني أرفضُ أن توضع في يد شخصٍ واحد، جميع الأعمال من الاستخدام إلىٰ شؤون المكتب والحسابات وإمضاء الصكوك وإدراك الاجتماعات وتعيين الخطباء والوعّاظ المدعوين، وإجراء المقابلات التلفزيونية والتحقيقات الصحفية وغير ذلك، فمثل هذه الحالة تقود المؤسسة إلىٰ الانهيار والسقوط الحتمي كما أعتقد.

ج: إن من خصوصياته الأخلاقية بل و«كفاءاته» البارزة هي صنعة «التبرير»، فهو يختلق مبررات لكل انحراف وكل خطأ، وبديهيٌّ أن من المحال العثور علىٰ مبرر صحيح لكل أمر.

وبسبب ذلك فإن منطقَهُ مملوء بالأكاذيب والمُختلقات، وهذا نقصٌ كبير في كل شخص يريد الاشتراك في إدارة أي مؤسسة دينية، بل إنه يعتبر تبليغاً مضاداً للإسلام.

د: ومع الأسف فإن من عيوبه الأخرىٰ عدم حفظ الأسرار ـ المباحثات والمعلومات السرية تشكل سراً مصوناً للأفراد لا يجوز كشفها ولكنه رغم ذلك يطلع عليها الأطراف المتعلقة بها عن التفاتٍ أو بدونه ـ.

ولهذا السبب فإني سأمتنع عن إبداء وجهة نظري فيما يتعلق ببرامج شخصٍ ما إذا كان المشار إليه حاضراً في الاجتماع، ومعلومٌ أن حفظ الأسرار شرطٌ في العمل المشترك.

هـ: إن المشار إليه لا يولي أي احترام لحيثيات الأشخاص، لذا فمعظم المدعوين للتعاون مع المؤسسة، تُثبط عزائمهم في التعاون طبيعة تعامله معهم.

و: صلافتُهُ العجيبة في تقريب هذه المؤسسة من المؤسسات الحكومية أمرٌ مشهودٌ واضحٌ من خلال إجرائه المقابلت التلفزيونية، لقائه بـ«عصّار»، إجرائهِ لتحقيق صحيفة «اطلاعات»، اتصالاته مع لجنة «الحج» الحكومية.

٤ ـ لقد سلمتُ استقالتي للمسؤول عن الحسينية ولن أتراجع عنها وهي تبقىٰ نافذة المفعول ما لم يتغير الوضع الموجود بصورةٍ جذرية، وتتحول إدارة المؤسسة من الحالة الفردية إلىٰ الجماعية المنظمة وتُحدد بوضوح صلاحيات العاملين فيها ومسؤولياتهم لا سيما الشخص المذكور، وتُقسم الميزانيات ويتم تعيين مفتشين مقتدرين.

والخلاصة أن تتم إدارة المؤسسة إدارة صحيحة، فلا يحق لأحدٍ التدخل في مسؤوليات الآخرين، وفي هذه الحالة يمكن التعاون مع المؤسسة مع تعيين المدراء وتحديد حدود المسؤوليات.

مرتضىٰ المطهري

٢٩/ ١٠/ ١٣٤٧ هـ.ش/ ١٩٦٨م

* * *

الهيئة الإدارية والاستشارية الموقرة في حسينية الإرشاد

لقد قدمتُ استقالتي بتاريخ (٢٧/ ١٠/ ١٣٤٧هـ. ش/ ١٩٦٨م) إلىٰ رئيس الهيئة المحترم وأعضاءها الموقرين لم يروا صلاحاً في مناقشة الاستقالة حالياً ورأوا ضرورة الإقدام فورياً علىٰ العمل بتنظيم ضوابط النظام الداخلي للمؤسسة والمصادقة عليه والالتزام به لتزول بذلك العلة الأساسية لعدم الارتياح.

وقد تفضلوا بكامل المودة بالطلب مني أن أشترك في الاجتماعات التي تقرر عقدها لهذه الغاية وأبدي وجهات نظري فيها، فاستجبت لأمر السادة الموقرين.

ولكن ونظراً لأني أعتبر أن أمراض المؤسسة خطيرة للغاية، وليس لدي أمل بتحقق المطلوب بل وحتىٰ في حتىٰ تحققه لا أبتعد توجيه ضربة غادرة من الأيدي المشبوهة، وإضافة إلىٰ ذلك فإني قررت عدم التراجع عن استقالتي علىٰ أي حال، وسأنتظر لأرىٰ إلىٰ أي عاقبة سيؤول حال المؤسسة.

لكل ذلك أرىٰ لزوماً أن أقدم استقالتي وعللها الموضحة ذيلاً لتدرج في جدول أعمال الاجتماعات ويُوقع عليها، لأني أعتقد أنه سيأتي يومٌ ينتفع فيه منها، سواءٌ بقيت في المؤسسة أو خرجت منها.

* * *

علل الاستقالة

إن العلة الأساسية تكمن في استحالة العمل المشترك مع السيد (. . .)[١] العضو في هيئة الإدارة وذلك للمبررات التالية:

ـ اختلاف طبيعة التفكير والأهداف بيني وبين المشار إليه، وهذا الاختلاف ينعكس بطبيعة الحال علىٰ نوعية النشاطات التي تُقام في المؤسسة.

إن هدفي هو أن تصبح المؤسسة مركزاً تحقيقياً وتبليغياً إسلامياً علىٰ مستوىٰ رفيعٍ بحيث تستطيع تلبية الاحتياجات الفكرية لمجتمع اليوم الذي تعرضَ لصدمات عديدة.

إنني أريد أن تكون المؤسسة بمستوىٰ مواجهة التيارات الفكرية السائدة في عالم اليوم، وتستطيع عرض الإسلام الصحيح في مقابلها، ولتحقق ذلك يجب أن تكون محاضراتها ومنشوراتها مستندة إلىٰ المنطق السليم القوي، ولا أن تكون انفعالية عاطفية.

صحيح أن رعاية الجانب العاطفي أمرٌ مهم ولكن يجب أن يكون علىٰ هامش المنطق والتفكير السليم لا أكثر؛ ولكن طريقة تفكير المشار إليه هي أن تصبح المؤسسة مثيرة للإعجاب ويكفي رعاية بعض ظواهر التشريفات الشكلية فيها لا أكثر، مع تأكيده علىٰ إحاطتها بنوع من الضجيج والانفعالات والصراخ، وهدفه ـ وعلى نقيضي ـ هو الكمية لا الكيفية، وهو يعارض عملياً أي نشاطات علمية علىٰ مستوىٰ عال.

---

(١) من المصدر.

ملاحظات بشأن علل الاستقالة وشروط سحبها

١ ـ إنني ومنذ البداية لم يكن لي طمعٌ في المال ولا أُريد التدخل في الشؤون المالية وكل ما أُريدُهُ هو ظروف مناسبة للعمل لا أكثر.

٢ ـ ليس لدي الآن ذرة إيمانٍ بتوافر حسن النية عند السيد (. . .) ولهذه الحالة أسباب عديدة أوجدتها؛ فالمرة الأولىٰ التي أدرك سوء نيته كانت عند تنظيم النظام الداخلي للمؤسسة وموقفه الفردي بشأنه، والمرة الثانية كانت لاختياره أحد الموظفين دون استشارة، والمرة الثالثة في عدم إرجاع الحسابات، والرابعة في موضوع السيد (. .)، والخامسة في سفر مكة وجدة وبعدها في شهر محرم الحرام، وطريقة تعامله مع السيد (خوانساري)، ثم في عرقلة تصويب النظام الداخلي.

ثم في قضية احتفالات المبعث النبوي، والنصف من شعبان، وإعلان شهر رمضان، ووضع اجتماعات هذا الشهر. . وأخيراً قبل عشرة أيام في قضية دعوة الفضلاء، وإجراء المقابلة التلفزيونية والاتصال حول برامج محرم.

* * *

أما شروطي

فهي تدور فقط حول إيجاد ظروف مناسبة للعمل، ليس لي شرط يتعلق بمالٍ ولا مقام فلا أُريد عضوية في الهيئة التأسيسية ولا الإدارية فأستقيل منها أنا ويستقيل السيد (. . .)، كل ما أريده هو أن توفروا لي أجواءً مناسبة للعمل لمدة أربعة أعوام.

أعتقد أن إنقاذ الحسينية ممكن عبر ثلاثة سبل، الأول أقدم عليه أنا، والثاني السيد همايون، والثالث أنتم أيها السادة.

المتعلق بي هو بناء أساس علمي وتبليغي قوي للمؤسسة لا يمكن زعزعته، والمرتبط بالسيد همايون هو إصلاح النظام الداخلي، أما أنتم أيها السادة فعليكم إيجاد التنظيمات الدقيقة وفق ضوابط المؤسسة نفسها التي تجري حالياً مناقشتها، وإن حسن الظن أمرٌ جيدٌ للغاية ولكنه يؤدي إلىٰ تدمير العمل لو وقع في غير محله.

٣ ـ إذا كنتم ترون حديثي عن السيدين (. . .)، (. . .)، يعبّر عن حساسية مفرطة فالأفضل قبول استقالتي، لأن من تسيطر عليه الحساسية المفرطة غير المناسبة يجب أن يُخرج من العمل الإداري، وأنا أعتقد باستحالة التحرك في محيط تحكمه نزعةٌ فردية.

* * *

الشروط:

١ ـ يجب عدم السماح للسيد (. . .) وجماعته بالتدخل في الأقسام: التبليغي والتحقيقي والإداري.

٢ ـ تُلغىٰ عضويته من هيئة الإدارة.

٣ ـ يجب أن يُقطع كاملاً دابر فتنه (. . .)، وأن يطرح في هيئة الإدارة رسمياً موضوع إخراجه من الحسينية ويُصادق عليه.

٤ ـ أريدُ أن أرفع مستوىٰ الحسينية إلىٰ ما يتناسب مع المستوىٰ الجامعي، ولأجل ذلك أريد توفير ظروف مناسبة للعمل، والاستفادة

من المجلس التحقيقي والتبليغي، والصلاحيات اللازمة لمدة أربعة أعوام.

٥ ـ يجب أن توكل مسؤولية اختيار أعضاء كل قسم إلىٰ رئيس القسم لا إلىٰ الهيئة الاستشارية التي تفتقد الكفاءة والأمانة اللازمة لهذه المهمة.

٦ ـ أريدُ صلاحيات كاملة تجاه الأعمال التحقيقية والتبليغية التي تحتاج إلىٰ الاستعانة بالكثير من المحققين والجامعيين والفضلاء، ويجب أن أختارهم بنفسي ثم تصادق عليهم الهيئة الإدارية.

وإني أُعين أنه في حالة توفر ذلك، فسأقدم خلال عامين ثماراً وآثاراً علمية مهمة علىٰ هيئة منشورات وندوات وغيرها تثير الحيرة والإعجاب لدىٰ الجامعة والحوزة علىٰ حدٍّ سواء.

وفي نهاية كل عام سأقدم تقريراً بنتائج عملي وتقييمه، وبعد سنتين إذا كانت الهيئة الإدارية راضية عن عملي تُمدد المدة إلىٰ أربعة أعوام وإلاًّ فلا.

ولتوفير الإمكانات اللازمة، يجب أن توكل مسؤولية القسم الإداري إلىٰ شخصٍ يتعاون معي أو علىٰ الأقل لا يعرقل أعمالي، لذلك يجب أن لا توكل هذه المهمة إلىٰ أحد أفراد الجماعة المذكورة.

٧ ـ سحب الاستقالة مرهونٌ بانتخاب كامل أعضاء هيئة الإدارة الذين يجب أن يصل عددهم إلىٰ سبعة أعضاء وانتخاب بديل للسيد جعفري إذا قبلت استقالته.

٨ ـ تعيين عقوبات شديدة للمتخلفين وإخراجهم من مناصبهم كافة: الرسمية أو غير الرسمية في المؤسسة إذا ثبت التخلف في المحكمة.

٩ ـ اجتناب كل تزوير في الأعمال وتشكيل محكمة للمتخلفين.

* * *

النسخة الثانية لاقتراحاتي لمؤسسة حسينية الإرشاد

(مع تغيير طفيف في العبارات)

حضرة السيد شريعتي . .[١]

مع تقديم الاعتذار لعدم قدرتي على الوفاء بموعد الساعة السادسة بعد الظهر، ونظراً لأنكم علىٰ عجل وإنَّكم أفضل من يستطيع توضيح آرائي، أذكر لكم هذه المقترحات لكي تعرضوها علىٰ السيد همايون في الوقت المناسب.

أولاً: عندما تطالعون هذه المقترحات سترون أني لم أطلب لنفسي فيها أيِّ امتياز، فكلُّها تنصب لصالح المؤسسة ولكي تخرج من صورة مؤسسة فردية خصوصية إلىٰ مؤسسة عامة مفيدة.

إنني أرىٰ أن استمرار الوضع الفعلي في المؤسسة يقودها إلىٰ السقوط الحتمي ـ مع الأسف البالغ ـ

وما أذكره طيّاً هي شروط استمراري في التعاون معها، وبدءاً من

(١) المقصود هنا هو الأستاذ محمد تقي شريعتي والد الدكتور علي شريعتي.

هذا التاريخ، وإلىٰ حين تحقق الشروط الآتية، أعتذرُ عن الاشتراك في أي من أعمالها، سوىٰ في الأعمال التي لم يكتمل إنجازها بعد في قسم التحقيقات والمنشورات والتي تعهدت بإنجازها شخصياً:

١ ـ طبقاً للنظام الداخلي يجب علىٰ الهيئة التأسيسية انتخاب أعضاء علىٰ البدل لها، وهذا لم يلتزم به عملياً إلىٰ الآن، فإذا تحقق الالتزام به فأطلعونا علىٰ ذلك.

٢ ـ يجب أن يرتفع عدد الأعضاء الأصليين في الهيئة الإدارية من ثلاثة أشخاص إلىٰ خمسة، وفق ما يُجيزه النظام الداخلي للمؤسسة.

٣ ـ يجب تقسيم الأعمال الإدارية والمالية والفنية (العلمية والتبليغية)، وتفكيكها وتعيين مسؤول محدد أو مسؤولين عنها كلاً على حدة، وأن تطبق بالخصوص وبدقة الضابطة الأساسية التي صُودق عليها مؤخراً، ولا يحق لأيٍّ من هذه الأقسام الثلاثة التدخل في أعمال بعضها البعض والجميع مسؤولون أمام الهيئة الإدارية.

٤ ـ انتخاب محاسب أمين.

٥ ـ التوقيع علىٰ الوثائق يجب أن يتم من قبل ثلاثة من أعضاء الهيئة الإدارية كحدٍّ أدنىٰ.

٦ ـ طبقاً لما أقرته الضوابط المصادق عليها بشأن العمل العلمي والتبليغي، يجب الإسراع في تشكيل لجنة من خمسة أشخاص علىٰ الأقل باسم «اللجنة العلمائية»، تتمتع بالصلاحيات التي حددتها

الضوابط، وتقوم بالإشراف والمراقبة علىٰ محتويات المحاضرات والمنشورات والكتب وغيرها.

والسادة المحترمون أحرارٌ في اختيار أعضاء على البدل للهيئة التأسيسية، وأعضاء الهيئة الإدارية واللجنة العلمائية، فأنا ليس لديَّ أي مرشح أو اقتراح بهاذا الصدد، ولا أرشحُ نفسي لأيٍّ منها، وغاية الأمر أن مجالات تعاوني ستكون محدودة لو كان المنتخبون لهذه الهيئات غير مناسبين.

ووفق المقترحات المتقدمة، يجب أن تقدم الهيئة الإدارية الحالية استقالتها وتنتخب هيئة جديدة، علىٰ الرغم من أنه لم يبق سوىٰ شهرين أو ثلاثة على المدة المقررة للهيئة الحالية.

تقبلوا فائق الاحترام
مرتضى المطهري
٢٧/ ١٢/ ١٣٤٩ هـ.ش/ ١٩٧٠م



الاجتماع مع الهيئة الاستشارية الإدارية

«ملخص حديثي خلال اجتماع الهيئة الاستشارية والإدارية للحسينية في يوم (٢٤/ ١٢/ ١٣٤٩ هـ.ش/ ١٩٧٠م) ما بين الساعة ٧ ـ ١٠ بعد الظهر، وبعد القرار الفردي الذي اتخذه السيد (. . .) خلافاً لمقررات الهيئة الإدارية بشأن برنامج (معرفة الإسلام)».

الموقرون أعضاء الهيئة الإدارية والاستشارية في حسينية الإرشاد:

بسبب حبي الشديد لمؤسسة حسينية الإرشاد التي اكتسبت مقاماً مرموقاً بفضل همم المخلصين وجهودهم وخدماتهم العظيمة المادية والمعنوية ـ والمعنوية خاصة ـ والتي كان لنا فيها سهم وافر. . .

من الطبيعي بسبب ذلك أن أرفض توجيه أي ضربة لحيثية هذه المؤسسة. وعلىٰ مدىٰ الأعوام الأربعة المنصرمة اتخذنا مراراً قرارات بضرورة إخراج المؤسسة من صورة مؤسسة فردية خصوصية إلىٰ مؤسسةٍ عامة، وفي كل مرة تُثار بوجه هكذا قرارات عقباتٌ وعراقيل.

حتىٰ كان في المرة الأخيرة أن دُعي عشرون شخصاً لنقد ماضي المؤسسة وتقديم خطط جديدة لمستقبلها، ونجحت هذه المهمة إلىٰ حدٍّ ما وتمت المصادقة علىٰ الخطط الجديدة، وحينها قلتُ صراحةً إنَّ استمرار عملي مع المؤسسة مرهونٌ بتنفيذ الخطط الجديدة.

ولكني كنت أرىٰ أن هذه أيضاً كالخطط والمشاريع السابقة تُوضع في ملفات النسيان، ولهذا قررتُ الصبر إلىٰ انتهاء مدة عمل الهيئة الإدارية الحالية، وأن أرهن استمرار تعاوني مع الهيئة الجديدة بالشروط التي سأذكرها لاحقاً، فلم أرغب في إنهاء الأمر بالاستقالة.

وفي غضون ذلك قللت خلال الأشهر الثلاثة الماضية من حجم العمل، فلم ألتزم خلال الفترة ما بين شهري رمضان ومحرم الحرام بأي برنامج، ولم أشارك في سفر الحج، وفي شهر محرم الحرام وافقت على إلقاء محاضرتين فقط.

حتى اكتشفتُ خلال أيام محرم أنه وعلىٰ الرغم من رفض الهيئة الإدارية والاستشارية، وعلىٰ رغم تحذيراتي، فإن هناك جهوداً لاستغلال اجتماعات عاشوراء العظيمة، وتنفيذ ما يشبه المؤامرة الانقلابية لإحداث تغييرات أساسية في مختلف الشؤون المالية والتبليغية والعلمية في المؤسسة، ووضعي وسائر أعضاء الهيئة الاستشارية وعبر عملٍ سريع أمام واقع قائم وأمر قد تم عملياً وهو ـ فضلاً عن سائر نقائضه ـ يمثل إلغاءً لكل القرارت السابقة.

لقد اكتشفت هذا الأمر ليلة العاشر من محرم ويومها، ومن أجل أن أتجنب السقوط في المسؤولية عنه، وحيث رأيت أن حيثية المؤسسة أصبحت لعبةً تتقاذفها الأهواء النفسانية لشخص واحد، لم أجد مناصاً من الامتناع عن الاشتراك في اجتماعات الحسينية عسىٰ أن يكون في ذلك تحجيم وتطويق لآثار تلك المؤامرة.

لذلك امتنعتُ عن إلقاء محاضراتي في ليلتي (١١، ١٢) محرم، علىٰ الرغم من الإعلان المسبق عنها في الصحف والإعلان عبر الوجهة الضوئية وعبر المايكروفون، وبعد هذه الحادثة المؤسفة قررت تقديم شروط مواصلة العمل التي كنت أزمع تقديمها بعد انتهاء فترة عمل الهيئة الإدارية الحالية.

ولحسن التوفيق فإن فيما وقع[١] ما زاد وضوح بعض القضايا التي

(١) لو كانت الهيئة الإدارية والاستشارية حازمةً في التعامل مع التجاوزات السابقة لما آل الأمر إلىٰ وقوع مثل هذه الحوادث. (من هامش للأستاذ المطهري).

دفعتني لقرار طرح الشروط، وزاد إيماني بها، حيث اتضح أن هناك تياراً مشبوهاً وخفياً في الأمر أسأل الله أن يفضحه.

أما اقتراحاتي فهي:

١ ـ تعيين أعضاء علىٰ البدل لأعضاء الهيئة التأسيسية.

٢ ـ رفع عدد أعضاء الهيئة الإدارية من ٣ إلىٰ ٥ أعضاء.

٣ ـ التقسيم والتفكيك الجاد للأعمال الإدارية والمالية والفنية (العلمية والتبليغية).

٤ ـ التنفيذ الدقيق للضوابط التي تمت المصادقة عليها مؤخراً لا سيما فيما يرتبط بانتخاب اللجنة العلمائية الجامعة للمواصفات المطلوبة لقيادة هذه المؤسسة من الناحية الإسلامية.

٥ ـ انتخاب محاسب أمين ووضع حدٍّ للإشعات التي أُثيرت مؤخراً حول الحسينية.

٦ ـ يجب أن تحمل الوثائق والصكوك ثلاثة تواقيع بدلاً من اثنين.

٧ ـ ويُضاف إلىٰ ما تقدم فإنه بقبول المقترحات المتقدمة يتم القضاء علىٰ «المؤامرة» الأخيرة .

لقد أرسلتُ هذه المقترحات إلىٰ السادة بواسطة السيد «شريعتي»، وبكامل الأسف من جهة وكامل السرور من جهة

أخرىٰ، اطّلعتُ فيما بعد علىٰ أن القضية الأساسية في المؤسسة وهي قضيةُ انتخاب أعضاء البدل لأعضاء الهيئة التأسيسية.

تم الحديث عنها مسبقاً، وتمَّ انتخابهم بصورة سرية ودون استشارة الأشخاص الذين وقفوا أموالهم وأنفسهم وحيثيتهم للمؤسسة، وما زال الأمر سرياً يرفضون الكشف عنه.

وهذا الأمر بحدِّ ذاته يعتبر مبرراً كافياً لي ولسائر المتعاونين لترك العمل، إذْ إن الاستمرار يصبح أمراً غير معقول أصلاً لأن غاية الظلم وعدم الرجولة ـ إن لم نقل كامل الخيانة ـ أن يستبعد من الاستشارة بل وحتىٰ الاطلاع علىٰ هذا الأمر الأساسي أشخاص وقفوا كل وجودهم للخدمة في هذه المؤسسة. هذا أولاً.

وثانياً: كيف يُعقل أن يخدم أشخاصٌ مثلي في مؤسسة لا يعرفون مَن المتحكم بها خلف الأستار؟! نحن لا نشك أن السيد همايون يختار مَنْ يراه مؤمناً صالحاً أميناً، ولكن انتخابه السابق لبعض الزملاء أثبت أنه يخطيء الاختيار أحياناً.

وعلىٰ أي حالٍ فإن من الضروري اللازم لمن يريدون الاستمرار في العمل مع المؤسسة أن يعرفوا شخصياً المسؤولين الأعلىٰ منهم فيها ليكون عملهم عن اطمئنانٍ، فلعل هناك أفراداً خلف الأستار يعتبر وجودهم في المؤسسة انهياراً لها وللعاملين فيها.

ومع كامل الأسف، يبدو أن السادة ليسوا مستعدين لتحمل وجود خمسة أشخاص من العلماء الأتقياء العارفين بأمور وشؤون العصر في

هذه المؤسسة التي تحمل اسماً إسلامياً، وهذه الحالة تجعل العمل صعباً وتوجب ظهور سوء الظن.

ولما تقدم أعتقد أن الأمر قد وصل إلىٰ طريق مسدود، وإن كان هناك سبيل حلٍّ فأوضحوه.

توجد الآن مشكلتان مستعصيتان تجعلان العمل في المؤسسة أمراً غير عقلائي ويخالف الحكمة ويخالف العقل والحزم حسب وجهة نظري، كما أنه من الناحية الشرعية من موارد الشبهة التي يجب الاحتياط والتحرز تجاهها.

المشكلة الأولى: مجهوليةُ هوية أعضاء البدل في الهيئة التأسيسية، وهم المتحكمون بالمؤسسة مستقبلاً وإن كانوا مستترين حالياً خلف الكواليس، وهؤلاء ـ طبق القاعدة الغالبة ـ إما أن يكونوا من أصحاب منطق القوة الذين لا كرامة لهم، أو المرتبطين «بجهات ما»، أو أن يكونوا من الضعفاء المطيعين للأوامر، أو من كليهما.

والمشكلة الثانية: تكمن في امتناع المؤسسة عن قبول لجنة علمائية رفيعة المستوى للإشراف علىٰ عملها، وإنكار وجود خمسة أشخاص في إيران كلها قادرين علىٰ إدارة مؤسسة دينية والإصرار علىٰ اشتراك غير العلماء في هذه المهمة.

وحيث أني أحد هؤلاء فهذا يعني أن السادة قد أعلنوا مسبقاً عدم صلاحيتي، ومع فقدان مثل هذه اللجنة يصبح الاستمرار في العمل مع المؤسسة أمراً غير عقلائي، لأن من غير المعلوم الاتجاه الذي

نسيرُ فيه باسم الإسلام؟ وهو أمرٌ غير مشروع إسلامياً أيضاً لأنه من موارد الشبهات، ومجهولٌ لا تُعلم حقيقته.

وإذا لم يقبل السادة باقتراحاتي المنطقية هذه التي لا يوجد فيها اقتراح واحد نفعي، بل على العكس فإنها تحددني أكثر، فليقترحوا سبيلاً لانفصالنا يكون أقل مفسدةً لكلا الطرفين، كأن أكتب استقالتي ويقبلها السيد همايون مشكوراً، ويكون الأمر على كل حالٍ مقروناً بالاتزان.

الأصدقاء الأعزاء في الهيئة الاستشارية لحسينية الإرشاد وفَّقهم الله لما يحب ويرضى.

مع تقديم الاحترام، إبلغ الإخوة، أن تقرير الاجتماع المؤرخ في (الشهر الثاني لسنة ١٣٥٠هـ.ش/ ١٩٧١م)، الذي عقدته الهيئة المحترمة بمشاركة السيد (. . .) عضو الهيئة التأسيسية والهيئة الإدارية للحسينية. قد وصلني في تلك الأيام نفسها بواسطة صديقي العزيز السيد (. . .) من أجل إبداء وجهة نظري بشأن محتوياته، وبعد أسبوع أي بتاريخ (١١/ ٢/ ١٣٥٠هـ.ش/ ١٩٧١م) كتبت رأيي بالقرارات الواردة في تقرير ذلك الاجتماع إضافةً إلىٰ بعض الأطر العامة حول مسار المؤسسة وأرسلت رسالتي إلىٰ الهيئة وطلبت اطلاع الدكتور علي آبادي والسيد همايون عليها.

وتمنيت أن تحفظ الرسالة في أرشيف المؤسسة ولكني مع الأسف علمتُ فيما بعد أن السيد (. . .) قد ذكر أن الرسالة فقدت ولم يطَّلع

عليها لا الدكتور علي آبادي ولا السيد همايون، بل إنهما لا يعلمان بوجود مثل هذه الرسالة أصلاً.

ونظراً لوجود بعض الإشاعات أرغبُ في وضع آرائي هذه مكتوبة تحت تصرف الأصدقاء والإخوة، وإذا رأيتم في الأمر صلاحاً فأرسلوا نسخةً منها إلىٰ السيد الدكتور علي آبادي والسيد همايون، وإن لم تروا صلاحاً في ذلك فلا تطلعوهما الآن.

وقد كتبت هذه الرسالة عن مسودة الرسالة السابقة نفسها، فالمحتوى واحد وإن اختلفت العبارات بعض الشيء.

أصدقائي الأعزاء.. لقد قرأت بدقة مقررات اجتماع (٤/ ٢/ ١٣٥٠هـ.ش/ ١٩٧١م) وهي تعتبر بحق خطوة مفيدة ومؤثرة تحكي عن حسن نوايا جميع المشتركين «شكر الله مساعيكم الجميلة وأعانكم وسدد خطاكم».

وقبل أن أوضح وجهة نظري، أذكر بقضية ترتبط بالأيام الأولىٰ، فقبل حدود الخمسة أعوام، وعندما كنت أنا والسادة همايون، و(...)، والمرحوم شاهچراغي نفكر بوضع اللبنات الأولىٰ لهذه المؤسسة، لم يكن أيٌّ منّا يتصور بأن المشروع الذي بدأنا به سيصل إلىٰ ما وصل إليه بهذه السرعة ملقياً علىٰ عواتقنا هذه المسؤولية الخطيرة، وكنّا في واقع الأمر نستشعر شدة الحاجة لمثل هذه المؤسسة في هذا العصر.

في الأيام الأولىٰ وعندما كنا أنا والسيد همايون نبحثُ عن قطعة

أرض لبناء المؤسسة عليها، رأينا قطعتي أرض إحداهما في شارع (آمل) والأخرىٰ قرب (سيد خندان)، وأُعجبنا بها رغم أنَّ أيّاً منهما لم تتجاوز الألفي متر، وهذا دليل علىٰ أننا لم نكن نتوقع أن تصبح المؤسسة بهذه العظمة بحيث أن مساحتها الفعلية لا تسعها.

في ذلك الوقت لم يكن هناك مَنْ يتصور أن هذه المؤسسة ستنمو خلال أربعة أعوام بهذه السرعة، وتترك آثارها علىٰ كل البلد وعموم فئات الشعب، فيحسب حسابها مراجع التقليد والمسؤولون الحكوميون.

ولما تقدم فلا عجب أن تجدوا حالات من (عدم توقع بعض الأمور)، يُضاف إلىٰ ذلك أن الأعمال البشرية بطبيعتها تضم نواقص ترتفع بالتدريج، وإذا ما سعت المؤسسة الموقرة لحسينية الإرشاد في رفع نقائصها فهذا دليلٌ كمالها ووعي المسؤولين عنها قانونياً، مثلما أن الإشاعات والافتراءات التي يثيرها ضدها المنحطّون والمنهزمون هي برهان قوتها وكمالها لا ضعفها.

أما حول آرائي بشأن قرارات الاجتماع المذكور فهي:

١ ـ لوحظ نقصٌ فنيٌّ فيها، وهو أنه على الرغم من عدم توافر حضور أكثرية الهيئة التأسيسية والهيئة الإدارية نصَّت القرارات علىٰ:

«تقرر أن تكون المصوبات المذكورة أساساً لتبين منهاج عمل حسينية الإرشاد، وأعضاء الهيئة الإدارية الرسميون مكلفون بتنفيذها،

كما يجب علىٰ الهيئة التأسيسية إنجاز الأمور المتعلقة بها من المصوبات».

في حين كان يجب أن يضاف قيدٌ هو أنها واجبة التنفيذ بعد مصادقة الهيئة التأسيسية عليها، أو علىٰ الأقل أن توكل إلىٰ مراجعة السيد همايون، وعلىٰ أي حال ولكون الجو الحاكم علىٰ المؤسسة حالياً هو المودة وحسن النية، فإن مثل هذا النقص الفني لا يضر كثيراً.

٢ ـ تقول المادة الأولىٰ من المصوبات: «بالاستفادة من مواد النظام الداخلي التي أعطت صلاحيات للهيئة التأسيسية، وكذلك المواد الإصلاحية الملحقة بالنظام الداخلي، تقرر رفع عدد أعضاء البدل للهيئة التأسيسية من ثلاثة إلىٰ خمسة، ويُستحصل في انتخاب هؤلاء تأييد الهيئة الاستشارية».

وعلىٰ هذه هناك أولاً: ليس هناك في مواد النظام الداخلي ما يُستفاد منه مثل القرار المتقدم، فالمادة(٦) منه تصرح بأن كلّ عضو من أعضاء الهيئة التأسيسية يحق له انتخاب عضو واحد علىٰ البدل فقط، يُضاف إلىٰ ذلك أن من غير المعقول أن ينتخب ثلاثة أعضاء خمسة بدلاً عنهم فهذا يعني أن ينتخب كلّ منهم عضوَ و٢/ ٣ من العضو.

والسبيل الوحيد لإنجاز ذلك هو تغيير النظام الداخلي في الطبقة

الثانية فيما يرتبط بعدد أعضاء الهيئة التأسيسية، وهذا الأمر أجازه النظام الداخلي في غير المادة(٢) المرتبطة بموضوع المؤسسة.

وقد يقع توهم أنَّ ذيل المادة (٦) يعطي للهيئة التأسيسية الصلاحية اللازمة التي يمكن بها إحداث هذا التغيير دون التعرض لأصل مواد النظام الداخلي خلال ٣ أعوام، ولكن هذا التوهم باطل لتعلق الصلاحية بموضوع آخر ولانقضاء مدة الصلاحية المذكورة.

ثانياً: وحيث تسعىٰ الهيئة التأسيسية للاستفادة من صلاحياتها الآن فيرفع عدد الطبقة الثانية، لماذا لا تكمل براهين حسن نيتها وتضحويتها فترفع عدد الطبقة الأولىٰ أيضاً؟!

الأفضل أن يبادر المؤسسون الموقرون إلىٰ رفع هذا العدد إلىٰ خمسة أشخاص فيبرهنوا بذلك ذروة الإخلاص، وبديهيٌّ أن المعنىٰ القانوني لـ«المؤسس» غير المعنىٰ اللغوي.

فالقانون لا يشترط صدق المعنى اللغوي علىٰ مَنْ أدّى الواجب تحت هذا العنوان، ولهذا فإن مواد النظام الداخلي تسمي الذين يُحصّلون قانونياً هذه السمة فيما بعد بنفس اسم «الهيئة التأسيسية»، وعلىٰ هذا فليس هناك أيُّ مانع قانوني من رفع أعضاء الهيئة التأسيسية من ٣ إلىٰ ٥ في الوقت الحاضر.

وثالثاً: ومن الضروري اللازم أن يوضع في الموارد الإصلاحية القادمة قيد يوجب إلزاماً أن يكون أحد أعضاء الهيئة التأسيسية في كلا

الطبقتين (الأصلية أو علىٰ البدل)، من المجتهدين الأتقياء والواعين والعارفين بمقتضيات العصر.

ومعلومٌ أن انتخاب هذا الشخص في كل طبقة يكون باتفاق الأكثرية في الهيئة التأسيسية والإدارية وليس من قبل المجتهد الأول، وإضافةً لذلك لا يكون لرأيه أيّ امتياز أو رجحان على آراء الآخرين.

والحكمة من ذلك بصورة عامة، هي أن وجود عالم روحاني جامع للشرائط اللازمة في أعلىٰ هيئة قانونية لأي مؤسسة دينية هو أمرٌ ضروري، وبالنسبة لهذه المؤسسة بالخصوص، فهو أنه يدحض أيَّ توهم بأنها ترىٰ نفسها غنيةً عن الحوزة وعلمائها.

٣ ـ فيما يتعلق برأي الهيئة الاستشارية الذي أُشير إليه في موارد مختلفة وأشكال مختلفة؛ ففي مورد انتخاب الأقسام تم التصريح باعتماد رأي الأكثرية في الهيئة الإدارية الرسمية والهيئة الاستشارية، وفي موارد انتخاب أعضاء البدل للهيئة التأسيسية وكذلك في انتخاب العضوَين اللذين تقرر إضافتهما للهيئة الإدارية.

وردت عبارة «يُستحصل تأييد الهيئة الاستشارية»، أما في مورد انتخاب أعضاء الهيئة العلمائية الدينية للحسينية فلم يُشر أصلاً إلىٰ استحصال تأييد الهيئة الاستشارية.

هذا في حين أن السيد (. . .) أخبرني أن القرار هو أن يكون للهيئة الاستشارية رأيٌ في جميع هذه الموارد، ومعلومٌ أن ذلك لا

يصدق على مجرد الحصول علىٰ التأييد، إذ أن صاحب الرأي يمكن أن يكون له دورٌ حاسمٌ وإلا فلا.

٤ ـ فيما يرتبط باشتراك اثنين من الهيئة الإدارية في الهيئة العلمائية الدينية، وعلىٰ الرغم من أني أعتبره غير منطقي إلا أني لا أعارضه نظراً لإصرار بعض الأصدقاء.

٥ ـ ينبغي في تنفيذ القرارات أن تجتنب أي صور الروتين والشكليات الورقية، فمثلاً عند انتخاب الهيئة العلمائية الدينية يجب توفر الحد الأدنىٰ لمراتب الاجتهاد في المنتخب، وبالطبع لا ينبغي توقع مشاركة علماء الدرجة الأولىٰ أو الثانية.

ولكن يمكن انتخابهم من بين الطبقة المعروفة في الحوزات العلمية بمدرّسي السطوح العالية يعني (المكاسب والكفاية وشرح المنظومة)، وإذا توفر جو سليم باعثٌ للاطمئنان في الحسينية يمكن دعوة أشخاص للتعاون.

٦ ـ إن الهيئة الاستشارية التي استطاعت الحصول على ثقة الهيئة التأسيسية والهيئة الإدارية من المناسب أن تُسمىٰ «**هيئة الأمناء**» عبر مادة تُلحق بالنظام الداخلي، وأن يكون لها حق الرأي في القرارات من قبيل انتخاب أعضاء بدل للهيئة التأسيسية أو الإدارية أو هيئة علماء الدين أو في المصادقة علىٰ الميزانية.

٧ ـ من أجل مواجهة معارضيها المغرضين، ومن أجل رفع سوء التفاهم مع المعارضين غير المغرضين، ومن أجل جبران وتلافي آثار

بعض الأخطاء السابقة تحتاج مؤسسة حسينية الإرشاد إلىٰ الظهور بصورة جديدة بالكامل ليعرف الجميع أن تاريخ المؤسسة قد بدأ صفحة جديدة.

وختاماً أرىٰ من الضروري أن أوضح وجهة نظري بصورة كاملة تجاه موضوعين لكيلا يبقىٰ أيُّ إبهام بشأنهما:

أ ـ الحوزويون

يعربُ أصدقاء الحسينية أو مدّعو صداقتها ـ على الأقل ـ عن وجهات نظر متباينة فيما يتعلق بحدود ارتباط المؤسسة واعتمادها علىٰ الحوزويين، ووجهات النظر هذه هي إما آخذة جانب الإفراط أو جانب التفريط حسب عقيدتي.

وهم يطلبون وجهة نظري فيما أسمع أحياناً أنَّ طرفاً يفسر رأيي بهذا الموضوع حسب ميوله، لذلك أرىٰ من الضروري أن أوضح وجهة نظري بهذا الشأن:

إنني ما زلتُ ومُنذ عشرين عاماً ـ أي منذ أن وصلت إلىٰ مرحلة الاستقلال الفكري ـ مناصراً حازماً للحوزة ومنتقداً لها في آنٍ واحد، مناصراً ومدافعاً جاداً عنها وهي أصلي ومنطلقي، ففخري الوحيد هو دخولي هذا المسلك.

ففي الحوزة وجدتُ أشرف وأزكىٰ الأشخاص، الحوزة هي (نسبياً) وريثة ثقافة الـ(١٤٠٠) عاماً الإسلامية هكذا أرىٰ الحوزة وأرىٰ نفسي سنبلةً في بيادرها العظيمة.

وكنتُ وما زلتُ أعتقد ضرورة بقائها وحفظها فلا يمكن لشيءٍ أن يقوم مقامها، وأعتبر شعار «إسلام بدون حوزة» شعاراً استعمارياً.

وفي الوقت نفسه فإني شخصٌ منتقدٌ «لحوزتي»، أعتقدُ بوجوب إحداث إصلاحات فيها؛ كثيرون هم غير الكفوئين الذين تلبَّسوا بزي الحوزويين المقدس، فلا ينبغي الانقياد الأعمىٰ لأمثال هؤلاء الذين يدَّعون تمثيل الحوزة قبل الحوزويين الحقيقيين.

إن أقوالي وكتاباتي خلال العشرين عاماً المنصرمة موجودة، والمتعلق منها بهذا الموضوع يتمحور جمعية حول هذين الأصلين، المناصرة والانتقاد.

وعلىٰ هذا فإن وجهة نظري حول موضوع مؤسسة الحسينية بالحوزة تتمحور حول وجوب ولزوم الاستفادة من الحوزويين الحقيقيين، وحول وجوب ولزوم المقاومة العنيفة للمتلبسين بالزي الحوزوي المقدس الذين استغلوا مزاياه دون أن يمتلكوا شيئاً من العلم والتقوىٰ وهما علامة الحوزويين الحقيقيين.

ب ـ المتعلمون بالتعليم الجديد

لحسن التوفيق، وُجدت في العصر الحاضر فئةٌ جديدة، متعلمةٌ وفق الثقافة الجديدة الغربية من جهة، ومن جهة أخرىٰ لها مطالعاتٌ ودراساتٌ إسلامية وتعلقٌ بالإسلام.

وهي تعرض وتبلّغ الإسلام وفق المعايير الجديدة، ومن الطبيعي

أن تحظىٰ بإقبال جيل الشباب المسلم بالفطرة من جهة والذي تجذبه من جهة المعايير الغربية الجديدة.

وهناك أيضاً فيما يرتبط بهذه الفئة الآخذة بالنمو والانتشار آراءُ متباينة تقعُ في الإفراط والتفريط، وقد طُلب منّي مراراً إبداء وجهة نظري بهذا الصدد.

وأرىٰ من الضروري إبداء وجهة نظري في هذا الموضوع من زاوية علاقة الحسينية بهذه الفئة خاصةً وأنها تحولت اليوم إلىٰ ظاهرة اجتماعية.

إنني مع الاستفادة المشروطة من هذه الفئة؛ وقد انتفعت مؤسسة حسينية الإرشاد في السابق منها استجابةً لاقتراحٍ منّي وبموافقتي.

هذه الفئة يمكن أن تكون حلقة الارتباط بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية ولكن شريطة أن تكون البرامج والنشاطات التي تنفّذها هذه الفئة خاضعة لإشرافٍ دقيق ومراقبة كاملة يقوم بها أشخاص تربوا بالكامل علىٰ الثقافة الإسلامية ولهم اختصاصٌ في العلوم الإسلامية: تفسيراً وفقهاً وأصولاً وكلاماً وفلسفةً وأدبيات.

وبدون هذا الإشراف الدقيق والجاد فإن أضرار نشاطات هذه الفئة ستكون أكثر من منافعها.

هذه هي آرائي بشأن قرارات اجتماع (٤/ ٢/ ١٣٥٠هـ.ش/ ١٩٧١م) إضافةً إلىٰ وجهات نظري بشأن موضوعين أساسيين تواجههما الحسينية حالياً ويرتبطان بمسارها ومنهاجها.

وفي الختام أُلفت انتباه الأصدقاء الأعزاء في الهيئة الاستشارية الذين وافقوا علىٰ التعاون مع مؤسسة الحسينية بناءً علىٰ طلبي، إلىٰ أنني وبملاحظة شأني الحوزوي وسابقتي في مسؤوليات هذه المؤسسة الموقرة لديَّ واجبٌ خاص بي، ولهم واجبٌ آخر، وعلىٰ هذا فلو لم توافق الهيئة التأسيسية علىٰ شروطي وأصبحت معذوراً عن مواصلة العمل مع المؤسسة، فإن ذلك لا يعتبر مانعاً عن مواصلتهم العمل فيها.

إنني سواءٌ واصلت العمل مع المؤسسة أم لم أواصل، فإني في كلا الحالين أتمنىٰ لها مزيد الموفقية والسمو والحفظ وأدعوا الله أن يحفظها من لسعات شياطين الإنس والجن؛ إنني أُشهدُ الله علىٰ الدوام أن يحرسني من شر النفس الأمَّارة بالسوء، وأدعوه وهو ملهم الخيرات أن يُجري علىٰ لساني وقلمي دائماً ما فيه الخير والصلاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٣/ ٤/ ١٣٥٠ هـ.ش/ ١٩٧١م

مرتضىٰ المطهري

* * *

وعلى هامش الاجتماع

«على هامش مباحثات اجتماع يوم الثلاثاء (٦/ ٧/ ١٣٥٠هـ.ش/ ١٩٧١م) الساعة (٢٠/ ٢٣) في حسينية إرشاد»:

١ ـ الطرح الذي عُرض في الاجتماع في موضوعه موردُ قبولٍ ويستحق الشكر والتقدير.

٢ ـ القرار بشأن «المجلس العلمائي الأعلىٰ» للحسينية، يُتخذُ بعد تسجيل الطرح الجديد وإلحاقه بالنظام الداخلي وبعد تفنيذه وتشخيص أعضاء هيئة «الأمناء» والهيئة الإدارية، إذْ إنَّ أي شخصٍ يُدعىٰ لعضوية هذا المجلس يريد أن يعرف هوية الأشخاص الذين سيتعامل معهم في الحسينية، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ يعتبره أول شيء تجب معرفته.

٣ ـ لقد افترضت أن أصدقائي الأعزَّاء وزملائي يحظون بالتأييد من جهة الهدف الذي سعينا وما زلنا لتحقيقه، ومن جهة الوعي وتشخيص السبل التي نتبعها للوصول إلىٰ الهدف، وكذلك منجهة توافر التقوى فيهم وخلوهم من النقائص في الأخلاق الاجتماعية.

كما افترضت أن الأصدقاء عارفون بالمشكلات العظيمة للحسينية واحتياج رفعها للشجاعة والتضحيات، وبالتالي نعيشُ جميعاً الهم نفسه ونستشعر الألم نفسه.

أما إذا كان الأصدقاء يشكّون في كفايتنا العلمية والمعنوية، ولا يستشعرون بالآلام التي نستشعر بها، فإن ذلك يعني انعدام الأرضية اللازمة للتعاون والعمل المشترك، وعندها لا ينبغي إتلاف الوقت.

٤ ـ بعد انتخاب أعضاء هيئة الأمناء والهيئة الإدارية وأعضاء علىٰ البدل للهيئة التأسيسية، إذا كان ذلك بشكل يحرز الرضا، فالأصل أني عندها سأكون الاستشارية والتصدي لمسؤولية قسم النشر في الحسينية.

أما إذا تقرر أن أقبل بمسؤولية بشأن المجلس العلمائي، فهذه

احالة فرعٌ، والأصل أن يكون زملائي أشخاصاً ذوي كفاءة، وسأقترح أسماء اثني عشر نفراً لانتخاب أربعة.

٥ ـ يجب حتماً أن يكون أعضاء المجلس العلمائي معروفين بالتقوىٰ، عارفين بأحوال وأوضاع الزمان وشؤونه، مطلعين علىٰ مقتضيات العصر وتياراته، وأن يكونوا من ناحية المقامات في العلوم الإسلامية بدرجةٍ تكون معها شخصيتهم العلمية مورد قبول وتأييد الحوزات العلمية.

فلا نريد مجلساً تشريفياً شكلياً، بل نريد، دعامة حقيقية لا تقوم بتنظيم عمل الحسينية وحسب بل تكون قادرةً علىٰ استقطاب ثقة الآخرين أي أن تتوافر فيهم درجة الاجتهاد كحدٍّ أدنىٰ.

لا ينبغي أن تكون في المجلس نقطة ضعف علمية أو أخلاقية من جانب أعضائه؛ إن زملاءنا في المجلس يجب أن يكونوا بمستوىٰ إعطائنا قوةً إضافية لا أن يأخذوا قسماً من قوانا، وفي هذه اصورة يمكن للمجلس النجاح.

٦ ـ إذا كان السادة عارفين بمشكلات العمل، فعليهم أن يعرفوا أن المرحلة الجديدة تحتاج إلىٰ صورة جديدة بالكامل، وقد يصبح ضرورياً أن نوضحها في بيان عام.

٧ ـ القرار بشأن البرامج الجديدة لشهر رمضان مبارك باشتراكي وباشتراك الأصدقاء المطالبين بالإصلاحات، مرهون بتشكيل المجلس

العلمائي، وهذا مرهونٌ بانتخاب هيئة الأمناء والهيئة الإدارية والأعضاء على البدل للهيئة التأسيسية.

وبملاحظة اقتراب حلول الشهر المبارك، وأن هناك أشخاصاً قد تمَّت دعوتهم من قبل، لكل ذلك تبقى برامج الشهر المبارك على الشكل الذي أُتخذ القرار بشأنه سابقاً، وتوكل الدورة الجديدة إلى ما بعد الشهر المبارك.

٨ ـ لم أكن في السابق ملتفتاً إلى حدود مسؤوليتي، ولكنَّ التجارب عرَّفتين بها، وإني وفي حدود مسؤوليتي التي وصلتُ إليها بفضل التعاون، يجب أن تتوفر لي الإمكانات القانونية والعملية اللازمة، وهذه الحقيقة نبَّهني إليها بعض الأعاظم.

* * *

اقتراحات

١ ـ أُريدُ وبصورة أخوية ووديَّة التذكير بالموضوع الذي قلته قبل ثلاثة أعوام؛ لقد قُلت حينها إنَّ هناك احتياجاً لي هنا أيضاً..

وأضيف هنا أنَّ أحوالي الروحية تختلف حالياً عما كانت عليه آنذاك، ولديَّ الآن تجارب وخبرات لم تكن لدي في السابق.

٢ ـ إنَّ أحوالي الروحية الحالية التي لا أرغب في الحديث عنها واطّلاع أحدٍ عليها، تدفعني بقوة إلى التفرغ لنفسي وإصلاحها، وإلى أن أضع نفسي تحت تربيةٍ روحية لدي بعض الأشخاص الذين أُؤمن بهم.

وهذا الأمر يحتاج بشدة إلىٰ هدوءٍ كامل، لذلك لا أرغب في الاشتراك في أعمال تجلب عليَّ الضجيج العقيم الذي لا طائل منه، وبالطبع فإن هذا الأمر لا يتعلق بالنشاطات الجهادية الحكيمة، فلهذه قصةٌ أخرىٰ.

أما الخبرات التي تعلمتها، فهي: أني في السابق لم أكن ملتفتاً إلىٰ حدود مسؤوليتي، ولهذا ومن الآن فصاعداً إذا أردتُ العمل والتعاون فيجب أن تكون إمكاناتي القانونية والعملية متناسبة مع حدود مسؤوليتي.

٣ ـ وحول أسلوب العمل ينبغي أن أقول إنَّ التعاون يكون ممكناً عندما نكون في ظروف متساوية، سواءٌ من جهة هيئة الأمناء أو الهيئة الإدارية.

٤ ـ أنا لا أتطوعُ لعضوية المجلس العلمائي، ولكن وعلىٰ أي حالٍ سواءٌ اشتركت فيه أم لم أشترك، يجب أن يكون هذا المجلس بمستوىٰ يؤهله لأن تقتنع الحوزات العلمية به باعتباره مركزاً اجتهادياً ومجلساً اجتهادياً.

لقد كنا أصحاب اقتراح تشكيل «مجلس الإفتاء» (وإن كنَّا الآن لا نسميه بهذا الاسم) ولكن إذا أعطينا نقطة ضعف في المجلس العلمائي فإن ذلك سيزعزع قرارات المؤسسة ويُسقط اقتراحنا وفكرتنا تلك.

٥ ـ فيما يتعلق بالشخص الذي رشَّحتموه، فإن يصلح لكي نوليه

مسؤولية أساسية وكبيرة إذا كان ما نُريدُهُ هو تأسيس «مجلس تبليغي»، ولكن لا يمكن انتخابه في «المجلس العلمائي» الذي نريدُهُ أن يكون بمستوىٰ «مجلس الافتاء».

٦ ـ وخلاصة وجهات نظري هي أنني لن أستطيع التعاون والعمل معكم بدون استقطاب جناح العلماء الواعين، هذا الجناح وخلافاً لتصوركم لا ينقاد إليَّ انقياداً فإذا جئتُ جاؤوا.

إن أعضاء هذا الجناح أيضاً مستعدون للتعاون، ولكن بشروط أيضاً هي أن يكن لديهم ممثلٌ منهم في هيئة الأمناء، وممثلٌ في الهيئة الإدارية، وأن تُدار البرامج والنشاطات تحت إشراف هيئة علمية وليس تبليغية صرفة، وأعضاء هذا الجناح أيضاً يعرفون أن العمل مع هذه المؤسسة يستتبعُ مسؤوليةً عظمىٰ تتوجه إليهم.

إن المجلس العلمائي هو مجلسٌ علميٌّ وليس تبليغياً ليكون الشيخ «الفلسفي» مرشحه الأصلح.

السيد الطباطبائي جيدٌ لهيئة الأمناء والهيئة الإدارية.

وحسب وجهة نظر أعضاء الجناح المذكور فإن الاشتراك في عمل المؤسسة لا يعني الاشتراك في مجلس عزاء حسيني، بل اتخاذ خندق لمواجهة الأجنحة والتيارات الأخرىٰ التي شاهدنا بأعيننا اتساع وخطورة دعاياتها.

وبناءً علىٰ ما تقدم يجب أن نكون واثقين من خندقنا بحيث نطمئن أن لا يصيبنا خنجر غادر من الخلف، ولهذا فإن أعضاء ذلك الجناح

وما لم يطمئنوا من وضع الهيئة التأسيسية وهيئة الأمناء والهيئة الإدارية والمجلس العلمائي الأعلىٰ، فلن يكونوا على استعداد للتعاون والعمل هنا، وحتى إذا جئت أنا فسيتركوني وحيداً، وحسب وجهة نظري فإن مطالبهم منطقية، في الماضي كان حالنا كحال الفلسطينيين الذين تخندقوا في الأردن فهاجمتهم حكومتها.

وأنتم إما أن تكونوا ترون فينا كفاءةً (أخلاقية وعلمية)، أو لا ترون فينا ذلك، فإذا كان الحال هو الثاني، فلنتصافح هنا ونفترق، وإذا كنتم ترون فينا هذه الكفاءة فوافقوا علىٰ مطالبنا المنطقية التي لا تخرج عن حدود الإمكانات المتوفرة.

أما بالنسبة للأشخاص الذين أجدُ فيهم كفاءة ومواصفات العضوية في المجلس العلمائي الأعلىٰ، وأحتمل قبولهم بها وليس هنا مانع سياسي أو اجتماعي من اشتراكهم، فهم:

١ ـ السيد الحاج أبو الفضل الموسوي الزنجاني.

٢ ـ السيد محمد البهشتي.

٣ ـ الحاج الشيخ حسين وحيدي.

٤ ـ الشيخ ناصر مكارم.

٥ ـ الشيخ الخزعلي.

٦ ـ السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي.

٧ ـ الحاج الشيخ محمد رضا المهدوي الكني.

٨ ـ السيد رضا الشيرازي.

٩ ـ السيد رضا الصدر (ابن المرحوم آية الله الصدر).

١٠ ـ الحاج السيد باقر الخوانساري (ابن المرحوم آية الله الخوانساري).

١١ ـ الشيخ لطف الله الصافي الگلبگاني.

١٢ ـ الشيخ محمد تقي الجعفري التبريزي.

* * *

موقفي

١ ـ فتنةُ العامين هي علىٰ رأس الفتن.

٢ ـ الدفاع عن السيد (همايون) ودوافع التأسيس والتفاؤل بالاستمرار والرجاء به وبمستقبله دون أخطاء، ومعارضة أفكار وآمال إزالته.

٣ ـ لقد مضت (١٢) عاماً علىٰ هذه الفكرة، شهدت قضايا مختلفة كانت لي تجاهها مواقف، واليوم وحيث أعودُ إلىٰ الوراء وأتدبر في هذه المواقف أرىٰ أنها جديرةٌ بالطرح والاستفتاء بشأنها؛ ولهذا أضعُ تحت الاستفتاء والنقد الاجتماعي والديني مواقفي تجاه مجريات الحسينية المرتبطة بي بدرجة ما وهي تؤثر علىٰ طريقة عملي المستقبلية بالطبع.

فإذا كانت لدي أخطاء نبّهوني عليها، وإذا كانت مواقفي صحيحة

اقتدوا بها، وأسعى ـ وإنْ كنتُ أنقلُ بعضها عن حافظتي ـ إلىٰ أن لا أقول شيئاً خلاف الواقع وإذا رأوا مثل ذلك فأرجو ممنوناً أن ينبهوني عليه.

٤ ـ لقد بدأ هذا العمل في محرم الحرام عام ١٣٨٥ هـ. ق وعلىٰ هيئة إلقاء محاضرات دينية علىٰ مدىٰ عشرين ليلة في العشرين الأولى والثانية من شهر محرم في البداية وإلىٰ حدود العام [....][١] في مكان مؤقت، ثم، وفي عام [....][٢] انتقلنا إلىٰ المركز الجديد الحالي، ومنذ ذلك التاريخ اتسع المركز وفي تاريخ [....][٣] أصبحت، الهيئة الإدارية رسمية.

٥ ـ خلاصة نظري (فيما يتعلق بالمرحوم شريعتي ـ المترجم)؛ يُذكر بخير ويُنبّه إلىٰ أخطائه.

٦ ـ موضوع تغيير الاتجاه (الخطاب هنا وفي الفقرات (٧ ـ ٨) موجه للمرحوم شريعتي) إذا حملناه علىٰ الصحة بنسبة ٥٠٪ فهو كان عن غير اطلاع، وهذا تجسيدٌ لمثلث ماركس.

ووصف الدكتور (آرائي)، وأضرار هذا الشعار علىٰ الروح الثورية للشباب، واختيار وجوه من أمثال الخواجة الطوسي، والمقدس الأدبيلي والميرداماد، والشيخ البهائي.

٧ ـ إذا كان الخواجة قد قبّل يدّ خان المغول، فأنتم قد دوَّنتم فلسفة النظام المغولي، وإذا كان المجلسي قد مدح السلطان

---

(١) (٢) (٣) نقص من المصدر.

حسين. . فإن جميع أعمال علماء الإسلام من هذا النوع لو وُضعت في كفة ميزان لكانت أخفّ من أعمالكم!!

لماذا تنسون انتفاضة «التنباك»، وانتفاضة ميرزا محمد تقي الشيرازي في العراق؟! ولماذا تنسون أن السيد جمال الدين كان حوزوياً أيضاً.

٨ ـ إن المقصود من الحوزوي ليس (زيّه)، فالحوزيون هم حملة الثقافة الإسلامية ذات تاريخ الألف والثلاثمائة عام، ومعلومٌ أن حملتها هم بهذا الزي، ولكنَّ هناك الكثيرين متلبسون بهذا الزي أيضاً وما هم بعلماء حوزويين ولا «ملالي» كما تسمونهم.

٩ ـ ليست له (المقصود هنا هو الدكتور شريعتي ـ المترجم) ميولٌ سنيةٌ وإن كانت له أخطاء في موضوع (الإمامة)، وبين هذه الميول وهذه الأخطاء فرق واضح.

أساتذتُهُ (شريعتي ـ المترجم) هم والدُه، الكسيس كارل، ما سينسيون المستشرق وعضو وزارة الخارجية الفرنسية)، كورويج اليهودي المادي، جان بول سارتر المادي الوجودي، دور كهايم عالم الاجتماع المعادي للدين، فإيٌّ من هؤلاء كان سنّياً أو وهّابياً.

ومن الظلم أن نصف والده المحترم بكل ما يمتاز به (. . .) بميول سنية، وبالنسبة له (الدكتور شريعتي ـ المترجم) لماذا يُتهم بذلك؟! إنه كان ينتفع بكل روح ثورية وعقيدة ثورية، فأيُّ ثورية توجد في الميول السنية أو الوهابية؟!

إن الأشخاص الذين توجد فيهم ما كانت فيه من روح ثورية، وحتىٰ لو كانوا من السنة فإن احتمال تشيعهم يكون أقرب؛ ففي التشيع توجد مكامن الروح الثورية.

في التشيع توجد واقعة كربلاء وانتفاضة أبي ذر، والأئمة الشهداء، الشهيد تلو الشهيد، في التشيع يوجد الأمل والانتظار للفرج الشامل.

١٠ ـ موعظةٌ ونصيحةٌ لأولئك الذين هم مثل أبنائي: «أعرضوا عن اللغو، واحذروا أن بعض الحوادث تجر إلىٰ عواقب قد لا تريدونها أنتم أيضاً. الأوضاع الحالية تحمل حوادث نظير واقعة القرن الثالث عشر الهجري، وكتابات ذلك المرحوم (شريعتي ـ المترجم) تحمل بذور مثل هذا الانشقاق المشؤوم (كوير) (اسم كتاب للدكتور شريعتي ـ المترجم).

١١ ـ إنني ألتمسُ بالدرجة الأولىٰ من والده المحترم ـ الذي يعترف بالأخطاء (الموجودة في كتاب شريعتي ـ المترجم) وقد تحدثنا حول هذا الموضوع في مشهد ـ أن تدخلوا في الموضوع ـ فأنتم ولا شك أحرص من الجميع علىٰ سعادته الأخروية وطيب ذكراه الدنيوية ـ إذن ساعدوا علىٰ إصلاح أخطائه، إنه الآن في العالم الآخر ويتوقع من محبيه أن ينشروا سننه الحسنة ويوقفوا سننه السيئة.

الموارد التي أقدم ويقدم عليها السيد (. . .) دون استشارة:

١ ـ على الرغم من أنه كان الاتفاق على أن أكون من الهيئة التأسيسية فقد أخرجني منذ البداية، رغم أن دوري في تأسيس (المؤسسة) كان أكبر من دور السيد همايون ودور السيد (. . .) فضلاً عن الدكتور علي آبادي.

٢ ـ استخدام أيٍّ من الموظفين العاملين هنا لم يتم باستشارتي.

٣ ـ قضية تمديد إقامة خليل الرحمن والمبلغ الذي دُفع له.

٤ ـ استئجار بناية (النقرجي).

٥ ـ نشر (آذان التكبير).

٦ ـ نشر (التقويم).

٧ ـ البيان الأخير وطبعه.

٨ ـ الإعلان عن برامج خاصة بالجامعيات والإشكالات التي أوجدتها.

٩ ـ في قضية الحج على الرغم من صدور قرار بوجوب أن تتم المصادقة على برامجه من قبل الهيئة الإدارية من جهة الطبيب والعالم وسائر الأعمال.

١٠ ـ الأموال التي تُؤخذ بمبالغ كبيرة دون اطّلاعي.

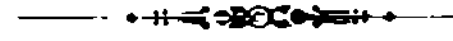
١١ ـ الأموال للمسجد بالترتيب نفسه.

١٢ ـ قصة أموال . .

١٣ ـ قضية الأربعين نسخة من كتاب العدل الإلهي .

١٤ ـ قضية الإعلان عن مجلس تأبين المرحوم الأميني .

١٥ ـ الزيارات المتوالية لمشهد بأموال الحسينية .



تحدّيات التجديد عند الشهيد مطهري رَحِمَهُ اللَّهُ

الفقه الإسلامي وتحدّيات التجديد عند الشهيد مرتضى المطهري

الإجتهاد وآلياته في العصر الحديث، ضرورة تتجاوز مجرد حاجات الواقع إلىٰ إلزامات المعرفة نفسها، ولا ينطلق هذا التكوين المحيط بالإجتهاد ليساهم ــ هو الآخر ــ في بلورة كينونة جديدة له.

هذا هو بالضبط ما حصل مع التيار النهضوي في الفكر الإسلامي، ومن أعلامه الشهيد الشيخ مرتضى مطهري رحمه الله تعالى، لقد حمل المطهّري إلىٰ الفقه مناخاً جديداً، وليس مسائل جديدة أو التماعات موردية صرفة، وكان هذا المناخ هو الكفيل ببعث روح جديدة في الموضوعات القديمة، كما وخَلْق أفق جديد ينادي على مسائل مستجدّة لوضعها على بساط البحث وتحت مجهر النقد والتقويم.

ولكي نوجز معالم المنهج عند مطهّري نرصد محاور ثلاثة تتّصل بالبعد المعرفي كما تتناول البعد العملاني أيضاً:

١ ــ أوّل محاور المنهج عند مطهّري هو القراءة التاريخية للفقه الإسلامي، تلك القراءة الغائبة أو المغيّبة في التراث الفقهي، عدا

محاولات محدودة جدّاً ومتباعدة زماناً، إنّ محاولة مطهري رصد تطوّر مفهوم الاجتهاد، أو مفهوم الفقه مثلاً من الزاوية التاريخية، وكذلك رصده ولادة علم أصول الفقه، أو مسار الجهد الفقهائي عبر التاريخ . . .

كان محاولة لفهم الفقه بوصفه ظاهرة في الزمان والمكان، لم تولد ـ هي وظواهرها المتّصلة بها ـ من عدمٍ أو عماءٍ، ولم تنزل ـ بجميع تمظهراتها ـ من أفق أعلى يمنحها سكُونيّةً أو ثباتاً.

لقد شقّ مطهّري ـ ومعه جماعة من رادة النهضة والإحياء ـ طريقاً جديداً ولو كان في بداياته الأوّلية، طريقاً لا تحيا فيه الأفكار أو المقولات الفقهية خارج السياج الزمكاني، بل تتفاعل معه في علاقة جدليّة ثائرة.

كان الدرس التاريخي للفقه وأصوله ـ وما زال ـ حاجة ماسّة لرفع مختلف أشكال تزييف الواقع أو الوعي به، فيما يرجع إلىٰ هذا العلم المقدّس والمبارك.

٢ ـ أمّا ثاني محاور المنهج عند مطهّري والذي هو من أهمّها، فكان ثنائي العقل ـ النقل، تلك القصّة الطويلة في التاريخ الإسلامي، لقد كان مطهّري امتداداً للفلسفة الصدرائيّة عبر رائدها في القرن العشرين العلامة الطباطبائي، وكان طبيعيّاً أن يكسر ـ بما يعطيه من قيمةٍ للعقل ـ كلّ الحواجز الموصدة أو النوافذ المغلقة التي تريد إذلال العقل.

من هنا كان موقفه من الفكر الأخباري بمظاهره المتطرّفة ــ وهو يمارس قراءة جلموديّة صلدة للنص الديني ــ موقفاً سلبيّا جدّاً، ذاك الفكر الذي ما زال مختبئاً في بعض زوايا عقولنا كما يراه مطهّري نفسه، لقد بعث المطهّري في قراءة النص الروحَ المتحرّكة عبر إدخاله في سياق الزمان والمكان، كما وربط مجمل العملية الاجتهادية بالبناءات المسبقة للباحث الديني، في خطوة تبدو لنا ذات دلالة على مدى نفوذ الأحكام العقلية والوعي المسبق في نتائج الفقه الإسلامي، دون أن نحسب المطهري على التيّارات المفرطة في هذا المجال.

وبتحطيم قيود العقل الأخباري بالمعنى الواسع للكلمة، ذاك العقل السلفي المنشدّ على الدوام إلىٰ الظواهر التاريخية بوصفها كائنات جامدة يمكن استنساخها بصورها المطابقة في أي زمان ومكان، بهذا التحطيم. . .

حاول المطهّري إعادة تكوين مفهوم الاجتهاد، فربطه بالواقع، ليجعله خطوةً تعيش حراكاً دائماً، بدل ربطه بمن مضى في الزمان فحسب كما حاولته الاتجاهات الأخباريّة في الفكر الديني، وهذا ما دفع المطهّري إلىٰ نقد الفقه الفرضي الذي يستنزف ذاته في موضوعات لا تمتّ إلىٰ الواقع بصلةٍ تُذكَر، تحت ستار المعطيات العلمية النظرية أو تمرين العقل على العمليات الاجتهادية البالغة التعقيد، وكان هذا الإبداع النظري لدى هذه التيارات بمثابة تعويض عن نقصها في الحضور الميداني أمام تحدّيات الفكر والثقافة والعمل في الواقع السياسي والاجتماعي للمسلمين.

٣ ـ وهذا أيضاً ما جعل المطهّري داعيةً إلىٰ فقهٍ قادر على التنقّل بين المدارس الفقهيّة المختلفة الانتماء، فقهٍ يستوعب اتجاهات الدرس الفقهي عند المذاهب الإسلاميّة كافّة، بدل تهديم جسور الاتصال فيما بينها، فقهٍ لا ينظر إلىٰ نتاج الآخر من نظّارة سوداء معتمة بل يحاول توظيفه لخدمة العملية الاجتهادية واكتشاف الحقيقة الفقهية.

وهذا هو أيضاً ما دعا المطهري إلىٰ إطلاق صرخة لتكوين مجالس فقهيّة تعتاش على التخصّص في الفروع الفقهية، كما تقتات على الحوار الجادّ والأصيل بين الباحثين والفقهاء، فقد آمن المطهري بعدم جدوائية البحث عن فردٍ واحدٍ يستجمع كل التخصّصات الفقهية فضلاً عن الدينية، ليكون استثناءً على الدوام، ووعى هذا الشيخ الشهيد حقيقة تطوّر العلوم في القرون الأخيرة وحقيقة واقع التحدّيات التي باتت تثقل كاهل الفقيه عن أن يستوعب هذا التراكم الهائل للمستجدّات الفكرية والعمليّة.

٤ ـ ولم يبق المطهّري ـ في تحليله لبنية الاجتهاد الفقهي ـ عند حدود المكوّنات المعرفيّة له، بل تعدّى ذلك إلىٰ مطاولة العلاقة بين الاجتهاد ونتائجه من جهة وبين تأثيراته وعلاقاته المؤثّرة بالواقع الخارجي الحياتي الضاخّ بالحِراك من جهةٍ أخرى، فكانت دراسته لظاهرة الفتوى وثلاثيّة:

الواقع والمصلحة والاحتياط، في خطوةٍ بدت منه معبّرةً عن حاجة الفقه الإسلامي الواقعي غير الفرضي لإعادة مدّ جسور العلاقة

بين المجتهد والمقلِّد، فليست هذه العلاقة علاقةً صامتةً أو تلقينيّةً، بل هي ـ عند المطهّري ـ علاقة جدلية، تتكوّن من:

أ ـ علاقة انفعال، تتبدّى في نقد القاعدة الواعية للمرجعيّة نقداً أميناً وخلوقاً، ليعقب ذلك أخذ المرجعية هذا النقد بعين الاعتبار وعدم الكشح بالوجه عنه أبداً.

ب ـ وعلاقة فعل، تفعل فيها الفتوى التأثير في الواقع وحياة الناس على أساس المصلحة الملتزمة لا المصلحة النفعيّة البراغماتيّة، ولا يفعل فيها الواقع التأثير في الفتوى عبر تكوين سيول من الاحتياطات المتكاثرة التي نقدها مطهّري ومعه الشهيد مصطفى الخميني والشيخ محمّد جواد مغنيّة، وهي احتياطات يراها مطهّري ضروريّةً ما دامت ضمن الحدّ المعقول الذي لا يُربك الواقع ولا سيرورة الحياة.

إنّها العقلية التي تؤمن بالشفافية والوضوح عند مطهّري، عقليّة تنقد ـ بإخلاص ـ كافّة أشكال التعتيم أو التجهيل تحت ذرائع عدّة، لتعيد تكوين علاقة محبّة ورأفة بين المرجعيّة والمقلّدين، لا علاقة لا تعرف مراعاة الواقع أو تتعالى عن هموم الإنسان البسيط.

٥ ـ وفي المحور الثالث والأخير الذي عمل عليه المطهري، تبدو لنا فلسفة الأحكام وتحدّيات الحداثة، فلسفة تؤمن بالسؤال الذي بات يطرحه العقل الإنساني اليوم حول جدوائيّة التشريعات الدينية، إن الاعتراف بهذا العقل في سؤاله هو ما دفع مطهّري لممارسة تحليل

وفلسفة لجملة من الأحكام الشرعية بدءاً من إشكاليات فقه المرأة وصولاً حتى الإرث والفقه الاقتصادي.

لم يعد العقل الحداثي مستعدّاً لهضم مقولة التعبّدية في الأحكام، فكان على المطهّري الناهض بمسؤوليّة الدفاع عن الإسلام أن يقدّمه هذه المرّة بلغة عقلانية تقوم على خطاب هادئ في تبرير الأحكام، وعلى مفاهيم متناسقة تعطي منظومة التشريع في محور معيّن ــ كمحور المرأة ــ قدرة التناغم الداخلي الذي يحميها من هزّات أو ارتجاجات عنيفة قد تصيبها.

إن مطهّري لم يكن يرضى بقمع عقول الشباب السَّؤول عن أن يدرك فلسفة هذا الحكم الشرعي أو ذاك، رغم أنّنا لاحظنا أنّه كان يعتقد بالتفسير النمطي في أصول الفقه الشيعي والقاضي بعدم إمكانيّة كشف ملاكات الأحكام وعللها، ولهذا تصدّى لمحاولة عقلنة التشريعات الإسلاميّة ليسدّ ثغرةً حقيقيّةً في الفكر الديني في العصر الحديث.

إنّ مطهّري بالنسبة إلينا اليوم ضرورة... وليس خياراً

إنّه حاجة... وليس ترفاً

إنّه عزيمة وليس رخصة

٦ ــ ما أحوجنا اليوم في عصر العولمة والغزو الثقافي بل والتطهير الثقافي الشرس الذي يتعدّى بشراسته التطهير العرقي... ما أحوجنا الى مطهّريٍّ جديد، كما احتاج الفقه الشيعي بعد الطوسي (٤٦٠هـ)

إلىٰ ابن إدريس الحلّي (٥٩٨هـ) ثائراً على نزعة التقليد والاتّباع وموت الخلاقيّة والإبداع. . . إلىٰ نهضةٍ تُوازِن بين نقد الذات ونقد الآخر. . . بين بناء الذات وتقويم الآخر. . . حتى لا نستغرق في نقد الذات فتغيب ذواتنا عنّا ونفقد أصالتنا وهويتنا، أو نستغرق في نقد الآخر حتى نغلق الدنيا علينا من حولنا، فنموت في شرنقةٍ نحن صنعناها لأنفسنا.

لن يموت المطهّري عندما نواصل في أنفسنا ضخّ روح التحديث والتجديد والنقد البنّاء دون خوف أو وجل، لكنّه سيموت حتماً عندما نرضخ من جديد لنزعة سلفيّة أخبارية تقتلنا جميعاً دون رحمة، وهي تتحالف اليوم تحالفاً غير معلن مع الآخر، مع الغرب المستعمر، مع الاستكبار العالمي.

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ الزمر: ٩.



الشهيد مطهري رحمه الله وإحياء الفكر الإسلامي

مرتضى مطهّري من الاحيائيين الذين اهتمّوا باستئناف الحركة الحضارية لهذه الأمة، وكان اهتمامه الأول في عملية الإحياء الساحة الفكرية، لأن هذه الساحة كانت مستهدفة اكثر من غيرها في إيران.

فهذا البلد عاش غزوا ثقافياً غربياً منذ مطلع القرن الثامن عشر، ولذلك شمّر عن ساعد الجدّ لخوض مواجهة وتأسيس في ساحة المعرفة والمفاهيم والعادات والوعي النخبوي والجماهيري، لكنه مع ذلك لم ينس الدور الذي يجب أن ينهض به المفكر في ساحة الدفاع عن المظلومين في المجتمع.

العودة إلىٰ الحياة الإسلامية تبدأ من العودة إلىٰ المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتطهير الأفكار والنفوس مما علق بها من انحراف.

هذا هو الأساس الذي تبنّاه كلّ المصلحين في عالمنا الإسلامي لعملهم الاصلاحي على اختلاف اجتهاداتهم في تشخيص نوع الانحراف وترتيب الأولايات.

الشهيد مطهري من أولئك الدعاة الذين نذروا أنفسهم لإصلاح المجتمع الإيراني، مبتدئاً بإصلاح المفاهيم ومحاربة الإنحرافات

الفكرية، ويطلق على هذه العملية اسم «إحياء الفكر الديني» كما سمّاها أيضاً إقبال اللاهوري من قبل.

ويوضّح مقصوده من إحياء الفكر الديني بقوله: «المقصود من إحياء الفكر الديني ليس هو إحياء الدين نفسه، بل إحياء التفكير بشأن الدين، وبعبارة أخرى غسل الأدمغة مما تراكم فيها من انحرافات وتشويهات بشأن الدين»[(١)].

نستطيع أن نفهم عِظم المسؤولية التي نهض بها الشهيد مطهري في عملية الإصلاح الفكري، لو عرفنا ضخامة الجهود التي بُذلت في إيران خلال القرون الأخيرة لتشويه صورة الإسلام، ولمسخ المفاهيم الإسلامية عن طريق مزجها بالمفاهيم المادية الغربية.

الهزيمة التي مُني بها العالم الإسلامي أمام الاستعمار الغربي كانت هزيمة نفسية بالدرجة الأولى، وهذه الهزيمة الداخلية دفعت بكثير من المثقفين المهزومين إلىٰ الطعن في تراث الأمة وتاريخها وأصالتها، وإلى التبعية الفكرية والنفسية لعالم المستعمرين.

لقد نهض نفر من العلماء لدراسة هذه الظاهرة في العالم العربي وفي شبه القارة الهندية[(٢)].

---

(١) إحياء الفكر في الإسلام، مطهري، ترجمة آذرشب، ط ١، طهران ١٤٠٢هـ، ص١٣.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، دار الفكر، بيروت؛ وكتاب: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، الندوي، القاهرة ١٩٧٧م.

ولكن قلّما احتوت المكتبة العربية دراسات عن هذه الظاهرة في إيران.

في اعتقادنا أن الجهودَ التي انصبّت لمسخ المفاهيم الإسلامية وتشويهها، وإشاعة روح «التغرّب» و«الالتقاط» في إيران كانت أعمق وأوسع مما كانت عليه في أجزاء العالم الإسلامي الأخرى، ذلك لما يتمتع به هذا البلد من علماء ومن حركة علميّة تتجه نحو الاجتهاد في مسائل الدين، ولابد أن تكون الخطة لمواجهة هذه الحركة العلمية المعمّقة في إيران عميقة ومدروسة.

أوّل من نهض بعملية الغزو الفكري، وعملية مسخ الشخصية الإسلامية في إيران دولة بريطانيا، فمنذ سنة (١٦٠٠) ميلادية وضعت لإيران خطة تمثلت ــ كما ورد في الوثائق البريطانية ــ بما يلي:

١ تقوم وزارة الخارجية البريطانية بتأسيس سفارة ومؤسسات بريطانية أخرى في إيران.

٢ ــ الشركات البريطانية مكلفة بتأسيس فروع تجارية، وبنوك في إيران وبالسعي للحصول على امتيازات استثمار المعادن والمناجم.

٣ ــ المستشرقون البريطانيون مكلفون بالتوجه إلىٰ إيران، ودراسة آدابها وتاريخها وفنونها.

٤ ـ علماء الآثار يتحملون مسؤولية دراسة آثار إيران، وإجراء التنقيبات والحفريات فيها. وصاحب ذلك طبعاً نهب كثير من آثار إيران القيّمة.

٥ ـ المركز الماسوني الأعلى مكلّف بإرسال أفراد إلىٰ إيران لتشكيل اللوج الماسوني في هذا البلد، وتشجيع الإيرانيين القادمين إلىٰ بريطانيا على الانتماء إلىٰ الماسونية.

٦ ـ على البريطانيين الموجودين في إيران أن يستغلوا نقاط الضعف الموجودة في إيران من رشوة، وفساد، وسرقة، لتحقيق أهدافهم، وأن يسعوا لتعميق هذه المظاهر السلبية ونشرها.

٧ ـ البريطانيون الموجودون في إيران يسعون لتقسيم إيران، وإضعاف الحكومة المركزية، ومحاولة الحطّ من قيمة الحضارة والثقافة الإيرانية[١].

لعلّ عملية نشر الماسونية والاستشراق في إيران كانت أكثر من الغزو العسكري والاقتصادي تأثيراً في التمهيد لاستعمار إيران، والسيطرة على مقدراتها. آثارها ملموسة في الهزيمة النكراء التي مُني بها المثقف الإيراني

هذا المثقف الذي تعلّم في أوروبا، وفي جامعات إيران ليتولّى أمور بلده في مجلس الشورى، والوزارات، والدوائر، وليسوق بلده

---

(١) فراموشخانه وفراموسنرى در إيران (بالفارسية) إسماعيل رائين، طهران، منشورات أمير كبير.

نحو أهداف المستعمرين، وليقدّم كل مقدسات بلده على مذبح الطامعين والغاصبين.

من أجل أن نعطي صورة أكثر وضوحاً عن الهزيمة النفسية والفكرية التي سادت المثقفين الإيرانيين، نذكر بعض روّاد الماسونية والتغرّب في إيران، ونبدأ بالميرزا يعقوب خان الأرمني.

عاش الميرزا يعقوب في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، ويعتبر أول رائد للتغريب في إيران، والد ملكم خان الذي سيأتي ذكره، ومن مؤسسي الماسونية في إيران، وأحد أعضاء عصابة ميرزا آقاخان نوري قاتل المصلح السياسي الإيراني المعروف «أمير كبير» ومن عملاء بريطانيا العاملين على تجزئة أرض خراسان.

فريدون آدميّت (وهو كاتب إيراني ماسوني، ألف كثيراً في تاريخ المثقفين التقدميين! في إيران) يفخر بأنه عثر على رسالة للميرزا يعقوب خان يذكر فيها أن الحل الوحيد لانتعاش اقتصاد إيران هو فسح المجال للأوروبيين أن يوظفوا رؤوس أموالهم في إيران، وتنشيط سياحة الغربيين فيها[١].

الميرزا يعقوب هذا يوجه رسالة إلىٰ ناصر الدين شاه في حدود سنة (١٢٩٠هـ)، ويدعوه إلىٰ إعادة النظر في الأحكام الدينية، ويركز على الجهاد بالذات ويقول:

---

(١) أنديشة ترقى وحكومت عصر سبهسالار (بالفارسية)، فريدون آدميّت، ط ٢، ص ٤٥ ـ ٤٨.

إن المفهوم القديم للجهاد لم يعد له أي اعتبار الآن، ويجب تحويل مفهومه إلىٰ شكل معاصر يرتبط بتحصيل الخير العام، مثل الجهاد من أجل دفع الفيضانات ومن أجل إنماء البلاد[١].

يأتي بعد الميرزا يعقوب خان في قيادة حركة التغريب في إيران ابنه ملكم خان، ناظم الدولة (١٢٤٩ ــ ١٣٢٦هـ. ق)، ويحمل لقب برنس من بلاط الشاه، تولى سفارة إيران في لندن، ثم في روما[٢]، ويعتبر دماغ الماسونية المفكر في إيران ورائد التغريب فيها.

كان بيته منتدى، يجتمع فيه كل المشكوكين، ومتزلزلي العقيدة من الإيرانيين، مثل الشيخ محمد باقر بواناتي (معلم أدوارد براون في اللغة الفارسية)، والحاجي بير زاده، وسائر المثقفين الذين تولوا فيما بعد الحركة الدستورية في إيران[٣].!!

وهذا يبين لنا سبب انحراف الحركة الدستورية في إيران، وسبب معارضة علماء الدين الواعين لها من أمثال الشيخ فضل الله نوري.

ويتحدث ملكم خان بنفسه عن سبب تأسيس المركز الماسوني في إيران ويقول:

لقد خططتُ من أجل أن أمزج بين العقلية السياسية الغربية

---

(١) نفس المصدر، ص ١٠٣ و١٠٤.

(٢) مقدمه فكرى نهضت مشروطيت (بالفارسية) د. علي أكبر ولايتي، ص ٨٠، ط ٣، طهران ١٩٨٦.

(٣) تحقيق در أفكار ميرزا ملكم خان (بالفارسية) نورايي، ص ١٠٢، طهران ١٣٥٢هـ. ش.

والعقلية الدينية الشرقية، لأنني ألفيت أن تغيير إيران على النمط الأوربي لا يتحقق، من هنا سعيت إلىٰ تقديم فكرة التطور المادي في لفافة الدين، لكي يفهم أبناء وطني هذه المعاني جيداً، ودعوت أصدقائي والشخصيات المرموقة وحدثتهم عن ضرورة «إصلاح الإسلام»[١]!

ونرى بين أعضاء المركز الماسوني الذي أسسه ملكم كتّاباً ساروا على نفس النهج منهم «الميرزا يوسف خان» مستشار الدولة، وصاحب كتاب «يك كلمة» أي كلمة واحدة، وهو من دعاة مزج الإسلام بآخر ما أنتجته الحضارة الغربية، ويصرّح بضرورة تكميل الإسلام! وتغييره وفق مقتضيات العصر! وأنه لابد من تقليد أوربا في تنظيمات إدارة البلد، وبغير ذلك لا يمكن لدولة أن يكتب لها البقاء.

ويقول: بين دول الغرب تعتبر بريطانيا أول وآخر سند وصديق لنا[٢].

ومن رؤوس التغريب والمسخ في إيران «فتح علي آخوند زاده» (آخوند أوف)، يقول عنه فريدون آدميّت:

«.. في مدرسة الأفكار الجديدة يعتبر ميرزا فتح علي آخوند زاده (١٢٢٨ ــ ١٢٩٥هـ) من المبدعين.

---

(١) أنديشة ترقى..، آدميت، ص ٦٤ ــ ٦٥.
(٢) تشيع ومشروطيت در ايران (بالفارسية)، عبدالهادي حائري، منشورات أمير كبير، ط١، طهران ١٣٦٠هـ.ش

إنه يمثل التفكير العلمي الناقد، رائد كتابة المسرحية والقصة الأوربية في الشرق، مبتكر إصلاح الخط وتغيير الحروف الهجائية في المجتمعات الإسلامية، منتقد الأدب الكلاسيكي، ورافض التقليد في كتابة التاريخ، ومن دعاة أخذ العلم والحكمة الغربية، واضع أسس التفكير القومي الإيراني، ومنتقد السياسة والدين، والمؤمن بانفصال الدين عن السياسة، وعدوّ الحكم الاستبدادي، وكل حكم فردي، من أنصار المشروطة (الحكم الدستوري) العقلي العرفي، القائم على الحقوق الطبيعية، والمنادي بالإصلاح الديني، مفكر مادي متحل بأفكار منظمة مبوّبة، ليس في نظام تفكيره تناقض أو تباين، كل ما يحمله هو أصالة المادة وسلطان العقل»[١].

وهذا النص الذي يمثل خلاصة شخصية آخوند زاده، على لسان واحد من أنصاره والمستوعبين لحياته وأفكاره، يبين اتجاه الطبقة المثقفة أو المستنيرة! كما يسمونها، وأهدافها وآمالها، وهي:

إصلاح الدين! وفق نظرة مادية[٢]، ثم إحياء القومية الإيرانية، وتغيير الخط العربي، واستبدال الحرف اللاتيني به، ثم الدعوة إلىٰ النظام الدستوري، وهي دعوة لم تكن تستهدف القضاء على الحكم الفردي بقدرما كانت ترمي إلىٰ جعل زمام التقنين بيد عملاء الغرب،

(١) أنظر: أنديشه هاى ميرزا فتحعلي آخوند زاده (بالفارسية)، فريدون آدميّت.
(٢) وهي محاربة الدين طبعاً، ومحاولة إزالته من المجتمع باسم الإصلاح.

وسدّ الطريق أمام فقهاء الشريعة، ومنعهم من التدخل في شؤون المجتمع.

وهذا هوالذي حدا بالشيخ فضل الله نوري ـ كما ذكرنا ـ إلىٰ إعلان المطالبة بالحكومة «المشروعة» بدلاً من الحكومة «المشروطة» التي كان ينادي بها هؤلاء المهزومون أمام الغرب، وكان يشبّه هؤلاء المتغربين بالسامري الذي أضلّ قوم موسى، وكان ينادي قائلاً: «أيّ أحمق يقبل أن يكون الكفر حامياً للإسلام؟! وملكم النصراني حامياً للدين المبين؟!»[١].

من الأسماء البارزة بين المثقفين المتغربين الإيرانيين «عبد الرحيم طالب أوف»، ولد في تبريز سنة ١٢٥٠هـ، وفي السابعة عشر من عمره هاجر إلىٰ جنوب روسيا، وألف كتباً في الاجتماع والسياسة، وأرسلها إلىٰ إيران، يبث فيها أفكاره بشأن إجراء إصلاحات في الدين! وتغيير الحروف العربية في الخطّ الفارسي[٢].

في كتابه «مسائل الحياة» (بالفارسية) يعقد حواراً بين آقا رضا (وهو عالم دين تقدمي!)، وأحمد آقا (مثقف مزود بالعلوم الحديثة) يتحدث فيه آقا رضا عن علوم الدين التي تعلمها، ويستهين بها،

---

(١) تذكرة الغافل وإرشاد الجاهل (بالفارسية)، فضل الله نوري، ص ١٨

(٢) انظر: ازگاتها تا مشروطيت (بالفارسية)، محمد رضافشاهي، ص ٣٩٢، طهران ١٣٥٤هـ. ش تاريخ مشروطه إيران (بالفارسية)، أحمد كسروي، ص ٦٢، ط ١٢، طهران، منشورات أمير كبير.

ويصفها بأنها «ألسنة الأموات، وأنها معلومات قد سقطت من حيّز الانتفاع، وأصبحت من الخرافات!)»، ثم يبدأ بتوضيح عطاء العلوم الحديثة[١].

ماذكرناه من أسماء لمثقفين متغربين إيرانيين إنما يمثل الرعيل الأول، وتبعهم رهط كبير ألّفوا في بثّ فكرة التغريب، وإصلاح الإسلام (أو مسخ الإسلام) كثيراً من الكتب والمقالات، وأسسوا المحافل والجمعيات، وكان لهم أكبر التأثير على الأدب والفكر والسياسة في إيران.

يلاحظ في العقود الأخيرة من تاريخ إيران ظهور ردّ فعل بين المثقفين الإيرانيين تجاه الليبرالية الغربية، بعد أن سجّل الغرب أبشع صور مصادرة الحريات، وظلم الناس واستعبادهم في بلدان الشرق الإسلامي.

لكن ردّة الفعل هذه كانت كما يقول الأستاذ مالك بن نبي (رحمه الله) أشبه بصحوة إنسان لا يزال يثقل جفونه نوم عميق.

فلم يتّجه هؤلاء المثقفون إلىٰ الأصالة بعد أن صدمهم الغرب، بل اتجهوا إلىٰ الغرب أيضاً، ولكن في إطار ماقدمه الغرب كبديل لليبرالية، وهو الاشتراكية والشيوعية.

وظهر «حزب توده» ليقدم في الفكر الماركسي اللينيني في إطار

---

(١) مسائل الحيات (بالفارسية)، عبدالرحيم بن شيخ أبوطالب، ص ٤٩، مطبعة غيرت، تفليس ١٣٢٤هـ. ق.

الإسلام[١]!! وظهرت تفاسير لآيات من القرآن الكريم ينحو فيها أصحابها منحى ماركسياً ثورياً!! وحتى الغيب فسروه بأنه «المراحل التمهيدية لنمو الثورة التوحيدية، وفترة حدوث التحولات الكمية»[٢].

يطول بنا الحديث لو أردنا استعراض كل جهود المتغربين في إيران لبث الأفكار المنحرفة عن الدين والتشكيك في المنهج الإسلامي الأصيل، لكننا أردنا تقديم نموذج من تلك الجهود، لنفهم عظم المهمة التي أخذها على عاتقهم دعاة الأصالة الإسلامية، ودعاة إحياء الفكر الإسلامي في إيران، ومنهم الشهيد مطهري رضوان الله عليه.

الشهيد مطهري واجه في عملية الإحياء مشكلتين:

الأولى؛ مشكلة الفئة المتحركة من الشباب والمثقفين الذين يتشبعون بأفكار الغرب ليبراليها واشتراكيها، ويحملون نظرات سلبية قاتمة عن الدين، وعلماء الدين، وكتب الدين.

والثانية؛ مشكلة الفئة الجامدة الهامدة من المسلمين الإيرانيين التي تفتقد كل تحرك، وترى بأم أعينها ما يضجّ به المجتمع المسلم من فساد وانحراف، غير أنها تكل الأمر إلى الله! وتنتظر الفرج الغيبي!

---

(١) انظر: سقوط حزب توده، محمد علي آذرشب، منشورات منظمة الإعلام الإسلامي، طهران.

(٢) انظر: ماترياليسم در إيران (بالفارسية)، مطبوع مع كتاب: علل گرايش به ماديگري، مطهري، ص ٥ ــ ٥٣، ط ٨، طهران ١٣٥٧هـ. ش.

أهم ما نهض به الشهيد مطهري هو مكافحة الانحرافات الفكرية كمقدمة ضرورية لإحياء الدين في المجتمع، وهذا ما يؤكد عليه الإمام الخميني (قدس سره) في نعيه الشهيد مطهري إذ قال:

«مطهري كان لي ولداً عزيزاً، وللحوزات العلمية الدينية سنداً قوياً، وللشعب والبلد خادماً معطاء.. ومايجب أن أقوله بشأنه هو إنه قدّم خدمات جلّى للإسلام والعلم..».

«إنه كان من النوادر في فهمه الإسلام، ومختلف فنون الإسلام، والقرآن الكريم..».

«لقد قضى عمره الشريف على طريق الأهداف الإسلامية المقدسة، وقارع بشدّة الانحراف والالتقاط.. وأنا أوصي الطلبة والمثقفين الملتزمين أن لا يدَعوا كتب هذا الأستاذ العزيز يلفّها النسيان بفعل دسائس أعداء الإسلام..»[1].

الأستاذ الشهيد مطهري يوضح بنفسه أهدافه في نشاطاته الفكرية ويقول:

«منذ سنة (١٣٣٠ هجرية شمسية) (استشهد في ١٣٥٨هـ. ش / ١٩٧٩م) حيث مسكت القلم لأكتب مقالاً أو لأخطّ كتاباً ماكان أمامي هدف سوى حلّ المشاكل والإجابة على الأسئلة المطروحة في

---

(١) سيرى در آثار استاد شهيد مطهري (بالفارسية)، ستاد بزرگداشت سالگرد استاد، ص ٢٠ ـ ٢١، طهران ١٣٥٩هـ. ش.

الشؤون الإسلامية المعاصرة. كتاباتي بعضها فلسفي، وبعضها أخلاقي، وبعضها اجتماعي، وبعضها تاريخي، ومع اختلاف موضوعات هذه الكتابات فإنها توخّت هدفاً واحداً لا غير».

«الدين الإسلامي الحنيف دين مجهول، حقائقه قد انقلبت بالتدريج في نظر الناس، والسبب الأساس في إعراض طائفة من الناس هو المفاهيم الخاطئة التي قُدِّمت باسم هذا الدين، هذا الدين المقدس يتعرض في عصرنا الراهن أكثر من أي شيء آخر إلىٰ إساءة بعض أدعياء حماية الدين».

«هجوم الاستعمار الغربي من جانب، بعملائه المرئيين وغير المرئيين، وقصور أوتقصير كثير من أدعياء حماية الإسلام في هذا العصر من جانب آخر، أدّى إلىٰ تعرّض الفكر الإسلامي باستمرار في الحقول المختلفة أصولاً وفروعاً إلىٰ هجوم غادر».

«من هنا فإنني العبد الضعيف، رأيت أنّ واجبي يفرض عليّ العمل في هذا الميدان قدر استطاعتي..».

«لا أدّعي طبعاً أن الموضوعات التي تناولتها في كتاباتي كانت من أهم الموضوعات، ولكني أستطيع أن أدّعي بأني لم أتجاوز نطاق حل المسائل المستعصية في الفكر الإسلامي، وعرض المفاهيم على حقيقتها بقدر الإمكان، وإن لم تستطع هذه الكتابات أن تحول دون الانحرافات على الصعيد العملي، فلعلها تستطيع أن تقف بوجه الانحرافات الفكرية وخاصة في المجالات التي يتذرع بها أعداء

الإسلام، وفي هذا المجال حاولت، حسب تشخيصي رعاية الأولويات»[١].

الأستاذ مطهري وجد أن مهمته الأولى هي تقديم الإسلام بلسان العصر، أو بعبارة أخرى الجمع بين «الأصالة» و«المعاصرة»، وبدون ذلك فإن الاتجاه الفكري في المجتمع الإسلامي سيتخذ أحد سبيلين:

إما التقوقع والتخلف والابتعاد عن روح العصر، وإما تحريف الإسلام باسم التقدمية والبروتستانتية، وإلى هذا يشير الأستاذ الشهيد في تحذيره روّاد النهضة الإسلامية إذ يقول:

«أنا باعتباري فرداً أحسّ بمسؤوليتي الإلهية أوجه تحذيري إلىٰ زعماء النهضة الإسلامية العظام، وأتم الحجة بيني وبين رب العالمين، وأقول لهم:

إن نشر الأفكار الغربية والتقاطها باسم الفكر الإسلامي بعد إضفاء الطابع الإسلامي عليها، سواء كان ذلك عن سوء نية أو عدم سوء نية، خطر يهدد كيان الإسلام».

«طريقة مواجهة هذا الخطر لا تتثمل في المنع والحظر، وهل يمكن منع العطشى المتلهفين إلىٰ الماء من تناول الماء بحجة أنه ملوث؟!! إنها مسؤولياتنا التي تفرض علينا أن نقدم كتباً بلغة العصر في الحقول الإسلامية المختلفة، لو أننا عرضنا ماء قُراحاً سلسبيلاً بالمقدار الكافي لما اتجهوا إلىٰ الماء الملوّث».

---

(١) عدل إلهي (بالفارسية)، مطهري، ص ٨ و٩.

«طريق المواجهة هو عرض المدرسة الإسلامية بشكل صحيح في كل المجالات وبلغة العصر. حوزاتنا العلمية التي تموج اليوم بالنشاطات الاجتماعية يجب أن تعي مسؤوليتها العظيمة العلمية والفكرية. يجب أن تضاعف أعمالها العلمية والفكرية عشر مرات. يجب أن تعلم أن الاقتصار على الدراسات الفقهية والأصولية الرسمية لا يلبي حاجات الجيل المعاصر»(١).

وهكذا يلخّص الأستاذ مطهري نشاطه الفكري والثقافي لإحياء الدين في المجتمع، ونجد مصداق ذلك فيما كتبه الأستاذ من مقالات وألقاه من محاضرات ودوّنه من كتب.

فهو قد جمع أولاً بين مختلف احتياجات المجتمع الفكرية، ابتداء بالفلسفة الإسلامية المعمّقة التي طرحها من خلال تعليقه على كتاب: «أصول فلسفة وروش رئاليسم = أصول الفلسفة وطريقة الواقعية»، في خمسة أجزاء، وانتهاء بكتابة القصص التربوية المبسطة المستقاة من السيرة والتاريخ الإسلامي في كتابه «داستان راستان» = «قصص الأبرار» في جزئين.

لقد استطاع مطهري أن يطرح القضايا الفلسفية من خلال معالجة الواقع الاجتماعي، كما فعل في «علل گرايش به ماديگرى» = (أسباب النزوع إلىٰ المادية)، وفي «العدل إلالهي» كما طرح الخطوط

---

(١) نهضت هاى إسلامى در صد سال أخير (بالفارسية)، مطهري، ص ٧٥

العامة لنظرة الإسلام إلىٰ الكون والحياة، في عدة كتب تعالج موضوع التوحيد والنبوة والقيامة(١).

كما كتب دروساً في العلوم الإسلامية، كالعرفان والفلسفة، والمنطق والكلام؛ وقارع النظرية المادّية وتفسيرها للتاريخ والمجتمع في كتب عديدة(٢). وتناول قضية المرأة في عدد من الكتب والمقالات(٣).

وحارب الالتقاط من خلال الكشف عن زيف الالتقاطيين وخوائهم الفكري، وله في تفسير القرآن، وربط القرآن بالحياة دروس ومحاضرات ومقالات، وله في توضيح المفاهيم الإسلامية، وبيان الانحرافات التي تراكمت على هذه المفاهيم باع طويل أيضاً.

كلّ هذا يمثل جهداً متواصلاً استمر قرابة ثلاثين عاماً في الجمع بين «الأصالة» و«المعاصرة» من أجل إحياء الإسلام في مجتمع

---

(١) مثل كتاب: الإنسان والإيمان، والتصور التوحيدي، والوحي والنبوة، والحياة الخالدة، وقد ترجمنا هذه السلسلة من الكتب مع إضافة مقدمات وتعليقات عليها في سلسلة «مقدمة في التصور الإسلامي» منشورات مؤسسة البعثة، طهران.

(٢) انظر: المجتمع والتاريخ، في جزئين ترجمناهما من الفارسية مع مقدمة وتعليقات وملحقين، منشورات مؤسسة البعثة، طهران.

(٣) انظر: مسألة الحجاب، ونظام حقوق المرأة، الشهيد مطهري، ويذكر أن معظم محتويات الكتاب الثاني نشرها الأستاذ في مجلات نسوية كانت تنشر في زمن نظام الشاه، وكانت هذه المجلات منحرفة تُدار بيد منحرفين، لكن الاستاذ الشهيد اقتحمها، غير مبال بنهج المجلة، من أجل أن يوصل كلمة الإسلام إلى القطاع النسوي الإيراني بمختلف اتجاهاته.

تكالبت عليه قوى الشر والضلال والانحراف لتبعده عن المسيرة الإسلاميّة الصحيحة.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا جهوده المبذولة من أجل استنهاض الهِمم وتحريك الطاقات وغرس روح التحرك وروح العمل والجهاد والشهادة في المجتمع، فقد كان لها تأثير كبير على دفع القطاعات المتقوقعة المنزوية إلىٰ ساحة النشاط الاجتماعي الرسالي، وعلى إزالة الأفكار والمفاهيم السلبية التي عشعشت طويلاً في أذهان الفئة المتدينة التقليدية تجاه العمل السياسي والنشاط الاجتماعي الإسلامي(١).

بقي أن نؤكد هنا أن الجهاد الفكري الطويل، الذي خاضه الشهيد مطهري، لا يعني انصرافه عن الجهاد من أجل القضاء على النظام السياسي الظالم الحاكم في المجتمع.

كل مصلح إسلامي حقيقي مخلص لايمكن أن ينسى مهمة تحرير الأمة ورفع الظلم عنها، وهويخوض معترك الصراع الفكري.

الشهيد محمد باقر الصدر ـ مثلاً ـ مع كونه رائد الفكر الإسلامي المعاصر، يرى أن صفة محاربة الظالمين لا تنفك عن الإسلام، وعن حركة الإنسان المسلم والمجموعة المسلمة، غير أن الظروف

---

(١) انظر إحياء الفكر في الإسلام، حيث يركز الأستاذ على مفهوم العمل والحركة في الإسلام، وكتاب: شهيد يتحدث عن شهيد، حيث يوضح الأستاذ معنى الشهادة والشهيد، ويبين المكانة التي يتمتع بها الشهيد في المفاهيم الإسلامية، ويستعرض صوراً من عظمة مواقف شهداء الإسلام، الكتابان من ترجمتنا ومنشورات مؤسسة البعثة، طهران.

والملابسات هي التي تفرض طريقة ممارسة هذه الصفة[١]، ويرى أن نزعة «الانتقام من الجبارين» نزعة تكاملية لا يمكن للإنسان السائر على طريق الله أن يتخلى عنها[٢].

والأستاذ الشهيد حسن البنا عُرف بدعوته الفكرية والأخلاقية والتربوية، لكنه مثل سائر العاملين المتلزمين المخلصين كان يؤكد على ضرورة إعداد القوة اللازمة للمعركة العنيفة ضد الباطل. وجاء هذا التأكيد واضحاً في قوله:

«وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ـ معشر الأخوان المسلمين ـ ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة. في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجاج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبّار، فإني فاعل إن شاء الله..»[٣].

وهذا المفكر المسلم أبو الأعلى المودودي يشير إلىٰ عقم الاكتفاء بأسلوب الوعظ والإرشاد فيقول:

«يصبح من العبث الدعوة إلىٰ الإسلام على طريقة التبشير المسيحي. ولو طُبعت ملايين النشرات تدعو إلىٰ التمسك بالإسلام، وتصيح بالناس أن (اتقوا الله) صباح مساء، لما كانت ذات فائدة تذكر، إذ ما هي الفائدة العملية التي ستنجم عن تأكيد أن الإسلام

(١) رسالتنا، مقال: رسالتنا فكرية انقلابية.
(٢) خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، الشهيد الصدر، فصل مسار الخلافة على الأرض.
(٣) مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، ص ٢٣٠.

صالح لكل زمان ومكان، وأن فوائده ومزاياه ليس لها مثيل عن طريق القلم والخطابة؟!

إن حاجة العصر تتطلب إبراز هذه المزايا بصورة عملية في عالم الواقع. . إن مشاكل العالم المادية لن تحلّ بمجرد القول بأن الإسلام يملك حلها، إن قيمة الإسلام الذاتية لابد وأن تبرز إلى الوجود في هيئة نظام عملي مهيمن يلمس الناس آثاره ويجنون ثماره. . إننا نعيش في عالم يقوم على الصراع والكفاح والخطابة، والوعظ لن تفلح في تغيير مجراه، ولكن الكفاح الثائر وحده هو الذي يستطيع ذلك»[١].

والمودودي لا يريد أن يستهين طبعاً بدور الكلمة في الدعوة إلى الله، وهو الكاتب والواعظ والخطيب، بل يردّ على الذين يقنعون أنفسهم بالاكتفاء بالكلمة، إنه بعبارة أخرى يردّ على تجار الكلمة، وعلى المهزومين نفسياً أمام بطش الجبارين، ويؤكد أن الكلمة الجادة المخلصة لاتفترق عن الحركة الجادة، وعن الكفاح الثائر، والعمل الجاد هو الدليل الوحيد على صدق جدية الكلمة.

الشهيد مطهري كان أيضاً من المؤمنين بأن التغيير الاجتماعي في المنظور الإسلامي لا يمكن أن يتحقق دون ثورة كاملة تطيح بالظالمين، لكن هذه الثورة لا يمكن أن يُكتب لها البقاء، ولا يمكن صيانتها من الزلل والانحراف إلا إذا ساندتها نهضة فكرية عميقة أصيلة تقدم الإسلام في جميع مجالات الحياة وفق مقتضيات العصر.

---

(١) رسالة: داء المسلمين ودواؤهم، المودودي، ص ١٥.

يقول: «.. كل نهضة اجتماعية يجب أن يكون لها سند من نهضة فكرية وثقافية، وإلا فسوف تقع في فخ التيارات التي تمتلك ثروة فكرية، وتتجه نحو هذه التيارات فتغيّر مسارها. وقد رأينا أن الجماعات الفارغة من الفكر الإسلامي كيف سقطت كالذبابة في أوتار بيت العنكبوت»[(١)].

ويقول في موضع آخر:

«.. لو استيقظ الشرق واكتشف هويته الإسلامية، فلا تستطيع حتى القنبلة الذرية أن تصد هذه القوة العظيمة، وهذه الجماهير الثائرة، وطريق اليقظة التعرف على تاريخنا وثقافتنا وإيديولوجيتنا..»[(٢)].

كانت هذه وقفة قصيرة ضرورية ـ في خاتمة مطافنا ـ عند حقيقة هامة هي أن الشهيد مطهري، مثل سائر كبار المصلحين الإسلاميين المعاصرين، ودعاة إحياء الفكر الإسلامي، لم يكن يرى العمل الفكري منفصلاً عن العمل الاجتماعي في المجتمع، بل كان يرى عملية الإحياء الفكري مقدمة ضرورية للتغيير الشامل، وضماناً أكيداً لسلامة المسير وللوقاية من الزلل والانحراف. والحمد لله أولاً وآخراً[(٣)].

---

(١) نهضت هاى اسلامى در صد سال أخير (بالفارسية)، مطهري، ص ٧٤.
(٢) بيرامون انقلاب إسلامى (بالفارسية).
(٣) (محاضرة ألقاها السيّد محمد علي آذرشب أستاذ فى جامعة طهران).

في عالم الرّوح

إحدى خصوصيات الشهيد مطهري (ق س) إهتمامه الكبير بالتهجد وقيام الليل، وقد كان منذ فترة دراسته إلىٰ آخر عمره المبارك ملتزماً بذلك.

يقول السيد القائد علي خامنه إي دام ظله:

«عندما كان الشهيد مطهري يأتي إلىٰ مشهد كان أحياناً ينزل في بيتنا.. الغرفة التي كان ينام فيها يفصلها عن الغرفة التي كنت أنام فيها باب واحد.. كان ملتزماً دائماً بقراءة القرآن قبل النوم..

وقد سمعت صوته أثناء التهجد وصلاة الليل ـ كان يبكي ـ طبعاً كثيرون هم الذين يصلّون صلاة الليل، أما مصلوا صلاة الليل بتلك الحالة من البكاء فقلّة... فيما بعد سمعنا من أصدقائه القدامى مثل الشيخ المنتظري وغيره أنّه كان منذ أيام دراسته يصلّي صلاة الليل ومن أهل التهجد».

ويقول ابن الأستاذ الشهيد مطهري (رحمه الله) في معرض الحديث عن ليلة استشهاده:

«في تلك الليلة التي سمعنا فيها بنبأ اغتياله، بقينا مستيقظين حتى الصباح، في الساعة الثانية والنصف رنّ جرس الساعة التي كانت توقظه كلَّ ليلة ـ على العادة ـ لصلاة الليل.. إلاّ أنه لم يعد على قيد الحياة.. كان قد صلّى صلاة ليله مضمخاً بدمه الطاهر قبل الموعد المقرَّر في ظلمة الشارع»

ويقول الشيخ المنتظري بهذا الصدد:

«من خصائص المرحوم التزامه وحبّه المفرط للذكر، والدعاء، وقيام الليل، أذكر أنه في أوائل تعارفنا.. كان ملتزماً بصلاة الليل، وكان يحثّني عليها، وكنت أتملصّ من ذلك بحجة أن ماء حوض المدرسة مالح وغير نظيف ومضرّ لعيني..

إلى أن رأيت ذات ليلة في النوم أني نائم وشخص يوقظني قائلاً: أنا عثمان بن حنيف مندوب أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، يأمرك الإمام أن تنهض وتصلّي صلاة الليل، وهذه الرسالة أرسلها (عليه السلام) إليك..

كان مكتوباً في تلك الرسالة التي كان حجمها صغيراً بخط أخضر «هذه براءة لك من النار»، وفي عالم النوم جلست متحيّراً مفكّراً بالفاصل الزمني بين عصر الإمام (عليه السلام) وعصرنا.

وأثناء جلوسي في النوم متحيّراً أيقظني الشهيد مطهري وبيده إناء ماء قائلاً: أحضرت هذا الماء من النهر، قم وصلّ صلاة الليل ولا تبحث عن عذر».

ويقول أيضاً أحد الفضلاء والمحقّقين المعاصرين على ما نُقل عنه:

«وفي علاقته بإلهه كان عارفاً، من أهل الذكر والسلوك والعبادة. لقد قال مراراً: أحبّ أن أذهب إلىٰ قم وأشتغل بالرياضة، والعبادة، والعرفان، كانت هذه أمنيته.. لم يترك أبداً طيلة عمره قراءة القرآن قبل النوم، وصلاة الليل... وإثر تلألؤات هذه العبادة، وقربه الخاص من إمام الأمّة كان يرى الحقائق بعين القلب».

كذلك يقول أحد أصدقاء الأستاذ:

«قيام الليالي المظلمة، والبكاء، والمناجاة في خلوات السحر، والتوغل في الذكر والفكر، والممارسة في قراءة القرآن، ومجانبة أهل الدنيا، وعبّاد الهوى، والإلتحاق بأهل الله وأولياء الله، كلّ ذلك كان مشهوداً في سيره وسلوكه.

أيضاً يقول أحد الكتّاب المعاصرين:

«مطهري المتهجّد، والمستغفر بالأسحار.. كان يأنس هذا العالم بكلّ وجوده.. وكان متنعّماً به. في إحدى خطبه سمعته يقرأ هذين البيتين وذلك يدلّ على اهتمامه بهذه المراحل:

«أخشى أن أذهب ولم أرَ عالم الروح»

«أخشى أن أذهب من العالم ولم أرَ العالم»

«فأكو ن في عالم الروح عندما أذهب إليه من عالم الجسد»

«لم أر عالم الروح وأنا في عالم الجسد».

هذا الرجل كان يعدّ نفسه ومنذ سنوات طوال لهذا السفر، وقد أمضى عمراً ينقل الخطى على هذا الطريق متزّوداً زاد التهجّد، ممتطياً صهوة قيام الليل، مسترشداً بدليل فيض السحر، ويقيناً أنه وصل إلىٰ مقاصد كثيرة، هذه مؤلفاته الوافرة وخدماته الجليلة، علامة فوزه وتوفيقه، وكذلك حصوله على سعادة الشهادة.

وتقول زوجته المؤمنة الصابرة:

«كان يقف لصلاة الليل، والمناجاة من الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل. كانت مناجاته عجيبة. كما كان يأنس بالقرآن كثيراً، وكان يقرأ القرآن قبل النوم».



الأسلوب الأمثل للمطالعة

نصيحة من الشيخ الشهيد المطهرى وهي تتعلق بالأسلوب الصحيح للمطالعة؛

«. . . في المرة الأولى يقرأ المرء الكتاب بهدف المتعة، وفيها لا يستطيع أن يحكم على مطالبه، ثم يطالعه ثانيةً، فأقوى حافظة تحتاج إلىٰ مطالعة الكتاب النافع مرتين متواليتين كحد أدنى، وبعد ذلك يعمد إلىٰ مناقشة وتحليل مطالبه وتصنيفها ويحفظها وفق هذا التصنيف في ذهنه.

ثم يسعى إلىٰ إختيار كتاب أخر حول الموضوع نفسه لمطالعته بالإسلوب نفسه، ومن المهم تجنب الدخول في موضوع ثاني قبل أن يتّضح الموضوع الأوّل بصورة كاملة، ويُحفظ في الذهن.

ومن الخطأ أن يعمد المرء على نحو ملء الفراغ إلىٰ مطالعة كتاب آخر حول موضوع آخر قبل أن يترسخ موضوع الكتاب الأول ومطالبه في الذهن. . . أما أن يطالع اليوم كتاباً تأريخياً، وغداً كتاباً نفسانياً، وبعده كتاباً دينياً، فذلك يؤدي إلىٰ خلطها جميعاً، ويصبح ذهنه مخزناً غير مرتب تتبعثر فيه المعلومات».

المطهري عند حرم أمير المؤمنين عليه السلام

كان من برنامج الإمام في النجف الاشرف ان يأتي ساعتين ونصف من غروب الشمس إلىٰ غرفة البراني من منزله، ويبقى فيها نصف ساعة لإستقبال من يأتي لمراجعته من فضلاء الحوزة والعلماء والزوار الشجعان، باستثنأء يوم الجمعة، أذ لم يكن يجلس في البراني أصلاً.

ولم ينقض هذا البرنامج سوى مرّة واحدة، ذلك عندما زار الشهيد المطهري النجف الاشرف للقاء الإمام، فقد اعددنا له في عصر يوم الجمعة في براني الإمام لكي يلتقي علماء الحوزة وطلبتها، فجلس الإمام في البراني إحتراماً للشهيد المطهري، وبقي جالسا طوال المراسم، فأضفى عليها مزيداً من البهاء[١].



(١) السيد محمود الدعائي. (نقلا عن كتاب حكايات و عبر من حياة الإمام الخميني رحمه الله) للمؤلف.

حان وقت الرّحيل

تروي زوجة الشيخ المطهري الصابرة هذه الحادثة فتقول:

«قبل ثلاثة ليالي من شهادته، رأى مناماً، وكانت آخر ليلة جمعة، إستيقظ من النوم بحالة عجيبة فسألته، ماذا حدث؟

فقال: رأيت مناماً، كنت والإمام الخميني نطوف حول الكعبة، فجأة لاحظت أن الرسول صلى الله عليه وآله يقترب مني بسرعة، ولما كان يقترب مني تراجعت إلىٰ الوراء حتى لا أسيء إحترام الإمام.

وقلت: يا رسول الله إنّ هذا السيد من أولادك، فاقترب رسول الله من الإمام ثم عانقه، وبعدها إقترب منّي وعانقني.

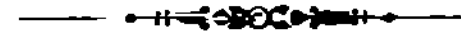
ثم وضع شفاهه على شفاهي ولم يرفعها، وعندما استيقظت من النوم بحيث إنني مازلت أشعر بحرارة شفاهه على شفاهي، ثم سكت هنيئة،

وقال: إنني متأكد ان شيئاً مهماً سوف يحدث قريباً.

بعد أقل من أربعة أشهر على إنتصار الثورة الإسلامية، وبينما كان

عائداً إلىٰ منزله، فتح عليه المجرمون أعداء الثورة الإسلامية النار، فسقط شهيداً. . وكان ذلك في (٢/ ٥/ ١٩٧٩م).

اغتالوه لقد نفذ صبرهم وهم يشاهدونه يدفع بعجلة الثورة الإسلامية إلىٰ الامام بقلمه ولسانه وكل ما بوسعه.



حادثة الإغتيال

وقعت حادثة إغتيال الشيخ المطهري في الساعة الثامنة من مساء يوم الثلاثاء (٢/ ٥/ ١٩٧٩م)، عندما كان متوجهاً لعقد جلسته الأسبوعية السياسية، وقد نفى أعضاء بارزون في حزب توده أن يكونوا قد قاموا باغتياله.

وإذا كانت الحادثة قد نسبت إلىٰ جماعة الفرقان المنشقة، فإنّ إحسان طبري الذي انشق عن حزب توده، وانضم للإسلاميين على يد الشهيد مطهري، يؤكد أن إغتيال الشيخ مرتضى المطهري، تم على يد عملاء المخابرات المركزية الأمريكية، أوالموساد الإسرائيلية. وهذا نقلاً عن جريدة (كيهان في ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٤م).

وقد بكاه الإمام الخميني عند إستشهاده بما لم يبك به ابنه، وكان يقول في مأتمه:

خذني معك فأنا مستعد للشهادة، لقد فقدت ابني العزيز الذي هو قطعة من جسدي، كما وصفه بأنه لا نظير له في طهارة الروح، وقوة الإيمان، والقدرة على البيان، وأن شخصيته الإسلامية والعلمية والفلسفية لن تذهب بموته، وقد أعلن الحداد العام من أجله وجلس

في المدرسة الفيضية يتلقى فيه العزاء.

قال آية الله المنتظري في وفاته: إن فقدان آية الله مطهري خسارة كبيرة للعلم والتقوى والثورة.

وقال العلامة طباطبائي: كنت أشعر بالسعادة عند حضوره مجلس الدرس.

وقال عنه آية الله بيات: إن أمثال مطهري من نوادر التاريخ.

وقال الشهيد آية الله سعيدي الذي قتله السافاك: إن أردتم ألا تضلوا الطريق، تمسكوا بأذيال الشيخ مطهري، فإنه عصارة الفضائل.

وقال آية الله جعفري: الأستاذ المطهري عمود الإسلام، لا تضيعوا فيض الحضور في جلساته. جريدة (كيهان في ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٤م).



بيان الإمام الخميني رحمه الله عند شهادة المطهري

إستشهد الشيخ المطهري (قدس سره)، في الرّابع من جمادى الثانية في ليلة الثاني عشر من ارديبهشت (الشهر الثاني الفارسي) عام (١٣٥٨هـ ش) (٢/ ٥/ ١٩٧٩م)، بعد أقل من أربعة أشهر على إنتصار الثورة، على يد جماعة فرقان المنحرفة، والتحق بالرفيق الأعلى.

وعلى إثر إنتشار نبأ إستشهاده، أُعلِن الحداد العام في الجمهورية الإسلامية، وشُيِّع جثمانه تشييعاً مهيباً، ودفن (قدس سره) بجوار مرقد السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) في مدينة قم المقدّسة.

وقد نعاه الامام الخميني (قدس سره) في بيان نعرضه بكامله نظراً لاهميته:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنا لله وإنا إليه راجعون

إنني أعزي وأهنئ الإسلام والأولياء الكرام والأمة الإسلامية وخاصة الشعب الإيراني المجاهد، بمصابهم المؤسف بالشهيد الجليل والمفكر الفيلسوف والفقيه الكبير المرحوم الحاج الشيخ مرتضى المطهري قدس سره؛

أما العزاء فبإستشهاد ذلك الرجل الفذّ الذي قضى حياته الكريمة الغالية في سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة والكفاح المتواصل مع كل الأفكار الملتوية المنحرفة.

ذلك الرجل الذي عزّ له مثيل في معرفة الدين الإسلامي والمعارف الإسلامية المختلفة، وتفسير القرآن الكريم. أما أنا فقد فقدتُ ولداً عزيزاً، وقد فُجعت بوفاته، فكان من الشخصيات التي أعدّها ثمرة حياتي. وقد ثلم في الإسلام باستشهاد هذا الولد البار والمفكر الخالد ثلمة لا يسدّها شيء.

وأما التهنئة فلأننا نحظى بوجود أمثال هؤلاء الرجال الذين يضحّون بأنفسهم ويشعون بالنور في حياتهم وبعد وفاتهم.

إنني أهنّئ الإسلام العظيم مربّي الأجيال، واهنّئ الأمة الإسلامية بتربية رجال يفيضون بالحياة على القلوب الميّتة وبالنور على الظلمات.

وإني وان خسرت ابناً عزيزاً كان كبضعة مني، ولكني أفتخر بأنه كان وسيكون في الإسلام وسيكون مثله.

لقد غاب عنّا المطهري الذي قلّ له مثيل في طهارة الروح وصلابة الإيمان وقوة البيان، والتحق بالرفيق الاعلى، ولكن الأعداء لن يستطيعوا أن يقضوا على شخصيته الإسلامية والعلمية والفلسفية، وان المغتالين لن يتمكنوا من اغتيال الشخصية الإسلامية لرجال الإسلام.

وليعلموا أن فقدان الشخصيات الكبار لن يزيد شعبنا ـ إن شاء الله العزيز ـ إلاّ تصميماً وعزماً في استمرار الكفاح ضد الفساد والاستبداد والاستعمار.

إن شعبنا قد اهتدى إلىٰ سبيله، ولن يألو جهداً في قطع الجذور النتنة للنظام البائد وأعوانه الخبثاء.

إن الإسلام العزيز نما وترعرع بالتضحيات وتقديم الأبطال.

ولقد جرت سنّة الإسلام منذ نزول الوحي على الشهادة والشهامة.

ومن أهم ما يدعو إليه الإسلام هو القتال في سبيل الله والمستضعفين

﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان..﴾.

وهؤلاء الذين تيقّنوا الهزيمة والفناء يحاولون الانتقام بهذا العمل اللاإنساني أو ارعاب المجاهدين في سبيل الإسلام، وإن خابت ظنونهم، فمن كل شعرة لكل شهيد ومن كل قطرة دم تروي الأرض سينبعث مجاهد قوي العزيمة.

فلا سبيل لكم للعودة إلىٰ نهب ثروات الشعب ألاّ أن تغتالوا جميع أبناء هذه الأمة، ولن ينفعكم اغتيال الفرد مهما كان عظيماً، ولن يتراجع الشعب الثائر لاعادة مجد الإسلام متوكلاً على الله تعالى بهذه المحاولات اليائسة؛ فنحن مستعدون للتضحية والاستشهاد في سبيل الله.

انني أعلن يوم الخميس ١٣ اردیبهشت ١٣٥٨هـ.ش الموافق ليوم ٦ جمادي الثاني ١٣٩٩ [هـ.ق].

يوم حداد عام على رجل فذّ مناضل مجاهد في سبيل الإسلام والشعب، وسأقيم شخصياً مجلس التأبين في المدرسة الفيضية يومي الخميس والجمعة.

وأسأل الله تعالى لابن الإسلام العزيز الرحمة والغفران وللدين الإسلامي الكرامة والمجد.

والسلام على شهداء الحق والحرية



من كلام العلامة الطباطبائي رحمه الله

«قسمٌ من مقابلة مع العلامة الطباطبائي أُجريت بعد استشهاد الأستاذ المطهري» قال العلاَّمة الطباطبائي فيها:

كان للمرحوم المطهري ذكاءٌ خارق، لم يكن يضيعُ منه ولا حرف واحد فما كنا نقوله يحفظه ويعقله.

إضافة إلىٰ تقواه وإنسانيته وخصاله الأخلاقية كان يتمتع بذكاءٍ خارق بحيث كنت واثقاً من عدم ضياع أيِّ شيء أقوله، كنتُ واثقاً من ذلك.

عندما كان يحضر درسي، كانت تتملكني حالةٌ من الشوق والحماس والفرح لأني كنت أثق حينها بأن ما أقولُهُ سيُحفظ، وهذا ما يصدق علىٰ مباحث «كتاب أصول الفلسفة ومنهج معرفة الحقيقة» فقد كنت مطمئناً من جميع الجوانب أنها ستُحفظ.

وفي الوقت نفسه أصبح ـ المرحوم المطهري ـ أخيراً صاحب رأي في القضايا الفلسفية، بمعنىٰ أن يفهم المطلب ثم يُعطي رأيه بشأنه وأفضل وصف لهذه الحالة هو أنه صاحب رأي.

أردنا أن تُشرح وتُفصّل مجملات «أصول الفلسفة» وتتضح مباحثها وكان الشخص الذي يستطيع إنجاز ذلك هو المرحوم الشيخ المطهري فشرع بذلك وأنجز المهمة علىٰ أفضل وجه، لقد فتحنا له يدينا ليحل

معضلاتها ففعل، فما كَتب جديرٌ بالاهتمام وكان صاحب رأي أيضاً.

كان رجلاً تقيًّاً: أرجوكم لا تسألوني عن ارتباطنا المعنوي وعن الأمور المؤثرة فإني متأثّر روحياً.. ولا طاقة لي بذكرها وبيانها.. غفر الله له.. إن فقدان الشهيد المطهري خسارة عظمىٰ حقاً.



الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله يقيم مجلس فاتحة عن روح الشهيد المطهري

في (٥/ جمادى الثانية/ ١٣٩٩هـ - ٢/ ٥/ ١٩٧٩م) تمّ اغتيال الشهيد مرتضى مطهري.

وعندما أذيع نبأ إستشهاده، تألم السيد الصدر كثيراً وقال: (كيف تترك مثل هذه الشخصية من دون حماية، وهو يعتبر أفضل مفكّر في إيران؟!).

ثم أعلن عن إقامة مجلس الفاتحة عن روح الشهيد مطهّري في مسجد الشيخ الطوسي، كما أن السيد الخوئي عقد مجلس فاتحة عن روح الشهيد المطهري، وكان ذلك في مسجد الخضراء، وأبرق السيد الخوئي إلىٰ إيران معزّياً.

وكان السيد الصدر قد كتب أعلاناً (إطلاعية) وأعطاها إلىٰ السيّد محمود الخطيب من أجل إذاعتها من قبل إذاعة حرم أمير المؤمنين عليه السلام لتسمعها مختلف مناطق النجف الأشرف، وقد جاء فيها؛ «سيقام هذه الليلة مجلس فاتحة عن روح الشهيد آية الله الشيخ

مرتضى المطهري من قبل السيّد محمّد باقر الصدر في جامع الشيخ الطوسي بعد صلاة المغرب والعشاء»[١].



(١) نقلا عن كتاب حكايات و عبر الشهيد محمد باقر الصدر والشهيدة بنت الهدى.

الشهيدان مطهري ومحلاَّتي رحمهما الله

قالت السيدة زوجة الإمام عند زيارتها لمنزلنا: لاحظتُ أن الإمام بكى كثيراً عند استشهاد إثنين: الشهيد المطهري الذي حزن الإمام كثيراً لاستشهاده، والثاني هو الشهيد المحلاتي[(١)].



(١) ابنة الشهيد المحلاتي (نقلا عن كتاب حكايات و عبر للامام الخميني).

شهادة حق

الإمام الخميني (قدس):

ـ لقد قل نظير المرحوم المطهري في ادراكه لمعارف الاسلام وفنونه المختلفة، انه كان في عداد الشخصيات الذين يعدّون حصيلة عمري.

ـ لقد طغت على مؤلفاته ولسانه ـ من دون استثناء ـ صبغة التعليم، وكانت مواعظه ونصائحه التي كانت تخرج من قلب مليء بالايمان والعقيدة للمعارف النافعة والمفيدة، فان الخدمة التي قدمها المرحوم المطهري للشباب قل شخص قدّم مثلها لهم.

ـ إن مؤلفاته ـ وبدون استثناء ـ جيدة ونافعة، واني لا اعلم أحدا سواه لكي اتمكن من القول بفائدة جميع كتبه بلا استثناء كذلك، ونحن نشكر الله تعالى على ان بقي من آثار هذا الاستاذ الشهيد هو بنفسه ـ على مافيه من محتوى جيد ـ معلم ونافع.

السيّد محمّد باقر الصدر(قدس):

ـ عندما أذيع نبأ إستهاد (الشيد المطهري) تألم السيد الصدر رحمه الله كثيراً، وقال:

(كيف تترك مثل هذه الشخصيّة من دون حماية، وهو يعتبر أفضل مفكر في إيران؟!)

السيّد الإمام علي الخامنه أي (دام ظله):

ـ لو كان الشهيد المطهري اليوم حيا لكان مفتاح لخزائن الثقافة الاسلامية.

ـ كان المرحوم مطهري مفكرا بالمعنى الواقعي للكلمة، وكان فيلسوفا فقيها ومتكلما، فانّه مع كونه لم يدرس فى فروع علم الاجتماع والتاريخ وغيرهما، صار عالما فى الاجتماع، ومؤرخا، وشخصية بارزة بسبب ما كان يتمتع به من فكر منفتح ومشرق.

ـ تعتبر مؤلفات الاستاذ الشهيد المطهري المباني الفكرية لنظام الجمهورية الاسلامية.

الفليسوف الطباطبائي (صاحب تفسير الميزان):

ـ كان المرحوم المغفور المطهري عالماً ومفكراً ومحققاً، وكان ذو فكر وفطنة وذهن وقّاد.

ـ إن ما خلّفه من آثار وتآليف وتحقيقات من مختلف المجالات العلمية والإستدلالية ـ الموجودة فى مطاوي كتبه ـ شيء عجيب وملفت للنظر.

ـ كان للمرحوم المطهري ـ مضافاً الى تقواه وسائر ما يتصف به من أخلاق ـ ذهناً وقّاداً وخارقاً للعادة بحيث كنت مطمئناً بأن كل ما نذكره في الدرس لم يكن يذهب سداً.

ـ كلما كان المطهري يحضر درسنا إبتهجت ابتهاجاً شديداً شوقاً إليه.

السيّد الخوئي(قده):

ـ قال المرحوم آية الله الشيخ الفلسفي: دعينا يوما إلىٰ دار آية الله الخوئي، فدار الحديث حول الأستاذ المطهري، فقال آية الله الخوئي (قد سره): «كان المطهري بحراً متلاطماً»، وهذه أعظم كلمة من مثل رجل عظيم، كالسيد الخوئي قيلت في حق الشهيد المطهري.

الشيخ الرّفسنجاني:

ـ لو كان الاستاذ المطهري حياً لتمكنّا من تأسيس أكبر جامعة في تاريخ الإسلام.

ـ لقد كان الاستاذ المطهري أحد أركان الثورة الإسلامية.



مؤسسة الشهيد

ذكر موقع شاهد الإعلامي الثقافي لمؤسسة الشهيد بمناسبة حلول الذكري السنوية لإستشهاد آية الله مطهري، قام جمع من الاستاذة، والمسؤولين لمنظمة تعبئة الاساتذة بزيارة منزل الشهيد مطهري، والالتقاء باسرته.

وقد أشار رئيس منظمة التعبئة: إن جمع من الاساتذة من جامعات طهران قرروا الحضور في منزل الشهيد مرتضي مطهري بمناسبة حلول الذكري السنوية لإستشهاد آية الله مطهري، والاحتفال باسبوع المعلم، وذلك من أجل تجديد العهد والوفاء لإهداف ذلك الشهيد الجليل.

قال نجل الشهيد آية الله مطهري: إن والده الشهيد آية الله مطهري لم يجد اية نقطة توقف في حياته العلمية، وكانت احدي الفعاليات المستمرة للشهيد مطهري الرد علي الشبهات التي كان يطرحها الطلاب الجامعيون.

وقال: لقد كانت إحدي النقاط المهمة في حياة الاستاذ مطهري تتمثل في عدم إيقاف نفسه في نقطة واحدة، وكان لايشعر بعدم

الحاجة إلي عقد مجالس البحث والحوار، بل كانت له مجالس شهرية، وإسبوعية للتفسير والحوار.

وقال علي مطهري: كانت طريقة الشهيد مطهري كما يذكر تلامذته تتمثل في حضورة في الصف قبل ساعة من بدء الدوام، كما كان يبقي في الصف بعد إنتهاء وقته لبعض الدقائق ليرد على أسئلة الطلاب، وكان تعامله مع الطلاب ودياً دائماً.

وقال نجل الشهيد مطهري: إن آثار والده كما قال عنها الامام الخميني(رض) مفيدة للعارفين، ولعامة الناس، حيث كان يستطيع كل من مرجع التقليد، والطالب المدرسي أن يستفيد من كتاباته.

لذلك يستطيع حتي الاساتذة من غير ذوي الاختصاص في المعارف الإسلامية الافادة من جلسات بحثه، ومناظراته، دون أن تكون لهم دراسات إختصاص في المسائل الدينية، والمعارف الإسلامية، وإدراكهم لدورة من التعرف الاساسي، والعميق للقضايا الإسلامية.



محاضرة للشيخ الشهيد مرتضى مطهري رَحِمَهُ اللهُ

الدّين شمس لا تغيب

هل للدّين نهاية؟

إنّ عالمنا عالم التغير والتحول، فلا يبقى شيء ثابتاً بل، إنّه سيتحوّل ويشيخ، وبعد ذلك يموت وينطفئ وينقضي عمره فهل الدين كذلك؟

وهل للدين مرحلة زمنية معينة، إذا مرّت وانقضت، فسوف ينقضي عمر الدين أيضاً؟ أم ليس الأمر كذلك، بل هو دائم باقٍ بين الناس، وإذا حدث أنْ ظهرت حركة معادية للدين تحاربه، وتحاول القضاء عليه، فالدّين رغم ذلك لا يموت، ولا ينطفئ، بل إنّه سيبقى نابضاً، سيظهر ويثبت وجوده، بأشكالٍ وصورٍ أخرى بعد فترة وجيزة.

يقول (ويل ديورانت) ـ وهو لا يؤمن بأيّ دين ـ في كتابه «دروس التاريخ» في بحثه حول التاريخ والدين: (للدين مئة روح، كلُّ شيء إذا قضي عليه في المرّة الأولى، فإنّه سوف يموت وإلى الأبد، إلاّ الدين، فإنّه لو قضي عليه مئة مرة، فإنّه رغم ذلك سيظهر وتنبعث فيه الحياة بعد ذلك).

ستكون دراستنا في حدود القوانين والنواميس الطبيعية: ما هي الأشياء التي تبقى والأشياء التي تفنى وتموت؟

ولا يتعرّض حديثنا للأمور الخارجة عن مدار الظواهر الإجتماعية، بل سيتحدّد في هذا المجال.

مقياس الخلود

إنّ الظواهر الإجتماعية التي تحتفظ بوجودها خلال عمرها، لا بد أنّ تكون متلائمة مع الرغبات والحاجات البشرية، أي أنّها؛ إمّا أنْ تكون بنفسها حاجات بشرية، أو أنّها وسائل لإشباع تلك الحاجات الإنسانية، بمعنى: أنّ البشر في أعماق فطرتهم يبحثون عنها، ويرغبون فيها أو أنها ليست كذلك، فلا يرغب بها الإنسان في عمق فطرته وغريزته، ولا تستهدفها الميول البشرية، ولكنها وسائل لإشباع حاجاته الفطريّة الأوليّة.

وحاجات البشر على قسمين:

حاجات طبيعية.

وحاجات غير طبيعية، أي (العادات).

أمّا الحاجات الطبيعية، فإنها تعني تلك الأمور التي يحتاجها الإنسان بما أنه إنسان، ولم يكتشف سرّها حتى الآن كحب المعرفة والاستطلاع، وحبّ الشهرة والجمال، والرغبة في الأسرة والنسل، فرغم أنه سوف يصيبه التعب والكلل في سبيلها، ولكن رغم ذلك يرغب فيها، ويسعى في إشباعها وإرضائها.

وأمّا لماذا يرغب في المعرفة والجمال، وما هو واقع هذه الرغبات، ولماذا يلتذّ بها؟ هذه أسئلة تبحث عن الجواب، وسواء تمكنّا من الجواب عليها أم لا، فإنّ هذه الرغبات والحاجات موجودة فعلاً في الطبيعة الإنسانية.

وأمّا الحاجات غير الطبيعية، أي العادات التي يعتاد عليها أكثر الناس، ولكنّهم يتمكّنون من التخلص منها أو استبدالها، كالإدمان على شرب السجائر أو الشاي، أو الخمر، أو الهيروويين، وغيرها، والتي تصبح حاجات يحتاج إليها الإنسان، ويرغب فيها بشدّة كما يطالب بالحاجات الطبيعية، وتصبح بالتدريج طبيعة ثانوية له، ولكن رغم ذلك، فإنه يتمكن من هجرها والتخلّص منها، أو تربية الجيل القادم وتنشئته نشأةً لا يفكر معها بهذه الأشياء أبداً.

وأمّا الرغبات والدوافع الفطرية الطبيعية، فليست كذلك، إذْ لا يتمكن الإنسان من تركها، ولا نستطيع أن نربّي الجيل القادم تربية يتناسى معها هذه الرغبات.

ومثاله الواضح يظهر في تطبيقات الشيوعية، فالحكم الشيوعي سعى لتحقيق فكرتين؛

إحداهما: الاشتراكية الشيوعية.

والثانية: إبادة النظام العائلي الاختصاصي.

ولكن محاولاته باءت بالفشل، لأنها لا تقبل التطبيق، إذ الدافع لتشكيل الأسرة دافع طبيعي فطري، فإنّ كُل فردٍ في أعماقه يميل

للأسرة، وإلى زوجةٍ تختصّ به، حتى يكون الولد المتولّد منهما مختصّاً به، وإنما يحب ولده ذلك الحب الشديد لأنّ ولده امتداد لوجوده، وهذا الحب أمر فطري، وحين لا يكون له ولد، يشعر بأنّ وجوده سيزول وينقطع بعد حياته.

وكذلك الإنسان فطرياً، يمتلك الرغبة في معرفة تاريخه وماضيه، ومن هو أبوه وأمه، ولا يمكن أنْ يعيش الإنسانُ سعيداً وسوياً وهو لا يعرف أباه أو أُمه، وكيف يمتدُّ وجوده بعد حياته، وأي الأولاد ولده؟

ولذلك لم يستجب البشر لهذه الفكرة، فماتت، وقُذف بها في سلّة المهملات.

وقد اقترح أفلاطون قبل (٢٦٠٠) عاماً أمثال هذه الفكرة. ولكنه بنفسه ندم على ذلك، بعد أن لمس آثارها السيئة.

وقد ظهرت الدعوة لإلغاء النظام العائلي في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ولكن رفضها البشر، لماذا؟ لأنها خلاف الطبيعة البشرية.

وللحكماء قاعدة فلسفية، وهي؛ (أنّ القسر لا يدوم) ويعني ذلك؛ أنّ التيار غير الطبيعي لا يبقى ولا يدوم، ويقابل ذلك التيار الطبيعي، فإنّه يدوم، وله الإستعداد على البقاء والثبات، وأمّا غير الطبيعي، فلا يمتلك القابلية على البقاء.

وإذا أردنا أن نثبت بأنّ الدين يبقى ويدوم، فلا بد أن يكون أحد

هذين الأمرين؛ إمّا أن يكون بنفسه حاجة طبيعية، أو يكون وسيلة لإشباع الحاجة الطبيعة، ولكن يشترط أن يكون هو الوسيلة الوحيدة لإشباع هذه الحاجة أو الحاجات الفطرية الطبيعية، ولا توجد وسيلة أُخرى أفضل منها، فإنه لو وجدت وسيلة أُخرى غير الدين تشبع تلك الحاجة بصورة أفضل، وأكثر فائدة وتأثيراً، فحينئذ سوف تزول الحاجة إلى الدين، ويهجر ليتمسك بتلك الوسيلة الأخرى، وبالخصوص إذا كانت الوسيلة الأخرى أفضل من الدين.

ونلاحظ مثل هذه الظاهرة في العصر الحديث كثيراً، فإن السلع تتغير بين يومٍ وآخر مثلاً، وتُهجر السلعة القديمة ليندفع الناس لشراء الجديدة، وإنْ كانت تُشبع نفس الحاجة التي تشبعها القديمة.

مثلاً إحتياج الناس للبس الجورب، ففي البداية كانوا يلبسون الجورب المحاك ولكن ظهر اليوم جورب آخر يشبع هذه الرغبة، وربما كان أفضل وأجمل من السابق لذلك هُجر النوع السابق واستخدم الجديد.

وكذلك حينما أختُرِعت الكهرباء، ترك الإنسان إستعمال المصباح الزيتي، فإنّ إستخدام المصباح كان لأجل الإستفادة من ضيائه، وهذه الحاجة تشبعها الكهرباء بصورةٍ أفضل وأيسر.

والدين يمتلك كلتا الميزتين، فإنه بنفسه حاجة فطرية وشعورية للبشر، وكذلك هو الوسيلة الوحيدة لإشباع الحاجات الفطرية للبشر، بحيث لا يمكن لغيره أن يحل محلّه.

وبعد الدراسة التالية، سيتّضح لنا، بأنّه يستحيل على أيّ شيء أنْ يقوم مقام الدين في إرضاء هذه الرغبات الفطرية.

فطرية الدّين

القرآن الكريم يصرّح بأنّ الله قد أودع الدين في قرارة الإنسان وأعماقه، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم/ ٣٠].

وحين يتحدّث الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الأنبياء، يذكر بأنهم قد بُعثوا لأجل أن يُذكروا الناس بذلك العهد الذي عقدته فطرتهم، لأجل مطالبتهم بالوفاء بذلك العهد الذي لم يُكتب على ورقة ولم ينطق به لسان، وإنّما كُتب على صفحة القلب وفي عمق الفطرة الإنسانية بقلم الخليقة على صفحة الضمير وفي أعماق الشعور الباطن.

ولم أذكر ذلك للإستشهاد والإستدلال، بل أستهدف من ذلك أنْ أُثبت أن الإسلام كان أوّل من اكتشف أنّ الدين حاجة فطرية، ولم يعرف البشر هذه الفكرة سابقاً، ولكن ظهر في العصر الحديث من يُنادي بها ويدعو إليها، وقد ظهرت الكثير من النظريات والآراء حول هذه الفكرة في القرن السابع عشر، والقرن الثامن عشر، والقرن التاسع عشر الميلادي، والقرآن الكريم يصرّح: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ .

كيف وجد الدّين؟

هناك فرضيات كثيرة حول نشأة الدين، ونستعرض بعضها إجمالاً:

١ ــ الدين وليد الخوف، خوف الإنسان من الطبيعة، ومن صوت الرعد الرهيب، وسعة البحر وهدير أمواجه المتلاطمة، وغيرها من مظاهر الطبيعة.

ونتيجةً لهذا الخوف، أن خطر الدين في أذهان البشر، والحكيم اليوناني (لوكريتوس) ذكر بأنّ أول الآباء للآلهة هو إله الخوف، وفي عصرنا الحديث قد التزم بها البعض، وادّعى بأنّها نظرية جديدة.

٢ ــ الدين وليد الجهل، فقد إعتقد البعض بأنّ العامل لوجود الدين هو جهل البشر، فالإنسان بطبعه يميل إلى معرفة العلل والقوانين الحاكمة في الكون وفي حوادثه، وربما أنّه لم يعرفها، نسبها لما وراء الطبيعة.

٣ ــ الرغبة في العدالة والنظام، ذهب البعض إلى أنَّ الدافع إلى الدين وانتماء البشر إليه، هو الرغبة في العدالة والنظام، فحين لاحظ الظلم والاضطهاد، وعدم العدالة في المجتمع والطبيعة، أوجد الدين وتشبّث به، لتسكين آلامه النفسية وتهدئتها.

وقد ذكر أصحاب هذه الفرضيات الثلاثة، بأنّه مع تقدم العلم وتطوره، فسوف يزول الدين لوحده ويحتل العلم موقع الدين، لذلك دعوا إلى تطوير العلم وتنميته، لأنّه في رأيهم، أنّ العالم يعني غير المتدين.

٤ ــ الفرضية الماركسية، وتعتقد الماركسية بأنّ الدين قد وجد لأجل أن تحتفظ الطبقة المستثمرة بإمتيازاتها ومكانتها وسلطتها بين

الشعوب، ففي مرحلة الشيوعية الأولى لم يكن هناك وجود للدين، وثم وُجد بعد ذلك بسبب العوامل المتصلة بالملكية الخاصّة والأوضاع الطبقية، وفي المرحلة الإقطاعية والرأسمالية، أنشأت الطبقة الحاكمة فكرة الدين، حتى لا تثور الطبقة المحرومة بوجهها، فالدين لجامٌ لجامها وغضبها، وأفيون لهذه الطبقات المحرومة، لتبقى سادرةً في سُباتها وغيبوبتها.

والملاحظ أنّ سائر الفرضيات قد جعلت العلم يأخذ موقع الدين، وأما هذه الفرضية فلم تلتزم بقيام العلم مقام الدين، فإنّ الماركسية رأتْ، بأنّ العلم تطور وتقدّم، ولكن الدين لا زال باقياً ولم يتعرض للفناء، بل لاحظوا بأنّ كبار العلماء هم من الملتزمين بالدين، كباستور وغيره.

لذلك اعتمدت الماركسية على الطبقية، فأكّدت بأنه ما دام للطبقات وجود فالدّين لا يزول، بل سيظل محتفظاً بوجوده، لوجود هذه الطبقية في الشعوب، فإنّ الدين وليد الطبقية، فإذا ساد العالم المذهب الاشتراكي وزالت الطبقية، فإن الدين سيزول لوحده.

إنّ الماركسيّين يعتقدون بأنّ الدين شراك تنصبه الطبقة الحاكمة للطبقات الكادحة المحرومة، فلو تساوى الجميع، وزالت الطبقية، فسيزول الدين بنفسه، لأنّه لا حاجة لهذا الشراك آنذاك.

وبإيجاز؛ فإنّهم دعوا إلى تحقيق المساواة التامّة بين أفراد المجتمع، كشرطٍ ضروري للقضاء على الدين.

ولكن هذه الفرضيّة، كأخواتها، لم تثبت للنقد العلمي، إذ ثبت أنّ الدين أسبق وجوداً من الملكية، ففي مرحلة الشيوعيّة البدائية، وحين لم يكن للطبقات وجود، كان الدين موجوداً آنذاك، بالإضافة إلى أن الواقع التاريخي لا يتلاءم وهذه الفرضية.

إذ أثبت التاريخ بأنّ الدين قد ولد ونشأ بين الطبقات المستضعفة والمحكومة وقادة الرسالات، أمثال موسى وغيره، الذين كانوا من الطبقة المحرومة والمستضعفة، حيث واجه هو وأصحابه المحرومون، الطبقة الحاكمة المتمثّلة بفرعون وأمثاله.

وحين بُعث نبينا أعلن ثورته على الطبقية الحاكمة والثرية والمرابين، وقد عبّر القرآن الكريم عنهم؛ بالملأ، أي الأشراف أمثال: أبي سفيان، وأبي جهل والوليد بن المغيرة؛ فإنّهم كانوا من زعماء مكة وأثريائها، ومن المخالفين له، وأمّا أتباع النبيّ، فكانوا من الطبقة المحكومة والمضطهدة، أمثال: عمار، وسلمان، وأبي ذرّ، وعبد الله بن مسعود، وأمثالهم.

وحين زار خروتشوف إبّان رئاسته الجزائر قال له ابن بلا ـ الذي كان رئيساً للجمهورية آنذاك ـ: «إنّ الإسلام يمكن أن يكون عاملاً محركاً في شمال أفريقيا لمقاومة الاستعمار»، فصدّقه على ذلك.

إذاً فقد اعترف بالحقيقة، وهو الذي كان ممن يقولون أنّ الدين أفيون الشعوب، وأنّه قد اصطنعته الطبقة الحاكمة، لتخدير الفئات

المحكومة والمضطهدة، حتى لا تطالب بحقوقها المشروعة، وتشعل الثورة ضد الحكام المستبدّين، ولكن بعد أن أطّلع على الإسلام عن قرب اعترف بالحقيقة.

ويظهر مما سبق، أنّ المخالفين للدين أنفسهم، لم يتّفقوا على رأي واحد.

٥ ــ فرضية فرويد: وقد فسّر فرويد كل الظواهر الاجتماعية وفق الغريزة الجنسية، ومن جملتها الدين، فإنّه حين تقف الظروف الاجتماعية بوجه إطلاق العنان للغريزة الجنسية، تُصاب هذه الغريزة بالكبت والحرمان، ولكنها لا تزول، بل إنها تستقر في اللاشعور، حيث تقف بوجهها القيود الاجتماعية، ولكن هذا الكبت والحرمان يحقّق نفسه في الخارج بصورة أمراض عصبيّة ومظاهر مختلفة، ومنها الدين.

إذاً ففي رأيه أنّ الدافع إلى وجود الدين هو الحرمان الجنسي، فهو يعتقد بأن الجذور الأولى لظهور الأخلاق والعلم، وكل شيء هي جذور جنسية، ويعتقد بأنّه حين ترتفع الحواجز والسدود عن طريق الغريزة الجنسية، وتُمنح لها الحرية ولا تبقى مكبوتة، فسوف يزول الدين لوحده.

ولكن فرويد بنفسه قد ندم على رأيه هذا بعد ذلك، ولم يتقبل تلاميذه منه هذا الرأي، ومن هنا تتأكّد فطرية الدين.

الآراء حول فطرية الدّين

وقد ظهرت دراسات عديدة لإثبات فطرية الدين:

١ ـ رأي يونج: ذكر (يونج) عالم النفس الشهير، وتلميذ فرويد، بأنّه وإنّ صحّ ما ذكره فرويد، بأنّ الدين من الصور التي تتدفّق من اللاشعور الإنساني، ولكن القول بأنّ محتويات اللاشعور جميعها منحصرة بالميول الجنسية، التي هربت من شعور الإنسان إلى لاشعوره، هذا القول غير صحيح؛

فالإنسان يمتلك نفساً باطنةً، ووجوداً لا شعورياً فطرياً طبيعياً، ولا تنحصر محتويات هذا الوجود بما يقدّم إليه من الشعور الظاهر، كما توهّم فرويد، ففي الواقع قد نجح فرويد حين اكتشف اللاشعور، ولكنه فشل في إعتقاده بأنّ محتويات اللاشعور جميعها مؤلفة مّما يطرده الشعور، ويعتقد يونج بأنّ الدين من تلك الأمور المتواجدة في اللاشعور بصورةٍ فطريّةٍ وطبيعية.

٢ ـ (وليم جيمس): وهو فيلسوف وعالم أمريكي كبير، يقول «إنه وإن صحّ بأن المنشأ الكبير من الرغبات الباطنية، هي الأمور الطبيعية المادية، ولكن المنشأ للكثير منها أيضاً عالم آخر وراء هذا العالم المادي، والدليل على ذلك عدم توافق الكثير من أعمال البشر مع الحسابات الماديّة، فإنّنا نلاحظ في كل حالة وعمل ديني دائماً طابعاً من الوفاء والإخلاص والوجد واللطف والمحبة والإيثار، فللحالات النفسيّة الدينية بعض المشخّصات والخصائص التي لا تتلاءم مع الحالات النفسية البشرية كلها».

ويقول: «إنّ الغرائز المادية هي التي تربطنا بهذا العالم المادي، وكذلك الغرائز المعنوية تربطنا بذلك العالم الآخر». ولهذا الرجل آراء غريبة في هذا المجال.

٣ ـ ألكسيس كارليل: حيث يذكر في كتابه (الدعاء)؛ «بأنّ الدعاء أسمى حالة دينية مقدسة للإنسان، حيث تُحلّق فيها روح الإنسان لله».

ويذكر أيضاً؛ «توجد في الوجدان الإنساني شعلة تُعرِّف الإنسان على خطاياه وانحرافاته أحياناً، وإنّ هذه الشعلة هي التي تصدّ الإنسان عن الوقوع في الخطيئة والانحراف».

ويقول أيضاً؛ «إنّ الإنسان أحياناً وفي بعض حالاته الروحية، يشعر بجلال المغفرة وعظمتها».

٤ ـ آينشتاين يقول: «إنّ المشاعر التي أدّت إلى نشأة الدين مختلفة، والدوافع التي تدفع شتّى الفئات إلى الالتزام بالدين مختلفة أيضاً».

ويقول: «إنّ الخوف في الإنسان البدائي، هو الذي يشكّل الأرضية لنشأة الدين عنده، الخوف من الموت، الخوف من الجوع، من الحيوانات الكاسرة، من المرض، وتخلق له ذهنيته المحدودة الضئيلة، وغير المتطوّرة، بعض الموجودات المتشابهة، وبعد ذلك يصنعها بيديه وفكره، وبعد أن يخلقها بنفسه، يفكّر في كيفية التخلّص من غضبها وسخطها، وكيف يجلب رضاها، وهذا الدين لا بدّ أن

نسميه بدين الخوف، والإله الذي يدعو هذا الدين لعبادته، ليس إلهاً حقيقياً، إنّ هذا الدين يؤدّي إلى عبادة الوثن».

ويقول أيضاً: «والصفة الإجتماعية لدى البشر، هي أيضاً بدورها من دوافع الدين، فإنّ الإنسان يرى بأنّ الموت يختطف أباه وأمّه وأقرباءه والزعماء والكبار، يأخذهم الواحد تلو الآخر، ويشعر بالفراغ، حيث تخلو دنياه منهم. إذاً، فالأمل بوجود الهادي والموجّه، الأمل بأنّ يكون محباً أو محبوباً، وأن يعتمد على الغير، وأنْ يتخلّص من اليأس، كلها تشكل عنده الأرضية لتقبّل الإيمان بالله».

ويعتقد آينشتاين: بأنّ الإله الذي يندفع إليه هذا الشعور، هو إله غير حقيقي أيضاً، فإنّ الصفات المفروضة له صفات بشرية، والكتب المقدّسة للمسيحية واليهودية، تعترف بمثل هذا الإله، ولكن هذا الدين أكثر تطوراً من دين الخوف بدرجة واحدة.

وبعد ذلك يقول: (ولكن يجب أن لا ننسى، بأنّ هناك بعض الأفراد أو الجماعات، رغم قلّتهم، قد توصّلوا إلى التعرف على المعنى الواقعي الحقيقي لوجود الله وراء كل هذه الأوهام والخيالات. يشتمل هذا الإله على الخصائص والمشخّصات المتعالية، ولا يُقاس بالعقيدة العامّة تلك). ويقصد بذلك، أنّ المجتمع الذي تتعدد الأديان فيه، لا يعني ذلك أن عقائدهم في الإله واحدة في المستوى والسطحية والبدائية، فإنّ بعض الأفراد، وفي مثل هذه المجتمعات، يؤمنون بإله تتوافر فيه كل خصائص الإله، الذي هو أهلٌ للقداسة والعظمة.

ويقول بعد ذلك: «وهناك دينٌ وعقيدةٌ ثالثة، متواجدة في الأذهان كلها، وبدون استثناء، وإن كنت لا تعثر على تصوّر واحدٍ لها، وعلى صورتها الخاصة عند الجميع، وأنا أطلق على هذه العقيدة: (الإحساس الديني للوجود)، ويصعب عليّ توضيح هذا الإحساس لمن يفتقده، وبالخصوص أنّ البحث هنا ليس حول ذلك الإله الذي يظهر بصورٍ ومظاهر مختلفة، إنّ هذه العقيدة تُعرِّف الإنسان على ضآلة الآمال والأهداف البشرية، وعظمة ما وراء الموجودات الطبيعية، بحيث يشعر بأنّ وجوده سجن، ويطمح في التخلص من سجن البدن، ويحلّق عالياً ليعثر على الوجود كله مرة واحدة، وبحقيقته الواحدة».

وعلى ضوء هذا الرأي، فإنّ الناس جميعاً، وبالخصوص أولئك الأفراد الذين بلغوا مرحلةً من الرشد والتطور، يمتلكون هذا الإحساس، وهو التخلص من وجودهم المحدود، والتوصل إلى قلب الوجود.

هناك دافع ورغبة في الإنسان لا تستقرّ ولا تهدأ، ولا تطمئن إلاّ إذا اتّصلت بمنبع الوجود والله، وهذه الحقيقة المقدسة هي التي يعبّر عنها القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد/ ٢٨].

ويظهر من ذلك أنّ الفرضيات الذي يذكرها المنكرون لفطرية الدين حول نشأته مختلفة وليس لهم رأي موحّد في هذا المجال.

ومما يُثير العجب، أنّ البعض منا يؤمن بمثل هذه الفرضيات، كما يؤمن بمعادلةٍ كيميائية، أو نظرية فيزيائية وطبيعية.

رغم الإختلاف الكبير في هذه الآراء، ورغم وجود الكثير من المفكرين المعاصرين الذين قد اعترفوا بفطرية الدين، وحاولوا إثبات ذلك بمختلف المحاولات، ومن هؤلاء آينشتاين، ولعلّه أعظم علماء العصر الحديث باعتراف الغرب نفسه، فكيف يكون الدين وليد الجهل؟

كان هذا الحديث كله حول الدين كحاجةٍ فطريةٍ.

* * *

الدين الوسيلةُ الوحيدة لإشباع الحاجات

والآن يدور حديثنا حول كون الدين هو الوسيلة الوحيدة لإشباع الحاجات والرغبات البشرية، ولا يمكن لغيره أن يحلّ محلّه.

فقد اعتقد البعض قبل زمنٍ ليس بالبعيد، بأنّه بتقدم الإنسان وتطوره، ستنعدم الحاجة للدين، لأنّ العلم سيُشبع حاجات البشر ورغباته.

ولكن اليوم، وبعد التطور الكبير للعلم، قد لمسوا احتياجهم الشديد للدين في سعادة الفرد والمجتمع.

وهذه القدرة على التفكير والتصوّر لدى الإنسان، تخلق فيه

مشاعر الأبديّة والخلود، والتفكير في حياةٍ أخرى، غير الحياة الدنيوية المؤقتة، ومثل هذه الميول الواسعة الأبدية لا تتلاءم وقواه البدنية المحدودة الفانية؛

أي أنّ الإنسان يشعر من ناحية بوجود هذه الميول والتصورات الواسعة الكبيرة في نفسه، ومن ناحيةٍ يرى جسمه وبدنه محدوداً زائلاً، فيحسّ بتوتّر واضطراب هائلين، حيث يلاحظ بفزع، عدم التعادل والتوازن بين حاجاته ورغباته واستعداداته البدينة، فإنّ الإحساس بالحرمان من الخلود يسحقه، يمزقه، يغبط الحيوانات التي تعيش تلك الحياة المحدودة، حيث تتساوى مساحة فكرها مع مساحة استعدادها البدني، ولا تفكر في البقاء والأبدية، حتى تتأجج في أعماقها الآمال والحاجات الكبيرة، ليمزّقها تصور الفناء وعدم تحقيق أحلامها.

فلو كان الإنسان سيفنى بعد رحلة العمر، فإنّ هذا التصوّر يشعره بعدم التوازن، بين أفكاره ورغبات روحه، وبين استعدادته، فيبرز أمامه هذا السؤال: إذا كان مصيره الفناء، فإلى أيّ مدى ستكون هذه التصورات والميول الواسعة مؤلمة وغير مثمرة؟

وكثيراً ما سعى الإنسان وأجهد نفسه في البحث عن الخلود والبقاء، وكل هذه الجهود والأعمال التي يبحث في أحضانها عن البقاء، وليدة هذا الإحساس، وهذا الأمل بالخلود، ومنها الأعمال التي يقوم بها البعض ليثبتوا بقاءهم بعد الحياة من خلالها.

ولكنها خيالات وأوهام لا تعتمد على أساس منطقي، فإنّه يتوهم أنّه باق بتمثاله، بصورته، بمؤلفاته، بذكرياته، كلا إنه لن يبقى، بل سيموت، وكثير من الجرائم يقترفها البعض، لأجل التوصّل إلى هذا الأمل، وإلى إثبات بقائه، ولكنها جهود لا طائل منها: فأيّ لذة سيشعر بطعمها بعد موته؟ وما تُجديه لذة الشهرة بعد أن تنطفئ حياته؟ فإنّ الحي هو الذي يشعر بهذه اللذة.

إنّ الوسيلة الوحيدة التي تشبع هذه المشاعر والرغبات، بصورة تامة ومقنعة، هو الشعور والاعتقاد الديني.

ويذكر فروغي في كتابه (رسائل العظماء)، ورسالة عن فيكتور هوجو تؤكّد هذا المعنى، أن الإنسان حين يعتقد بأنّه فانٍ، وأنه لا يوجد بعد هذه الحياة إلاّ العدم المطلق، فإنّه حينئذٍ سيفقد الإحساس بقيمة الحياة ولذتها.

والشيء الوحيد الذي يبعث فيه الإحساس باللذة والنشاط والرؤية الواسعة، هو الدين، حيث يوفّر فيه الاعتقاد بالبقاء والخلود، وبوجود حياة أخرى أبدية، وأنّ هذه الحياة مؤقتة، وأنك أيُها الإنسان أكبر من الحياة الدنيا.

وحين يسأل تولستوي عن تعريف الإيمان؟ يُجيب: بأنّ الإيمان هو الذي يحيا به الإنسان، إنه رصيد الحياة.

ولنقارن هذه الفكرة مع طريقة التفكير لدى بعض الأفراد، الذين يعتقدون بأنّ الدين قيد، وأنّ اللادينيّة حرية وانطلاق.

إنهم يتوهمون بأنّ الحرية تعني التحرّر من كل قيد، وعليه فيكون التحرّر من العقل، والإنسانية، والأخلاق، والشرف، وغيرها من القيم، أيضاً تحرراً وانطلاقاً.

وحين قرأت هذا الحديث عن تولستوي، خطر في ذهني ما قاله ناصر خسرو مخاطباً ابنه:

«أعرضتُ عن الدنيا، ووجهتُ وجهي للدين، لأنّ الدنيا بدون دين، كالبئر العميقة، كالسجن، إنّ للدين في أعماق قلبي ملكاً عظيماً لا يتعرّض للدمار، والانهيار أبدً».

الدين رصيد الأخلاق والقانون

الأخلاق والقانون يشكّلان الأساس والقاعدة الرئيسية التي يعتمد عليها بناء المجتمع البشري، وإنّ الرصيد الوحيد لهما هو الدين فحسب.

والقول (بعدم احتياج الأخلاق في تحققها للدين) غير صحيح؛ فإنّها كالعملة الورقية، لو لم يكن لها رصيد يسندها من الذهب وغيره، تعتمد عليه، فإنّها ستفقد قيمتها.

إنّ هذا الرأي حول الأخلاق والقانون تماماً كلائحة حقوق البشر التي إقترحتها فرنسا وأخذت في نشرها، والدعاية الواسعة لها، ولكنها كانت أول من سحق هذه الحقوق، وضربت بها عرض الجدار، لأنها لم تعتمد في أساسها على إيمانٍ نابع من فطرة البشر.

وحين أرادت فرنسا أن تمنح حقّ الإستقلال للجزائر، عارض هذا

الإقتراح بعض القادة الفرنسيين، أمثال جورج بومبيدو، وقد كان آنذاك زعيم الاشتراكيين الفرنسيين، وضمّ صوته للمنظمات التي تطالب بإبادة الشعب الجزائري. أجل إنّ هؤلاء هم الذين وقّعوا على لائحة حقوق البشر.

إنّ جميع المقدسات والقيم الخلقية، والقوانين التي يحفل بها المجتمع البشري، أمثال: الحرية، والعدالة، والمساواة، والإنسانية، والشعور بالمسؤولية، وغيرها، إن لم تعتمد في أساسها على الدين، فلا يمكن أنْ يكون لها واقع، ولا يمكن أن نضمن تطبيقها وتحقيقها.

يقول ألكسيس كارليل: «لقد تقدّمت العقول وتطوّرت كثيراً، ولكن مع الأسف لم تزل القلوب ضعيفة، والإيمان فحسب هو الذي يبعث القوة في هذه القلوب، وإنحرافات البشر كلها ناشئة من هذه الحالة، وهي قوة العقول، وضعف القلوب، فماذا فعلت الحضارة والمدنية الحديثة؟ إنها تخرج يومياً للأسواق الكثير من البضائع والمنتوجات الجيدة.

ليس هناك شيء غير الدين، يوجّه البشرية للأهداف المقدسة السامية، إنّ الإنسانية لا تنفك عن الدين والإيمان، وإذا لم يوجد دين، فلا وجود للإنسانية.

عوامل الانحراف عن الدين

وهنا يبرز سؤال: إذا كان الدين فطرياً، فلماذا يخرج الناس منه، وينحرفون؟

والبحث عن العوامل المؤدية للإعراض عن الدين، بحث طويل، وهذا السؤال يطرح بالخصوص على أولئك المعتقدين بفطرية الدين.

وأنقل هنا عن كتاب: (الله يتجلّى في عصر العلم) حديثاً حول هذا المجال، حيث تعرّض (وولنز أوسكار لندبرج) في مقالته لعوامل الانحراف، فذكر عاملين:

يقول:

«ويرجع فشل بعض العلماء في فهمهم وقبولهم لما تدل عليه المبادئ الأساسية، التي تقوم عليها الطريقة العلمية من وجود الله والإيمان به، إلى أسبابٍ عديدة نخصّ إثنين منها بالذكر:

١ ــ يرجع إنكار وجود الله في بعض الأحيان إلى ما تتبعه بعض الجماعات أو المنظمات الإلحادية أو الدولية، من سياسة معينة ترمي إلى شيوع الإلحاد ومحاربة الإيمان بالله، بسبب تعارض هذه العقيدة، مع صالح هذه الجماعات أو مبادئها.

٢ ــ وحتى عندما تتحرّر عقول الناس من الخوف، فليس من السهل أن تتحرّر من التعصب والأهواء، ففي جميع المنظمات الدينية المسيحية، تُبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم بإله هو على صورة الإنسان، بدلاً من الاعتقاد بأنّ الإنسان قد خُلق خليفة الله على الأرض، وعندما تنمو العقول بعد ذلك، وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية، فإن تلك الصور التي تعلموها منذ الصغر،

لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير، أو مع أيّ منطق مقبول، وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات في التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة، وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمي نجد هؤلاء المفكرين يتخلّصون من الصراع بنبذ فكرة الله كُليةً، وعندما يصلون إلى هذه المرحلة، ويظنون أنهم قد تخلّصوا من أوهام الدين، وما ترتب عليها من نتائج نفسية، فإنهم لا يحبّون العودة إلى التفكير في هذه الموضوعات، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذه الموضوعات، وتدور حول وجود الله».

إنّ هذين العاملين كانا سبباً لإنحراف الكثير عن الدين، فإنّ الكثير من الناس، والمثقفين منهم بالخصوص قد إنحرفوا، لتعرّفهم على المفاهيم الدينية إبّان طفولتهم، من الأبوين اللذين لا يمتلكان معرفة صحيحة حولها، أو بسبب دعاة الدين الجهلاء، الذين لا يملكون إلاّ هذه التصورات الخاطئة والمشوّهة، بحيث لا تتلاءم مع العقل والعلم والمنطق.

ومن الواضح أنّ الإنسان حين ينضج عقلياً، ويتعرّف على المنجزات العلمية والمنطقية، فلا يمكنه أنْ يتقبّل مثل هذه التصورات والمفاهيم المشوّهة، غير المعقولة وغير المنطقية للمفاهيم الدينية؛ ومن هنا يندفعون للانحراف، أو الإلحاد، لأنّهم يعتقدون بأنّ الإيمان بالله، يتحدّد بهذه الصور المشوّهة، التي عرفتها أذهانهم، لذلك ينكرون الله.

ولعلّ هذا هو الدافع لإنحراف الكثيرين من المثقفين عن الدين،

وفي الحقيقة، فإنهم لا يرفضون المفاهيم الحقيقية لله والدين، بل مفاهيم أخرى.

وإن الكثير قد إنحرفوا، نتيجةً للإيحاءات الغبيّة المشوَّهة للأمهات والآباء والمبلّغين الجهلة؛ لذلك إمتلأت أذهانهم ـ في مجال المسائل الدينية ـ بالكثير من التصورات والمفاهيم الخاطئة، وهي التي دفعتهم إلى التشكيك في الدين، بل إلى الإعراض عنه، ومن هنا يتوجّب علينا أن نبذل جهوداً كثيرةً، من أجل عرض الصورة الصحيحة والحقيقية للأصول والمسائل الدينية.

وقد أحسستُ شخصياً بهذه الحقيقة المرة، لذلك بذلت مختلف الجهود والنشاطات، وبشتّى الوسائل، من أجل توضيح المفاهيم والتصورات الإسلامية الأصيلة، بصورتها الحقيقية، غير المشوّهة والمنحرفة، وقد دلّت تجاربي في هذا المجال، على أنّ هذا العمل كان ناجحاً ومثمراً جداً.

ولكن لا تنحصر عوامل الانحراف في هذين العاملين، فهناك عوامل نذكر بعضها:

١ ـ من العوامل التي تؤدي لانحراف الناس وتنفّرهم من الدين والله، وكل القيم المعنوية، هو تلوّث المحيط بالأوحال الشيطانية، وغرق الأفراد، وغيبوبتهم في عبادة اللّذة، والشهوة، والهوة، حيث تحفل تلك البيئة الاجتماعية، بكل ما يُشعل لهيب الشهوة والغرائز الحيوانية، ومن الواضح أنّ الغيبوبة في الشهوات الحيوانية المنحطّة،

تتنافى وكل المشاعر السامية، سواء كانت دينية أو أخلاقية أو علمية أو فنية أو غيرها، فإنها كلها ستموت وتنطفئ، نتيجة الحياة الحيوانية هذه.

فإنّ عابد الشهوة، والغارق بأوحالها، كما لا يحسّ بالمشاعر الدينية الرفيعة، كذلك يفقد الإحساس بالعزّة والشرف، والسيادة، والرجولة، والشجاعة، والتضحية، ويغدو أسيراً لشهواته المادية الحسية، ويضعف ويضمر إحساسه بالأمور المعنوية جميعها، سواء الدينية منها أو الأخلاقية أو العلمية أو الفنية وغيرها.

لذلك لو أرادت أمُة أن تقتل من الأمة الأخرى روح الدين، والأخلاق، والشجاعة، والرجولة، فإنّ عليها أنْ تغرقها بوسائل اللهو، وموائد الشهوة واللذة، وتجارب التاريخ تشهد على هذه الحقيقة المرّة.

وما حدث في الأندلس الإسلامي، حين خرج من يد المسلمين، هو نموذج لذلك، فقد وفّر أعداء الإسلام لهم كل وسائل المتعة المحرمة ومُثيراتها، فقد أوقفوا الحقول النضرة لصنع الخمرة، وغمروها بالحانات والفتيات المنحرفات، اللواتي أخذن يخطرن بكل خلاعة في شوارعها، فماتت روح الدين والشرف، ونتيجةً لذلك، تمكّن أعداء الدين من السيطرة على الأندلس، بكل سهولة، ونجحوا في إبادة المسلمين.

وقد استخدم الاستعمار الغربي اليوم هذه الطريقة، وبصورة أكثر دقةً في البلاد الإسلامية.

إذاً فالغرق في الشهوات، يؤدّي إلى ضمور الإحساس الديني، وضعف تأثيره، بل وقد صرّح القرآن الكريم بذلك، فإنه لو صارت القلوب قاتمةً منظمة، وتكدرت وقسمت، فحينئذ لا يجد نور الإيمان منفذاً إليها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون/ ٦].

٢ ـ إنّ البعض ممّن حملوا مسؤولية الإرشاد للدين، لم يعرفوا واقع الدين وحقيقته، ولا أسلوب الدعوة إليه، فبدلاً من الدعوة إلى تعديل الغرائز البشرية، وتوجيهها التوجيه الصحيح، نراهم يدعون إلى محاربة الغرائز والميول الفطرية البشرية، ويشيعون بأنّ الدين يعادي هذه الغرائز الفطرية، ويدعو إلى القضاء عليها.

فإنّ للبشر رغبات وغرائز فطرية كثيرة، وكلها دخيلة في تكامل الإنسان وسعادته.

فالرغبات لم تُخلق عبثاً، حتى تقتل وتحارب ويقضى عليها، كما هو الأمر في أعضاء الإنسان الخارجية، فلم توضع عبثاً في بدن الإنسان.

كذلك ميول الإنسان، فإن هناك الكثير من الميول الفطرية، أمثال حب الإستطلاع والمعرفة، والرغبة في الثروة، والميل لتشكيل الأسرة، ومنها الدافع الديني أيضاً.

ولا يُوجد بين هذه الميول صراعٌ وقتال، ولا تضادّ وعداء حقيقي، وكل واحدة منها لها نصيبها في مجال العمل، فإذا استعملت

في حدودها المقرَّرة لها، وإذا منح لها نصيبها بعدالة، فسوف تعيش فيما بينها بسلام، وإنما يبدأ الصراع بينها حين يعطي الفرد لأحدها نصيباً أكثر، على حساب الميول الأخرى، فيشبعها أكثر من الحدّ المقرّر لها.

ومن مميّزات الإسلام أنّه قد اعترف بجميع الميول الفطرية في الإنسان، ولم يرفضها، ولم يمنح لإحداها سهماً ونصيباً أكثر ممّا تستحقه.

وهذا هو معنى فطرية التعاليم والقوانين الإسلامية، أي تلاحم هذه القوانين، وعدم عدائها ومعارضتها للفطرة البشرية؛ أي كما أنّ الإيمان والعبادة في الإسلام، من أجل تربية وتنمية الإحساس الفكري الكامن في النفس الإنسانية، فكذلك التعاليم الإسلامية، فإنها متلائمة مع الفطرة البشرية ومتلاحمة معها.

ولكن بعض الأفراد الذين يتظاهرون بالتقدّس والزهد، والذين يدّعون بأنهم الدعاة إلى الدين، ويرفعون هذا الشعار في أحاديثهم وخطاباتهم، فهم يقولون: لو أردت أن تصبح مؤمناً متديناً حقّاً، فيجب أن تقتل في نفسك كل الميول والغرائز؛ الميل للثروة، والغريزة الجنسية، والرغبة في الزوجة والأولاد، والرغبة في المعرفة والاستطلاع، والظهور، واقبع في غرفتك، منعزلاً بعيداً عن المجتمع، وعلى وفق هذا الرأي إذا أراد الفرد أن يستجيب للدافع الديني، فيلزم عليه أن يحارب الدوافع والميول الأخرى كلها.

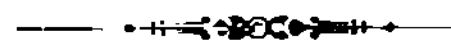
ولكن لو فُهم الزهد بأنّه الهروب من المجتمع، والعزلة، وترك العمل، لو عُرِّف الدين أنّه يحارب الغريزة الجنسية، وأنه يعتبرها أمراً قبيحاً يجب على المتدين عدم الاستجابة لها والإنسان الأفضل، هو الذي يتجنب المرأة طول عمره، وكذلك لو عرف عن الدين أنّه عدّو العلم، وأنّه يحرض على إحراق العلماء وقتلهم، والتنكيل بهم، وغيرها من الشائعات والتصوّرات الخاطئة والمنحرفة عن الدين. نعم... لو عرف ذلك عن الدين، فستمتلئ النفوس بالعداء ضدّه.

فيلزم على دعاة الدين:

١ ـ أن يتعرفوا على التعاليم الدينية الأصيلة، وان يكونوا بأنفسهم من العلماء والمحقّقين في المسائل الدينية، وأن لا يلقوا في أذهان الناس، تلك التصورات والمفاهيم المنحرفة، وغير المعقولة، باسم الدين، حيث إنّ هذا الفهم للدين يؤدي إلى الإنحراف عنه، وإلى الكثير من التيارات المعارضة له.

٢ ـ تطهير البيئة الاجتماعية من الأوحال التي تلوثها.

٣ ـ أن تكون لهم تلك الرؤية الواقعية للغرائز كلها، فلا يحاربون الغرائز الفطرية باسم الدين، وآنذاك سترى بأنّ الناس ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر/ ٢].



محاضرة للشيخ الشهيد مرتضى مطهري رحمه الله

أسباب تخلُّف المسلمين

ما هي أسباب تخلف المسلمين؟

ماذا يعني العمل وما هي جذور انحرافه؟

هل الزهد بأن نجعل الدنيا غاية أو وسيلة؟

وما هي أهداف الزهد؟

نلاحظ أن مجتمعنا الإسلامي يفتقد مظاهر الحياة ويتجه نحو الموت، ومن هنا كان لزاما علينا أن نشير إلى أسباب هذا التخلف في إطار المفاهيم الممسوخة والمشوهة، لأنّ كثيراً من المفاهيم الإسلامية الأصيلة أصبحت باهتة ميتة لا حراك فيها بسبب ما لحقها من التشويه، ومن هنا كان علينا كخطوة أولى على طريق الإحياء أنْ نعالج بعض المفاهيم، ونقوم بتصحيحها في الأذهان.

أ ــ «مفهوم العمل»

الإسلام دين العمل، وهو يؤكد من خلال النصوص القرآنية على إرتباط مصير البشرية بعملها.

«وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»[١].

«فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»[٢].

فعندما تسود ذهنية ارتباط مصير الأمة بعملها تسعى الأمة إلى الإعتماد على طاقاتها كما حصل مع المسلمين الأوائل، فانبثقت في وجدانه الثقة القوية بالنفس ممّا دفعه إلى ساحات الجهاد دون أن يخشى أي قوة آنذاك، لكن اعترت هذه التعاليم بمرور الزمن أنواع الشوائب والانحرافات، حتى فشت الأفكار التي تستهين بالعمل، تاركة كل الأفكار الواقعية والمنطقية.

نماذج من انحراف مفهوم العمل

أ ـ الحظ من الأفكار التي سرت في مجتمعاتنا رغم أنها لا تعتمد على منطق علمي أو فلسفي أو قرآني[٣].

ب ـ انتصار الباطل في صراعه مع الحق، وهي فكرة تشاؤمية مستشرية في مجتمعاتنا، ترى أنّ أي معاملة أو حركة ملتزمة بمعايير الصدق والإنصاف لا يمكن لها أن تحقق أي مكاسب مادية، وهذا يناقض النظرة الإسلامية التي ركزت على ضرورة النظرة التفاؤلية

---

(١) سورة النجم، الآية/ ٣٩.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان/ ٨٧.

(٣) يستشهد الأستاذ بأمثلة من الأدب الفارسي تركز على فكرة الحظ وتربطه بصير الإنسان.

لمسيرة العالم، وأنه لا يمكن تصور نظام أحسن من النظام الموجود.

«الذي أحسن كل شيء خلقه»[١].

«قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى»[٢].

وقد خلق الله الإنسان مختاراً يمكنه الإنحراف يمنةً أو يسرةً، ويستتبع هذا الاختيار إنحراف جماعة عن جادة الحق والعدل، وهنا تتحمل المجموعة الصالحة مسؤولية مقارعة المنحرفين، وهي تحظى في نفس الوقت بإسناد رب العالمين، وليس للباطل سوى جولة سرعان ما يتراجع بعدها أمام الحق، وأجمل تمثيل لصراع الحق مع الباطل نجده في القرآن الكريم:

«أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق بالباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال»[٣].

فالزبد الذي يمثل الباطل يذهب جفاء أمام الحق، وهذا هو قانون الخليقة، بينما تسري بيننا أحاديث مشككة في جدوى الكفاح من أجل إحقاق العدل والحق، دون أن ندخل في تجربة كفاحية عملية واحدة.

---

(١) سورة السجدة، الآية/ ٧.

(٢) سورة طه، الآية/ ٥٠.

(٣) سورة الرعد، الآية/ ١٧.

ج ـ وجود مجدد على رأس كل سنة، وهذه فكرة خاطئة وهي تعتمد على حديث واه السند يقول: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

وقد راجت هذه الفكرة في الفكر السني قديما، ودخلت الفكر الشيعي في القرن الحادي عشر، حيث وصف الشيخُ البهائي الشيخَ الكليني بأنه مجدد المذهب في القرن الثالث، ثم أُطلق بعد ذلك هذا اللقب على المجلسي الثاني في القرن الثاني عشر، وعلى الوحيد البهبهاني في القرن الثالث عشر، وعلى الميرزا الشيرازي في القرن الرابع عشر الهجري.

ومن الغريب في هذه الفكرة أنها لماذا لم تعتبر النوابغ الذين برزوا في أواسط القرون كالشيخ الطوسي مثلا من المجددين، وكأن ذنبهم الوحيد أنهم لم يظهروا على رأس القرن الهجري.

والملاحظ على هذه الفكرة أنها تعفي أفراد المجتمع ككل من التجديد، وتلقي بالمسؤولية على عاتق رجل واحد من بين أفراد معينين على رأس كل قرن، بينما نجد القرآن الكريم عندما يتحدث عن فكرة التغيير يلقي بالمسؤولية على عاتق الجميع.

«. . . إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها. . .»[١].

---

(١) سورة الرعد، الآية/ ١١.

فتغيير المجتمع الإنساني مرتبط بتغيير المحتوى الداخلي لأفراد ذلك المجتمع وأن يكونوا مستعدين لمثل هذا التغيير، وليست فكرة التجديد الأحادي هذه إلا لصرف الأمة عن التفكير بعلاج مشاكلها وانحرافها وانتظار من يقوم عنها بهذا الدور.

جذور إنحراف مفهوم العمل

بدأ انحراف مفهوم العمل كما يحدثنا التاريخ عند ظهور فكرة الإرجاء[1] على يد أناس غارقين في بحر الرذيلة، وقد تبنت هذه الفكرة السلطة الحاكمة في العهد الأموي، وراحت تفرق بين الإيمان والعمل مؤكدة على أهمية ما يضمره المرء في قلبه من إيمان مستهينة بكل ما يصدر منه من أعمال.

مدرسة أهل البيت عليهم السلام في وجه التحريف

لقد وقف الأئمة الأطهار عليهم السلام في وجه كل انحراف ظهر بعد وفاة الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، بما في ذلك إنحرافات المرجئة، ومفهوم انفصال الإيمان عن العمل والاستهانة بالعمل، وما وصلنا من أحاديث عنهم عليهم السلام يكشف عما خاضوه من حرب فكرية تهدف إلى إحباط كل محاولات المسخ والتشويه في الدين الإسلامي.

---

(١) يقول المرجئة «لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة»، «إن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه، وعبد الأوثان، و. . . ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل، وولي لله عز وجل، من أهل الإيمان».

وأما مواجهتهم لفكرة العمل المشوهة، فلاحظ ما ورد عنهم عليهم السلام من حثّ وتأكيد على العمل وعدم فصله عن الإيمان:

١ ــ عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

«... وإنّي لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصديقين... لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلّون، ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل»[(١)].

٢ ــ وعنه عليه السلام: «المؤمن بعمله»[(٢)].

٣ ــ وسئل علي عليه السلام: الإيمان قول وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال:

«الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وهو عمل كله»[(٣)].

٤ ــ وعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام:

«إن ولايتنا لا تدرك إلا بالعمل»[(٤)].

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

«الإيمان عمل كله»[(٥)].

(١) نهج البلاغة ج٢، ص ١٥٩-١٦٠.
(٢) غرر الحكم، ١٤.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٦، ص٧٤.
(٤) الكافي، ج٢، ص٧٥.
(٥) الكافي، ج٢، ص٣٤.

٥ ــ وعنه عليه السلام:

«ملعون من قال الإيمان قول بلا عمل»[١].

وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد على مفهوم العمل، وأن الإيمان عمل كله، وجعله المعيار لتقييم خلوص الإنسان وقربه من الله.

القربى والانتساب لأهل البيت عليهم السلام لا يكفي

لقد اكتفينا بانتسابنا لمدرسة أهل البيت عليهم السلام على مستوى القول لا العمل، بينما القرآن الكريم يدين أولئك الذين يزعمون أن لهم قرابة عند الله تنجيهم من العذاب.

«وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون»[٢].

والقرآن يرفض أن تكون وشيجة القرابة شفيعا للإنسان، فهو يجيب النبي نوح عليه السلام:

«.. إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح..»[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٦. ص١٩.
(٢) سورة البقرة، الآية/ ٨٢٨٠.
(٣) سورة هود، الآية/٤٦.

وروي أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لابنته فاطمة «عليها السلام»:

«يا فاطمة إعملي بنفسك إنّي لا أغني عنك من الله شيئاً».

وقال تعالى:

«فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون»[١].

ب ـ «مفهوم التوكل»

هذا المفهوم القرآني السامي، مثل سائر المفاهيم الإسلامية دقيق وحساس وذو حدين، إن فُهِم بالشكل الصحيح أثمر أعظم النتائج الإيجابية، وإن فُهِم بالشكل المشوّه كما هو اليوم، كان من العوامل المثبطة للهمم والعزائم.

التوكل في المفهوم القرآني مفهوم ينبض بالدفع والنشاط والحيوية، ويزيل كل عوامل التردد والانهزام والخوف، ولذلك نجد القرآن يستعمله عندما يريد أن يثبت ويشد من عزيمة وصمود الفئة المسلمة:

«... ولنصبرنّ على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون»[٢].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات/ ١٠١ـ١٠٢ـ١٠٣.

(٢) سورة ابراهيم، الآية/ ١٢.

«ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلا»[١].

وللأسف إن هذا المفهوم القرآني النابض بالحياة، تبدل بين المسلمين اليوم إلى مفهوم التواكل والتقاعس عن العمل والاندفاع.

ج ـ «مفهوم الزهد»

وهذا المفهوم من المفاهيم التي شوهت وتأثرت بملابسات غير إسلامية، فالزهد الذي يعني لغة ترك الشيء والرغبة عنه، واصطلاحا يطلق على من يترك أمرا له رغبة طبيعية فيه، فلا يطلق مثلا على المريض الذي لا رغبة له بالطعام أنه زاهد، هذا المفهوم جاء به الإسلام ليحث الإنسان على الترفع عن الإنشداد البهيمي بالأرض، وعن ممارسة القدرة والتسلط لاستضعاف الناس واستغلال ثرواتها، وعندها تتحول كل الممارسات الحياتية إلى وسيلة للإنسان ترتقي به إلى الله سبحانه، وتصبح الدنيا وسيلة لا غاية.

هذا المفهوم تأثر بالرهبانية التي ابتدعتها المسيحية..

«... ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم...»[٢].

حيث نجد فيها أن كل ممارسة مع الطبيعة والحياة عملا دنيويا، وأما الطقوس فهي الأعمال الأخروية المعزولة عن كل ممارسة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية/ ٤٨.
(٢) سورة الحديد، الآية/ ٢٧.

حياتية، وقد رفض الإسلام هذه الرهبانية وعبر على لسان رسوله «صلى الله عليه وآله»:

«لا رهبانية في الإسلام».

واعتبر أن كل الأعمال الدنيوية يمكن أن تتأطر بإطار ديني، وتصبح أعمالا عبادية وأخروية، وذلك فيما لو كان الهدف منها تحصيل رضا إلى الله، فالسلطة الاقتصادية يمكن لها أن تكون وسيلة لتحقيق خلافة الله على الأرض، فقد عبّر النبي يوسف عليه السلام:

«قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم»[(١)].

فهو لا يريد أن يستغلّ هذه السلطة لتحقيق مطامعه الشخصية، وكذلك قد أوجب الإسلام على المسلمين إعداد القوة..

«وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوّكم...»[(٢)].

ليرتفع بهم في المستوى الإجتماعي ليشكلوا قوة تبعث على الرهبة في نفوس الأعداء.

فالإسلام يدعو إلى الزهد في الدنيا بمعنى أنْ لا يجعل الدنيا غاية ويجعلها وسيلة، فلا يحس بالفشل والانكسار إذا فقد متاعها،

---

(١) سورة يوسف، الآية/ ٥٥.
(٢) سورة الأنفال، الآية/ ٦٠.

ولا يشعر بالغرور إذا ما امتلك شيئا منها، لأنه لا يريد إلا وجه الله، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«الزهد بين حكمتين في القرآن:

«لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم...»»[1].

لذات الدنيا

تكررت في النصوص القديمة أن الزهد عبارة عن الإعراض عن الدنيا وطيباتها.

مثلاً، يقول ابن سينا في الإشارات في النمط التاسع: «المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يسمى باسم الزاهد»، وهذه العبارة وأمثالها توحي أن الإنسان مخير أمام نوعين من اللذات دنيوية وأخروية، ولا يمكن له الجمع بينهما.

والحق أن الإسلام يدعو التمتع بلذات الدنيا وطيباتها.

«قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون»[2].

لكنه تمتع بها بشكل متأطر بما فرضه الله وضمن الحدود التي حدّها الله، بحيث يرتفع بها عن الإنشداد البهيمي إلى الأرض، وعما

(١) سورة الحديد، الآية/ ٢٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية/ ٣٢.

حرم الله سبحانه، بل إنّ القرآن يذهب أكثر من ذلك، فيرى أنّ الطيّب هو ما أحل الله، والخبيث هو ما حرم الله..

«... ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث...»(١).

فليس هناك لذة دنيوية تحرُم الإنسان من لذات الآخرة، بل كل لذات الدنيا توصل الإنسان إلى الآخرة، وأما المحرمات فيظن مرتكبها أنها لذة وما هي بلذة واقعية، والفائز هم المتقون الذين استفادوا من لذات الدنيا ووصلوا إلى نعيم الآخرة، وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركوا أهل الآخرة في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوا بأفضل ما أكلت»(٢).

أهداف الزهد في الإسلام

عندما يحث الإسلام على الزهد في الدنيا فإنه يسعى لتحقيق الأهداف التالية:

١ ـ الإيثار، فعندما تتعارض مصلحة الفرد مع مصلحة المجتمع يتصدى الدين لحل هذه المشكلة الاجتماعية، ويقوم الإسلام بتربية أبنائه تربية لا يبقى لهذه المشكلة أثر، بحيث يشعر المسلم باللذة

---

(١) سورة لأعراف، الآية/ ١٥٧.
(٢) نهج البلاغة ج٣، ص٢٧.

عندما يضحي بمصالحه الشخصية لأجل مصالح الآخرين، فيحرُم نفسه من اجل إسعاد الآخرين.

٢ ـ وقد ذكر لنا القرآن الكريم صوراً رائعة، وكذلك كتب التاريخ عن الرعيل الأول من المسلمين، تؤكد التفاني والإيثار الذي زرعه الإسلام في نفوسهم.. فسورة «هل أتى» تحدثنا عن إيثار أمير المؤمنين وأهل بيته الكرام عليهم السلام بما يملكونه من طعام..

٣ ـ «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا»[1].

٤ ـ وكذلك مدح القرآن الكريم الصفوة المؤمنة من الأنصار، حيث سطروا أروع الصور في التفاني والإيثار، فعبر عنهم:

٥ ـ «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»[2].

٦ ـ المواساة، فالإسلام يربي أبناءه على الاشتراك في الأحاسيس، والعواطف، ليصبحوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وعندها لا نتصور في المجتمع الإسلامي فئة مترفة وأخرى معدمة، لأن روح المساواة التي يخلقها الزهد الإسلام تأبى على المتمكنين من أن يتركوا المحرومين دون أن يمدوا لهم يد العون، فتزول عندها ظاهرة الفقر والفاقة، ولا يبقى هناك تفاوت فاحش في مستوى المعيشة.

---

(١) سورة الإنسان، الآية/ ٩٨.

(٢) سورة الحشر، الآية/ ٩.

٧ ـ كما يعير الإسلام أهمية كبرى لزهد الحاكم الإسلامي، لأنه بحاجة إلى روح المساواة أكثر من غيره من المسلمين، حيث أن الزهد لدى الحاكم يخلق في المجتمع معايير لتقييم الأفراد لا ربط لها بالمال ولا المتاع، ومن هنا كان لزاماً على الحاكم الإسلامي أن يعيش عيشة أبسط الناس وأضعفهم، وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يجسد نموذج الحاكم الزاهد، ويقول:

٨ ـ «. . . ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

٩ ـ وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ

١٠ ـ أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون لهم أسوة في جشوبة العيش»[١].

١١ ـ التحرر والإنعتاق، فالإنسان مقيد بعوامل طبيعية لا يمكنه التخلي عنها، كالتنفس وتناول الطعام وما شابه ذلك، لكن هناك بعض القيود التي يمكن له أن يتحرر منها، كالبخل والنهم وحب الجاه والشهرة وأمثال ذلك، فإنها كفيلة بأن تكبل الإنسان فيما لو أرخى لهواه العنان ولم يروض نفسه على التحرر والإنعتاق منها.

---

(١) نهج البلاغة ج٣، ص٧٢.

١٢ ــ والزهد يقوم بدور هام في حياة الإنسان، وتحريره من العوامل والقيود التي تشده إلى البطر والراحة وحب الذات، ويجعله قادرا على الاندفاع السريع في ساحات العمل الاجتماعي، ومن هنا كان الأنبياء ﵈ أكثر الناس تحررا من هذه القيود المفتعلة، وهذا خرّيج مدرسة الرسول الأكرم علي بن أبي طالب ﵇ يتحدث عن ترويضه لنفسه فيقول مخاطبا الدنيا:

١٣ ــ «. . . اغربي عني[١] فوالله لا أذلّ لك فتستذليني، ولا أسلس[٢] لك فتقوديني، وأيم الله يمينا أستثني فيها بمشيئة الله لأروّضنّ نفسي رياضة تهش[٣] معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما، وتقنع بالملح مأدوما، ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب[٤] معينها، مستفرغة دموعها، أتمتلىء السائمة من ريعها فتبرك، وتشبع الربيضة[٥] من عشبها فتربض، ويأكل علي من زاده فيهجع؟!! قرّت[٦] إذن عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة[٧] والسائمة المرعية»[٨].

---

(١) اغربي عني: ابتعدي عني.
(٢) لا أسلس: لا أنقاد.
(٣) تهش: تفرح.
(٤) نضب: جفّ ماؤها.
(٥) الربيضة: الغنم.
(٦) جمدت وجفّت، وهو دعاء على نفسه بأن يفقد الحياة، لأن فقدان الحياة لازم جفاف العين وجمودها.
(٧) الهاملة: المتروكة.
(٨) نهج البلاغة ج٣، ص٧٤.

١٤ ـ لكن الانعتاق لا يعني أبداً الإنعزال عن الدنيا، بل يعني دخول معترك الحياة بترفع عن كل الذاتيات، وممارسة الحياة ممارسة القائد لها لا المنقاد خلفها، اللاهث وراءها.

١٥ ـ تذوق اللذات المعنوية، لأن الإنغماس في تلبية حاجات الجسد المادية، يحول دون تذوق اللذائذ المعنوية، فلا يمكن لمن يعيش بين المعلف والمضجع أن يعيش لذة الدعاء مثلا، أو لذة الإتصال بالله أو التضحية والإيثار أو طلب العلم والتفكير والعطاء و. . .

لكنه حينما يمارس الزهد والترفع عن الانغماس باللذائذ المادية والانشداد البهيمي إلى الأرض ومتاعها، ينفتح أمامه عالم جديد من اللذائذ المعنوية التي لا تقل عن اللذائذ المادية، إن لم تكن أعمق منها، والعابد الزاهد يرى حقائق الكون بمنظار يختلف عن ذلك المنغمس في حسّه المادي، فهو يتجاوز إطار الرؤية ليشمل التفكير والاستنتاج والتقييم والربط، يقول تعالى: «إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك».

الفهرس